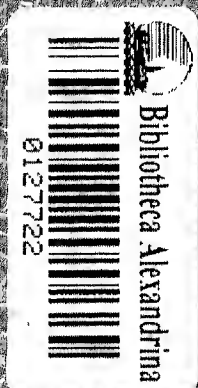


کتاب
الحجرات

لأوقار

تحقيق
الدكتور مارسلان يعقوب

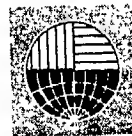
دار الكتب



كتاب المغاري للواقفي



بيروت - المزرعة بنساية الايمان - الطابق الاول - ص . ب . ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبيكي - تلکس : ٢٣٣٩٠



كِتَابُ الْمَغَازِي لِلْوَاقِدِيِّ

مُحَمَّدُ بْنُ عُسْرَيْنَ وَاقِدُ الْمَثُوفِيِّ سَلَمَةُ ط

تَحْقِيقُ
الدُّكْتُورِ مَارْصُوفِ جُونِسْ

الجزء الثاني

عالم الكتب

الطبعة الثالثة
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

ذكر ما كان من أمر ابن أبي

قالوا : فبينما المسلمون على ماء المريسيع قد انقطعت الحرب ، وهو ماء ظنون^(١) ، إنما يخرج في الدلو نصفه ، أقبل سنان بن وبر الجهني - وهو حليف في بني سالم - ومعه فتیان من بني سالم يستقون ، فيجدون على الماء جمعاً من العسكر من المهاجرين والأنصار ؛ وكان جهجاً^(٢) بن سعيد الغفاري أجيراً لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فأدلى سنان وأدلى جهجاً دلوّه ، وكان جهجاً أقرب السقاء إلى سنان بن وبر ، فالتبست دلو سنان ودلو جهجاً ، فخرجت إحدى الدلوين وهي دلو سنان بن وبر . قال سنان : فقلت : دلوي . فقال جهجاً : والله ، ما هي إلا دلوي . فتنازعا إلى أن رفع جهجاً يده فضرب سناناً فسال الدم ، فنادى : يا آل خزرَج^(٣) ! وثارت الرجال . قال سنان : وأعجزني جهجاً هرباً وأعجز أصحابي ، وجعل يُنادي في العسكر : يا آل قريش ! يا آل كنانة ! فأقبلت إليه قريش سراعاً . قال سنان : فلمّا رأيت ما رأيت ناديت بالأنصار . قال : فأقبلت الأوس والخزرج ، وشهروا السلاح حتى خشيت أن تكون فتنة عظيمة ، حتى جاءني ناس من المهاجرين يقولون : اترك حتمك !

[قال سنان] : وإذا ضربته لم يضرني شيئاً . قال سنان : فجعلت لا أستطيع أفئات على حلفائي بالعنبر لكلام المهاجرين ، وقوم يأبون أن

(١) الماء الظنون : أى القليل . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٥٨) .

(٢) هكذا في النسخ ؛ ويقال أيضاً جهجاء ، كما ذكر ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ٣٦٨) .

(٣) في ب : « يا للخزرج » .

أَعْفُو إِلَّا بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَقْتَصَّ مِنْ جَهْجَهَا . ثُمَّ إِنَّ
المهاجرين كَلَّمُوا حلفائى ، فَكَلَّمُوا عِبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ وَنَاسًا مِنْ حلفائى ،
فَكَلَّمَنِى حلفائى فَتَرَكْتُ ذَلِكَ وَلَمْ أَرْفَعِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وكان ابن أبى جالساً فى عشرة من المنافقين : ابن أبى ، ومالك ،
وداعس ، ومويذ ، وأوس بن قَيْطِيٍّ ، ومُعْتَبٌ بن قُشَيْرٍ^(١) ، وزيد بن
اللُّصَيْتِ^(٢) ، وعبد الله بن نَبْتَلٍ - وفى القوم زيد بن أَرْقَمٍ ، غلام لم يبلغ
أو قد بلغ - فبلغه صياح جَهْجَهَا : يا آل قُرَيْش ! فغضب ابن أبى غضباً
شديداً ، وكان مما ظهر من كلامه وُسْجِعَ منه أن قال : والله ، ما رأيتُ
كالיום مَذَلَّةً ! والله ، إن كنت لَكَارِهاً لوجهى هذا ولكن قومى غلبونى ! قد
فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا فى بلدنا ، وأنكروا مِنَّنَا^(٣) . والله ، ما صرنا
وجلابيب^(٤) قُرَيْشِ هذه إِلَّا كما قال القائل « سَمْنٌ كَلْبِكَ يَا كُلُّكَ » .
والله ، لقد ظننتُ أنى سأموت قبل أن أسمع هاتفاً يهتف بما هتف به جَهْجَهَا
وأنا حاضر . لا يكون لذلك منى غَيْرٌ . والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ
الْأَعَزُّ منها الْأَذَلَّ ! ثم أقبل على من حضر من قومه فقال : هذا ما فعلتم
بأنفسكم ؛ أحللتهم بلادكم فنزلوا منازلكم ، وآسيتهم فى أموالكم حتى
استغنوا ! أما والله ، لو أمسكتهم بأيديكم لتحوّلوا إلى غير بلادكم ، ثم
لم يرضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضاً للمنايا ، ففقتلتم دونهم ، فأيتتمتم

(١) فى الأصل : « معتب بن قيس » . وما أثبتناه من ب ، ومن البلاذرى يروى عن الواقدى .

(أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ٢٧٦) .

(٢) فى الأصل : « زيد بن الصلت » . وما أثبتناه من ب ، ومن ابن الأثير . (أسد الغابة ، ج ٢ ، ص ٢٣٩) .

(٣) فى الأصل : « ملتنا » ؛ وما أثبتناه هو قراءة ب . والمنته : الإحسان . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١١٠) .

(٤) الجلابيب : لقب لمن كان أسلم من المهاجرين ، لقبهم بذلك المشركون ؛ وأصل الجلابيب الأزرق الغلاظ ، واحداً جلاب ، وكانوا يلبثون بها فلقبهم بذلك . (شرح أبى ذر ، ص ٣٣٣) .

أولادكم وقلتم وكثروا . فقام زيد بن أرقم بهذا الحديث كله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيجد عنده نفرًا من أصحابه من المهاجرين والأنصار - أبا بكر ، وعثمان ، وسعدا ، ومحمد بن مسلمة ، وأوس بن خولى ، وعبد بن بشر - فأخبره الخبر . فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وتغير وجهه ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا غلام ، لعلك غضبت عليه ! قال : لا والله ، لقد سمعته منه . قال : لعله أخطأ سمعك ! قال : لا يا نبي الله ! قال : لعله شابه عليك ! قال : لا والله ، لقد سمعته منه يا رسول الله ! وشاع في العسكر ما قال ابن أبي ، وليس للناس حديث إلا ما قال ابن أبي ، وجعل الرهط من الأنصار^(١) يؤذون الغلام ويقولون : عمدت إلى سيد قومك تقول عليه ما لم يقل ، وقد ظلمت وقطعت الرحم ! فقال زيد : والله لقد سمعت منه ! قال : والله ، ما كان في الخزرج رجل واحد أحب إلى من عبد الله بن أبي ؛ والله ، لو سمعت هذه المقالة من أبي لنقلتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإني لأرجو أن ينزل الله تعالى على نبيه حتى يعلموا أنا كاذب أم غيري ، أو يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديق قولي . وجعل زيد يقول : اللهم ، أنزل على نبيك ما يصدق حديثي ! فقال قائل : يا رسول الله ، مر عبد بن بشر فليأتك برأسه . فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المقالة . ويقال قال : قل لمحمد بن مسلمة ، يأتك برأسه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، وأعرض عنه : لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه . وقام نفر من الأنصار الذين سمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم وردّه على الغلام ، فجاءوا إلى ابن أبي فأخبروه ، وقال أوس بن خولى : يا أبا الحُبَاب ، إن كنت قلتَه

(١) في ب : « يقولون ويؤذون » .

فَأَخْبِرَ النَّبِيَّ بِسْتَغْفِرُ لَكَ ، وَلَا تَجْعَلْهُ فَيَنْزِلَ مَا يُكَذِّبُكَ . وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَقْلَهُ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَاحْلَفَ لِرَسُولِ اللَّهِ مَا قَلَّتَهُ . فَحَلَفَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مَا قَالَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً . ثُمَّ إِنَّ^(١) ابْنَ أَبِي أُتِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا ابْنَ أَبِي ، إِنْ كَانَتْ سَلَفَتْ مِنْكَ مَقَالَةٌ فَتُبَّ . فَجَعَلَ يَحْلِفُ بِاللَّهِ : مَا قَلْتُ مَا قَالَ زَيْدٌ ، وَلَا تَكَلَّمْتُ بِهِ ! وَكَانَ فِي قَوْمِهِ شَرِيفاً ، فَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ ، وَكَانَ يَظُنُّ بِهِ سُوءَ الظَّنِّ .

فَحَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ أَبِي مَا كَانَ أَسْرَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّيْرَ ، وَأَسْرَعْتُ مَعَهُ ؛ وَكَانَ مَعِيَ أَجِيرٌ اسْتَأْجَرْتَهُ يَقُومُ عَلَى فَرَسِي ، فَاحْتَبَسَ عَلَيَّ فَوَقَفْتُ لَهُ عَلَى الطَّرِيقِ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى جَاءَ ، فَلَمَّا جَاءَ وَرَأَى مَا بِي مِنَ الْغَضَبِ أَشْفَقَ أَنْ أَفْعَ بِهِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الرَّجُلُ ، عَلَى رِسْلِكَ ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي النَّاسِ أَمْرٌ مِنْ بَعْدِكَ ، فَحَدَّثَنِي بِمَقَالَةِ ابْنِ أَبِي . قَالَ عُمَرُ : فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي فَيْءِ شَجَرَةٍ ، عِنْدَهُ غُلَيْمٌ أُسَيُودٌ يَغْمِزُ ظَهْرَهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَأَنَّكَ تَشْتَكِي ظَهْرَكَ . فَقَالَ : تَقَحَّمتُ بِي النَّاقَةُ اللَّيْلَةَ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِيذَنَ لِي أَنْ أَضْرِبَ عَنْقَ ابْنِ أَبِي فِي مَقَالَتِهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوْ كُنْتَ فَاعِلاً ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا لَأُرْعِدْتَ لَهُ آتُفٌ يَشْرِبُ كَثِيرَةً ؛ لَوْ أَمَرْتَهُمْ بِقَتْلِهِ قَتَلُوهُ . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمُرْ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ يَقْتُلْهُ . قَالَ : لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا قَتَلَ أَصْحَابَهُ . قَالَ ، فَقُلْتُ : فَمُرْ النَّاسَ بِالرَّحِيلِ . قَالَ : نَعَمْ . فَأَذْنْتُ بِالرَّحِيلِ فِي النَّاسِ .

(١) فِي ب : « ثُمَّ مَثَى ابْنَ أَبِي إِلَى » .

ويقال : لم يشعر أهل العسكر إلا برسول الله صلى الله عليه وسلم قد طلع على راحلته القصواء ، وكانوا في حرٍّ شديد ، وكان لا يروح حتى يبرد ، إلا أنه لما جاءه خبر ابن أبي رحل في تلك الساعة . فكان أول من لقيه سعد بن عباد ، فقال : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعليك السلام ! فقال : يا رسول الله ، قد رحلت في ساعة منكراً ما كنت ترحل فيها ! ويقال لقيه أسيد بن حضير - قال ابن واقد : وهو أثبت عندنا - فقال : يا رسول الله ، خرجت في ساعة منكراً ما كنت تروح فيها ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو لم يبلغكم ما قال صاحبكم ؟ قال : أي صاحب يا رسول الله ؟ قال : ابن أبي ، زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزُّ منها الأذل ! قال : فأنت يا رسول الله تُخرجه إن شئت ، فهو الأذل وأنت الأعزُّ ، والعزة لله ولك وللمؤمنين . ثم قال : يا رسول الله ، أرقتُ به فوالله لقد جاء الله بك ؛ وإن قومه لينظرون له الخرز ، ما بقيت عليهم إلا خرزة واحدة عند يوشع اليهودي ، قد أرب^(١) بهم فيها لمعرفته بحاجتهم إليها ليتوجوه ، فجاء الله بك على هذا الحديث ، فما يرى إلا قد سلبته مملكته .

قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير من يومه ذلك ، وزيد ابن أرقم يعارض النبي صلى الله عليه وسلم براحلته ، يريه وجهه في المسير ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستحث راحلته فهو مُغْدٌ في السير ، إذ نزل عليه الوحي . قال زيد بن أرقم : فما هو إلا أن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخذه البرحاء ويعرق جبينه ، وتثقل يدا راحلته حتى ما كاد ينقلها ، عرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُوحى إليه . ورجوت أن يكون ينزل

(١) أرب بهم : اشتد . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٣٦) .

عليه تصديق خبري . قال زيد بن أرقم : فُسِّرَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَأَخَذَ بِأُذُنِي وَأَنَا عَلَى رَاحِلَتِي حَتَّى ارْتَفَعْتَ مِنْ مَقْعَدِي وَيرفعها إلى السماء ، وهو يقول : وَفَتْ أُذُنُكَ يَا غَلَامَ ، وَصَدَّقَ اللَّهُ حَدِيثَكَ ! ونزل في ابن أبي السورة من أولها إلى آخرها وحده ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ . . . ﴾ (١) فحدثني عبيد الله بن الهريير ، عن أبيه ، عن رافع بن خديج ، قال : سمعت عبادة بن الصامت يقول يومئذ لابن أبي قبل أن ينزل فيه القرآن : إيت رسول الله ، يستغفر لك . قال : فرأيت يملأ رأسه مُعْرَضاً . يقول عبادة : أَمَا وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ فِي لَيْ رَأْسِكَ قَرَأَنُ يُصَلِّيَ بِهِ .

وحدثني يونس بن محمد الظفري ، عن أبيه ، عن عبادة بن الوليد ابن عبادة بن الصامت ، قال : مرَّ عبادة بن الصامت بعبد الله بن أبي عَشِيَّةَ رَاحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُرَيْسِيعِ ، وَقَدْ نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ فَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ مَرَّ أَوْسُ بْنُ خَوَلٍّ فَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ قَدْ تَمَّ الْإِثْمَا (٢) عَلَيْهِ . فَرَجَعَا إِلَيْهِ فَأَنْبَاهُ وَبَكَتَاهُ بِمَا صَنَعَ ، وَبِمَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ إِكْذَاباً لِحَدِيثِهِ ، وَجَعَلَ أَوْسُ بْنُ خَوَلٍّ يَقُولُ : لَا أَكْذِبُ عَنْكَ أَبَدًا حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّ قَدْ تَرَكْتَ مَا أَنْتَ (٣) عَلَيْهِ وَتَبَتَ إِلَى اللَّهِ ، إِنَّا أَقْبَلْنَا عَلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ نَلُومُهُ وَنَقُولُ لَهُ « كَذَبْتَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ قَوْمِكَ » حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ بِتَصْدِيقِ حَدِيثِ زَيْدٍ وَإِكْذَابِ حَدِيثِكَ . وَجَعَلَ ابْنُ أَبِي يَقُولُ : لَا أَعُودُ أَبَدًا ! وَبَلَغَ ابْنَهُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَقَالَةَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَرُّ مُحَمَّدٍ بِنِ مَسْلَمَةَ يَأْتِيكَ بِرَأْسِهِ » فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ

(١) سورة ٦٣ المنافقون ١ .

(٢) أي تساعدا واجتمعا عليه . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٠٥) .

(٣) في الأصل : « مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ » ؛ وَمَا أُثْبِتْنَاهُ هُوَ قِرَاءَةُ ب .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ كُنْتُ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَ أَبِي فِيمَا
 بَلَغَكَ عَنْهُ فَمُرْنِي ، فَوَاللَّهِ لَا أَحْمِلَنَّ إِلَيْكَ رَأْسَهُ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَجْلِسِكَ
 هَذَا . وَاللَّهِ ، لَقَدْ عَلِمْتُ الْخَزْرَجَ مَا كَانَ فِيهَا رَجُلٌ أَبْرَ بَوَالِدٍ مِنِّي ، وَمَا
 أَكَلُ^(١) طَعَامًا مِنْذُ كَذَا وَكَذَا مِنَ الدَّهْرِ ، وَلَا يَشْرَبُ شَرَابًا إِلَّا بِيَدِي ،
 وَإِنِّي لَأَخْشَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَأْمُرَ غَيْرِي فَيَقْتُلَهُ ، فَلَا تَدْعُنِي نَفْسِي أَنْظُرَ
 إِلَى قَاتِلِ أَبِي يَمْشِي فِي النَّاسِ ، فَأَقْتُلَهُ فَأَدْخُلَ النَّارَ ، وَعَفْوُكَ أَفْضَلُ ،
 وَمِنْكَ أَعْظَمُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، مَا أَرَدْتُ
 قَتْلَهُ وَمَا أَمَرْتُ بِهِ ، وَلَنْ حُسِنَ صُحْبَتَهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ أَبِي كَانَتْ هَذِهِ الْبَحْرَةُ^(٢) قَدِ اتَّسَقَوْا عَلَيْهِ لِيَتَوَجَّهَ عَلَيْهِمْ ،
 فَيَجَاءَ اللَّهُ بِكَ ، فَوْضَعَهُ اللَّهُ وَرَفَعْنَا بِكَ ، وَمَعَهُ قَوْمٌ يُطِيفُونَ بِهِ وَيَذْكُرُونَ أُمُورًا
 قَدْ غَلَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا . قَالَ : فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَعَرَفَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَرَكَهُ وَلَمْ يَأْمُرْهُ بِقَتْلِهِ ، قَالَ :
 أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا حَوَادِثُ تُنْتَظَرُ وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَحْدَاثِ مَا قَالَهُ عُمَرُ
 يُشِيرُ عَلَى مَنْ عِنْدَهُ الْوَحْيُ هَكَذَا وَلَمْ يَسْتَشِرْهُ بِالَّتِي تَخْلُقُ الشَّعْرَ
 وَلَوْ كَانَ لِلْخَطَّابِ ذَنْبٌ كَذَنْبِهِ فَقُلْتُ لَهُ مَا قَالَ فِي وَالِدِي كَثُرَ
 غَدَاةُ يَقُولُ ابْعَثْ إِلَيْهِ مُحَمَّدًا لِيَقْتُلَهُ بِشَسْ لَعَمْرُكَ مَا أَمَرَ
 فَقُلْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ فَاعِلًا كَفَيْتُكَ عَبْدَ اللَّهِ لِمَحَكَ بِالْبَصَرِ
 تُسَاعِدُنِي كَفٌّ وَنَفْسٌ سَخِيَّةٌ وَقَلْبٌ عَلَى الْبُلْدَى أَشَدُّ مِنَ الْحَجَرِ
 وَفِي ذَلِكَ مَا فِيهِ وَالْأُخْرَى^(٣) غَضَضَةٌ وَفِي الْعَيْنِ مِنِّي نَحْوُ صَاحِبِهَا عَوْرُ

(١) في الأصل : « وما نأكل » ؛ والتصحيح من نسخة ب .

(٢) في الأصل : « النخوة » ؛ وما أثبتناه هو قراءة ب . والبحرة : البلدة ، يعني المدينة .

(النهاية ، ج ١ ، ص ٦٢) .

(٣) في الأصل : « وللاخر » ، والمثبت قراءة ب .

فَقَالَ أَلَا لَا يَقْتُلُ الْمَرْءُ طَائِعًا أَبَاهُ وَقَدْ كَادَتْ تَطِيرُ بِهَا مُضَرٌ
 أَنْشَدْنِيهَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُصْعَبٍ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، قَالَ :
 أَخَذْتَهَا فِي الْكِتَابِ . وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ مَحْمُودٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ .
 فَحَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْهَرِيرِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ ، قَالَ :
 لَمَّا رَحْنَا مِنَ الْمُرَيْسِيعِ قَبْلَ الزَّوَالِ كَانَ الْجَهْدُ بِنَا يَوْمَنَا وَلَيْلَتَنَا ، مَا أَنَاخَ مِنَّا
 رَجُلٌ إِلَّا لِحَاجَتِهِ أَوْ لَصَلَاةٍ يُصَلِّيُهَا . وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 يَسْتَنْحِثُ رَاحِلَتَهُ ، وَيَخْلِفُ بِالسُّوْطِ فِي مَرَاقِهَا^(١) حَتَّى أَصْبَحْنَا ، وَمَدَدْنَا
 يَوْمَنَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ أَوْ كَرَبَ ، وَلَقَدْ رَاحَ النَّاسُ وَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ بِمَقَالَةٍ
 ابْنِ أَبِيٍّ وَمَا كَانَ مِنْهُ ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَخَذَهُمُ السَّهَرُ وَالتَّعَبُ بِالْمَسِيرِ ، فَمَا
 نَزَلُوا حَتَّى مَا يُسْمَعُ لِقَوْلِ ابْنِ أَبِيٍّ فِي أَفْوَاهِهِمْ - يَعْنِي ذِكْرًا . وَإِنَّمَا أَسْرَعَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ لِيَدْعُوا حَدِيثَ ابْنِ أَبِيٍّ ، فَلَمَّا نَزَلُوا
 وَجَدُوا مَسَّ الْأَرْضِ فَوْقَهُمْ نِيَامًا . ثُمَّ رَاحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ
 مُبْرِدًا ، فَنَزَلَ مِنَ الْغَدَاءِ يُقَالُ لَهُ بَقْعَاءُ فَوْقَ النَّقِيعِ ، وَسَرَّحَ النَّاسَ ظَهْرَهُمْ ،
 فَأَخَذَتْهُمْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ حَتَّى أَشْفَقَ النَّاسُ مِنْهَا ، وَسَلَّلُوا عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخَافُوا أَنْ يَكُونَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ خَالَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَقَالُوا :
 لَمْ تَهْجُ هَذِهِ الرِّيحُ إِلَّا مِنْ حَدَثٍ ! وَإِنَّمَا بِالْمَدِينَةِ الدَّرَارِيُّ وَالصَّبِيَّانُ . وَكَانَتْ
 بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ عُيَيْنَةَ مُدَّةٌ ، فَكَانَ ذَلِكَ حِينَ انْقِضَاءِهَا
 فَدَخَلَهُمْ أَشَدُّ الْخَوْفِ ، فَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَوْفَهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَيْسَ عَلَيْكُمْ بَأْسٌ مِنْهَا ، مَا بِالْمَدِينَةِ مِنْ نَقَبٍ إِلَّا
 عَلَيْهِ مَلَكٌ يَحْرُسُهُ ، وَمَا كَانَ لِيَدْخُلَهَا عَدُوٌّ حَتَّى تَأْتَوْهَا ؛ وَلَكِنَّهُ مَاتَ الْيَوْمَ

(١) أَى فِي مَرَاقِ بَطْنِهَا ، وَهِيَ مَرَاقٌ مِنْهُ فِي أَسَافِلِهِ . (أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ ، ص ٣٦٢) .

مُنافقٌ عظيم النفاق بالمدينة ، فلذلك عصفت الريح . وكان موته للمنافقين غيظاً شديداً ، وهو زيد بن رِفاعَة بن التابوت ، مات ذلك اليوم .
 فحدثني خازجة بن الحارث ، عن عباس بن سهل ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كانت الريح يومئذٍ أشدَّ ما كانت قطُّ . إلى أن زالت الشمس ، ثم سكنت آخر النهار . قال جابر : فسألتُ حين قدمت قبل أن أدخل بيتي : مَنْ مات ؟ فقالوا : زيد بن رِفاعَة بن التابوت . وذكر أهل المدينة أنهم وجدوا مثل ذلك من شدَّة الريح حتى دُفن عدوُّ الله فسكنت الريح .
 وحدثني عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، قال : قال عبادة بن الصامت يومئذٍ لابن أبيّ : أبا حُباب ، مات خليلك ! قال : أيّ أخٍ لأبيّ؟ قال : مَنْ موته فتَّحُ للإسلام وأهله . قال : مَنْ ؟ قال : زيد بن رِفاعَة بن التابوت قال : يا ويلاه ، كان والله وكان ! فجعل يذكر ، فقلت : اعتصمت بالذَّئِبِ الْآبِتِرِ^(١) . قال : مَنْ أخبرك يا أبا الوليد بموته ؟ قلت : رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أخبرنا الساعة أنه مات هذه الساعة . قال : فأسقط . في يديهِ وانصرف كشيئاً حزيناً . قالوا : وسكنت الريح آخرَ النهار فجمع الناس ظهورهم .

فحدثني عبد الحميد بن جعفر ، عن ابن رُومان ، ومحمَّد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قَتادة ، قالوا : وقُفِدَت ناقة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم القَصْواء من بين الإبل ، فجعل المسلمون يطلبونها في كلِّ وجه ، فقال زيد بن اللِّصْبِت - وكان منافقاً وهو في رفقة قومٍ من الأنصار ، منهم عبَّاد ابن بشر بن وقَّش ، وسلَمة بن سلامة بن وقَّش ، وأسيد بن حُضَيْر - فقال : أين يذهب هؤلاء في كلِّ وجه ؟ قالوا : يطلبون ناقة رسول الله ،

(١) أي المقتطوع . (النهاية ، ج ١ ، ص ٥٨) .

قد ضللت . قال : أفلا يُخبره الله بمكان ناقته ؟ فأنكر القوم ذلك عليه فقالوا : قاتلك الله يا عدو الله ، نافقت ! ثم أقبل عليه أسيد بن حضير فقال : والله ، لولا أنى لا أدرى ما يوافق رسول الله من ذلك لأنفذتُ خُصيتك بالرمح يا عدو الله ، فلم يخرجنا معنا وهذا في نفسك ؟ قال : خرجت لأطلب من عَرَض الدنيا ، ولعمري إنَّ محمداً ليُخبرنا بأعظم من شأن الناقة ، يُخبرنا عن أمر السماء . فوقعوا به جميعاً وقالوا : والله ، لا يكون منك سبيل أبداً ولا يُظْلَمنا وإياك ظلُّ أبداً ؛ ولو علمنا ما في نفسك ما صحبتنا ساعة من نهار . ثم وثب هارباً^(١) منهزماً منهم أن يقعوا به ونبدوا متاعه ، فعمد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس معه فراراً من أصحابه متعوذاً به . وقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيراً ما قال من السماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق يسمع : إنَّ رجلاً من المنافقين سميت أن ضللت ناقة رسول الله وقال « ألا يُخبره الله بمكانها ؟ فلعمرى إنَّ محمداً ليُخبرنا بأعظم من شأن الناقة ! » ولا يعلم الغيب إلا الله ، وإنَّ الله تعالى قد أخبرني بمكانها ، وإنها في هذا الشعب مُقابلكم ، قد تعلّق زمامها بشجرة ، فاعمدوا عمداً . فذهبوا فأنزوا بها من حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمّا نظر المنافق إليها قام سريعاً إلى رفقاته الذين كانوا معه ، فإذا رَحْلُه منبوذ ، وإذا هم جُلوس لم يقيم رجلٌ من مجلسه ، فقالوا له حين دنا : لا تدنُ منا ! قال : أكلتمكم ! فدنا فقال : أذكركم بالله ، هل أتى أحدٌ منكم محمداً فأخبره بالذى قلت ؟ قالوا : لا والله ، ولا قمنا من مجلسنا هذا . قال : فإني قد وجدت عند القوم ما تكلمت به ، وتكلّم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبرهم بما قال رسول الله صلى

(١) في ب : « ثم وثب هارباً منهم » .

الله عليه وسلم ، وإنه قد أتى بناقته ، وإنى قد كنت فى شك من شأن محمد فأشهد أنه رسول الله ، والله لكأنى لم أسلم إلا اليوم . قالوا له : فاذهب إلى رسول الله يستغفر لك . فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستغفر له واعترف بذنبه . ويقال إنه لم يزل فسلاً^(١) حتى مات ، وصنع مثل هذا فى غزوة تبوك .

وحدثني ابن أبي سبرة ، عن شعيب بن شداد ، قال : لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنقيع منصرفه من المريسيع ورأى سعة ، وكلاً ، وغُدراً^(٢) كثيرة تتناخس^(٣) ، وخُبَر بمرآته وبرآته^(٤) ، فسأل عن الماء فقيل : يا رسول الله ، إذا صفنا قلت المياه وذهبت الغُدُر ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة أن يحفر بئراً ، وأمر بالنقيع أن يحصى ، واستعمل عليه بلال بن الحارث المزني ، فقال بلال : يا رسول الله ، وكم أحصى منه ؟ قال : أقيم رجلاً صبيّاً إذا طلع الفجر على هذا الجبل - يعنى مقملاً - فحيث انتهى صوته فأحمله لخيّل المسلمين وإبلهم التى يغزون عليها . قال بلال : يا رسول الله ، أفرأيت ما كان من سوائم المسلمين ؟ فقال : لا يدخلها . قلت : يا رسول الله ، أرايت المرأة والرجل الضعيف تكون له الماشية اليسيرة وهو يضعف عن التحول ؟ قال : دعه يرفع . فلما كان زمان أبي بكر رضى الله عنه حماه على ما كان رسول

(١) الفصل : الردى الرذل من كل شيء . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٢٠١) .

(٢) الغدر : جمع الغدير ، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل . (لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٣١٢) .

(٣) تتناخس : أى يصب بعضها فى بعض . (على هامش نسخة ب) .

(٤) كلمتان رهمها فى الأصل هكذا : « بمراته وبراته » ، وفى ب : « بمراته ومدامه » ؛ ولعل ما أثبتناه أقرب الاحتمالات . ومرت الأرض مرأة أى حسن هواؤها ، وكذا مرء غير وخيم . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢٨) . وبراء مصدر من برى بمعنى خلا ، أى لا صاحب له . (لسان العرب ؛ ج ١ ، ص ٢٤) .

الله صَلَّى الله عليه وسلّم حمّاه ، ثم كان عمر فكثرت به الخيل ، وكان
عُثمان فحمّاه أيضاً . وسبق النبي صَلَّى الله عليه وسلّم يومئذ بين الخيل وبين
الإبل ، فسبقت القُصواءُ الإبل ، وسبق فرسه - وكان معه فرسان ، لِزَاز^(١)
وآخر يقال له الظرب - فسبق يومئذ على الظرب ، وكان الذي سبق عليه
أبو أُسَيد الساعدي ، والذي سبق على ناقته بلال .

ذكر عائشة رضی الله عنها وأصحاب الإلفك

حدّثنِي يَعْقُوبُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبَّادٍ ، عَنْ عِيسَى بْنِ مَعْمَرٍ ، عَنْ عَبْدِ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ ، قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : حَدِّثِينَا يَا أُمُّهُ
حَدِيثَكَ فِي غَزْوَةِ الْمُزَيْنِ . قَالَتْ : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَرَجَ فِي سَفَرٍ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ ، فَأَيَّتَهُنَّ خَرَجَ
سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا ، وَكَانَ يُحِبُّ أَلَّا تُفَارِقَهُ فِي سَفَرٍ وَلَا حَضَرَ . فَلَمَّا أَرَادَ غَزْوَةَ
الْمُزَيْنِ أَقْرَعَ بَيْنَنَا فَخَرَجَ سَهْمِي وَسَهْمُ أُمِّ سَلَمَةَ ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ ، فَغَنِمَ
اللَّهُ أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ ، ثُمَّ أَنْصَرَفْنَا رَاجِعِينَ . فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَنْزِلًا لَيْسَ مَعَهُ مَاءٌ وَلَمْ يَنْزِلْ عَلَى مَاءٍ . وَقَدْ سَقَطَ عِقْدٌ لِي مِنْ عُنُقِي ،
فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقَامَ بِالنَّاسِ حَتَّى أَصْبَحُوا ؛ وَضَجَّ
النَّاسُ وَتَكَلَّمُوا وَقَالُوا : احْتَبَسْتُنَا عَائِشَةَ . وَأَتَى النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فَقَالُوا : أَلَا تَرَى إِلَى مَا صَنَعْتَ عَائِشَةَ ؟ حَبَسْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَالنَّاسَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ . فَضَاقَ بِذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ فَجَاءَنِي مَغِيظًا فَقَالَ : أَلَا تَرَيْنِ مَا صَنَعْتَ بِالنَّاسِ ؟ حَبَسْتَ رَسُولَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « لَوَان » ؛ وَالتَّصْحِيحُ عَنْ نَسْخَةِ ب . لِزَاز : فَبِاسْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَهْدَاهَا لَهُ الْمُتَوَقِّسُ مَعَ مَارِيَّةَ . (الْقَامُوسُ الْمَحِيط ، ج ٢ ، ص ١٩٠) .

الله صلى الله عليه وسلم والناس على غير ماء وليس معهم ماء . قالت عائشة : فعاتبني عتاباً شديداً وجعل يطعن بيده في خاصرتي ، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأسه على فخذي وهو نائم . فقال أسيد ابن حُصَيْر : والله ، إني لأرجو أن تنزل لنا رخصة ؛ ونزلت آية التيمم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان من قبلكم لا يَصْلُونَ إلا في بيعهم وكنائسهم ، وجعلت لي الأرض طهوراً حيثما أدركتني الصلاة . فقال أسيد ابن حُصَيْر : ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر . قالت : وكان أسيد رجلاً صالحاً في بيت من الأوس عظيم . ثم إنا سرنا مع العسكر حتى إذا نزلنا موضعاً دمثاً طيباً ذا أراك ، قال : يا عائشة ، هل لك في السباق ؟ قلت : نعم . فتحزمت بشيبي وفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استبقنا فسبقني ، فقال : هذه بتلك السبقة التي كنت سبقتمني . وكان جاء إلى منزل أبي ومعى شيء فقال : هلمميه ! فأبيت فسعيت وسعى على أخرى فسبقته . وكانت هذه الغزوة بعد أن ضرب الحجاب .

قالت : وكان النساء إذ ذاك إلى الخفة ، هن إنما يأكلن العلق^(١) من الطعام ، لم يهيئجن^(٢) باللحم فيثقلن . وكان اللذان يُرحلان بعيري رجلين ، أحدهما مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له أبو موهبة ، وكان رجلاً صالحاً ، وكان الذي يقود بي البعير .

وإنما كنت أقعد في الهودج فيأتي فيحمل الهودج فيضعه على البعير ، ثم يشدّه بالحبال ويبعث بالبعير ، ويأخذ بزمام البعير فيقود بي البعير .

(١) العلق : جمع علقة ، وهي ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغذاء . (شرح أبي ذر : ص ٣٣٥) .

(٢) التهييج : كالورم في الجسد . (شرح أبي ذر ، ص ٣٣٥) .

وكانت أم سلمة يقاد بها هكذا ، فكنا نكون حاشيةً من الناس ، يُدَبُّ عنا مَنْ يدنو منا ، فربما سار رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلى جنبي وربما سار إلى جنب أم سلمة . قالت : فلما دنونا من المدينة نزلنا منزلاً فبات به رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بعض الليل ، ثم ادّلع وأذن للناس بالرحيل فارتحل العسكر . وذهبتُ لحاجتي فمشيت حتى جاوزت العسكر وفي عُتْقِي عِقْدُ لِي مِنْ جَزَعِ ظَفَار^(١) ، وكانت أُمِّي أَدْخَلَتْنِي فِيهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فلما قضيت حاجتي انسلت من عُتْقِي فلا أدري به ، فلما رجعت إلى الرَّحْلِ ذهبتُ أَلْتَمِسُهُ فِي عُتْقِي فلم أجده ؛ وإذا العسكر قد نغضوا^(٢) إِلَّا عِيرَات^(٣) ، وكنت أَظُنُّ أَنِّي لَوْ أَقَمْتُ شَهْرًا لَمْ يَبْعَثْ بَعِيرِي حَتَّى أَكُونَ فِي هُودَجِي ، فرجعت في التماسه فوجدته في المكان الذي ظننت أنه فيه ، فحبسني ابتغاؤه وأتى الرجلان خِلاَفِي ، فرحّلوا البعير وحملوا الهودج وهم يظنّون أنني فيه ، فوضعه على البعير ولا يشكّون أنني فيه - وكنت قَبْلُ لَا أَتَكَلَّمُ إِذْ أَكُونَ عَلَيْهِ فَلَمْ يُنْكِرُوا شَيْئًا - وبعثوا البعير فقادوا بالزمام وانطلقوا ، فرجعت إلى العسكر وليس فيه داعٍ ولا مُجِيب . ولا أسمع صوتاً ولا زَئِيراً . قالت : فَأَلْتَفَعُ بِشَوْبِي وَاضْطَجَعْتُ وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنِ افْتَقِدْتُ رُجْعِي إِلَى . قلت : فوالله ، إِنِّي لِمَضْطَجَعَةٌ فِي مَنْزِلِي ، قد غلبتني عيني فنمت . وكان صَفْوَانُ ابْنِ مُعَطَّلِ السُّلَمِيِّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ عَلَى سَاقَةِ النَّاسِ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَادَّلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فِي عِمَايَةِ الصَّبْحِ ، فَبَرَى سَوَادُ إِنْسَانٍ فَأَتَانِي ، وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ الْحِجَابَ . وَأَنَا مُتَلَفِّعَةٌ ، فَأَثْبَتْنِي فَاسْتَيْقِظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ

(١) ظفار : موضع باليمن قرب صنعاء ، ينسب إليه الجزع . (القاموس المحيط ، ج ٢ ،

ص ٨١) .

(٢) نغضوا : تحركوا . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٣٤٦) .

(٣) عيرات : « إلا غيرات » .

عرفني . فخمّرت وجهي بمِلْحَفَتِي ، فوالله إن كَلَمَنِي كلمةً غير أني سمعت استرجاعه حين أناخ بعيره . ثم وطى على يده مُؤَلِّياً عني ، فركبت على رحله ، وانطلق يقودني حتى جئنا العسكر شدّد الضحا ، فارتعج العسكر وقال أصحاب الإفك الذي قالوا - وتولّى كِبْرُهُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ أَبِي - ولا أشعر من ذلك بشيء والناس يخوضون في قول أصحاب الإفك .

ثم قدمنا فلم أنشِب أن اشتكيت شكوى شديدة : ولا يبلغني من ذلك شيء ، وقد انتهى ذلك إلى أَبَوَيَّ ، وأبواي لا يذكران لي من ذلك شيئاً ، إلّا أني قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لُطْفَهُ بي ورحمته ، فلا أعرف منه اللطف الذي كنت أعرف حين اشتكيت ، إنما يدخل فيُسَلِّم فيقول : كيف تبيكم ؟ فكنت إذا اشتكيت لطف بي ورحمني وجلس عندي . وكنا قوماً عرباً لا نعرف الوضوء في البيوت . نَعَاْفُهَا ونَقْدَرُهَا ، وكنا نخرج إلى الصّناصع^(١) بين المغرب والعشاء لحاجتنا . فذهبت ليلةً ومعى أُمّ مِسْطَاحٍ مُلْتَفِعة في مِرْطِهَا ، فتعلّقت به فقالت : تَعِس مِسْطَاح ! فقلت : بِئْسَ لَعَمْرُ اللَّهِ ما قلت ، تقولين هذا لرجلٍ من أهل بدر ؟ فقالت لي مُجِيبَةً : ما تدرين وقد سال بك السيل . قلت : ماذا تقولين ؟ فأخبرتني ول أصحاب الإفك ، فقلّص ذلك مني ، وما قدرت على أن أذهب لحاجتي . وزادني مرضاً على مرضي ، فما زلت أبكي ليلي ويومي . قالت : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقلت : انْذَن لي أذهب إلى أبوي . وأنا أريد أن أستيقن الخبر من قِبَلهما . فأذن لي فأتيت أبوي فقلت لأُمّي : يغفر الله لك ، تحدّث الناس بما تحدّثوا به وذكروا ما ذكروا ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! فقالت : يا بُنَيَّة : خَفْضِي عليك الشَّانَ . فوالله ما كانت جارية حسناء عند رجلٍ يحبُّها ولها ضرائرُ إلّا كثَّرن عليها القالة

(١) هي المواضع التي يتخلّى فيها لقضاء الحاجة . واحدها منصع . (النهاية ، ج : ٢ ، ص ١٤٩) .

وكثر الناس عليها . فقلت : سبحان الله ، وقد تحدث الناس بهذا كله ؟
 قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع . ولا أكتحل بنوم .
 قالت : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وأسامة فاستشارهما في
 فراق أهله .

قالت : وكان أحد الرجلين أَلينَ قولاً من الآخر . قال أسامة : يا رسول
 الله ، هذا الباطل والكذب ، ولا نعلم إلاّ خيراً ، وإنّ بُرَيْرَةَ تصدّقتك . وقال
 عليّ عليه السلام : لم يُضَيّقَ الله عليك ، النساء كثيرٌ وقد أحلّ الله لك
 وأطاب ، فطلّقها وانكح غيرها . قالت : فانصرفا ، وخلا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بِبُرَيْرَةَ فقال : يا بُرَيْرَةَ ، أَى امرأة تعلمين عائشة ؟ قالت :
 هى أطيّب من طيّب الذهب ، والله ما أعلم عليها إلاّ خيراً . والله يا رسول الله ،
 لئن كانت على^(١) غير ذلك ليُخبرنك الله عزّ وجلّ بذلك ، إلاّ أنّها جارية
 ترقد عن العجين حتى تأتى الشاة فتأكل عجينها ، وقد لُمْتُها في ذلك غير
 مرّة . وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ولم تكن
 امرأة تُضاهى^(٢) عائشة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرها . قالت
 عائشة رضى الله عنها : ولقد كنت أخاف عليها أن تهلك لِإِغْيَرَةِ على ،
 فقال لها النبيّ صلى الله عليه وسلم : يا زينب ، ماذا علمتِ على عائشة ؟
 قالت : يا رسول الله ، حاشى سمعى وبصرى . ما علمت عليها إلاّ خيراً .
 والله . ما أكلمها وإنى لها جرتها . وما كنت أقول إلاّ الحقّ . قالت عائشة
 رضى الله عنها : أما زينب . فعصمها الله ، وأما غيرها فهلك مع من هلك .
 ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّ أيّمن فقالت : حاشى سمعى

(١) فى ب : « لئن كانت على ذلك » . .

(٢) فى ب : « تناضى » .

وبصرى أن أكون علمت أو ظننت بها قَطُّ. إِلَّا خيراً . ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : من يعذرني ممن يؤذيني في أهلي ؟ ويقولون لرجل . والله ما علمتُ على ذلك الرجل إِلَّا خيراً ، وما كان يدخل بيتاً من بيوتى إِلَّا معي . ويقولون عليه غير الحق . فقام سعد بن معاذ فقال : أنا أعذرُك منه يا رسول الله ؛ إن يك من الأوس آتاك برأسه . وإن يك من إخواننا من الخزرج فمُرنا بأمرِكَ نضى لك . فقام سعد بن عبادة - وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ، ولكن الغضب بلغ منه ، وعلى ذلك ما غُمِصَ^(١) عليه في نفاق ولا غير ذلك إِلَّا أَنَّ الغضب يبلغ من أهله - فقال : كذبت لِعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر على قتله . والله ، ما قلتَ هذه المقالة إِلَّا أنك قد عرفت أنه من الخزرج ؛ ولو كان من الأوس ما قلت ذلك ، ولكنك تأخذنا بالذُّحُولِ^(٢) كانت بيننا وبينك في الجاهلية ، وقد محا الله ذلك ! فقال أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ : كذبت والله ، لنقتلنه وأنفك راغِمٌ ، فإنك منافقٌ تُجادل عن المنافقين ! والله ، لو نعلم ما يهوى رسول الله من ذلك في رهطى الأذنين ما رام رسول الله مكانه حتى آتية برأسه ؛ ولكنى لا أدرى ما يهوى رسول الله ! قال سعد بن عبادة : تأبون يا آل أوس إِلَّا أن تأخذونا بذحُولٍ كانت في الجاهلية . والله ، ما لكم بذكرها حاجة ، وإنكم لتعرفون لمن الغلبة فيها ، وقد محا الله بالإسلام ذلك كله . فقام أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فقال : قد رأيتَ موطننا يوم بعث ! ثم تغالظوا ، وغضب سعد بن عبادة فنادى : يا آل خُزَرج ! فانحازت الخزرج

(١) تقول هو مغموص عليه ، أى مطعون في دينه . (القاموس المحيط ، ج ٢ ص ٣١٠) .

(٢) في الأصل : « بدخول » ، وما أثبتناه هو قراءة ب . والدخول : العداوة . (النهاية ، ج ٢ ،

كلّهما إلى سعد بن عبادة . ونادى سعد بن مُعَاذ : يال أوس ! فانحازت الأوس كلّها إلى سعد بن مُعَاذ . وخرج الحارث بن حَزَمَة مُغِيرًا حتى أتى بالسيف يقول : أضرب به رأس النفاق وكهفه . فلقيه أُسَيْد بن حُضَيْر وهو في رهطه وقال : ارم به ، يُحمل السلاح من غير أمر رسول الله ! لو علمنا أن لرسول الله في هذا هوى أو طاعة ما سبقتنا إليه . فرجع الحارث^(١) واصطفّت الأوس والخزرج ، وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحيّين جميعاً أن اسكتوا ، ونزل عن المنبر فهذّأهم وخفّضهم حتى انصرفوا .

قالت عائشة رضى الله عنها : وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على فجلس عندي ، وقد مكث شهراً قبل ذلك لا يُوحى إليه في شأنى . قالت : فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ، ثم قال : أمّا بعد يا عائشة ، فإنه بلغنى كذا وكذا ، فإن كنت بريئة يُبرئكِ الله ، وإن كنت أَلَمْتَ بشيء ممّا يقول الناس فاستغفرى الله عز وجل ، فإنَّ العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه . قالت : فلمّا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ذهب دمعى حتى ما أجد منه شيئاً ، وقلت لأبى : أجِبْ رسول الله . فقال : والله ، ما أدرى ما أقول وما أجيب به عنك . قالت : فقلت لأُمّى : أجِبي عنى رسول الله . فقالت : والله ، ما أدرى ما أجيب عنك لرسول الله . وأنا جاريةٌ حديثة السن ، لا أقرأ كثيراً من القرآن . قالت : فقلت : إني والله قد علمت أنكم سمعتم بهذا الحديث ، فوقع فى أنفسكم فصدّقتهم به ، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تُصدّقونى ، ولئن اعترفت لكم بأمرٍ يعلم الله أنى منه بريئة لتصدّقونى . وإنى

(١) فى ب : « فرجع الحارث بسيفه ولغطت الأوس والخزرج » .

والله ما أجد لي مثلاً إلا أبا يوسف إذ يقول : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (١) والله ما يحضرني ذكر يعقوب ، وما أهتدى من الغيظ الذي أنا فيه . ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وقلت : والله يعلم أنني بريئة ، وأنا بالله واثقة أن يبرئني الله ببراءتي . فقال أبو بكر رضي الله عنه : فما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر . والله ، ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا نعبد الله ولا ندع له شيئاً ، فيقال لنا في الإسلام ! قالت : وأقبل على أبي مغضباً . قالت : فاستعبرت فقلت في نفسي : « والله لا أتوب إلى الله مما ذكرتكم أبداً » ، وأيم الله لأننا كنا كنا أحقر في نفسي وأصغر شأننا من أن ينزل في قرآن يقرأه الناس في صلاتهم ، ولكن قد كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه شيئاً يكذبهم (٢) الله عني به لئلا يعلم من براءتي ، أو يخبر خبراً ؛ فأما قرآن ، فلا والله ما ظننته ! قالت : فوالله ، ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه ، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى يغشاه من أمر الله ما كان يغشاه . قالت : فسجى بشوبه وجمعت وسادة من أدم تحت رأسه ؛ فأما أنا حين رأيت ما رأيت فوالله لقد فرحت به وعلمت أنني بريئة ، وأن الله تعالى غير ظالم لي . قالت : وأما أبواي فوالذي نفسي بيده ما سرى عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى ظننت أني خرجت أنفسهما فرقاً أن يأتني أمر من الله تحقيق ما قال الناس . ثم كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه وهو يضحك ، وإنه ليتحدث منه مثل الجمان ، وهو يمسح جبينه ، فكانت أول كلمة تنالها

(١) سورة ١٢ يوسف ١٨ .

(٢) في ب : « يكذب الله عني به » .

« يا عائشة ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْزَلَ بَرَاءَتَكَ » . قالت : وَسُرِّيَ عَنْ أَبِي بَرَاءٍ وَقَالَتْ أُمِّي : قَوْمِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ . فَقُلْتُ : وَاللَّهِ ، لَا أَقُومُ إِلَّا بِحَمْدِ اللَّهِ لَا بِحَمْدِكَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالِإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ ﴾ (١) . الْآيَةَ . قالت : فخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ مَسْرُورًا . فصعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم تلا عليهم بما نُزِّلَ عَلَيْهِ فِي بَرَاءَةِ عَائِشَةَ . قالت : فضربهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَدَّ : وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ، وَكَانَ مِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ ، وَحَسَنُ ابْنِ ثَابِتٍ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : وَيُقَالُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَضْرِبْهُمْ - وَهُوَ أَثْبَتُ عِنْدَنَا .

وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : مَنْ رَمَى مُحْصَنَةً لَعَنَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَقَالَ : إِنَّمَا ذَاكَ لِأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً .

فَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي حَبِيبٍ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ أَفْلَحَ مَوْلَى أَبِي أَيُّوبَ ، أَنَّ أُمَّ أَيُّوبَ قَالَتْ لِأَبِي أَيُّوبَ : أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَذَلِكَ الْكُذْبُ ، أَفَكُنْتِ يَا أُمَّ أَيُّوبَ فَاعِلَةٌ ذَلِكَ ؟ فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ : فَعَائِشَةُ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْكَ . فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ وَذَكَرَ أَهْلَ الْإِفْكِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴾ (٢) ، يَعْنِي أبا أَيُّوبَ حِينَ قَالَ لِأُمِّ أَيُّوبَ ، وَيُقَالُ إِنَّمَا قَالَهَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ .

فَحَدَّثَنِي خَارِجَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ أُمِّ سَعْدِ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ رَبِيعٍ ، قَالَتْ : قَالَتْ أُمُّ الطُّفَيْلِ لِأَبِي بَنِي كَعْبٍ : أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ ؟ قَالَ : أَيْ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : مَا يَقُولُونَ .

(١) سورة ٢٤ النور ١١ .

(٢) سورة ٢٤ النور ١٢ .

قال : هو والله الكذب ، أَوَ كُنْتَ تَفْعَلِينَ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : أَعُوذُ بِاللَّهِ . قَالَ :
فَهِيَ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْكَ . قَالَتْ : وَأَنَا أَشْهَدُ ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ .
قَالُوا : وَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّاماً ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ سَعْدِ
ابْنِ مُعَاذٍ فِي نَفَرٍ . فَخَرَجَ يَقُودُ بِهِ حَتَّى دَخَلَ بِهِ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ وَمِنْ
مَعِهِ ، فَتَحَدَّثَا عَنْده سَاعَةً ، وَقَرَّبَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ طَعَاماً ، فَأَصَابَ مِنْهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَمِنْ مَعِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَكَثَ أَيَّاماً ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، وَنَفَرَ مَعَهُ :
فَانْطَلَقَ بِهِ حَتَّى دَخَلَ مَنْزِلَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، فَتَحَدَّثَا سَاعَةً وَقَرَّبَ سَعْدُ بْنُ
مُعَاذٍ طَعَاماً ، فَأَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمِنْ
مَعِهِمْ ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ يَذْهَبُ مَا كَانَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ ذَلِكَ الْقَوْلِ الَّذِي
تَقَاوَلَا .

فَحَدَّثَنِي مَعْمَرٌ ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ،
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ حِينَ احْتَبَسَ عَلَى قِلَادَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِذَاتِ الْجَيْشِ ، فَلَمَّا
طَلَعَ الْفَجْرُ أَوْ كَادَ نَزَلَتْ آيَةُ التَّيْمِمِ ، فَمَسَحْنَا الْأَرْضَ بِالْأَيْدِي ثُمَّ مَسَحْنَا
الْأَيْدِي إِلَى الْمَنَاكِبِ ظَهراً وَبَطْناً ، وَكَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ فِي سَفَرِهِ .
فَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ ابْنِ رُومَانَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ ،
عَنْ عَاصِمِ بْنِ عَمْرِو ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ قُسَيْطٍ . عَنْ أُمِّهِ ؛ فَكُلُّ قَدْ
حَدَّثَنِي مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ بِطَائِفَةٍ ، وَعَمَادُ الْحَدِيثِ عَنْ ابْنِ رُومَانَ ، وَعَاصِمِ
وغيرهم ، قَالُوا : لَمَّا قَالَ ابْنُ أَبِي مَا قَالَ ، وَذَكَرَ جُعَيْلُ بْنُ سُرَاقَةَ وَجْهَاجَا ،
وَكَانَا مِنْ فَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ، قَالَ : وَمِثْلُ هَذَيْنِ يُكْثَرُ عَلَى قَوْمِي ، وَقَدْ

أَنْزَلْنَا مُحَمَّدًا فِي دُورٍ^(١) كِنَانَةً وَعِزَّهَا ! وَاللَّهِ ، لَقَدْ كَانَ جُعِيلٌ يَرْضَى أَنْ
يَسْكُتَ فَلَا يَتَكَلَّمُ ، فَصَارَ الْيَوْمَ يَتَكَلَّمُ . وَقَوْلُ ابْنِ أَبِي أَيُّضًا فِي صَفْوَانَ
ابْنِ مَعْطَلٍ وَمَا رَمَاهُ بِهِ ، فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

أَمْسَى الْجَلَابِيبُ قَدْ رَاعُوا وَقَدْ كَثُرُوا وَابْنُ الْفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ^(٢)

فَلَمَّا قَدَمُوا الْمَدِينَةَ جَاءَ صَفْوَانُ إِلَى جُعِيلِ بْنِ سُراقَةَ فَقَالَ : انْطَلِقْ بِنَا ،
نَضْرِبُ حَسَّانَ ، فَوَاللَّهِ مَا أَرَادَ غَيْرَكَ وَغَيْرِي ، وَلَنَتَحَنَّنَ أَقْرَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ . فَأَبَى جُعِيلٌ أَنْ يَذْهَبَ ، فَقَالَ لَهُ : لَا أَفْعَلُ إِلَّا أَنْ
يَأْمُرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَا تَفْعَلْ أَنْتَ حَتَّى تُؤْمَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي ذَلِكَ . فَأَبَى صَفْوَانُ عَلَيْهِ ، فَخَرَجَ مُضِلِّتًا السَّيْفَ حَتَّى ضَرَبَ حَسَّانَ
ابْنَ ثَابِتٍ فِي نَادَى قَوْمِهِ ، فَوُثِّبَتِ الْأَنْصَارُ إِلَيْهِ فَأَوْثَقُوهُ رِبَاطًا - وَكَانَ الَّذِي
وَلَّى ذَلِكَ مِنْهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شِمَّاسٍ - وَأَسْرَوْهُ أَسْرًا قَبِيحًا . فَمَرَّ بِهِمْ
عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ فَقَالَ : مَا تَصْنَعُونَ ؟ أَمِنْ أَمْرٍ رَسُولَ اللَّهِ وَرِضَائِهِ أَمْ مِنْ
أَمْرٍ فَعَلْتُمُوهُ ؟ قَالُوا : مَا عَلِمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ^(٣) :
لَقَدْ اجْتَرَأْتَ ، خَلَّ عَنْهُ ! ثُمَّ جَاءَ بِهِ وَبِثَابِتٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَسُوقُهُمْ ، فَأَرَادَ ثَابِتٌ أَنْ يَنْصَرِفَ ، فَأَبَى عُمَارَةُ حَتَّى جَاءَ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ حَسَّانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، شَهَرَ عَلَى السَّيْفِ
فِي نَادَى قَوْمِي ، ثُمَّ ضَرَبَنِي لِأَنْ أَمُوتَ ، وَلَا أَرَانِي إِلَّا مَيِّتًا مِنْ جِرَاحَتِي .
فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَفْوَانَ فَقَالَ : وَلِمَ ضَرَبْتَهُ وَحَمَلْتَهُ

(١) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي ب : « ذُرْوَةٌ » .

(٢) بَيْضَةُ الْبَلَدِ : يَعْنِي وَاحِدًا لَا يَحَارِبُهُ أَحَدٌ ، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَدَحٌ . وَقَدْ يَكُونُ بَيْضُهُ الْبَلَدِ
ذِمًّا ، وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنْ يُؤْخَذَ بَيْضَةُ وَاحِدَةٍ مِنْ بَيْضِ النَّعَامِ لَيْسَ مَعَهَا غَيْرُهَا ، فَإِذَا أُرِيدَ بِهِ الذِّمُّ
شَبَّهَ بِهَا الرَّجُلَ الَّذِي لَا رَهْطَ لَهُ وَلَا عَشِيرَةَ . (شَرِحُ أَبِي ذَرٍّ ، ص ٣٣٦) .

(٣) أَيْ قَالَ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَّاسٍ .

السلاح عليه ؟ وتغيّظ. رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسول الله آذاني وهجاني وسفّه عليّ وحسدني على الإسلام . ثم أقبل على حَسَّان فقال : أَسَفِيهْتَ على قومٍ أسلموا ؟ ثم قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : احبِسوا صَفْوان ، فإن مات حَسَّان فاقتلوه به . فخرجوا بِصَفْوان^(١) ، فبلغ سعدُ بن عُبادة ما صنع صَفْوان ، فخرج في قومه من الخزرَج حتى أتاهم ، فقال : عمدتم إلى رجلٍ من أصحاب رسول الله تُؤذونه وتهجون به بالشعر وتشتمونه ، فغضب لِمَا قيل له ، ثم أَسْرَقوه أَقْبَحَ الأسار^(٢) ورسول الله بين أظهركم ! قالوا : فإنَّ رسول الله أمرنا بحبسه وقال : إن مات صاحبكم فاقتلوه . قال سعد : والله ، إنَّ أَحَبَّ إلى رسول الله لِلْعَفْو ، ولكن رسول الله قد قضى بينكم بالحقّ ، وإنَّ رسول الله يعنى^(٣) لَيُحِبُّ أَنْ يُتْرَكَ صَفْوان . والله ، لا أبرح حتى يُطْلَق ! فقال حَسَّان : ما كان لي من حقٍّ فهو لك يا أبا ثابت . وأبى قومه ، فغضب قيس ابنه غضباً شديداً فقال : عجباً لكم ، ما رأيتم كالיום ! إنَّ حَسَّان قد ترك حقّه وتأبّون أنتم ! ما ظننتُ أنَّ أحدًا من الخزرَج يردُّ أبا ثابتٍ في أمرٍ يهواه . فاستحيا القوم وأطلقوه من الوثاق ؛ فذهب به سعدٌ إلى بيته فكساه حُلَّةً ، ثم خرج صَفْوان حتى دخل المسجد ليُصَلِّي فيه ، فرآه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فقال : صَفْوان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : مَنْ كساه ؟ قالوا : سعدُ بن عُبادة ، فقال : كساه الله من حُلَل^(٤) الجَنَّة . ثم كلّم سعدُ بن عُبادة حَسَّانَ بن ثابت فقال : لا أكلمك أبداً إن لم تذهب إلى رسول الله فتقول : كلُّ حقٍّ لي

(١) في الأصل : « بحسان » ؛ والتصحيح من ب .

(٢) في ب : « أقبح الأسر » .

(٣) كذا في الأصول .

(٤) في ب : « ثياب » .

قَبِلَ صَفْوَانُ فَهُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَأَقْبَلَ حَسَّانُ فِي قَوْمِهِ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كُلَّ حَقٍّ لِي قَبِلَ صَفْوَانُ بْنُ مُعَطَّلٍ فَهُوَ لَكَ . قَالَ : قَدْ أَحْسَنْتَ وَقَبِلْتُ ذَلِكَ . فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضاً بَرَّاحاً^(١) وَهِيَ بَيْرَحَاءُ^(٢) وَمَا حَوْلَهَا وَسِيرِينَ ، وَأَعْطَاهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ حَائِطاً كَانَ يَجِدُ^(٣) مَالاً كَثِيراً عَوَضاً لَهُ مِمَّا عَمَّا عَنْ حَقِّهِ .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : فَحَدَّثَ هَذَا الْحَدِيثَ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ فَقَالَ : أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ سُحَيْمٍ ، عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ ، أَنَّ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ حَبَسَ صَفْوَانُ ، فَلَمَّا بَرَأَ حَسَّانُ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا حَسَّانُ ، أَحْسِنْ فِيمَا^(٤) أَصَابَكَ . فَقَالَ : هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرَّاحاً وَأَعْطَاهُ سِيرِينَ عَوَضاً .

فَحَدَّثَنِي أَفْلَحُ بْنُ حُمَيْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : مَا كَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَذْكُرُ حَسَّانَ إِلَّا بَخِيرٍ . وَلَقَدْ سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ يَوْمًا يَسْبِيهِ لِمَا كَانَ مِنْهُ ، فَقَالَتْ : لَا تَسْبِيهِ يَا بُنَيَّ ، أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ :

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ أَبَا عُبَيْدَةَ

(١) البراح : المتسع من الأرض ، لا زرع بها ولا شجر . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢١٥) .

(٢) ويقال أيضاً « بيرحي » ، وبكسر الباء وبضم الراء . (النهاية ، ج ١ ، ص ٧١) . وهي مال كانت لأبي طلحة بن سهل ، وتصدق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٣١٩) .

(٣) الجداد : صرام النخل ، وهو قطع ثمرتها ؛ يقال جد الثمرة يجدها جداً . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٤٧) .

(٤) في ب : « مما أصابك » .

ابن عبد الله بن زَمْعَةَ الْأَسَدِيِّ يُخْبِرُ أَنَّهُ سَمِعَ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ،
أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ : حَسَّانَ حِجَازٌ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ . لَا يُحِبُّهُ مُنَافِقٌ وَلَا يَبْغِضُهُ
مُؤْمِنٌ . وَقَالَ حَسَّانُ يَمْدَحُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

حَصَّانُ رَزَانُ^(١) لَا تُزْنُ بِرَيْبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثِي^(٢) مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ^(٣)
فَإِنْ كَانَ مَا قَدْ جَاءَ عَنِّي قُلْتُهِ فَلَا رَفَعَتْ سَوَاطِي إِلَى أَنَايِلِ
هِيَ أَبْيَاتُ أَنْشِدْنِيهَا ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ وَابْنُ جَعْفَرٍ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي عَتِيقٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ،
قَالَ : كُنْتُ رَفِيقَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ فِي غَزْوَةِ الْمُرَيْسِيعِ ، فَأَقْبَلْنَا
حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى وَادِي الْعَقِيقِ فِي وَسْطِ اللَّيْلِ فَإِذَا النَّاسُ مُعْرَّسُونَ^(٤) . قُلْنَا :
فَأَيْنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالُوا : فِي مَقْدَمِ النَّاسِ ، قَدْ نَامَ .
فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ : يَا جَابِرُ ، هَلْ لَكَ بِنَا فِي التَّقَدُّمِ وَالِدُخُولِ عَلَى
أَهْلِنَا ؟ فَقُلْتُ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، لَا أُحِبُّ أَنْ أُخَالَفَ النَّاسَ ، لَا أَرَى أَحَدًا
تَقْدَّمَ . قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ : وَاللَّهِ ، مَا نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ
تَقْدُّمٍ . قَالَ جَابِرُ : أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ بِبَارِحٍ . فَوَدَعْنِي وَانْطَلَقَ إِلَى الْمَدِينَةِ ،
فَانْظُرْ إِلَيْهِ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، فَطَرَقَ أَهْلَهُ بَلْحَارِثِ بْنِ
الْخَزْرَجِ ، فَإِذَا مُصْبِحٌ فِي وَسْطِ بَيْتِهِ وَإِذَا مَعَ امْرَأَتِهِ إِنْسَانٌ طَوِيلٌ ، فَظَنَّ

(١) الحصان هنا : العفيفة . والرزان : الملازمة موضعها التي لا تنصرف كثيراً . ولا تزني : أى لا تتهمم .

(شرح أبي ذر ، ص ٣٣٧) ،

(٢) غرثي : جائعة . (شرح أبي ذر ، ص ٣٣٧) .

(٣) الغوافل : جمع غافلة ، ويعنى بهذا الكلام أنها كافة عن أعراض الناس . (شرح أبي ذر ،
ص ٣٣٧) .

(٤) التعريس : نزول المسافر آخر الليل ذلة للنوم والاستراحة . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٨٠) .

أنه رجل ، وسقط . في يديه وندم على تقدّمه . وجعل يقول ، الشيطان مع الغرّ ، فاقتحم البيت رافعاً سيفه ، قد جرّده من غمّله يُريد أن يضرّ بهما . ثم فكّر وأدّكر ، فغمز امرأته برجله فاستيقظت فصاحت وهي تَوْسَن ، فقال : أنا عبد الله ، فَمَنْ هذا ؟ قالت : رُجَيْلَة [ما شطّى] ^(١) ، سمعنا بمقدمكم فدعوتهَا تُمَشِّطِي فباتت عندي . فبات فلما أصبح خرج مُعْتَرِضاً لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فلقيه ببشر أبي عُتْبَة ، ورسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يسير بين أبي بكر وبشير بن سعد ، فالتفت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلى بشير فقال : يا أبا النُّعْمَان . فقال : لبيك . قال : إن وجه عبد الله يُخْبِرُك أنه قد كره طروق أهله . فلما انتهى إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قال رسول الله : خَبَرَك يا ابن رَوَاحَة . فأخبره كيف كان تقدّم وما كان من ذلك . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : لا تطرقوا النساء ليلاً . قال جابر : فكان ذلك أوّل ما نهى عنه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم . قال جابر : فلم أرَ مثل العسكر ولزومه والجماعة ، لقد أقبلنا من خَيْبَر ، وكنا مررنا على وادي القُرَى فأنتهينا إلى الجُرْف ^(٢) ليلاً ، فنادى مُنادى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : لا تطرقوا النساء ليلاً . قال جابر : فانطلق رجالنا فَعَصَبَا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فرأيا جميعاً ما يكرهان .

غزوة الخندق

عسكر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يوم الثلاثاء لثمانٍ مضت من ذي القعدة ، فحاصروه خمس عشرة ، وانصرف يوم الأربعاء لسبعٍ بقين سنة

(١) الزيادة من نسخة ب .

(٢) الجرف على ثلاثة أميال من المدينة من جهة الشام . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٨٠) .

خمس ؛ واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

فحدثني موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه ، وربيعه ابن عثمان ، ومحمد عن الزهرى ، وعبد الصمد بن محمد ، ويونس بن محمد الظفرى ، وعبد الله بن جعفر ، ويحيى بن عبد الله بن أبي قتادة ، وابن أبي سبرة ، وعبد الحميد بن جعفر ، ومعمّر بن راشد ، وحزام بن هشام ، ومحمد بن يحيى بن سهل ، وأيوب بن النعمان بن عبد الله بن كعب بن مالك ، وموسى بن عبيدة ، وقدامة بن موسى ، وعائذ بن يحيى الزرقى ، ومحمد بن صالح ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز ، وهشام بن سعد ، ومجمع ابن يعقوب ، وأبو معشر ، والضحاك بن عثمان ، وعبد الرحمن بن محمد ابن أبي بكر ، وابن أبي حبيبة ، وابن أبي الزناد ، وأسامة بن زيد ؛ فكل قد حدثني من هذا الحديث بطائفة ، وبعضهم أوعى له من بعض ، وغير هؤلاء قد حدثني ، فكتبت كل ما حدثوني ، قالوا : لما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النصير ساروا إلى خيبر ، وكان بها من اليهود قوم أهل عدد وجلد ، وليست لهم من البيوت والأحساب ^(١) ما لبني النصير - كان بنو النصير سرهم ، وقريظة من ولد الكاهن من بني هارون - فلما قدموا خيبر خرج حبي بن أخطب ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وهوذة بن الحقيق ، وهوذة بن قيس الوائلى من الأوس من بني خزيمة ، وأبو عامر الراهب فى بضعة عشر رجلاً إلى مكة يدعون قريشاً وأتباعها إلى حرب محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا لقريش : نحن معكم حتى نستأصل محمدًا . قال أبو سفيان : هذا الذى أقدمكم ونزعكم ^(٢) ؟ قالوا : نعم ، جئنا

(١) فى الأصل : « والأحساب » ، والتصحيح من نسخة ب .

(٢) فى ب : « نزعكم » .

لنُحَالِفَكُم عَلَى عداوة مُحَمَّدٍ وَقِتَالِهِ . قَالَ أَبُو سُفْيَانٍ : مَرْحَباً وَأَهْلاً ، أَحَبُّ
النَّاسِ إِلَيْنَا مَنْ أَعَانَنَا عَلَى عداوة مُحَمَّدٍ . قَالَ النُّفَر : فَأَخْرَجَ خَمْسِينَ
رَجُلًا مِنْ بَطْنِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا أَنْتَ فِيهِمْ ، وَنَدْخُلُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ بَيْنَ أَسْتَارِ
الْكَعْبَةِ حَتَّى نُلْصِقَ أَكْبَادَنَا بِهَا ، ثُمَّ نَحْلِفُ بِاللَّهِ جَمِيعاً لَا يَدْخُلُ
بَعْضُنَا بَعْضاً ، وَلَنْكُونَنَّ كَلِمَتَنَا وَاحِدَةً عَلَى هَذَا الرَّجُلِ مَا بَقِيَ مِنْ رَجُلٍ .
فَفَعَلُوا فَتَحَالَفُوا عَلَى ذَلِكَ وَتَعَاقدُوا ، ثُمَّ قَالَتْ قُرَيْشٌ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ : قَدْ
جَاءَكُمْ رُوسَاءُ أَهْلِ يَثْرِبَ وَأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْكِتَابِ الْأَوَّلِ ، فَسَلُوهُمْ عَمَّا نَحْنُ
عَلَيْهِ وَمُحَمَّدٌ ؛ أَيْنَا أَهْدَى ؟ قَالَتْ قُرَيْشٌ : نَعَمْ . فَقَالَ أَبُو سُفْيَانٍ :
يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، أَنْتُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَالْعِلْمِ ، أَخْبِرُونَا عَمَّا أَصْبَحْنَا
نَحْنُ فِيهِ وَمُحَمَّدٌ ، دِينُنَا خَيْرٌ أَمْ دِينُ مُحَمَّدٍ ؟ فَنَحْنُ عُمَارُ الْبَيْتِ ، وَنَنْحِرُ
الْكُومَ ، وَنَسْقِي الْحَجَّاجِ ، وَنَعْبُدُ الْأَصْنَامَ . قَالُوا : اللَّهُمَّ ، أَنْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ
مِنْهُ ؛ إِنَّكُمْ لَتُعْظَمُونَ هَذَا الْبَيْتَ ، وَتَقْرُمُونَ عَلَى السَّقَايَةِ ، وَتَنْحَرُونَ الْبُذْنَ ،
وَتَعْبُدُونَ مَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُكُمْ ، فَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْهُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى
فِي ذَلِكَ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ
وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ (١) .
فَاتَّعَدُوا لَوَقْتٍ وَقَتَّوهُ ، فَقَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّكُمْ
قَدْ وَعَدْتُمْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لِهَذَا الْوَقْتِ وَفَارَقَوْكُمْ عَلَيْهِ ، فَفُؤُوا لَهُمْ بِهِ ! لَا يَكُونُ
هَذَا كَمَا كَانَ ، وَعَدْنَا مُحَمَّدًا بَدْرَ الصَّفَرِاءِ فَلَمْ يَفْعَلْ بِمَوْعِدِهِ ، وَاجْتَرَأَ عَلَيْنَا
بِذَلِكَ ، وَقَدْ كُنْتُ كَارِهاً لِمُعَادِ أَبِي سُفْيَانٍ يَوْمَئِذٍ . فَخَرَجْتُ الْيَهُودَ حَتَّى
أَتَمْتُ غَطْفَانَ ، وَأَخَذْتُ قُرَيْشَ فِي الْجَهَازِ ، وَسَيَّرْتُ فِي الْعَرَبِ تَدْعُوهُمْ إِلَى
نَصْرِهَا ، وَاللَّبْوِ أَحَابِيشَهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ . ثُمَّ خَرَجْتُ الْيَهُودَ حَتَّى جَاءُوا بَنِي سُلَيْمٍ ،

فوعدهم يخرجون معهم إذا سارت قُرَيْش . ثم ساروا^(١) في غَطَفَان ، فجعلوا لهم تمر خَيْبَر سنة ، وينصرونهم ويسيرون مع قُرَيْش إلى محمد إذا ساروا . فأنعمت بذلك غَطَفَان ، ولم يكن أحدٌ أسرع إلى ذلك من عُيَيْنَةَ بنِ حِصْن . وخرجت قُرَيْش ومَن تبعها من أحابيشها أربعة آلاف ، وعقدوا اللواء في دار الندوة ، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس ، وكان معهم من الظهر ألفٌ بعير وخمسمائة بعير . وأقبلت سُليمان فلاقوهم بسرَّ الظهران ، وبنو سُليمان يومئذٍ سبعمائة ، يقودهم سُفيان بن عبد شمس حليفُ حرب بن أمية ، وهو أبو أبي الأعور الذي كان مع معاوية بن أبي سُفيان بصيقيين . وخرجت قُرَيْش يقودها أبو سُفيان بن حرب ، وخرجت بنو أسد وقائدها طلحة بن خويلد الأسدي ، وخرجت بنو فزارة وأوعبت^(٢) ، وهم ألفٌ يقودهم عُيَيْنَةَ بن حِصْن ، وخرجت أشجع وقائدها مسعود بن رُحيلة وهم أربعمائة - لم تُوعِب أشجع . وخرج الحارث بن عوف يقود قومه بنو مرة وهم أربعمائة . لما أجمعت غَطَفَان السير أبي الحارث بن عوف المسير وقال لقومه : تفرقوا في بلادكم ولا تسيروا إلى محمد ، فلم يأتني أن محمدًا أمره ظاهر ، لو ناواه من بين المشرق والمغرب لكانت له العاقبة . فتفرقوا في بلادهم ولم يحضر واحدٌ منهم ؛ وهكذا روى الزُّهري وروت بنو مرة .

حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة قالا : شهدت بنو مرة الخندق وهم أربعمائة وقائدهم الحارث بن عوف المُرِّي ، وهجاه حسان وأنشد^(٣)

(١) في ب : « ثم سارت » .

(٢) أي خرجوا بأجمعهم في الغزو . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٢٠) .

(٣) في ب « وأنشدوا » .

شعراً ، وذكروا مُجاورة النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ . فكان هذا أثبت عندنا أنه شهد الخندق في قومه ، ولكنه كان أمثلاً تقيّةً من عَمِيْنَة .

قالوا : وكان القوم جميعاً الذين وافوا الخندق من قُرَيْش ، وسُليم ، وِغَطَفَان ، وأَسَد ، عشرة آلاف ؛ فهي عساكر ثلاثة ، وعِناج^(١) الأمر إلى أبي سُفْيَان . فاقبلوا فنزلت قُرَيْشُ بِرُومَة^(٢) ووادي العقيق في أحابيشها ومن ضوى إليها من العرب ، وأقبلت غَطَفَان في قادتها حتى نزلوا بالزغابة إلى جانب أُحُد . وجعلت قُرَيْشُ تُسَرِّح رِكابها في وادي العقيق في عِضاها ، وليس هناك شيء للخييل إلا ما حملوه معهم من علف - وكان علفهم الدُّرّة - وسرّحت غَطَفَان إبلها إلى الغابة في أثْلِها وطرفائها في عِضاها الجُرف . وقدموا في زمان ليس في العِرض^(٣) زرع ، فقد حصد الناس قبل ذلك بشهر ، فادخلوا حصادهم وأتبانهم . وكانت غَطَفَان تُرسل خييلها في أثر الحصاد - وكان خيل غَطَفَان ثلاثمائة - بالعِرض فيُمسك ذلك من خيلهم^(٤) ، وكادت إبلهم تهلك من الهزال . وكانت المدينة ليالي قدموا جديبة .

فلما فصلت قُرَيْشُ من مكّة إلى المدينة خرج ركبٌ من خِزاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه بفصول قُرَيْش ، فساروا من مكّة إلى المدينة أربعاً ، فذلك حين ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وأخبرهم خبر عدوهم ، وشاورهم في أمرهم بالجدّ والجهاد ، ووعدهم النصر إن هم صبروا واتّقوا ، وأمرهم بطاعة الله وطاعة رسوله . وشاورهم رسول الله صلى الله عليه

(١) في الأصل : « عياج » ، والتصحيح من ب .

(٢) رومة : أرض بالمدينة بين الجُرف وزغابة . (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٣٦) .

(٣) يقال لكل واد فيه قرى ومياه عرض . . وقال الأصمعي : أخصب ذلك العرض وأخصبت أعراس المدينة وهي قراها التي في أوديتها . . وقال شمر : أعراس المدينة بطون سوادها حيث الزروع والنخل . (معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ١٤٦) .

(٤) في ب : « من خيولهم » .

وسلّم ، وكان رسول الله يُكثّر مشاورتهم في الحرب ، فقال : أنبرز لهم من المدينة ، أم نكون فيها ونُخَنِّدُهَا علينا ، أم نكون قريباً ونجعل ظهورنا إلى هذا الجبل ؟ فاختلفوا ، فقالت طائفة : نكون ممّا يلي بُعَاثَ إلى ثنية الوداع إلى الجُرف . فقال قائل : ندع المدينة خلواً ! فقال سلمان : يا رسول الله ، إنا إذ كنّا بأرض فارس وتخوفنا الخيل خندقنا علينا ؛ فهل لك يا رسول الله أن نُخَنِّدِ ق ؟ فأعجب رأي سلمان المسلمين ، وذكروا حين دعاهم النبي صَلَّى الله عليه وسلّم يوم أُحُد أن يُقيموا ولا يخرجوا ، فكره المسلمون الخروج وأحبّوا الثبات في المدينة .

فحدثني أبو بكر بن أبي سبرة قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن جهم أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ركب فرساً له ومعه نفرٌ من أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فارتاد موضعاً ينزله ، فكان أعجب المنازل إليه أن يجعل سلماً^(١) خلف ظهره ، ويُخَنِّدِ من المَدَادِ^(٢) إلى ذُبابٍ إلى راتيج^(٣) . فعمل يومئذ في الخندق ، وندب الناس ، فخبّرهم بدُؤِ عدوهم ، وعسكرهم إلى سَفْجِ سَلْع ، وجعل المسلمون يعملون مستعجلين يُبادرون قدوم العدو عليهم ، وأخذ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يعمل معهم في الخندق ليُنشِطَ المسلمين ؛ وعملوا ، واستعاروا من بنى قُرَيْظَةَ آلَهُ كَثِيرَةً من مَسَاحِي ، وكرّازين^(٤) ومكاتل ، يحفرون به الخندق - وهم يومئذٍ سِلْمٌ للنبي صَلَّى

(١) سلع : الجبل المعروف الذي بسوق المدينة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٢٤) .

(٢) المَدَاد : اسم أطم لبنى حرام من بنى سلمة غربي مسجد الفتح . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٧٠) .

(٣) راتيج : الجبل الذي إلى جنب جبل بنى عبيد غربي بطحان . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣١٠) .

(٤) مَسَاحِي : جمع مسحاة ، وهي المحرقة من الحديد . وكرّازين : جمع كرّاز ، وهو الفأس . ومكاتل : جمع مكاتل ، وهو الزبيل الكبير ، قيل إنه يسع خمسة عشر صاعاً . (النهاية ،

ج ٤ ، ص ٨٠١٤ ، ٩٤) .

الله عليه وسلم يكرهون قدوم قُرَيْش . ووَكَّلَ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم بكلِّ جانبٍ من الخندق قوماً يحفرونه ، فكان المهاجرون يحفرون من جانب راتج إلى ذُبَاب ، وكانت الأنصار تحفر من ذُبَاب إلى جبل بنى عُبيد ، وكان سائر المدينة مشبَّكاً بالبنين .

فحدَّثني محمد بن يحيى بن سهل ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كنت أنظر إلى المسلمين^(١) والشباب ينقلون التراب ، والخندق بِسَطَّة^(٢) أو نحوها ، وكان المهاجرون والأنصار ينقلون على رؤوسهم في المكاتل ، وكانوا إذا رجعوا بالمكاتل جعلوا فيها الحجارة يأتون بها من جبل سَلْع . وكانوا يجعلون التراب مما يلي النبي صَلَّى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكانوا يسطرون الحجارة ممّا يليهم كأنها جبال^(٣) التمر - وكانت الحجارة من أعظم سلاحهم يرمونها بها .

فحدَّثني ابن أبي سَبْرَةَ ، عن مروان بن أبي سعيد ، قال : كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم يومئذٍ يحمل التراب في المكاتل ويطرّحه ، والقوم يرتجزون ، ورسول الله صَلَّى الله عليه وسلم يقول :

هَذَا الْجَمَالُ لَا جَمَالُ خَيْرُ هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ

وجعل المسلمون يومئذٍ إذا رأوا من الرجل فتوراً ضحكوا منه . وتنافس الناس يومئذٍ في سَلْمان الفارسي ، فقال المهاجرون : سَلْمان منا ! . . وكان قوياً عارفاً بحضر الخنادق . وقالت الأنصار : هو منا ونحن أحقّ به ! فبلغ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم قولهم فقال : سَلْمان رجلٌ منا أهل

(١) في ث : « كنت أنظر إلى المسلمين يمرون » .

(٢) بسطة : أي قامة . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٥٠) .

(٣) في ب : « جبال » .

البيت . ولقد كان يومئذٍ يعمل عمل عشرة رجالٍ حتى عانَه (١) يومئذٍ قيس بن أبي صَعْصَعَةَ ، فُلِبِطَ به (٢) ، فسألوا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فقال : مُروهُ فَلَيَتَوَضَّأَ لَهُ ، وَلَيَغْتَسِلَ بِهِ ، وَيَكْفَأُ الْإِنَاءَ خَلْفَهُ . ففعل فكأنما حُلَّ من عِقَال .

فحدثني ابن أبي سَبْرَةَ ، عن الفضيل بن مُبَشَّر قال : سمعتُ جابر ابن عبد الله يقول : لقد كنت أرى سَلَمَانَ يومئذٍ ، وقد جعلوا له خمسة أذرعٍ طولاً وخمسةً في الأرض ، فما تحيَّنته حتى فرغ وَحَدَّه ، وهو يقول : اللَّهُمَّ ، لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ .

وحدثني أيُّوب بن النُّعْمَان ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن كعب بن مالك قال : جعلنا يوم الخَنْدَق نرتجز ونحفر ، وكنا - بنى سَلِيمَةَ - ناحيةً ، فعزم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم على ألاَّ أقول شيئاً ، فقلت : هل عزم على غيري ؟ قالوا : حَسَّان بن ثابت . قال : فعرفت أَنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إنما نهانا لوجدنا له وقلَّته على غيرنا ، فما تكلمت بحرفٍ حتى فرغنا من الخَنْدَق . وقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يومئذٍ : لَا يَغْضَب أَحَدٌ مِمَّا قال صاحبه ، لَا يُرِيدُ بِذَلِكَ سِوَايَ ، إِلَّا مَا قال كعب وحَسَّان فإِنهما يجدان ذلك .

وحدثني يحيى بن عبد العزيز ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان جُعَيْل بن سُراقَةَ رجلاً صالحاً ، وكان ذميماً قبيحاً ، وكان يعمل مع المسلمين يومئذٍ في الخَنْدَق ، وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قد غيَّر اسمه يومئذٍ فسَمَّاهُ عَمْرًا ، فجعل المسلمون يرتجزون ويقولون :

(١) عانَه : أى أصابه بالعين ، (لسان العرب ، ج ١٧ ، ص ١٧٦) .

(٢) لبط : أى صرع وسقط إلى الأرض . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٤٦) .

سَمَاءُ مِنْ بَعْدِ جُعَيْلٍ عَمْرًا وَكَانَ لِلْبَائِسِ يَوْمًا ظَهْرًا
قال : فجعل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم لا يقول من ذلك شيئاً إِلَّا
أَنْ يَقُولَ «عَمْرًا» (١) .

فبينما المسلمون يحفرون ، وكان زيد بن ثابت فيمن ينقل التراب
مع المسلمين ، فنظر إليه سعد بن مُعَاذ وهو جالسٌ مع رسول الله صَلَّى الله
عليه وسلم فقال : الحمد لله يا رسول الله الذى أبقانى حتى آمَنت بك ؛ إني
عانقت أبا هذا يوم بُعِثَ ، ثابت بن الضَّحَّاك ، فكانت اللَّبِجَةُ (٢) به ،
فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : أَمَا إِنَّهُ نِعَمَ الْغَلَام ! وكان زيد بن
ثابت قد رقد في الْخَنْدَقِ ، غلبته عيناه حتى أُخِذَ سلاحه وهو لا يشعر ،
وهو في قُرٍّ شَدِيدٍ - تُرْسُهُ ، وَقَوْسُهُ ، وَسِيفُهُ - وهو على شَفِيرِ الْخَنْدَقِ مع
المسلمين ، فانكشف المسلمون يُرِيدُونَ يُطَيِّفُونَ بِالْخَنْدَقِ ويحرسونه ، وتركوا
زيداً نائمًا ، ولا يشعرون به حتى جاءه عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ فَأَخَذَ سلاحه ، ولا
يشعر حتى فزع بَعْدَ فَقْدِ سلاحه ، حتى بلغ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم
فدعا زيداً فقال : يا أبا رُقَاد ، نمتَ حتى ذهب سلاحك ! ثم قال رسول
الله صَلَّى الله عليه وسلم : مَنْ لَهُ عِلْمٌ بِسِلَاحِ هَذَا الْغَلَامِ ؟ فقال عُمَارَةُ بْنُ
حَزْمٍ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وهو عندي . فقال : فَرُدَّهُ عَلَيْهِ ، ونهى رسول الله
صَلَّى الله عليه وسلم أَنْ يُرَوِّعَ الْمُسْلِمَ أَوْ يُؤْخَذَ مَتَاعَهُ لَاعِبًا جَادًّا (٣) .

حدثني عَلِيُّ بْنُ عِيسَى ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : مَا كَانَ فِي الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ
أَحَدٌ إِلَّا يَحْفَرُ فِي الْخَنْدَقِ أَوْ يَنْقِلُ التُّرَابَ ، وَلَقَدْ رُئِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

(١) أى إذا وصلوا إلى آخر البيت قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا قالوا : « وكان للبائس

يَوْمًا ظَهْرًا » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ظهرا » . (شرح أبي ذر ، ص ٣٠٠) .

(٢) اللَّبِجَةُ : من قولك لبج به ، أى صرع . (أساس البلاغة ، ص ٨٤٢) .

(٣) أى لا يأخذه على سبيل الهزل ثم يحبسه فيصير ذلك جَدًّا . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٤٧)

الله عليه وسلم وأبو بكر ، وعمر - وكان أبو بكر وعمر لا يتفرقان في عمل ، ولا مسير ، ولا منزل - ينقلان التراب في ثيابهما يومئذ من العجلة ، إذ لم يجدا مَكَاتِلَ لعجلة المسلمين .

وكان البراء بن عازب يقول : ما رأيت أحدا أحسن في حُلَّةٍ حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان أبيض شديد البياض ، كثير الشعر ، يضرب الشعر منكبيه . ولقد رأيت يومئذ يحمل التراب على ظهره حتى حال الغبار بيني وبينه ، وإني لأنظر إلى بياض بطنه .

وقال أبو سعيد الخدري : لكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحفر في الخندق مع المسلمين ، والتراب على صدره وبين عنقه^(١) ، وإنه ليقول :

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
يُرَدُّ ذَلِكَ .

وحدثني أبي بن عباس بن سهل ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ، فأخذ الكرّز وضرب به رسول الله صلى الله عليه وسلم حجراً فصلّ الحجر ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقليل : يا رسول الله ، ممّ تضحك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أضحك من قوم يُؤْتَى بهم من المشرق في الكُيُولِ^(٢) ، يُساقون إلى الجنة وهم كارهون .

فحدثني عاصم بن عبد الله الحَكَمي ، عن عمر بن الحَكَم ، قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب يومئذ بالمِعْوَل ، فصادف

(١) المكنة : ما انطوي وتثنى من لحم البطن . (القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٤٩) .

(٢) الكيول : جمع كبل ، وهو قيد ضخم . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٦) .

حجرًا صلدًا ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منه المِغُول ، وهو عند جبل بنى عُبيد ، فضرب ضربةً فذهبت أولها بَرَقَةً إلى اليمَن ، ثم ضرب أخرى فذهبت بَرَقَةً إلى الشام ، ثم ضرب أخرى فذهبت بَرَقَةً نحو المشرق ، وكُسِر الحجر عند الثالثة . فكان عمر بن الخطاب يقول : والذي بعثه بالحق ، لصار كأنه سِهْلَةٌ ^(١) وكان كلما ضرب ضربةً يتبعه سلمان بِبَصَرِهِ ^(٢) ، فيبصر عند كلِّ ضربةٍ بَرَقَةً ، فقال سلمان : يا رسول الله ، رأيت المِغُول كلما ضربت به أضاء ما تحته . فقال : أليس قد رأيتَ ذلك ؟ قال : نعم . قال النبي صلى الله عليه وسلم : إني رأيت في الأولى قصور الشام ، ثم رأيت في الثانية قصور اليمَن ، ورأيت في الثالثة قصر كِسرى الأبيض بالمَدائن . وجعل يصفه لِسَلْمَانَ فقال : صدقتَ والذي بعثك بالحق ، إنَّ هذه لَصِفَتُهُ ، وأشهد أنك لرسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذه فتوحٌ يفتحها الله عليكم بعدى يا سلمان ، لَتُفْتَحَنَّ الشام ، ويهرب هِرَقْلُ إلى أقصى مملكته ، وتظهرون على الشام فلا يُنازعكم أحد ، ولَتُفْتَحَنَّ اليمَن ، وليُفْتَحَنَّ هذا المشرق ، ويُقتل كِسرى بعده . قال سلمان : فكلُّ هذا قد رأيت .

قالوا : وكان الخَنْدَق ما بين جبل بنى عُبيد بعُربَى إلى راتِج ، فكان للمهاجرين من ذُبَاب إلى راتِج ، وكان لِلْأَنْصَار ما بين ذُبَاب إلى خُرَبَى ، فهذا الذى حفر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وشبَّكوا المدينة بالبنيان من كلِّ ناحيةٍ وهى كالحصن . وخذقت بنو عبد الأشهل عليها يا بلى راتِج إلى خلفها ، حتى جاء الخَنْدَق من وراء المسجد ، وخذقت

(١) السهلة : رمل ليس بالدقاق . (الصحيح ، ص ١٧٣٣) .

(٢) في الأصل : « بصر به » ؛ والتصحيح من نسخة ب .

بنو دينار من عند خُرْبَيَّ إلى موضع دار ابن أبي الجَنُوب اليوم . ورفع المسلمون النساء والصبيان في الآطام ، ورفعَت بنو حارثة الدَّراري في أطمهم ، وكان أطمًا منيعاً ، وكانت عائشة يومئذٍ فيه . ورفع بنو عمرو بن عَوْف النساء والدَّرِيَّة في الآطام ، وخذق بعضهم حول الآطام بقُباء ، وحصَّن بنو عمرو بن عَوْف ولففوها^(١) ، وخطَّمة ، وبنو أمية ، ووائل ، وواقف ، فكان ذراريهم في آطامهم .

فحدثني عبد الرحمن بن أَبَجَر^(٢) ، عن صالح بن أبي حَسَّان ، قال : أخبرني شيوخ بني واقف أنهم حدَّثوه أَنَّ بني واقف جعلوا ذراريهم ونساءهم في أطمهم ، وكانوا مع النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم ، وكانوا يتعاهدون أهلهم بأنصاف النهار بإذن النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فينهاهم النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فإذا ألحوا أمرهم أن يأخذوا السلاح خوفاً عليهم من بني قُرَيْظَةَ . فكان هِلَال بن أمية يقول : أقبلتُ في نفرٍ من قومي وبنى عمرو بن عَوْف ، وقد نكبنا عن الجِسْرِ وَصَفَنَة^(٣) فأخذنا على قُباء ، حتى إذا كنا بعَوْسا^(٤) إذا نفرٌ منهم فيهم نَبَّاش بن قيس القرظيُّ ، فنضحونا بالنبل ساعة ، ورميناهم بالنبل ، وكانت بيننا جراحة ، ثم انكشفوا على حاميتهم ورجعنا إلى أهلنا ، فلم نرَ لهم جمعاً بعد .

وحدثني أَفْلَح بن سَعِيد ، عن مُحَمَّد بن كعب ، قال : كان الخَنْدَق الذي خندق رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ما بين جبل بني عُبيد إلى راتج

(١) الف : القوم المجتمعون . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ١٩٦) .

(٢) في ب : « عبد الرحمن بن الحارث » .

(٣) كذا في الأصل ؛ وفي نسخة ب : « وصقنة » . وصفنة : منزلة بني عطية بن زائد ، ذكرها

السهودي ، (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٣٦) .

(٤) عوسا : موضع بوادي راثونا . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢١٣) .

— وهذا أثبت الأحاديث عندنا . وذكروا أَنَّ الخَنْدَقَ له أبواب ، فلسنا ندرى أين موضعها .

فحدثني محمد بن زياد بن أبي هنيذة ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن جابر بن عبد الله ، قال : أصاب الناس كُدَيْةً يوم الخَنْدَقِ فاضربوا فيها بمعاويلهم حتى انكسرت ، فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بماء فصبّه عليها فعاتت كثيرًا . قال جابر بن عبد الله : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحفر ، ورأيت حَمِيصًا ، ورأيت بين عُكَنَةِ الْغُبَارِ ، فأتيت امرأتى فأخبرتها ما رأيت من حَمَصِ بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : والله ، ما عندنا شيءٌ إِلَّا هذه الشاة ومُدٌّ من شعير . قال جابر : فاطحنى وأصلحى . قالت : فطبخنا بعضها وشوينا بعضها ، وخبز الشعير . [قال جابر] : ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمكثت حتى رأيت أَنَّ الطعام قد بلغ ، فقلت : يا رسول الله ، قد صنعتُ لك طعاماً فأنت أنت ومن أحببت من أصحابك . فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه في أصابعي ، ثم قال : أجيبوا ، جابرُ يدعوكم ! فأقبلوا معه فقلت : والله ، إنها الفضيحة ! فأتيت المرأة فأخبرتها فقالت : أنت دعوتهم أو هو دعاهم ؟ فقلت : بل هو دعاهم ! قالت : دعهم ، هو أعلم . قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه ، فكانوا فِرَقًا ، عشرة عشرة ، ثم قال لنا : اغرفوا وغطوا البرمة ، وأخرجوا من التَّنُّورِ الخبز ثم غطوه . ففعلنا فجعلنا نغرف ونغطي البرمة ثم نفتحها ، فما نراها نقصت شيئاً ، ونخرج الخبز من التَّنُّورِ ثم نغطيها ، فما نراها ينقص شيئاً . فأكلوا حتى شبعوا ، وأكلنا وأهدينا ، فعمل الناس يومئذٍ كلهم والنبي صلى الله عليه وسلم . وجعلت الأنصار ترتجز وتقول :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً
فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
اللهم لا خير إلا خير الآخرة فأغفر للانصار والمهاجرة

وحدثني ابن أبي سبرة ، عن صالح بن محمد بن زائدة ، عن أبي سلمة
ابن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبي واقد الليثي ، قال : رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعرض الغلمان وهو يحضر الخندق ، فأجاز من أجاز
ورد من رد ، وكان الغلمان يعملون معه ، الذين لم يبلغوا ولم يُجزهم ، ولكنه
لما لحم الأمر أمر من لم يبلغ أن يرجع إلى أهله إلى الآطام مع الذراري .
وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف ، فلقد كنت أرى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وإنه ليضرب مرة بالمعول ، ومرة يغرف بالمسحاة التراب ، ومرة
يحمل التراب في المكتل . ولقد رأيته يوماً بليغ منه ، فجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم اتكأ على حجرٍ على شقه الأيسر ، فذهب به النوم .
فرأيت أبا بكر وعمر واقفين على رأسه يُنحيان الناس أن يمرّوا به فيُنهبوه ،
وأنا قربت منه ، ففزِع ووثب ، فقال : ألا أفزعتموني ! فأخذ الكرّز
يضرب به ، وإنه ليقول :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فأغفر للانصار والمهاجرة
اللهم العن عضلاً والقارّه فهم كلّفوني أنقل الحجاره

فكان ممن أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن عمر ؛ وهو
ابن خمس عشرة ، وزيد بن ثابت ؛ وهو ابن خمس عشرة ، والبراء بن
عازب ؛ وهو ابن خمس عشرة .

حدَّثني عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، قال : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، وكان حفره ستة أيام وحصنه ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم دبر سلح ، فجعله خلف ظهره والخندق أمامه ، وكان عسكره هنالك . وضرب قُبَّة من آدم ، وكانت القُبَّة عند المسجد الأعلى الذي بأصل الجبل - جبل الأحزاب - وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُعقب بين نسائه ، فتكون عائشة أياماً ، ثم تكون أم سلمة ، ثم تكون زينب بنت جحش ، فكان هؤلاء الثلاث اللاتي يُعقب بينهن في الخندق ، وسائر نسائه في أطم بني حارثة . ويقال : كن في المُسير^(١) ، أطم في بني زريق ، وكان حصيناً . ويقال : كان بعضهم في فارع^(٢) وكل هذا قد سمعناه .

فحدَّثني أبو أيوب بن النعمان ، عن أبيه ، قال : كان حُيى بن أخطب يقول لأبي سُفيان بن حرب ولقريش في مسيره معهم : إن قومي قُرَيْظَة معكم ، وهم أهل حلقة وإفرة ، هم سبعمائة مقاتل وخمسون مقاتلاً . فلما دنوا قال أبو سُفيان لحُيى بن أخطب : اثنتي قوميك ، حتى ينقضوا العهد الذي بينهم وبين محمد . فذهب حُيى حتى أتى بني قُرَيْظَة ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم صالح قُرَيْظَة والنضير ومن بالمدينة من اليهود ألا يكونوا معه ولا غليه . ويقال : صالحهم على أن ينصروه ممن دهمهم منهم ، ويُقيموا على معاقبتهم^(٣) الأولى التي بين الأوس والخزرج . ويقال إن حُيى

(١) قال السهوي : إنه أطم بني عبد الأشهل ، كان لبني حارثة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٧٣) .

(٢) فارع .: أطم كان في دار جعفر بن يحيى بباب الرحمة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٥٤) .

(٣) أي يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الدييات وإعطائها . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١١٧) .

عدل من ذى الحُدَيْفَةِ فسلك على العَصْبَةِ حتى طرق كعب بن أسد ، وكان كعب صاحب عقد بنى قُرَيْظَةَ وعهدا .

فكان محمد بن كعب القرظى يحدث يقول : كان حُيَيٌّ بن أَخْطَبَ رجلاً مشمُوماً ؛ هو شَأْمُ بنى النّضير قومه ، وشَأْمُ قُرَيْظَةَ حتى قُتِلُوا ، وكان يُحِبُّ الرّئاسة والشرف عليهم ، وله فى قُرَيْشٍ شَبَهُ - أبو جهل بن هشام . فلما أتى حُيَيٌّ إلى بنى قُرَيْظَةَ كرهت بنو قُرَيْظَةَ دخوله دارهم ، فكان أول من لقيه غزال بن سَمْوَال ، فقال له حُيَيٌّ : قد جئتُك بما تستريح به من محمد ، هذه قُرَيْشٌ قد خَلَّتْ وادى العَقِيق ، وَغَطَفَان بِالزَّغَابَةِ . قال غَزَال : جِئْتَنَا وَاللّهِ بِذُلِّ الدَّهْرِ ! قال حُيَيٌّ : لا تقل هذا ! ثم وجّه إلى باب كعب بن أسد فدقّ عليه ، فعرفه كعب وقال : ما أصنع بدخول حُيَيٍّ علىّ ، رجل مشموم قد شَأْمَ قومه ، وهو الآن يدعونى إلى نقض العهد ! قال : فدقّ عليه ، فقال كعب : إنك امرؤ مشموم قد شَأَمْتَ قومك حتى أهلكتهم ، فارجع عنا فإنك إنما تريد هلاكى وهلاك قومى ! فبأبى حُيَيٌّ أن يرجع ، فقال كعب : يا حُيَيٌّ ، إني عاقدت محمداً وعاهدته ، فلم نر منه إلّا صدقاً ؛ واللّهِ ، ما أخفر^(١) لنا ذِمَّةً ولا هتك لنا سِتْرًا ، ولقد أحسن جوارنا . فقال حُيَيٌّ : ويحك ! إني قد جئتُك ببجر طامٍ وبعزّ الدهر ، جئتُك بقُرَيْشٍ على قادتها وسادتها ، وجئتُك بكِنَانَةٍ حتى أنزلتُهم برؤمة ، وجئتُك بَغَطَفَانٍ على قادتها وسادتها حتى أنزلتُهم بالزَّغَابَةِ إلى نَقَمَى^(٢) ، قد قادوا الخيل وامتطوا الإبل^(٣) ، والعدد عشرة آلاف ، والخيل ألف فرس ، وسلاح كثير ، ومحمد لا يُفْلِتُ فى فَوْرنا هذا ، وقد تعاقدوا

(١) أخفرت الرجل إذا نقضت عهده وذمامه . (النهاية ، ج ١ ، ص ٣٠٦) .

(٢) نَقَمَى : موضع بقرب أحد كان لأبى طالب . (وفاة الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٨٤) .

وتعاهدوا ألا يرجعوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه . قال كعب : ويحك !
 جئتني والله بذلّ الدهر وبسحابٍ يبرق ويرعد ليس فيه شيء . وأنا في
 بحرٍ لجيٍّ ، لا أقدر على أن أريم داري ، ومالي معي والصبيان والنساء ؛
 فارجع عني ، فإنه لا حاجة لي فيما جئتني به . قال حبيبي : ويحك ! أكلمك .
 قال كعب : ما أنا بفاعل . قال : والله ، ما أغلقت دوني إلا لجشيتك
 أن آكل معك منها ، فلك ألا أدخل يدي فيها . قال : فأحفظه ^(١) ، ففتح
 الباب فدخل عليه ، فلم يزل يفتله في الذروة والغارب ^(٢) حتى لان له ،
 وقال : ارجع عني يومك هذا حتى أشتاور رؤساء اليهود . فقال : قد جعلوا
 العهد والعقد إليك فأنت ترى لهم . وجعل يلح عليه حتى فتلته عن رأيه ،
 فقال كعب بن أسد : يا حبيبي ، قد دخلت فيما ترى كارهاً له ، وأنا أخشى
 ألا يقتل محمداً ، وتنصرف قريش إلى بلادها ، وترجع أنت إلى أهلِكَ ،
 وأبقي في عُقر الدار وأقتل ومن معي . فقال حبيبي : لك ما في التوراة التي
 أنزلت على موسى يوم طور سيناء ، لئن لم يقتل محمداً في هذه الفورة
 ورجعت قريش وغطفان قبل أن يصيبوا محمداً ، لأدخلن معك حصنك
 حتى يصيبني ما أصابك . فنقض كعب العهد الذي كان بينه وبين رسول
 الله صلى الله عليه وسلم . ودعا حبيبي بالكتاب الذي كتب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بينهم فشقه حبيبي ، فلما شقه حبيبي علم أن الأمر قد لحم
 وفسد ، فخرج على بني قريظة وهم حلق حول منزل كعب بن أسد ،
 فخبّرهم الخبر . يقول الزبير بن باطا : وأهلك اليهود ! تولى قريش وغطفان

(١) أحفظ : أي أغضب ، والحفيظة : الغضب . (نرجح أبي ذر ، ص ٣٠١) .

(٢) في الذروة والغارب : هذا مثل ، وأصله في البعير يستصعب عليك فتأخذ القراد من ذروته

وغارب سنامه وتفتل هناك ، فيجد البعير لذة فيأنس عند ذلك ، فضرِب هذا الكلام مثلاً

في المرافضة والمخاللة . (الروض الأنف ، ج ٢ ، ص ١٨٩) .

ويتركوننا في عُقر دارنا وأموالنا وذراريّنا ، ولا قوّة لنا بمحمّد ! ما بات يهوديٌّ على حَزْم قَطُّ . ، ولا قامت يهوديّةٌ بيثْرِب أبداً . ثم أرسل كعب بن أسد إلى نفرٍ من رؤساء اليهود خمسة - الزبير بن باطا ، ونَبَّاش بن قيس ، وغَزَّال ابن سَمَوَّال ، وعُقبَة بن زيد ، وكعب بن زيد ، فخبّرهم خبر حَيٍّ ، وما أعطاه حَيٍّ أَنْ يرجع إليه فيدخل معه فيُصيّبه ما أصابه . يقول الزبير ابن باطا : وما حاجتك إلى أَنْ تُقَتِّلَ ويُقَتِّلَ معك حَيٍّ ! قال : فأسكت كعب وقال القوم : نحن نكره نُزْرَى برأيك أو نُخالفك ، وحَيٍّ مَنْ قد عرفت شومه . وندم كعب بن أسد على ما صنع من نقض العهد ، ولمَحَم الأمر لِمَا أراد الله تعالى من حربهم وهلاكهم .

فبينما رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم والمسلمون في الخَنْدَق أتى عمر بن لخطّاب رضى الله عنه إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وهو في قُبَيْته - وقُبَّة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم مضروبة من أَدَم في أصل الجبل عند المسجد الذى في أسفل الجبل - معه أبو بكر رضى الله عنه والمسلمون على خَنْدَقهم يتناوبون ، معهم بضعةٌ وثلاثون فرساً ، والفرسان يطوفون على الخَنْدَق ما بين طرفَيْهِ ، يتعاهدون رجالاً وضعوهم في مواضع منه ، إلى أَنْ جاء عمر رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ، بلغنى أَنَّ بنى قُرَيْظَةَ قد نقضت العهد وحاربت . فاشتدّ ذلك على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وقال : مَنْ نبعث يعلم لنا علمهم ؟ فقال عمر : الزُّبَيْر بن العوام . فكان أوّل الناس بعث رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم الزُّبَيْر بن العوام ، فقال : اذهب إلى بنى قُرَيْظَةَ . فذهب الزُّبَيْر فنظر ، ثم رجع فقال : يا رسول الله ، رأيتهم يُصلحون حصونهم ويُدْرِبون طرقهم ، وقد جمعوا ماشيتهم . فذلك حين قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : إِنَّ لكل نبيٍّ حَوَارِيًّا ، وحَوَارِيّ الزُّبَيْرُ وابن عمّتى .

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ ، وسعد بن عباد ، وأُسَيْد بن حُضَيْر ، فقال : إنه قد بلغني أنَّ بني قُرَيْظَةَ قد نقضوا العهد الذي بيننا وبينهم وحاربوا ، فاذهبوا فانظروا إن كان ما بلغني حقاً ؛ فإن كان باطلاً فآظروا القول ، وإن كان حقاً فتكلموا بكلامٍ تَلَحُّنُونِ لِي بِهِ أَعْرِفَهُ ، لا تَفُتُّوا أَعْضَادَ الْمُسْلِمِينَ . فلما انتهوا إلى كعب بن أسد وجدوا القوم قد نقضوا العهد ، فناشدوهم الله والعهد الذي كان بينهم ، أن يرجعوا إلى ما كانوا عليه قبل ذلك قبل أن يلتحم الأمر ، وألاًَّ يُطِيعُوا حِيَّيَّ بْنَ أَخْطَبَ . فقال كعب : لا نردّه أبداً ؛ قد قطعته كما قطعتُ هذا القبيل (١) لِقِبَالِ نَعْلِهِ . ووقع كعب بسعد بن معاذ بسببه ، فقال أُسَيْد بن حُضَيْر : تسبَّ سيِّدك يا عدوَّ الله ؟ ما أنت له بكفء ! أما والله يا ابن اليهود (٢) ، لَتُوَلِّينَ قُرَيْشٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مُنْهَزِمَةً وَتَتْرَكَ فِي عَقْرِ دَارِكَ ، فنسِرَ إِلَيْكَ فَتَنْزِلَ مِنْ جُحْرِكَ هَذَا عَلَى حَكْمِنَا . وإنك لتعلم النَّضِيرَ ؛ كانوا أعزَّ منك وأعظم هذه البلدة ، دِيَّتِكَ نصف ديتهم ، وقد رأيت ما صنع الله بهم . وقبل ذلك بنو قَيْنُقَاعَ ، نزلوا على حَكْمِنَا . قال كعب : يا ابن الحُضَيْرِ ، تُخَوِّفُونَنِي بِالْمَسِيرِ إِلَى ؟ أما والتوراة ، لقد رآني أبوك يوم بُعِثَ - لولا نحن لأَجَلَّتْهُ الْخَزْرَجُ مِنْهَا . إنكم والله ما لقيتم أحداً يُحَسِّنُ الْقِتَالَ ولا يَعْرِفُهُ ؛ نحن والله نُحَسِّنُ قِتَالَكُمْ ! ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن المسلمين أقبح الكلام ، وشتموا سعد بن عباد شتماً قبيحاً حتى أغضبوه . فقال سعد بن معاذ : دعهم فإننا لم نأت لهذا ، ما بيننا أشدُّ من المشائمة - السيف ! وكان

(١) قبال النعل : زمام ما بين الإصبع الوسطى والى تليها . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٤) .

(٢) في ب : « يا ابن اليهودية » .

الذى يشتم سعد بن عبادة نَبَّاش بن قيس فقال : عضضت ببَظْر^(١) أُمك !
فانتفض سعد بن عبادة غضباً ، فقال سعد بن مُعاذ : إني أخاف عليكم
مثل يوم بنى النضير . قال غَزَّال بن سَمَوَّال : أكلتَ أيرَ أبيك ! قال
سعد بن مُعاذ غير هذا القول أحسنَ منه . قال : ثم رجعوا إلى النبي
صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال سعد بن
عبادة : عضل والقارة . وسكت الرجلان - يُريد بَعْضُ والقارة غدَرهم
بِخُبَيْب وأصحاب الرجيع - ثم جلسوا . فكَبَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال : أبشروا يا معشر المسلمين بنصر الله وعونه . وانتهى الخبر إلى المسلمين
بنقض بنى قُرَيْظَةَ العهد ، فاشتدَّ الخوف وعَظُمُ البلاء .

قُرِيٌّ على ابن أبي حبيبة وأنا أسمع ، قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن الثَّلَجِيّ
قال : حَدَّثَنَا الْوَاقِدِيّ ، قال : فَحَدَّثَنِي عَبْد الرحمن بن مُحَمَّد بن أَبِي بكر ،
عن عبد الله بن أَبِي بكر بن حَزْم قال : أَرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
سعد بن عبادة ، وسعد بن مُعاذ ، وعبد الله بن رَوَاحَة ، وَخَوَات بن جُبَيْر
إلى بنى قُرَيْظَةَ . قال ابن واقد : والأول أثبت عندنا .

قالوا : وَنَجَمُ النفاق ، وَفِشِلُ الناس ، وَعَظُمُ البلاء ، واشتدَّ الخوف ،
وخيف على الذراري والنساء ، وكانوا كما قال الله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ
مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾^(٢)
ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وُجَاهُ العدو ، لا يستطيعون الزوال
عن مكانهم ، يعتقبون خَنَدَقَهُمْ ويحرسونه . وتكَلَّم قومٌ بكلامٍ قبيح ،
فقال مُعْتَب بن قُشَيْر : يَعِدُنَا مُحَمَّدٌ كُنُوزَ كِسْرَى وقيصر ، وأحدنا لا

(١) في الأصل : « ببطن أمك » ، وما أثبتناه من نسخة ب .

(٢) سورة ٢٣ الأحزاب . ١٠ .

يُأْمَنُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى حَاجَتِهِ ، وَمَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا !
فَحَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ ابْنِ كَعْبٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَأَخْذُ الْمِفْتَاحِ ،
وَلِيُهْلِكَ اللَّهُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَلِتُنْفَقَنَّ أَمْوَالُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - يَقُولُ ذَلِكَ
حِينَ رَأَى مَا بِالْمُسْلِمِينَ مِنَ الْكَرْبِ . فَسَمِعَهُ مُعْتَبِرٌ فَقَالَ مَا قَالَ .

فَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ الْفُضَيْلِ قَالَ : هَمَّتْ بَنُو
قُرَيْظَةَ أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَى بَيْضَةِ الْمَدِينَةِ لَيْلًا ، فَأَرْسَلُوا حُيَّيَّ بْنَ أَخْطَبٍ إِلَى
قُرَيْشٍ أَنْ يَأْتِيَهُمْ مِنْهُمْ أَلْفُ رَجُلٍ ، وَمَنْ غَطَّفَانَ أَلْفَ ، فَيُغَيِّرُوا بِهِمْ^(١) .
فَجَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبِيرُ بِذَلِكَ فَعَظَّمَ الْبَلَاءَ ، فَكَانَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْعَثُ سَلَمَةَ بْنَ أَسْلَمَ بْنَ حُرَيْشٍ الْأَشْهَلِيَّ فِي
مَائَتِي رَجُلٍ ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ يَحْرُسُونَ الْمَدِينَةَ وَيُظْهِرُونَ التَّكْبِيرَ ،
وَمَعَهُمْ خَيْلُ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِذَا أَصْبَحُوا أَمِنُوا . فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : لَقَدْ خِفْنَا عَلَى الدَّرَارِيِّ بِالْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ أَشَدَّ [مِنْ]
خَوْفِنَا مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَّفَانَ ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَؤْفَى عَلَى سَلْعٍ فَانْظُرْ إِلَى بَيْوتِ
الْمَدِينَةِ ، فَإِذَا رَأَيْتَهُمْ هَادِينَ^(٢) حَمَدَتِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَكَانَ مِمَّا رَدَّ اللَّهُ بِهِ
قُرَيْظَةَ عَمَّا أَرَادُوا أَنْ الْمَدِينَةَ كَانَتْ تُحْرَسُ .

حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ خَوَّاتٍ ، عَنْ ابْنِ كَعْبٍ ، قَالَ : قَالَ خَوَّاتُ بْنُ
جُبَيْرٍ : دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ مُحَاصِرُونَ الْخَنْدَقَ ، فَقَالَ :
انْطَلِقْ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَانْظُرْ هَلْ تَرَى لَهُمْ غَرَّةً أَوْ خَلَلًا مِنْ مَوْضِعٍ فَتُخْبِرْنِي .
قَالَ : فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فَتَدَلَّيْتُ مِنْ سَلْعٍ وَغَرَبَتْ

(١) فِث : « لِيُغَيِّرُوا بِهِم عَلَى الدَّرَارِيِّ » .

(٢) هَكَذَا فِي كُلِّ النُّسخِ ؛ وَلَعَلَّهُ مِنْ تَسْهِيلِ أَهْلِ الْحِجَازِ لِلْهَمْزَةِ ، فَتَكُونُ الْكَلِمَةُ « هَادِينَ » .

لى الشمس فصليت المغرب ، ثم خرجت حتى أخذتُ فى راتج ، ثم على عبد
الأسهل ، ثم فى زهرة ، ثم على بُعث . فلما دنوتُ من القوم قلت :
أكمُن لهم . فكمنتُ ورمقت الحصون ساعة ، ثم ذهب بى النوم فلم
أشعر إلا برجلٍ قد احتملنى وأنا نائم ، فوضعى على عنقه ثم انطلق يمشى .
قال : ففزعت ورجلٌ يمشى بى على عاتقه ، فعرفت أنه طليعة من قُرَيْظَةَ
واستحييت تلك الساعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . حياةً شديداً ،
حيث ضيعتُ ثَغراً أمرنى به ، ثم ذكرت غلبة النوم . قال : والرجل يُرقل
بى إلى حصونهم ، فتكلم باليهودية فعرفته ، قال : أبشر بِجَزْرَةٍ سمينه !
قال : وذكرت وجعلت أضرب بيدى - وعهدى بهم لا يخرج منهم أحدٌ
أبدًا إلا بمِعْوٍ فى وسطه . قال : فأضع يدي على المِعْوِ فأنترعه ، وشغل
بكلام رجل من فوق الحصن ، فانتزعته فوجأت به كبده فاسترخى وصاح :
السُّبُع ! فأوقدت اليهود النار على آطامها بشُعل السَّعَف . ووقع ميتاً وانكشف ،
فكنتُ لا أدرك ، ^(١) وأقبلُ من طريقٍ التى جئتُ منها . وجاء جبريل إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ظفرتُ
يا خَوَات ! ثم خرج فأخبر أصحابه فقال : كان من أمر خَوَات كذا
وكذا . وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالسٌ فى أصحابه وهم
يتحدثون ، فلما رآنى قال : أفلح وجهك ! قلت : ووجهك يا رسول الله !
قال : أخبرنى خبرك . فأخبرته ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هكذا
أخبرنى جبريل . وقال القوم : هكذا حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال خَوَات : فكان ليلنا بالخندق نهاراً . قال غير صالح : قال خَوَات : رأيته

(١) فى الأصل : « لا أدرى » ؛ وما أثبتناه من ب ، ث .

وَأَنَا أَتَذَكَّرُ سُوءَ أَثَرِي عِنْدَهُمْ بَعْدَ مُمَالَحَةٍ وَخُلُصِيَّةٍ مِنِّي لَهُمْ ، فَقُلْتُ :
هَمْ يَمَثُلُونَ بِي كُلَّ الْمَثَلِ حَتَّى ذَكَرْتُ الْمِعُولَ .

حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ ، قَالَ :
خَرَجَ نَبَّاشُ بْنُ قَيْسٍ لَيْلَةً مِنْ حِصْنِهِمْ يُرِيدُ الْمَدِينَةَ ، وَمَعَهُ عَشْرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ
مِنْ أَشَدِّائِهِمْ وَهُمْ يَقُولُونَ : عَسَى أَنْ نُصِيبَ مِنْهُمْ غِرَّةً . فَانْتَهَوْا إِلَى بَقِيعِ
الْغَرْقَدِ ، فَيَجِدُونَ نَفَرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَصْحَابِ سَلَمَةَ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ
حُرَيْشٍ ، فَنَاهَضُوهُمْ فَرَامُوهُمْ سَاعَةً بِالنَّبْلِ ، ثُمَّ انْكَشَفَ الْقُرَيْظِيُّونَ مُوَلِّينَ .
وَبَلَغَ سَلَمَةُ بْنُ أَسْلَمَ وَهُمْ بِنَاحِيَةِ بَنِي حَارِثَةَ ، فَأَقْبَلَ فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى انْتَهَوْا
إِلَى حِصُونِهِمْ ، فَجَعَلُوا يُطِيفُونَ بِحِصُونِهِمْ حَتَّى خَافَتِ الْيَهُودُ ، وَأَوْقَدُوا النَّيْرَانَ
عَلَى آطَامِهِمْ وَقَالُوا : الْبَيَاتِ ! وَهَدَمُوا قَرْنِي^(١) بِشَرِّ لَهُمْ وَهُوَ رَوْهَا^(٢) عَلَيْهِمْ ،
فَلَمْ يَقْدِرُوا يَطْلَعُوا مِنْ حِصْنِهِمْ وَخَافُوا خَوْفًا شَدِيدًا .

وَحَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، قَالَ ابْنُ أَبِي الزُّنَادِ وَابْنُ جَعْفَرٍ هَذَا أَتَيْتُ
مَنْ الَّذِي فِي أَحَدٍ ، قَالَ : كَانَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَجُلًا جَبَانًا ، فَكَانَ قَدْ
رُفِعَ مَعَ النِّسَاءِ فِي الْآطَامِ ، فَكَانَتْ صَفِيَّةٌ فِي أَطْمِ فَارِغٍ ، وَمَعَهَا جَمَاعَةٌ
وَحَسَّانُ مَعَهُمْ . فَأَقْبَلَ عَشْرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَرَأْسُهُمْ غَزَالُ بْنُ سَمَوَّالٍ مِنْ بَنِي
قُرَيْظَةَ نَهَارًا ، فَجَعَلُوا يَنْقَمِعُونَ^(٣) وَيَرْمُونَ الْحِصْنَ ، فَقَالَتْ صَفِيَّةٌ لِحَسَّانَ :
دُونَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ! قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، لَا أُعَرِّضُ نَفْسِي لِهَوْلَاءِ الْيَهُودِ . وَدَنَا
أَحَدُهُمْ إِلَى بَابِ الْحِصْنِ يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ ، فَاحْتَجَزَتْ صَفِيَّةٌ بِثَوْبِهَا ، ثُمَّ

(١) الْقَرْيَانِ : مَنَارَتَانِ تَبْنِيَانِ عَلَى رَأْسِ الْبُئْرِ ، وَيُوضَعُ فَوْقَهُمَا خَشْبَةٌ فَتَعْلَقُ الْبَكْرَةُ فِيهَا . (الصَّحاحُ ،

ص ٢١٨٠) .

(٢) هَوْرَوْهَا : أَيْ هَدَمَوْهَا . (الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ ، ج ٢ ، ص ١٦٢) .

(٣) انْقَمَعَ : أَيْ دَخَلَ . (لِسَانُ الْعَرَبِ ، ج ١٠ ، ص ١٦٨) .

أخذت خشبةً فنزلت إليه فضربتته ضربةً شَدَحَتْ رأسه فقتلته ، فهرب من بقي منهم .

واجتمعت بنو حارثة فبيعوا أوس بن قَيْظَى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ ؛ وليس دارٌ من دور الأنصار مثل دارنا ، ليس بيننا وبين غَطَفَانٍ أحدٌ يرُدُّهم عنَّا ، فَأَذِنْ لَنَا فلنَرْجِعْ إلى دُورنا فنمنع ذراريَّنا ونساءنا . فَأَذِنَ لَهُم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فرجعوا بذلك وتهيَّئوا للانصراف . فبلغ سعدُ بن مُعَاذٍ ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، لا تَأْذِنْ لَهُمْ ؛ إِنَّا وَاللَّهِ ما أَصَابْنَا وإِيَّاهُمْ شِدَّةٌ قَطُّ . إِلَّا صَنَعُوا هَكَذَا . ثم أَقْبَلَ عَلَيْهِم فقال لِبْنِي حارثة : هذا لَنَا مِنْكُمْ أَبَدًا ؛ ما أَصَابْنَا وإِيَّاكُمْ شِدَّةٌ إِلَّا صَنَعْتُمْ هَكَذَا . فردَّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكانت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول : لقد رأيت لسعد ابن أبي وقَّاص ليلةً ونحن بالخندق لا أزال أُجِبُّه أَبَدًا . قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلف إلى ثُلُمَةِ في الخندق يحرسها ، حتى إذا آذاه البردُ لَجَأَني فَأَدْفَأْتُهُ في حِصْنِي ، فإذا دَفِئَ خرج إلى تلك الثُلُمَةِ يحرسها ويقول : ما أَخْشَى أَنْ يُؤْتَى النَّاسُ إِلَّا مِنْهَا . فبينما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في حِصْنِي قد دَفِئَ وهو يقول : لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا يحرسني ^(١) ! قالت : إلى أَنْ سَمِعْتُ صوتَ السلاح وقعَعةَ الحديد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . مَنْ هَذَا ؟ فقال : سعد بن أبي وقَّاص . قال : عَلَيْكَ هَذِهِ الثُّلُمَةُ فَاحْرُسْهَا . قالت : ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ . قال الواقدي : حدَّثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر ، عن عبد الله

(١) في ب : « يحرسني الليلة » .

ابن أبي بكر بن حزم قال : قالت أم سلمة : كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق فلم أفارقه مقامه كله ، وكان يحرس بنفسه في الخندق ، وكنا في قرٍ شديد ، فإني لأنظر إليه قام فصلّى ما شاء الله أن يصلي في قبته ، ثم خرج فنظر ساعة فأسمعه يقول : هذه خيل المشركين تُطيف بالخندق ، من لهم ؟ ثم نادى : يا عبّاد بن بشر . فقال عبّاد : لبّيك ! قال : أملك أحد ؟ قال : نعم ، أنا في نفرٍ من أصحابي كنّا حول قبّتك . قال : فأنطلي في أصحابك فأطف بالخندق ، فهذه خيلٌ من خيلهم تُطيف بكم يطعمون أن يُصيبوا منكم غرّة . اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم واغلبهم ، لا يغلبهم غيرك ! فخرج عبّاد بن بشر في أصحابه ، فإذا بأبي سفيان في خيلٍ من المشركين يُطيفون بمضيق الخندق . وقد نذر بهم المسلمون ، فرموهم بالحجارة والنبل . فوقفنا معهم فرميناهم حتى أذلّناهم^(١) بالرمي فانكشفوا راجعين إلى منزلهم . ورجعتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجده يصلي فأخبرته . قالت أم سلمة : فنام حتى سمعتُ غطيظه فما تحرّك حتى سمعتُ بلالاً يؤذّن بالصبح وبياض الفجر ، فخرج فصلّى بالمسلمين . فكانت تقول : يرحم الله عبّاد بن بشر ، فإنه كان ألزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لقبّة رسول الله يحرسها أبداً .

فحدثني أيوب بن النعمان ، عن أبيه ، قال : كان أسيد بن حضير يجرس الخندق في أصحابه ، فانتهاوا إلى مكان من الخندق تطفّزه^(٢) الخيل ،

(١) أذلّناهم : أي أضعفناهم . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٢٤) .

(٢) طفر : وثب في ارتفاع ، وطفّر الحائط : وثبه إلى ما ورائه . (لسان العرب ، ج ٦ ، ص ١٧٣) .

فإذا طليعة من المشركين ، مائة فارس أو نحوها ، عليهم عمرو بن العاص يريدون أن يغيروا إلى المسلمين ، فقام أسيد بن حضير عليها بأصحابه ، فرمواهم بالحجارة والنبل حتى أجهضوا عنا وولّوا . وكان في المسلمين تلك الليلة سَلَمَانُ الفارسيّ ، فقال لأُسَيْد : إنّ هذا مكان من الخَنْدَقِ متقارب ، ونحن نخاف تَطْفُرُهُ خيلهم - وكان الناس عجلوا في حفره . وبادروا فباتوا يُوسِّعونهُ حتى صار كهيئة الخَنْدَقِ وأمّنوا أن تَطْفُرُهُ خيلهم . وكان المسلمون يتناوبون الحراسة ، وكانوا في قَرْ شَدِيدٍ وجوع .

فحدّثني خارجة بن الحارث ، عن أبي عتيق السُّلَميّ ، عن جابر بن عبد الله قال : لقد رأيْتُني أحرُسُ الخَنْدَقِ ، وخيلُ المشركين تُطِيفُ بالخَنْدَقِ وتطلبُ غِرَّةً ومَضِيقاً من الخَنْدَقِ فتفتحم فيه ، وكان عمرو بن العاص وخالد ابن الوليد هما اللذان يفعلان ذلك ، يطلبان الغفلة من المسلمين . فلقينا خالد بن الوليد في مائة فارس ، قد جال بخيله يُريدُ مَضِيقاً من الخَنْدَقِ يُريدُ أن يعبرَ فرسانه ، فنَضَّحناهم بالنَّبلِ حتى انصرف^(١) .

فحدّثني إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، قال : قال محمد بن مَسْلَمَةَ : أقبل خالد بن الوليد تلك الليلة في مائة فارس ، فأقبلوا من العقيق حتى وقفوا بالمَدَادِ وَجَاهِ^(٢) قُبَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فنذرت بالقوم فقلتُ لَعَبَادِ بْنِ بِشْرٍ ، وكان على حرس قُبَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان قائماً يُصَلِّي ، فقلتُ : أتييت ! فركع ثم سجد ، وأقبل خالد في ثلاثة نفرٍ هو رابعهم ، فأسمعهم يقولون : هذه قُبَّةُ مُحَمَّدٍ ، ارموا ! فرموا ، فناهضناهم حتى وقفنا على شَفِيرِ الخَنْدَقِ ، وهم بشفير^(٣) الخَنْدَقِ من الجانب الآخر ،

(١) هكذا في الأصل . وفي ب : « أصبحوا » .

(٢) في الأصل : « وجاء » . وما أثبتناه من نسخة ب .

(٣) في ب : « بشفيرة » .

فترامينا ، وثاب^(١) إلينا أصحابنا ، وثاب إليهم أصحابهم ، وكثرت الجراحة بيننا وبينهم . ثم اتبعوا الخندق على حافتيه وتبعناهم والمسلمون على محارستهم ، فكلما نمر بمحرس نهض معنا طائفة وثبت طائفة ، حتى انتهينا إلى راتج فوقفوا وقفة طويلة ، وهم ينتظرون قرينة يريدون أن يغيروا على بيضة المدينة ، فما شعرنا إلا بخيل سلمة بن أسلم بن خريش يحرس ، فيأتون من خلف راتج ، فلاقوا خالد بن الوليد فاقتتلوا واختلطوا ، فما كان إلا حلب شاة حتى نظرت إلى خيل خالد مؤلّية ، وتبعه سلمة بن أسلم حتى رده من حيث جاء . فأصبح خالد وقرين غطفان تزرى عليه ويقول : ما صنعت شيئا فيمن في الخندق ولا فيمن أصحر لك^(٢) . فقال خالد : أنا أقعد الليلة ، وابعثوا خيلا حتى أنظر أي شيء تصنع .

فحدثني ابن أبي سبرة ، عن عبد الواحد بن أبي عون ، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : والله ، إني لفي جوف الليل في قبة النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم ، إلى أن سمعت الهيعة^(٣) ، وقائل يقول : يا خيل الله ! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شعار المهاجرين « يا خيل الله » ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوته فخرج من القبة ، فإذا نفر من الصحابة عند قبته يحرسونها ، منهم عباد بن بشر ، فقال : ما بال الناس ؟ قال عباد : يا رسول الله ، هذا صوت عمر بن الخطاب ؛ الليلة نوبته يُنادى : « يا خيل الله » والناس يشوبون إليه ، وهو من ناحية حسيكة ما بين ذباب ومسجد الفتح . فقال رسول الله صلى الله عليه

(١) ثاب : أي رجع . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٣٧) .

(٢) أصحر : برز . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٦٧) .

(٣) الهيعة : الصوت الذي تفزع منه وتخافه من عدو . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٦١) .

وسلّم لعَبَاد بن بِشْر : اذهبْ فانظرْ ، ثم ارجعْ إلىّ إن شاء الله فأخبرني !
 قالت أمّ سلمة : فقمْتُ على باب القُبّة أسمعُ كلَّ ما يتكلّمَان به . قالت :
 فلم يزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قائماً حتى جاءه عَبَاد بن بِشْر فقال :
 يا رسول الله ، هذا عمرو بن عبد في خيل المشركين ، معه مسعود بن رُحية
 ابن نُويَرة بن طَريف بن سُحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أَشجع
 ابن ريث بن غطفان ، في خيل غطفان ، والمسلمون يُرامونهم بالنبل والحجارة .
 قالت : فدخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلبسَ دِرْعَه ومَغْفَرَه ، وركب
 فرسه ، وخرج معه أصحابه ، حتى أتى تلك الثُّغرة ، فلم يلبث أن رجع
 وهو مسرورٌ فقال : صرّفهم الله ، وقد كثرت فيهم الجراحة . قالت : فنام
 حتى سمعت غطيظه ، وسمعت هائِعةً أُخرى ، ففرّج فوثب فصاح : يا عَبَاد
 ابن بِشْر ! قال : لَبَّيْكَ ! قال : انظرْ ما هذا . فذهب ثم رجع فقال :
 هذا ضِرار بن الخطّاب في خيلٍ من المشركين ، معه عُيَينة بن حصن في
 خيل غطفان عند جبل بني عُبيد ، والمسلمون يُرامونهم بالحجارة والنبل . فعاد
 رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلبسَ دِرْعَه وركب فرسه ، ثم خرج معه أصحابه
 إلى تلك الثُّغرة ، فلم يأتنا حتى كان السَّحر ، فرجع وهو يقول : رجعوا مفلولين ،
 قد كثرت فيهم الجراحة . ثم صلّى بأصحابه الصبح وجلس . فكانت
 أمّ سلمة تقول : قد شهدتُ معه مشاهد فيها قتالٌ وخوف - المُرَيِّسيع ،
 وخَيْبَر ، وكنا بالحُدَيْبية ، وفي الفَتْح ، وحُنَيْن - لم يكن من ذلك شيءٌ
 أتعبَ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا أخوفَ عندنا من الخَنْدَق . وذلك أنَّ
 المسلمين كانوا في مثل الحَرَجَة ^(١) ، وأنَّ قُرَيْظَةَ لا نأمنها على الدَّارِى ،
 والمدينة تُحَرَس حتى الصباح ، يُسمَع تكبير المسلمين فيها حتى يُصبحوا

(١) الحرجة : الشجرة الكثيرة الأغصان . (شرح أبي ذر ، ص ١٥٩) .

خوفاً ، حتى ردّهم الله بغیظهم لم ينالوا خيراً [وكنفى الله المؤمنين القتال] (١) .
 حدّثنى إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، عن محمد بن مسلمة ، قال :
 كنّا حول قُبّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نحرسه ، ورسول الله صلّى الله
 عليه وسلّم نائمٌ نسمع غَطِيْطَه ، إذ (٢) وافت أفراسٌ على سلّج ، فبصّر بهم
 عبّاد بن بشر فأخبرنا بهم ، قال : فأمضى إلى الخيل ، وقام عبّاد على باب
 قُبّة النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم آخِذاً بقائم السيف ينظرنى ، فرجعتُ فقلت :
 خيل المسلمين أشرفت ، عليها سلّمة بن أسلم بن خريش ، فرجعتُ إلى
 موضعنا . ثم يقول محمد بن مسلمة : كان ليلنا بالخندق نهاراً حتى
 فرّجه الله .

حدّثنى خارجة بن الحارث ، عن أبي عتيق ، عن جابر ، وحدّثنى الضحّاك
 ابن عثمان ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن مِقْسَمٍ ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كان
 خوفنا على الدّارِ بالمدينة من بنى قُرَيْظَةَ أَشدَّ مِن خوفنا من قُرَيْشٍ ! حتى
 فرّج الله ذلك .

قالوا : فكان المشركون يتناوبون بينهم ، فيغدو أبو سُفْيَان بن حَرْب
 في أصحابه يوماً ، ويغدو هُبَيْرَة بن أَبِي وَهَب يوماً ، ويغدو عِكْرِمَة بن أَبِي
 جهل يوماً ، وضرار بن الخطّاب يوماً ، فلا يزالون يُجِيلون خيلهم ما بين
 المُدَاد إلى راتِح ، وهم في نَشْرِ (٣) من أصحابهم ، يتفرّقون مرةً ويجمعون
 أخرى ، حتى عَظُم البلاء وخاف الناسُ خوفاً شديداً . ويُقدّمون رُماتهم - وكان
 معهم رُمّة ؛ حِيّان بن العرقة ، وأبو أسامة الجُشمي ، وغيرهم من

(١) زيادة في ب .

(٢) في ب : « إذا أوفت » .

(٣) أى كانوا منتشرين متفرقين . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٤٤) .

أفناء^(١) العرب - فعمدوا يوماً من ذلك فتناوشوا بالنبل ساعة ، وهم جميعاً في وجه واحد وُجاه قُبَّة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، ورسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قائم ، عليه الدَّرْع والمِغْفَر ، ويقال على فرسه . فيرمى حِجَابُ بن العَرِقَةَ سعدَ بنَ مُعَاذٍ بسهم فأصابَ أَكْحَلَهُ^(٢) ، فقال : خُذْهَا وَأَنَا ابن العَرِقَةَ ! قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : عَرَّقَ الله وجهك في النار ! ويقال أَبُو أُسَامَةَ الجُشَمِيُّ رماه ، وكان دارعاً . فكانت عائشة زوج النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم تقول : كنا في أُطْمِ بنى حارثة قبل الحجاب ومعنا أُمُّ سعد بن مُعَاذٍ ، فمرَّ سعد بن مُعَاذٍ يومئذٍ عليه رِذْعُ خَلْقٍ^(٣) ما رَأَيْتُ أَحَدًا في الخَلْقِ مثله ، وعليه دِرْعٌ له ، مُشْمَرَةٌ عن ذراعيه ؛ والله ، إني لأَخَافُ عليه يومئذٍ من تشميرة دِرْعِهِ ما أَصَابَهُ ، فمرَّ يَرْقُلُ في يده الحَرْبَةُ ، وهو يقول :

لَبِثْتُ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهَيْجَا^(٤) حَمَلٌ^(٥) ما أَحْسَنَ الموتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ
وأُمُّه تقول : الحقُّ برسول الله يا بُنَيَّ ! وقد والله تَأَخَّرْتَ ، فقلت :
والله يا أُمَّ سعد ، لَوَدِدْتُ أَنَّ دِرْعَ سعدِ أُسْبِغَ على بَنَانِهِ . قالت أُمُّ سعد :
يقضى الله ما هو قاضٍ ! فَقَضَى له أَنْ أُصِيبَ يومئذٍ ، ولقد جاء الخبر
بأنه قد رُمِيَ ، تقول أُمُّه : واجْبَلَاهُ !

(١) يقال : هو من أفناء الناس ، إذا لم يعلم من هو . (الصحاح ، ص ٢٤٥٧) .
(٢) الأكحل : عرق في اليد ، أو عرق الحياة . (القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٤٤) .
(٣) في الأصل : « درع خلوق » ؛ وما أثبتناه هو قراءة ب . والردع : أثر الطيب في الجسد . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٩) . والخلوق : طيب مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب ؛ وتغلب عليه الحمرة والصفرة . (النهاية ، ج ١ ، ص ٣١٧) .
(٤) الهيجا : الحرب . (الصحاح ، ص ٣٥٢) .
(٥) قال السهيلي : هو بيت تمثل به ، عني به حمل بن سعدانة بن حارثة بن معقل بن كعب ابن عليم بن جناب الكلبي . (الروض الأنف ، ج ٢ ، ص ١٩٢) .

ثم إنَّ رُوساءَهُم أَجْمَعُوا أَنْ يَغْدُوا جَمِيعاً ، فَعَدَا أَبُو سُفْيَانُ بْنُ حَرْبٍ ،
وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَعَمْرُو بْنُ
الْعَاصِ . وَهُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ ، وَنَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَخْزُومِيُّ ، وَعَمْرُو بْنُ
عَبْدٍ ، وَنَوْفَلُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الدِّيَلِيِّ ، فِي عِدَّةٍ ، فَجَعَلُوا يُطِيفُونَ بِالْخَنْدَقِ ؛ وَمَعَهُ
رُوسَاءُ غَطَفَانَ - عُيَيْنَةَ بْنُ حِصْنٍ ، وَمَسْعُودٌ^(١) بْنُ رُخَيْلَةَ ، وَالْحَارِثُ بْنُ
عَوْفٍ ؛ وَمَنْ سُلِّمَ رُوسَاوَهُمْ ؛ وَمَنْ بَنَى أَسَدُ طَلْحَةَ بْنِ خُوَيْلِدٍ . وَتَرَكَوا الرِّجَالَ
مِنْهُمْ خُلُوفاً ، يَطْلُبُونَ مَضِيقاً يُرِيدُونَ يَقْتَحِمُونَ خَيْلَهُمْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ ، فَانْتَهَوْا إِلَى مَكَانٍ^(٢) قَدْ أَغْفَلَهُ الْمُسْلِمُونَ ، فَجَعَلُوا
يُكْرِهُونَ خَيْلَهُمْ وَيَقُولُونَ : هَذِهِ الْمَكِيدَةُ ، مَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَصْنَعُهَا
وَلَا تَكِيدُهَا . قَالُوا^(٣) : إِنَّ مَعَهُ رَجُلًا فَارِسِيًّا ، فَهِيَ الذِّي أَشَارَ عَلَيْهِمْ بِهَذَا . قَالُوا :
فَمَنْ هُنَاكَ إِذَا ؟ فَغَبَرَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَنَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَضِرَارُ
ابْنُ الْخَطَّابِ ، وَهُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ ، وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ ، وَقَامَ سَائِرُ الْمُشْرِكِينَ
مِنْ وَرَاءِ الْخَنْدَقِ لَا يَعْبرُونَ ، وَقِيلَ لِأَبِي سُفْيَانٍ : أَلَا تَعْبِرُ ؟ قَالَ : قَدْ عَبَرْتُمْ ،
فَإِنْ احْتَجَمْتُمْ إِلَيْنَا عَبَرْنَا . فَجَعَلَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ يَدْعُو إِلَى الْبِرَازِ وَيَقُولُ :
وَلَقَدْ بُحِثْتُ مِنَ النَّدَا ۖ لَجْمَعَكُمْ هَلْ مِنْ مُبَارَزٍ
وَعَمْرُو يَوْمُئِذٍ نَائِرٌ ، قَدْ شَهِدَ بَدْرًا فَارْتُثَّ جَرِيحًا فَلَمْ يَشْهَدْ أَحَدًا ،
وَحَرَّمَ الدُّهْنَ حَتَّى يَشَارَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ كَبِيرٌ - يَقَالُ بَلِغْ
تِسْعِينَ سَنَةً . فَلَمَّا دَعَا إِلَى الْبِرَازِ قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنَا أُبَارِزُهُ يَا رَسُولَ
اللَّهِ ! ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . وَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ يَوْمُئِذٍ كَانُوا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ ، الْمَكَانُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « سَعُودُ بْنُ رَحِيلَةَ » ؛ وَالتَّصْحِيحُ مِنْ ب ، وَمِنْ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ .

(الاسْتِيعَابُ ، ص ١٣٩٢) .

(٢) فِي ب : « إِلَى مَكَانٍ ضَيْقٍ » .

(٣) فِي ب : « فَيَقُولُونَ » .

عمرو وشجاعته . فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيْفَهُ ، وَعَمَّمَهُ وَقَالَ :
اللَّهُمَّ أَعِنِّهِ عَلَيْهِ ! قَالَ : وَأَقْبَلَ عمرو يَوْمئِذٍ وهو فارسٌ وَعَلَى رَاجِلٍ ، فَقَالَ
له عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّكَ كُنْتَ تَقُولُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ : لَا يَدْعُونِي أَحَدٌ إِلَى وَاحِدَةٍ
مِنْ ثَلَاثٍ إِلَّا قَبْلَتْهَا ! قَالَ : أَجَل ! قَالَ عَلِيٌّ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَتُسَلِّمَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . قَالَ : يَا ابْنَ
أَخِي ، آخِرَ هَذَا عَنِّي . قَالَ : فَأُخْرَى ؛ تَرْجِعُ إِلَى بِلَادِكَ ، فَإِنْ يَكُنْ مُحَمَّدٌ
صَادِقًا كُنْتُ أَسْعَدَ [النَّاسَ] بِهِ ، وَإِنْ غَيْرَ ذَلِكَ كُنَ الَّذِي تُرِيدُ . قَالَ :
هَذَا مَا لَا تَتَحَدَّثُ بِهِ نِسَاءُ قُرَيْشٍ أَبَدًا ، وَقَدْ نَذَرْتُ مَا نَذَرْتُ وَحَرَّمْتُ
الدُّهْنَ . قَالَ : فَالثَّلَاثَةُ ؟ قَالَ : الْبِرَازُ . قَالَ فَضَحَكَ عمرو ثُمَّ قَالَ : إِنَّ
هَذِهِ الْخَصْلَةَ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ يَرُومُنِي عَلَيْهَا ! إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ
أَقْتُلَ مِثْلَكَ ، وَكَانَ أَبُوكَ لِي نَدِيمًا ؛ فَارْجِعْ ، فَأَنْتَ غُلَامٌ حَدَثٌ ، إِنَّمَا أَرَدْتُ
شَيْخِي قُرَيْشٍ ! أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرُ . قَالَ فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ
إِلَى الْمُبَارَاةِ فَإِنَّا أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ . فَأَسِيفَ عمرو وَنَزَلَ وَعَقَلَ فَرَسَهُ .

فَكَانَ جَابِرٌ يُحَدِّثُ يَقُولُ : فَدَنَا أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ وَثَارَتْ بَيْنَهُمَا
غَبْرَةٌ فَمَا نَرَاهُمَا ، فَسَمِعْنَا التَّكْبِيرَ تَحْتَهَا فَعَرَفْنَا أَنَّ عَلِيًّا قَتَلَهُ . فَانْكَشَفَ
أَصْحَابُهُ الَّذِينَ فِي الْخَنْدَقِ هَارِبِينَ ، وَطَفَرَتْ بِهِمْ خِيَلُهُمْ ، إِلَّا أَنَّ نَوْفَلَ
ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَقَعَ بِهِ فَرَسُهُ فِي الْخَنْدَقِ ، فَرُمِيَ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى قُتِلَ . وَرَجَعُوا
هَارِبِينَ ، وَخَرَجَ فِي أَثَرِهِمُ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَعَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَنَاشَوْهُمْ
سَاعَةً . وَحَمَلَ ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالرَّمْحِ ، حَتَّى إِذَا
وَجَدَ عَمْرُ مَسَّ الرَّمْحِ رَفَعَهُ عَنْهُ وَقَالَ : هَذِهِ نِعْمَةٌ مَشْكُورَةٌ ، فَأَخْفَظُهَا يَا ابْنَ
الْخَطَّابِ ! إِنِّي قَدْ كُنْتُ حَلَفْتُ لَا تَمَكِّنُنِي يَدَايَ مِنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ أَبَدًا .
فَانْصَرَفَ ضِرَارٌ رَاجِعًا إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ وَهُمْ قِيَامٌ عِنْدَ جَبَلِ بَنِي عُبَيْدٍ .

ويقال : حمل الزُبَيْر على نَوْفَل بن عبد الله بن المُغيرة بالسيف حتى شَقَّه
بائنين وقطع أُنْدُوج^(١) سَرَّجَه - والأُنْدُوج : اللَّبْدُ الذي يكون تحت السرج
- ويقال إلى كاهل الفرس . فقيل : يا أبا عبد الله ، ما رأينا سيفاً مثل
سيفك ! فيقول : والله ، ما هو بالسيف ولكنَّها الساعد . وهرب عِكْرِمَةُ وهُبَيْرَةُ
فلحقا بِأبي سُفْيَان ، وحمل الزُّبَيْرُ على هُبَيْرَةَ فضرب ثَفَرَ^(٢) فرسه فقطع
ثَفَرَ فرسه وسقطت دِرْعُ كان مُحَقِّبِهَا الفرس ، فأخذ الزُّبَيْرُ الدِرْعَ ، وفَرَّ
عِكْرِمَةُ وألَّتْ رُمَحَهُ . فلَمَّا رجعا إلى أَبِي سُفْيَان قال : هذا يومٌ لم يكن لنا فيه
شئٌ ، ارجعوا ! فنفرت^(٣) قُرَيْشٌ فرجعت إلى العقيق ، ورجعت غَطَفَان إلى
منازلها ، واتعدوا يغدون جميعاً ولا يتخلف منهم أحد . فباتت قُرَيْشٌ يُعَبِّثُونَ
أَصْحَابَهُمْ ، وباتت غَطَفَان يُعَبِّثُونَ أَصْحَابَهُمْ ، ووافوا رسول الله صَلَّى الله عليه
وسلَّم بِالْخَنْدَقِ قبل طلوع الشمس . وعَبَّأَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم
أَصْحَابَهُ وَنَضَّهُمْ على القتال ، ووعدهم النصر إن صَبَرُوا ، والمشركون قد
جعلوا المسلمين في مثل الْحِصْنِ من كتائبهم^(٤) فَأَخَذُوا بِكُلِّ وَجْهِ من الْخَنْدَقِ .

فحدثني الضَّحَّاك بن عُثْمَانَ ، عن عُبيد الله بن مِقْسَمٍ ، عن جابر بن
عبد الله قال : قاتلونا يومهم وفرَّقوا كتائبهم ، ونحوا إلى رسول الله صَلَّى الله عليه
وسلَّم كتيبةً غليظةً فيها خالد بن الوليد ، فقاتلهم يومه ذلك إلى هَوِيٍّ من
الليل ، ما يقدر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ولا أحدٌ من المسلمين أن يزولوا
من مواضعهم ، وما يقدر^(٥) رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم على صلاة الظُّهر

(١) في ب : « ائدوج » .

(٢) الثفر ، بالتحريك : السير في مؤخر السرج . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٣٨٣) .

(٣) في ب : « فتفرقت » .

(٤) في الأصل : « كتائبهم » ؛ والتصحيح من نسخة ب .

(٥) في ب : « وما قدر » .

ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء ، فجعل أصحابه يقولون : يا رسول الله ، ما صلينا ! فيقول : ولا أنا والله ما صليت ! حتى كشفهم الله تعالى فرجعوا متفرقين . فرجعت قُرَيْشٌ إلى منزلها ، ورجعت غَطَفَانٌ إلى منزلها ، وانصرف المسلمون إلى قُبَّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأقام أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ عَلَى الْخَنْدَقِ فِي مَائَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَهَمَّ عَلَى شَفِيرِ الْخَنْدَقِ إِذْ كَرَّتْ خَيْلُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَطْلُبُونَ غُرَّةً ، عَلَيْهِمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ؛ فَنَاشَوْهُمْ سَاعَةً وَمَعَ الْمُشْرِكِينَ وَحْشَى ، فَزَرَقَ الطُّفَيْلُ بْنُ النُّعْمَانِ مِنْ بَنِي سَلِيمَةَ بِمِزْرَاقِهِ فَقَتَلَهُ ، فَكَانَ يَقُولُ : أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى حِمَزَةَ وَالطُّفَيْلَ بِحَرْبَتِي وَلَمْ يُهْنِي بِأَيْدِيهِمَا . فَلَمَّا صَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَوْضِعِ قُبَّتِهِ أَمَرَ بِإِلَاقَةِ فَاذَنٍ . وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ : أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاذَنَ وَأَقَامَ لِلظَّهْرِ ، وَأَقَامَ بَعْدُ لِكُلِّ صَلَاةٍ إِقَامَةً .

وقد حدثني ابنُ أبي ذئبٍ - وهو أثبت الحديثين عندنا - قال : أخبرني الْمُقْبَرِيُّ ، عن عبد الرحمن بن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، عن أبيه قال : جلسنا يومَ الْخَنْدَقِ حتى كان بعد المغرب بهَوِيٍّ مِنَ اللَّيْلِ حتى كُفِينَا ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ (١) . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإِلَاقَةِ فَاذَنِهِ ، فَأَقَامَ صَلَاةَ الظَّهْرِ فَصَلَّاهَا كَأَحْسَنِ مَا كَانَ يُصَلِّيُهَا فِي وَقْتِهَا . ثُمَّ أَقَامَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَصَلَّاهَا كَأَحْسَنِ مَا كَانَ يُصَلِّيُهَا فِي وَقْتِهَا ، ثُمَّ أَقَامَ الْمَغْرِبَ فَصَلَّاهَا كَأَحْسَنِ مَا كَانَ يُصَلِّيُهَا فِي وَقْتِهَا ، ثُمَّ أَقَامَ الْعِشَاءَ فَصَلَّاهَا كَأَحْسَنِ مَا كَانَ يُصَلِّيُهَا فِي وَقْتِهَا . قَالَ : وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ صَلَاةَ الْخَوْفِ : ﴿ فَرَجُلًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ (٢) .

(١) سورة الأحزاب ٣٣ .

(٢) سورة البقرة ٢٣٩ .

وكان ابن عباس يُحدِّث يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : شغلنا المشركون عن صلاة الوسطى - يعنى العصر - ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا !

وأرسلت بنو مخزوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون جيفة نوفل ابن عبد الله يشترونها بالدية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما هي جيفة حمار ! وكره ثمنه . فلما انصرف المشركون تلك الليلة لم يكن لهم قتالٌ جميعاً حتى انصرفوا ، إلا أنهم لا يدعون يبعثون الطلائع بالليل ، يطعمون في الغارة . وخرجت بعد ذلك طليعتان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً ، فالتقيا ولا يشعر بعضهما ببعض ، ولا يظنون إلا أنهم العدو ، فكانت بينهم جراحة وقُتل ؛ ولسنا نعرف من قُتل ولم يُسم لنا . ثم نادوا بشعار الإسلام ، وكف بعضهم عن بعض ، وكان شعارهم : حم لا يُنصرون ! فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جراحكم في سبيل الله ، ومن قُتل منكم فإنه شهيد . فكانوا بعد ذلك إذا دنا المسلمون بعضهم من بعض نادوا بشعارهم ؛ لأن يكف بعضهم عن بعض ، فلا يرمون بنبل ولا بحجر . كانوا يُطيفون بالخندق بالليل حتى الصباح يتناوبون ، وكذلك يفعل المشركون أيضاً ، يُطيفون بالخندق حتى يُصبحوا . قال : فكان رجالٌ من أهل العوالى يطلعون إلى (١) أهليهم ، فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أخاف عليكم بنى قريظة . فإذا ألحوا في كثرة ما يستأذنونهم يقول : من ذهب منكم فليأخذ سلاحه فإنى لا آمن بنى قريظة ، هم على طريقكم . وكان كل من يذهب منهم إنما يسلكون على سلع حتى يدخلوا المدينة ، ثم يذهبون إلى العالية .

(١) ف ب : « يطلعون أهليهم » .

فحدثني مالك بن أنس ، عن صفيو مولى ابن أفلح ، عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته فوجده يُصلي ، قال : فجلستُ أنتظره حتى يقضى صلاته . قال : فسمعتُ تحريكاً تحت سريره في بيته فإذا حيّة ، فقمّت لأقتلها فأشار إليّ أن اجلس . فلما جلستُ سلّم وأشار إلى بيت في الدار ، فقال لي : أتري هذا البيت ؟ فقلت : نعم . فقال : إنه كان فيه فتى حديثُ عهدٍ بعُرس ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى الخندق فكان يستأذنه بأنصاف النهار ليطلع إلى أهله ، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ سلاحك فإنني أخشى عليك بني قُرَيْظَةَ . قال : فأخذ الرجلُ سلاحه وذهب فإذا امرأته قائمة بين البابين ، فهيأ لها الرمح ليطعنّها ، وأصابته غيرةٌ فقالت : اكفُفْ عليك رُمحك حتى تَرى ما في بيتك ! فكفّ ودخل فإذا هو بحيّةٍ منطوية على فراشه ، فركز فيها رمحه فانتظمها فيه ، ثم خرج به فنصبه في الدار ، فاضطربت الحيّة في رأس الرمح وخرّ الفتى ميتاً ، فما ندري أيّهما كان أسرع موتاً ، الفتى أو الحيّة . قال أبو سعيد : فجئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقلنا : يا رسول الله ، ادعُ الله أن يُحييه . فقال : استغفروا لصاحبكم . ثم قال : إنّ بالمدينة جنّاً قد أسلموا ، فإذا رأيتم منهم شيئاً فأذنوه ثلاثة أيّام ، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان .

فحدثني قدامة بن موسى ، عن عائشة بنت قدامة ، عن أبيها ، قال : بعثنا ابنَ أختنا ابنَ عمر يأتينا بطعامٍ ولُحْفٍ وقد بلغنا من الجوع والبرد ، فخرج ابنُ عمر حتى إذا هبط . من سلح - وذلك ليلاً - غلبته عيناه فنام حتى أصبح . فاهتممنا به فخرجتُ أطلبه فأجده نائماً ، والشمس قد ضحّتْهُ ، فقلتُ : الصلاة ، أصليتَ اليوم ؟ قال : لا . قلتُ : فصل . فقام سريعاً

إلى الماء ، وذهبتُ إلى منزلنا بالمدينة فجئتُ بتمرٍ ولحف واحد ، فكنا نلبس ذلك اللحف جميعاً - مَنْ قام منّا في المَحْرَس ذهب مقروراً ثم رجع حتى يدخل في اللحف ، حتى فرّج الله ذلك . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُصِرْتُ بالصِّبَا وأهْلِكْتُ عادٌ بالدَّبُور .

وكان ابن عبّاس رضى الله عنه يقول : جاءت الجنوب إلى الشمال فقالت : انطلقى بنصر الله ورسوله . فقالت الشمال : إِنَّ الحرّة لا تَسْرَى بليل . فبعث الله عزّ وجلّ الصِّبَا ، فأطفأت نيرانهم وقطعت أطناب فساطيطهم . حدّثنى عمر بن عبد الله بن رباح الأنصاريّ ، عن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع ، من بنى عديّ بن النجّار ، قال : كان المسلمون قد أصابتهم مجاعةٌ شديدة ، فكان أهلهم يبعثون إليهم بما قدّروا عليه ، فأرسلت عمرة بنت ربيعة ابنتها بجفنة تمرٍ عجوةٍ في ثوبها ، فقالت : يا بُنية ، اذهبي إلى أبيك بشير بن سعد ، وخالك عبد الله بن ربيعة بغدائهما . فانطلقت الجارية حتى تأتّى الخندق ، فتجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في أصحابه وهي تلتمسهما ، فقال : تعالِ يا بُنية ، ما هذا معك ؟ قالت : بعثتني أمي إلى أبي وخالى بغدائهما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتيه ! قالت : فأعطيته فأخذه في كفيه ، ثم أمر بثوبٍ فبسط له ، وجاء بالتمر فنشره عليه فوق الثوب ، فقال لجُعَال بن سُراقَة : نادِ(١) بأهل الخندق أن هلمّ إلى الغداء . فاجتمع أهل الخندق عليه يأكلون منه ، حتى صدر أهل الخندق وإنه لَيَفِيضُ مِنْ أطراف الثوب .

وحدّثنى شعيب بن عبادة ، عن عبد الله بن مُعَتَّب ، قال : أرسلت

(١) في ب ، ت « اصرخ بأهل الخندق » .

أُمّ عامر الأشْهَلِيَّة بِقَعْبَةٍ فِيهَا حَيْثُ^(١) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي قُبَّتِهِ وَهُوَ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ ، فَأَكَلَتْ أُمُّ سَلَمَةَ حَاجَتَهَا ، ثُمَّ خَرَجَ بِالْبَقِيَّةِ فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَشَائِهِ ، فَأَكَلَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ حَتَّى نَهَلُوا وَهِيَ كَمَا هِيَ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ : حُصِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ بِضَعِّ عَشْرَةِ حَتَّى خَلُصَ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ الْكَرْبُ ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِن تَشَأْ لَا تُعَبِّدَ ! فَبَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْحَالِ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عِيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ وَإِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَوْفٍ - وَلَمْ يَحْضُرِ الْخَنْدَقِ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ وَلَا قَوْمُهُ ، وَيُقَالُ حَضَرَهَا الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ . قَالَ ابْنُ وَاقِدٍ : وَهُوَ أَثْبَتُ الْقَوْلَيْنِ عِنْدَنَا . وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ وَإِلَى عِيَيْنَةَ : أَرَأَيْتَ إِنْ جَعَلْتُ لَكُمْ ثُلُثَ تَمَرِ الْمَدِينَةِ تَرْجِعَانِ بَيْنَ مَعَكُمْ وَتُخَذِّلَانِ بَيْنَ الْأَعْرَابِ ؟ قَالَا : تُعْطِينَا نَصِيفَ تَمَرِ الْمَدِينَةِ . فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَزِيدَهُمَا عَلَى الثُّلُثِ ، فَرَضِيَا بِذَلِكَ وَجَاءَا فِي عَشْرَةٍ مِنْ قَوْمِهِمَا حِينَ^(٢) تَقَارَبَ الْأَمْرُ ، فَجَاءُوا وَقَدْ أَحْضَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ وَأَحْضَرَ الصَّحِيفَةَ وَالِدَاوَةَ ، وَأَحْضَرَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَأَعْطَاهُ الصَّحِيفَةَ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَكْتُبَ الصَّلَاحَ بَيْنَهُمْ ، وَعَبَّادُ بْنُ بَشِيرٍ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْتَبِعٌ فِي الْحَدِيدِ . فَأَقْبَلَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الحيس : تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ثم يندر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق .

(القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٠٩) .

(٢) فِي ب : « حَتَّى » .

ولا يدري بما كان من الكلام ، فلما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء غِيَيْْنَةٌ ماداً رِجْلَيْهِ بَيْنَ يَدَي رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم وعلم ما يُريدون ، فقال : يا عَيْنَ الهَجْرَس^(١) ، اقْبِضْ رِجْلَيْكَ ! أتمدّ رِجْلَيْكَ بَيْنَ يَدَي رَسولِ الله ؟ ومعه الرمح . والله ، لولا رسولُ الله لَأَنفَذْتُ خِصِيَّتَيْكَ بِالرُّمَحِ ! ثم أَقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن كان أَمراً من السماء فامضِ له ، وإن كان غير ذلك فوالله لا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ ! متى طَمِعُوا^(٢) بهذا منا ؟ فأسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا سعد بن مُعَاذ وسعد بن عُبادَةَ فاستشارهما في ذلك ، وهو مُتَكَيِّئٌ عليهما ، والقومُ جُلُوسٌ ، فتكلّم بكلامٍ يُخْفِيهِ ، وأخبرهما بما قد أراد من الصلح . فقالا : إن كان هذا أَمراً من السماء فامضِ له ، وإن كان أَمراً لم تُؤْمَرْ فيه ولك فيه هَوًى فامضِ لما كان لك فيه هَوًى ، فسمعاً وطاعةً ، وإن كان إنما هو الرأى فما لهم عندنا إِلَّا السَّيْفُ . وأخذ سعد بن مُعَاذ الكتاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني رَأَيْتُ العَرَبَ رَمَتْكُمْ عِرَ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ فَقُلْتُ أَرْضِيهِمْ وَلَا أَقَاتِلُهُمْ . فقالا : يا رسول الله ، إن كانوا لَيَأْكُلُونَ العُلْهَ^(٣) في الجاهلية مِنَ الجَهْدِ ، ما طَمِعُوا بهذا منا قَطُّ . أن يأخذوا تَمْرَةً إِلَّا بِشِرْىَ أَوْ قِرْىَ ! فحين أَنانا الله تعالى بك ، وأكرمنا بك ، وهَذَانا بك نُعْطِي الدَّيْنَةَ ! لا نُعْطِيهِمْ أَبَداً إِلَّا السَّيْفَ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شُقَّ الكتاب . فَتَفَلَّ سعد فيه ، ثم شَقَّه وقال : بيننا السَّيْفُ ! فقام غِيَيْْنَةٌ وهو يقول : أَمَا وَاللَّهِ لَلَّتِي تَرَكْتُمْ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْخُطَّةِ الَّتِي أَخَذْتُمْ ،

(١) الهجرس : ولد الثعلب ، والهجرس أيضاً القرد . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٤٠) .

(٢) في الأصل : « متى طمعم بهذا منا » ؛ وما أثبتناه من نسخة ب .

(٣) العلهز : هو شيء يتخذونه في سنى المجاعة ، يخلطون الدم بأوبار الإبل ثم يشوونه بالنار ويأكلونه ، وقيل كانوا يخلطون فيه القردان . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٢٤) .

وما لكم بالقوم طاقة . فقال عباد بن بشر : يا عُيَيْنَةَ ، أبا السيف تُخَوِّفُنَا ؟
 ستعلم أَيْنَا أَجْزَع ! وإِلَّا فوالله لقد كنت أنت وقومك تأكلون العذير
 والرِّمَّةَ ^(١) من الجهد فتأتون هاهنا ما تطمعون بهذا مَنَّا إِلَّا قَرِيٌّ أَوْ شَرِيٌّ ،
 ونحن لا نعبد شيئاً ، فلمَّا هدانا الله وأَيَّدنا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 سألتمونا هذه الخُطَّة ! أما والله ، لولا مكانُ رسولِ الله ما وصلتم إلى قومكم .
 فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ارجعوا ، بيننا السيف ! رافعاً صوته .
 فرجع عُيَيْنَةُ والحارث وهما يقولان : والله ، ما نرى أن نُدرك منهم شيئاً ،
 ولقد أُنْهِجَتْ للقوم بصائرُهم ! والله ، ما حضرتُ إِلَّا كُرْهًا
 لقومٍ غلبوني ، وما مُقامنا بشيء ، مع أنَّ قُرَيْشًا إن علمت بما عرضنا
 على مُحَمَّدٍ عَرَفَتْ أَنَّنا قد خذلناها ولم ننصرها . قال عُيَيْنَةُ : هو والله ذلك !
 قال الحارث : أما إِنَّا لم نُصِبْ بتعرضنا لنُصِرَ قُرَيْشٌ على مُحَمَّدٍ ، والله
 لئن ظهرت قُرَيْشٌ على مُحَمَّدٍ لَيَكُونَنَّ الأمرُ فيها دون سائر العرب ، مع أنَّي
 أَرَى أمرَ مُحَمَّدٍ أَمْرًا ظاهرًا . والله ، لقد كان أحبارُ يهود خيبرَ وإنهم يُحدثون
 أنهم يجدون في كُتُبهم أَنه يُبْعَثُ نبيٌّ من الحَرَمِ على صفته . قال عُيَيْنَةُ :
 إِنَّا والله ما جئنا ننصر قُرَيْشًا ، ولو استنصرنا قُرَيْشًا ما نصرتنا ولا خَرَجَتْ
 معنا مِن حَرَمِها . ولكني كنتُ أَطمعُ أَن نأخذ تمر المدينة فيكون لنا به ذِكْرٌ
 مع ما لنا فيه من منفعة الغنيمة ، مع أَنَّا ننصر حُلَفَاءَنَا مِنَ الْيَهُودِ فهم
 جَلَبُونَا إِلَى ما هَاهُنَا . قال الحارث : قد والله أَبَتِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ إِلَّا
 السيف ، والله لَتَقَاتِلَنَّ ^(٢) عَنْ هذا السَّعَفِ ، ما بَقِيَ مِنْهَا رَجُلٌ مُقِيمٌ ^(٣) ، وقد أَجَاءَ .

(١) الرمة ، بالكسر : العظام البالية . (القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ١٢٢) .

(٢) في الأصل : « لتقاتلن على » ؛ وما أثبتناه من نسخة ب .

(٣) في ب : « مقيم مقامنا » .

الجنابُ وهلك الخُف والكُراع . قال عُيَيْنَةُ : لا شيء . فلما أتيا منزلهما
جاءتهما غَطَفَانُ فقالوا : ما وراءكم ؟ قالوا : لم يَتَمَّ الأمرُ ؛ رأينا قوماً على
بَصِيرَةٍ وبَذَلِ أَنْفُسِهِمْ دُونَ صَاحِبِهِمْ ، وَقَدْ هَلَكْنَا وَهَلَكْتَ قُرَيْشُ ، وَقُرَيْشُ
تَنْصَرِفُ وَلَا تُكَلِّمُ مُحَمَّدًا ! وَإِنَّمَا يَقَعُ حَرُّ مُحَمَّدٍ بِنِي قُرَيْظَةَ ؛ إِذَا وَلَّيْنَا
جَنَمَ عَلَيْهِمْ فَحَصَرَهُمْ جَمْعَةٌ حَتَّى يُعْطُوا بِأَيْدِيهِمْ . قال الحارث : بُعْدًا وَسُحْقًا !
محمدٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْيَهُودِ .

ذِكْرُ نَعِيمِ بْنِ مَسْعُودٍ

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَاصِمٍ الْأَشْجَعِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ نَعِيمُ بْنُ
مَسْعُودٍ : كَانَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ أَهْلَ شَرَفٍ وَأَمْوَالٍ ، وَكُنَّا قَوْمًا عَرَبًا ، لَا نَخْلُ لَنَا
وَلَا كَرَمٌ ، وَإِنَّمَا نَحْنُ أَهْلُ شَاةٍ وَبَعِيرٍ . فَكُنْتُ أَقْدَمُ عَلَى كَعْبِ بْنِ أَسَدٍ ،
فَأَقِيمَ عِنْدَهُمُ الْآيَامَ ، أَشْرَبُ مِنْ شَرَابِهِمْ وَآكُلُ مِنْ طَعَامِهِمْ ، ثُمَّ يُحْمَلُونِي
تَمْرًا عَلَى رِكَابِي مَا كَانَتْ ، فَأَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي . فَلَمَّا سَارَتِ الْأَحْزَابُ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرْتُ مَعَ قَوْمِي ، وَأَنَا عَلَى دِينِي ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَارِفًا ، فَأَقَامَتِ الْأَحْزَابُ مَا أَقَامَتْ حَتَّى أَجْدَبَ الْجَنَابُ
وَهَلَكَ الْخُفُّ وَالْكُراع ، وَقَذَفَ اللَّهُ عِزَّيَّ وَجَلَّ فِي قَلْبِي الْإِسْلَامُ . وَكُتِمْتُ قَوْمِي
إِسْلَامِي ، فَأَخْرَجُ حَتَّى آتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ
وَأَجِدُهُ يُصَلِّي ، فَلَمَّا رَأَيْتُ جُلُوسَ شِمٍ قَالَ : مَا جَاءَ بِكَ يَا نَعِيمُ ؟ قُلْتُ : إِنِّي
جِئْتُ أَصَدِّقَكَ وَأَشْهَدُ أَنَّ مَا جِئْتُ بِهِ حَقٌّ ، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
فَوَاللَّهِ لَا تَأْمُرْنِي بِأَمْرٍ إِلَّا مَضَيْتُ لَهُ ؛ قَوْمِي لَا يَعْلَمُونَ بِإِسْلَامِي وَلَا غَيْرِهِمْ .
قَالَ : مَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تُخَذِّلَ النَّاسَ فَخَذَّلْ ! قَالَ ، قُلْتُ : أَفْعَلُ ، وَلَكِنْ

يا رسول الله أَقُولُ فَأَذْنُ لِي . قال : قُلْ ما بدا لك فَأَنْتَ فِي حِلٍّ . قال :
 فذهبتُ حتى جئتُ بنِي قُرَيْظَةَ ، فلَمَّا رَأَوْنِي رَحَّبُوا وَأَكْرَمُوا وَحَيَّوْا وَعَرَضُوا عَلَيَّ
 الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ ، فَقُلْتُ : إِنِّي لَمْ آتِ لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا ؛ إِنَّمَا جِئْتُكُمْ نَصَبًا
 بِأَمْرِكُمْ ، وَتَخَوُّفًا عَلَيْكُمْ ؛ لِأُشِيرَ عَلَيْكُمْ بِرَأْيٍ ، وَقَدْ عَرَفْتُمْ وَدَّى إِيَّاكُمْ وَخَاصَّةً
 مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ . فقالوا : قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ وَأَنْتَ عِنْدَنَا عَلَى مَا تُحِبُّ مِنَ الصَّدَقِ
 وَالْبَرِّ . قال : فَاکْتُمُوا عَنِّي . قالوا : نَفْعَلُ . قال : إِنَّ أَمْرَ هَذَا الرَّجُلِ بَلَاءٌ
 - يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَنَعَ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ بَنِي قَيْنُقَاعَ وَبَنِي
 النَّضِيرِ ، وَأَجْلَاهُمْ عَنْ بِلَادِهِمْ بَعْدَ قَبْضِ الْأَمْوَالِ . وَكَانَ ابْنُ أَبِي الْحَقِيقِ
 قَدْ سَارَ فِينَا فَاجْتَمَعْنَا مَعَهُ لِنَصْرِكُمْ ، وَارَى الْأَمْرَ قَدْ تَطَاوَلَ كَمَا تَرُونَ ،
 وَإِنكُمْ وَاللَّهِ ، مَا أَنْتُمْ وَقُرَيْشٌ وَغَطَفَانٌ مِنْ مُحَمَّدٍ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ أَمَّا قُرَيْشٌ
 وَغَطَفَانٌ فَهُمْ قَوْمٌ جَاءُوا سَيَّارَةً حَتَّى نَزَلُوا حَيْثُ رَأَيْتُمْ ، فَإِنْ وَجَدُوا فُرْصَةً
 انْتَهَزُوهَا ، وَإِنْ كَانَتْ الْحَرْبُ ، أَوْ أَصَابَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ انْشَمَرُوا إِلَى بِلَادِهِمْ .
 وَأَنْتُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ ، الْبَلَدُ بِلَدِكُمْ فِيهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ ،
 وَقَدْ غُلِظَ عَلَيْهِمْ جَانِبُ مُحَمَّدٍ ، أَجْلَبُوا عَلَيْهِ أَمْسَ إِلَى اللَّيْلِ ، فَقَتَلَ رَأْسَهُمْ
 عَمْرُو بْنُ عَبْدِ ، وَهَرَبُوا مِنْهُ ^(١) ، مُجَرَّحِينَ وَهُمْ لَا غَنَاءَ ^(٢) بِهِمْ عَنْكُمْ ؛ لِمَا تَعْرِفُونَ
 عِنْدَكُمْ . فَلَا تُقَاتِلُوا مَعَ قُرَيْشٍ وَلَا غَطَفَانٍ حَتَّى تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْنًا مِنْ
 أَشْرَافِهِمْ تَسْتَوْتِقُونَ بِهِ مِنْهُمْ أَلَّا يَنَاجِزُوا مُحَمَّدًا قَالُوا : أَشَرْتُ
 بِالرَّأْيِ عَلَيْنَا وَالنُّصْحُ . وَدَعَوْا لَهُ وَتَشَكَّرُوا ، وَقَالُوا : نَحْنُ فَاعِلُونَ . قال :
 وَلَكِنْ اكْتُمُوا عَنِّي . قالوا : نَعَمْ ، نَفْعَلُ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ بْنِ
 حَرْبٍ فِي رَجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ : يَا أَبَا سُفْيَانَ ، قَدْ جِئْتُكَ بِنَصِيحَةٍ فَافْكُم
 عَنِّي . قال : أَفْعَلُ . قال : تَعْلَمُ أَنَّ قُرَيْظَةَ قَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ

(١) فِي ب : « هَرَبُوا مِنْهُ هَرَبًا » .

(٢) فِي ب : « لَا غَنَاءَ بِهِمْ » .

وبين محمد ، وأرادوا إصلاحه ومراجعته . أرسلوا إليه وأنا عندهم : إنا سنأخذ من قريش وغطفان من أشرفهم سبعين رجلاً نسلمهم إليك تضرب أعناقهم وترد جناحنا الذي كسرت إلى ديارهم - يعنون بني النضير - ونكون معك على قريش حتى نردهم عنك . فإن بعثوا إليكم يسألونكم رهناً فلا تدفعوا إليهم أحداً واحذروهم على أشرافكم ، ولكن اكتبوا عني ولا تذكروا من هذا حرفاً . قالوا : لا نذكره . ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان ، إني رجل منكم فاكتبوا عني ، واعلموا أن قريظة بعثوا إلى محمد - وقال لهم مثل ما قال لقريش - فاحذروا أن تدفعوا إليهم أحداً من رجالكم . وكان رجلاً منهم فصدقه ، وأرسلت اليهود غزال بن سموأل إلى أبي سفيان بن حرب وأشرف قريش : إن ثواءكم قد طال ولم تصنعوا شيئاً وليس الذي تصنعون برأى ، إنكم لو وعدتمونا يوماً ترحضون^(١) فيه إلى محمد ، فتأتون من وجه وتأتى غطفان من وجه ونخرج نحن من وجه آخر ، لم يفلت من بعضنا . ولكن لا نخرج معكم حتى ترسلوا إلينا برهان من أشرافكم يكونون عندنا ، فإننا نخاف إن مستكم الحرب وأصابكم ما تكرهون شمرتم وتركتمونا في عُقر دارنا وقد نابذنا محمدًا بالعداوة . فانصرف الرسول إلى بني قريظة ولم يرجعوا إليهم شيئاً ، وقال أبو سفيان : هذا ما قال نعيم . فخرج نعيم إلى بني قريظة فقال : يا معشر بني قريظة ، أنا عند أبي سفيان حتى جاء رسولكم إليه يطلب منه الرهان ، فلم يرد عليه شيئاً فلما ولي قال : لو طلبوا مني عناقاً^(٢) ما رهنيتها ! أنا أرهنهم سراة أصحابي يدفعونهم إلى محمد يقتلهم ! فارتأوا آراءكم حتى تأخذوا الرهن ، فإنكم إن لم تقتاتلوا محمدًا وانصرف أبو سفيان تكونوا على مواعدتكم^(٣) الأولى . قالوا :

(١) في ب : « ترحضون » .

(٢) العناق : الأنثى من أولاد المعز . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٦٩) .

(٣) في ب : « مواعدتكم » .

ترجو ذلك يا نعيم ؟ قال : نعم . قال كعب بن أسد : فإننا لا نُقاتله .
والله ، لقد كنتُ لهذا كارهاً ولكن حَيَّ رجلٌ مششوم . قال الزبير بن باطا :
إن انكشفت قُريش وعُطْفان عن محمدٍ لم يقبل منا إلاَّ السيف . قال
نعيم : لا تخش ذلك يا أبا عبد الرحمن . قال الزبير : بلى والتورة ،
ولو أصابت اليهود رأيها ولَحِم الأمر لتخرجنَّ إلى محمدٍ ولا يطلبون من
قُريش رهناً ، فإنَّ قُريشاً لا تُعطينا رهناً أبداً ، وعلى أيَّ وجه تُعطينا قُريش
الرهن وعَدَدُهم أكثرُ من عددنا ، ومعهم كُراعٌ ولا كُراع معنا ، وهم يقديرون
على الهرب ونحن لا نقدر عليه ؟ وهذه عُطْفان تطلب إلى محمدٍ أن يُعطيها
بعض تمر الأوس وتنصرف ، فأبى محمدٌ إلاَّ السيف ، فهم ينصرفون بغير
شيء . فلما كان ليلة السبت كان ممّا صنع الله تعالى لنبيه أن قال أبو
سُفيان : يا معشر قُريش ، إنَّ الجَناب قد أَجْدَبَ ، وهَلَك الكُراع والخُفُّ ،
وغدرت اليهود وكذبت ، وليس هذا بِحِين مُقام فأنصروا ! قالت قُريش :
فَاعْلَمْ عِلْمَ اليهود واستيقنْ خبرهم . فبعثوا عِكرِمة بن أبي جهل حتى جاء
بني قُريظَةَ عند غروب الشمس مساءً ليلة السبت فقال : يا معشر اليهود
إنه قد طال المُكثُ وجهَد الخُفُّ والكُراع وأَجْدَبَ الجَناب ، وإنَّا لسنا
بدار مُقامة ، اخرجوا إلى هذا الرجل حتى نُناجزه بالغداة . قالوا : غداً
السبت لا نُقاتل ولا نعمل فيه عملاً ، وإنَّا مع ذلك لا نُقاتل معكم إذا
انقضى سبتنا حتى تُعطينا رهاناً من رجالكم يكونون معنا لئلا تَبْرَحوا حتى
نُناجزَ محمدًا ، فإنَّا نَخْشَى إن أصابتكم الحربُ أن تُشْمَرُوا إلى بلادكم
وتَدْعونا وإيَّاه في بلادنا ولا طاقةَ لنا به ، معنا الدَّارِيُّ والنِّساءُ والأموال .
فرجع عِكرِمةُ إلى أبي سُفيان فقالوا : ما وراءك ؟ قال : أحلفُ بالله إنَّ
الخبر الذي جاء به نعيمٌ حقٌّ ، لقد غَدَر أعداءُ الله . وأرسلت عُطْفان إليهم

مسعود بن رُخيلة في رجالٍ منهم بمثل رسالة أبي سُفيان ، فأجابوهم بمثل جواب أبي سُفيان . وقالت اليهود حيث رأوا ما رأوا منهم : نحلف بالله إنَّ الخبر الذي قال نُعيمٌ لحقٌ . وعرفوا أنَّ قُرَيْشاً لا تُقيم فسقط . في أيديهم ، فكرَّ أبو سُفيان إليهم وقال : إنَّا والله لا نفعل ، إن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت اليهود مثل قولهم الأوَّل ، وجعلت اليهود تقول : الخبر ما قال نُعيم . وجعلت قُرَيْشٌ وغطفان تقول : الخبر ما قال نُعيم . ويثس هؤلاء من نصّر هؤلاء ، ويثس هؤلاء من نصّر هؤلاء ، واختلف أمرهم ، فكان نُعيمٌ يقول : أنا خذلتُ بين الأحزاب حتى تفرّقوا في كلِّ وجه ، وأنا أمينُ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم على سرِّه . فكان صحيح الإسلام بعدُ .

فحدّثني موسى بن محمّد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : لما قالت قُرَيْظَةُ لِعِكْرِمَةَ بن أبي جهل ما قالت ، قال أبو سُفيان بن حربٍ لحَيٍّ ابن أخطَب : أين ما وعدّتنا من نصّر قومك ؟ قد خلدونا وهم يريدون الغدر بنا ! قال حَيٌّ : كلاً والتوراة ، ولكن السبب قد حضر ونحن لا نكسر السبب ، فكيف ننصّر على محمّدٍ إذا كسرنا السبب ؟ فإذا كان يوم الأحد اغدوا^(١) على محمّد وأصحابه بمثل حرق النار . وخرج حَيٌّ بن أخطَب حتى أتى بني قُرَيْظَةَ فقال : فداءكم أبي وأُمّي ، إنَّ قُرَيْشاً قد اتّهمتكم بالغدر واتّهموني معكم ، وما السبب لو كسرتموه لِمَا قد حضر من أمر عدوكم ؟ قال : فغضب كعب بن أسد ، ثم قال : لو قتلهم محمّد حتى لا يبقى منهم أحدٌ ما كسرنا سبتنا . فرجع حَيٌّ إلى أبي سُفيان بن حرب فقال : ألم أخبرك يا يهودي أنَّ قومك يريدون الغدر ؟ قال حَيٌّ : لا والله ، ما يريدون الغدر ، ولكنهم يريدون الخروج يوم الأحد . فقال أبو سُفيان :

(١) في ب : « عدوا على محمّد » .

وما السبب ؟ قال : يوم من أيامهم يُعْظَمُونَ القتال فيه ، وذلك أَنَّ سِبْطاً مِمَّا أَكَلُوا الْحَيْتَانَ يوم السبت فمسخهم الله قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ . قال أبو سُفْيَان : لا أَرَانِي أَسْتَنْصِرُ بِأُخُوَّةِ الْقِرْدَةِ وَالْخَنَازِيرِ ! ثم قال أبو سُفْيَان : قد بعثتُ عِكْرِمَةَ بنَ أَبِي جَهْلٍ وَأَصْحَابَهُ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا : لا نُقَاتِلُ حَتَّى تَبْعَثُوا لَنَا ^(١) بِالرَّهَانِ مِنْ أَشْرَافِكُمْ . وقبل ذلك ما جَاءَنَا غَزَالُ بنِ سَمَوَّالٍ بِرِسَالَتِهِمْ . قال أبو سُفْيَان : أَحْلَفُ بِاللَّاتِ إِنْ هُوَ إِلَّا غَدَرَكُمْ ، وَإِنِّي لَأَحْسِبُ أَنَّكَ قد دَخَلْتَ فِي غَدَرِ الْقَوْمِ ! قال حُيَيٌّ : وَالتَّوْرَةِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى يَوْمَ طُورِ سَيْنَاءَ مَا غَدَرْتُ ! وَلَقَدْ جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ قَوْمٍ هُمْ أَعْدَى النَّاسِ لِمُحَمَّدٍ وَأَحْرَضُهُمْ عَلَى قِتَالِهِ ، وَلَكِنْ مَا مُقَامُ يَوْمٍ وَاحِدٍ حَتَّى يَخْرُجُوا مَعَكَ ! قال أبو سُفْيَان : لا وَاللَّهِ وَلَا سَاعَةَ ، لَا أَقِيمُ بِالنَّاسِ انْتِظَارَ غَدَرِكُمْ . حَتَّى خَافَ حُيَيُّ ابْنَ أَخْطَبٍ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَبِي سُفْيَانٍ ، فَخَرَجَ مَعَهُمْ مِنَ الْخَوْفِ حَتَّى بَلَغَ الرُّوحَاءَ ، فَمَا رَجَعَ إِلَّا مُتَسَرِّقاً لِيَمَّا أُعْطِيَ كَعْبُ بنُ أَسَدٍ مِنْ نَفْسِهِ لِيَرْجِعَنَّ إِلَيْهِ ، فَدَخَلَ مَعَ بَنِي قُرَيْظَةَ حِصْنَهُمْ لَيْلاً وَيَجِدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ زَفَ لَهُمْ سَاعَةَ وَلَّتِ الْأَحْزَابُ .

فَحَدَّثَنِي صَالِحُ بنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِي كَعْبِ الْقُرَظِيِّ ، قَالَ : كَانَ حُيَيُّ بنُ أَخْطَبٍ قَالَ لِكَعْبِ بنِ أَسَدٍ حِينَ جَاءَهُ ، وَجَعَلَ كَعْبٌ يَأْتِي فَقَالَ حُيَيٌّ : لَا تُقَاتِلْ حَتَّى تَأْخُذَ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ رِهَانًا عِنْدَكُمْ . وَذَلِكَ مِنْ حُيَيٍّ خَدِيعَةٌ لِكَعْبٍ حَتَّى يَنْقُضَ الْعَهْدَ ، وَعَرَفَ أَنَّهُ إِذَا نَقَضَ الْعَهْدَ لَحَمَ الْأَمْرُ . وَلَمْ يُخْبِرْ حُيَيٌّ قُرَيْشًا بِالَّذِي قَالَ لِبَنِي قُرَيْظَةَ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ عِكْرِمَةُ يَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ السَّبْتَ قَالُوا : لَا نَكْسِرُ السَّبْتَ ، وَلَكِنْ يَوْمَ الْأَحَدِ ، وَلَا نَخْرُجُ حَتَّى تُعْطُونَا الرَّهَانَ . فَقَالَ عِكْرِمَةُ : أَيْ

(١) فَب : « تَبْعَثُوا إِلَيْنَا » .

رِهَان ؟ قال كعب : الذى شرطتم لنا . قال : وَمَنْ شرطها لكم ؟ قالوا :
حُيَّيَّ بن أَخْطَب . فَأَخْبِرَ أَبَا سُفْيَانَ ذلك فقال لِحُيَّيَّ : يا يهوديُّ ، نحن
قلنا لك كذا وكذا ؟ قال : لا والتوراة ، ما قلتَ ذلك . قال أبو سفيان :
بل هو الغدر من حُيَّيَّ . فجعل حُيَّيَّ يحلف بالتوراة ما قال ذلك .

حدثني موسى بن يعقوب ، عن عمِّه قال ، قال كعب : يا حُيَّيَّ ،
لا نخرج حتى نأخذ من كلِّ أصحابك من كلِّ بطن سبعين رجلاً رَهْنًا في
أيدينا . فذكر ذلك حُيَّيَّ لِقُرَيْشٍ وَلِغَطَفَانَ^(١) وقيس : ففعلوا وعقدوا بينهم
عقدًا بذلك حتى شقَّ كعبُ الكتاب . فلما أرسلت إليه قُرَيْشٌ تستنصره
قال : الرهن ! فأنكروا ذلك واختلفوا ؛ لِمَا أَرَادَ اللهُ عزَّ وجلَّ .

وحدثني مَعْمَرٌ . عن الزُّهْرِيِّ قال ، سمعته يقول : أرسلت بنو قُرَيْظَةَ
إلى أبي سفيان أن اتوا فإننا سنغير على بَيْضَةِ المسلمين من ورائهم . فسمع
ذلك نُعَيْمُ بن مَسْعُود . وكان مُوَادِعًا للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، وكان عند
عُيَيْنَةَ حين أرسلت بذلك بنو قُرَيْظَةَ إلى أبي سفيان وأصحابه ، فأقبل نُعَيْمُ
إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم فأخبره خبرها وما أرسلت به قُرَيْظَةُ إلى
الأحزاب : فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم : فلعلنا أمرناهم بذلك . فقام
نُعَيْمُ بكلمة رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم تلك من عند رسول الله . قال :
وكان نُعَيْمُ رجلاً لا يكتم الحديث ، فلَمَّا وُلِّيَ من عند رسول الله صَلَّى اللهُ عليه
وسلَّم ذاهباً إلى غَطَفَانَ قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا رسول
الله ، ما هذا الذى قلتَ ؟ إن كان أمرٌ من الله تعالى فامضيه ، وإن كان
هذا رأياً من قبلي نفسك فإنَّ شأن بني قُرَيْظَةَ هو أهونُ من أن تقول شيئاً
يؤثرُ عنك . فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم : بل هو رأى رأيته ،

(١) ف ب : « ولِغَطَفَانِيَيْنِ » .

الحرب خُدْعَةً . ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثر نعيم ، فدعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَرَأَيْتَ الذى سمعتنى قلتُ آتِئاً ؟ اسْكُتْ عنه فلا تذكره ! فانصرف من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء عُمَيْيْنَةُ بن حِصْنٍ وَمِنْ مَعَهُ مِنْ غَطَفَانَ : فقال لهم : هل علمتم محمّداً قال شيئاً قطُّ . إلّا كان حقّاً ؟ قالوا : لا . قال : فإنه قال لى فيما أرسلتُ به إليكم بنو قُرَيْظَةَ : « فلعلنا نحن أمرناهم بذلك » ، ثم نهانى أذكره لكم . فانطلق عُمَيْيْنَةُ حتى لقي أبا سُفْيَانَ بن حَرْب . فأخبره خبر نعيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم : إنما أنتم فى مَكْر بنى قُرَيْظَةَ . فقال أبو سُفْيَانَ : نُرسل إليهم الآن فنسأَلهم الرّهْن . فإن دفعوا الرّهْن إلينا فقد صدّقونا ، وإن أبوا ذلك فنحن منهم فى مَكْر . فجاءهم رسولُ أبي سُفْيَانَ فسأَلهم الرّهْن ليلة السبت فقالوا : هذه ليلة السبت ولسنا نقضى فيها ولا فى يومها أمراً ، فأَمْهَلْ حتى يذهب السبت . فخرج الرسول إلى أبي سُفْيَانَ فقال أبو سُفْيَانَ ، ورعوس الأحزاب معه : هذا مَكْر من بنى قُرَيْظَةَ ، فارتحلوا فقد طالت إقامتكم . فأذنوا بالرحيل ، وبعث الله تعالى عليهم الريح ، حتى ما يكاد أحدهم يهتدى لموضع رحله ، فارتحلوا فولّوا منهزمين . ويقال إن حَبِيبَ بن أخطب قال لأبي سُفْيَانَ : أنا آخذُ لك من بنى قُرَيْظَةَ سبعين رجلاً رهناً عندك حتى يخرجوا فيقاتلوا ، فهم أَعْرَفُ بقتال محمّد وأصحابه . فكان هذا الذى قال إنَّ أبا سُفْيَانَ طلب الرّهْن . قال ابنُ واقد : وأثبتُ الأشياء عندنا قولُ نعيم الأوّل .

وكان عبد الله بن أبي أوفى يُحدِّث أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على الأحزاب فقال : اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ ، سَرِيعَ الْحِسَابِ ، اهْزِمِ الْأَحْزَابِ ! اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ !

فحدثني كُثَيْبُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَحْزَابِ فِي مَسْجِدِ الْأَحْزَابِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْثَلَاثَاءِ وَيَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، فَاسْتُجِيبَ لَهُ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ . قَالَ : فَعَرَفْنَا السَّرُورَ فِي وَجْهِهِ . قَالَ جَابِرٌ : فَمَا نَزَلَ بِي أَمْرٌ غَائِظٌ . مَهْمٌ إِلَّا تَحَيَّنْتُ تِلْكَ السَّاعَةَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَأَدْعُو اللَّهَ فَأَعْرِفُ الْإِجَابَةَ .

وكان ابن أبي ذئب يُحدث ، عن رجلٍ من بني سَلِيمَةَ ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قام رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم على الجبل الذي عليه المسجد ، فدعا في إزارٍ ورفع يديه مدًّا ، ثم جاءه مرَّةً أخرى فصلى ودعا .

وكان عبد الله بن عمر يقول : صَلَّى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم في الخَرِيقِ الْقَابِلِ الصَّابِ عَلَى أَرْضِ بَنِي النَّضِيرِ . وهو اليوم موضع المسجد الذي بأسفل الجبل . ويقال إنَّه صَلَّى في تلك المساجد كلّها التي حول المسجد الذي فوق الجبل . قال ابن واقد : وهذا أثبت الأحاديث .

وقالوا : لما كان ليلة السبت بعث الله الرياح ففعلت (١) وتركت ، وقام رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم يُصَلِّي إلى أن ذهب ثُلُثُ اللَّيْلِ ، وكذلك فعل ليلة قَتَلَ ابنُ الْأَشْرَفِ ، وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم إذا حَزَبَهُ (٢) الْأَمْرُ أَكْثَرَ الصَّلَاةِ . قالوا : وكان حصار الخَنْدَقِ في قُرٍّ شَدِيدٍ وَجُوعٍ ، فَكَانَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ يَقُولُ : لَقَدْ رَأَيْتُنَا فِي الْخَنْدَقِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ ، قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْنَا الْبَرْدُ وَالْجُوعُ وَالْخَوْفُ ،

(١) فب : « ففعلت » .

(٢) فب : « أحزنه » . وحزبه : أي أصابه غم . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٢٢) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ رجلٌ ينظرُ لَنَا ما فعل القومُ جعله الله رفيقاً في الجنة . فقال حذيفة : يشترط له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الجنة والرجوع ، فما قام منّا رجلٌ ! ثم عاد يقول ذلك ثلاث مرات ، وما قام رجلٌ واحدٌ من شدة الجوع والقرّ والخوف . فلما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك لا يقوم أحد ، دعاني فقال : يا حذيفة ! قال : فلم أجد بداً من القيام حين فوّه^(١) باسمي ، فجئتُه ولقّبي وجَبان في صدري ، فقال : تسمع كلامي منذ الليلة ولا تقوم ؟ فقلت : لا ، والذي بعثك بالحق ، إن قدِرتُ على ما بي من الجوع والبرد . فقال : اذهب فانظر ما فعل القوم ، ولا ترمين بسهم ولا بحجر ، ولا تطعن برمح ، ولا تضربن بسيف حتى ترجع إليّ . فقلت : يا رسول الله ، ما بي يقتلون ولكنني أخاف أن يُمشلوا بي . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس عليك بأس ! فعرفتُ أنه لا بأس على مع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الأول . ثم قال : اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يقولون . فلما ولي حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ، احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته ! فدخل عسكرهم فإذا هم يصطلون على نيرانهم ، وإنّ الريح تفعل بهم ما تفعل ، لا تُقرّر لهم قراراً^(٢) ولا بناء . فاقبلتُ فجلستُ على نار مع قوم ، فقام أبو سُفيان فقال : احذروا الجواسيس والعيون ، ولينظر كلُّ رجلٍ جليسه . قال ، فالتفتُ إلى عمرو بن العاص فقلت : من أنت ؟ وهو عن يميني . فقال : عمرو بن العاص . والتفتُ إلى معاوية بن أبي سُفيان فقلت : من أنت ؟ فقال : معاوية بن أبي سُفيان . ثم قال أبو سُفيان :

(١) في ب : « فوّه » .

(٢) في ب : « لا تقرّر لهم قدراً » .

لأنكم والله لستم بدار مقام ؛ لقد هلك الخُفُّ والكُراع ، وأجذب الجَناب ، وأخلفتنا بنو قُرَيْظَةَ ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، وقد لقينا من الريح ما ترون ! والله ، ما يشبت لنا بناء ولا تطمئن لنا قِدر ، فارتحلوا فإني مُرتحل . وقام أبو سُفْيَان ، وجلس على بعيره وهو معقول ، ثم ضربه فوثب على ثلاث قوائم ، فما أطلق عقاله إلَّا بعد ما قام . ولولا عهدُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلَيَّ : « لا تُحدِثُ شيئاً حتى تأتني » ثم شئت ، لقتلته . فناداه عِكْرِمَةُ ابن أبي جهل : إنك رأس القوم وقائدهم ، تَقَشَّع وتترك الناس ؟ فاستحى أبو سُفْيَان فأنَاخ جملة ونزل عنه ، وأخذ بزمامه وهو يقوده ، وقال : ارحلوا ! قال : فجعل الناس يرتحلون وهو قائمٌ حتى خفَّ العسكر ، ثم قال لعمرُو ابن العاص : يا أبا عبد الله ، لا بُدَّ لي ولك أن نُقيم في جريدة^(١) من خيلِ بِلَازاءِ مُحَمَّدٍ وأصحابه ، فإنَّا لا نأمنُ أن نُطلَب حتى ينفذ العسكر . فقال عمرو : أنا أُقيم . وقال لخالد بن الوليد : ما ترى يا أبا سُليمان ؟ فقال : أنا أيضاً أُقيم . فأقام عمرو وخالد في مائتي فارس ، وسار العسكر إلَّا هذه الجريدة على متون الخيل .

قالوا : وذهب حُذَيْفَةُ إلى غَطَفَان فوجدَهم قد ارتحلوا ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره . وأقامت الخيل حتى كان السحر ، ثم مضوا فلحقوا الأثقال والعسكر مع ارتفاع النهار بِمَلَل ، فغدوا إلى السيالة . وكانت غَطَفَان لما ارتحلت وقف مَسْعُود بن رُحَيْلَة في خيلٍ من أصحابه ، ووقف الحارث بن عَوْفٍ في خيلٍ من أصحابه ، ووقف فرسان من بني سُليمان في أصحابهم ، ثم تحمّلوا جميعاً في طريقٍ راحدة ، وكرهوا أن يتفرّقوا حتى

(١) هي التي جردت من معظم الخيل لوجه . (أساس البلاغة ، ص ١١٦) .

أتوا على المراض^(١) ، ثم تفرقت كل قبيلة إلى محالها .

حدثني عبد الله بن جعفر ، عن عثمان - يعني ابن محمد الأخنسي - قال : لما انصرف عمرو بن العاص قال : قد علم كل ذي عقل أن محمداً لم يكذب . فقال عكرمة بن أبي جهل : أنت أحق الناس ألا يقول هذا . قال عمرو : لِمَ ؟ قال : لأنه نزل على شرف أبيك وقتل سيد قومك . ويقال : الذي تكلم به خالد بن الوليد ، ولا ندري ، لعلهما قد تكلما بذلك جميعاً . قال خالد بن الوليد : قد علم كل حليم أن محمداً لم يكذب قط . قال أبو سفيان بن حرب : إن أحق الناس ألا يقول هذا أنت . قال : ولم ؟ قال : نزل على شرف أبيك ، وقتل سيد قومك أبا جهل .

حدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، قال : كان محاصرة المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق بضعة عشر يوماً . وحدثني الضحاك بن عثمان ، عن عبيد الله بن مقسم ، عن جابر ابن عبد الله ، قال : عشرين يوماً . ويقال خمسة عشر يوماً ، وهذا أثبت ذلك عندنا . فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق أصبح وليس بنحضرته أحد من العساكر . قد هربوا وذهبوا . وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الثبت أنهم انقشعوا إلى بلادهم ، ولما أصبحوا أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين في الانصراف إلى منازلهم ، فخرجوا مبادرين مسرورين بذلك . وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعلم بنو قريظة رجعتهم^(٢) إلى منازلهم ، فأمر بردهم ، وبعث من ينادي في أثرهم ، فما

(١) المراض : موضع بناحية الطرف على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ،

ص ٣٧٠) .

(٢) في ب : « حب رجعتهم » .

رجع رجلٌ واحد . فكان ممّن يرُدّهم عبدُ الله بن عمر ، أمره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . قال عبد الله : فجعلتُ أصيح في أثرهم في كلّ ناحية : إنّ رسول الله أمركم أن ترجعوا ، فما رجع رجلٌ واحدٌ منهم من القرّ والجوع . فكان يقول : كرّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يرى سرعتهم ، وكرّ أن يكون لقريش عيون . قال جابر بن عبد الله : أمرني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن أردّهم ، فجعلتُ أصيح بهم فما يرجع أحد ، فانطلقت في أثر بني حارثة ، فوالله ما أدركتهم حتى دخلوا بيوتهم ، ولقد صحت فما يخرج إلى أحدٍ من جهد الجوع والقرّ ، فرجعت إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فألقاه في بني حرام منصرفاً ، فأخبرته فضحك صلّى الله عليه وسلّم .

حدثنا موسى بن محمّد بن إبراهيم ، عن أبي وجزة ، قال : لما ملّت قريشُ المقام ، وأجذب الجناب ، وضاقوا بالخندق ، وكان أبو سفيان على طمعٍ أن يُغير على بيضة المدينة ، كتب كتاباً^(١) فيه : باسمك اللهم ، فأني أحلف باللات والعزى ، لقد سرتُ إليك في جمعنا ، وإنّا نر . ألاّ نعود إليك أبداً حتى نستأصلك ، فرأيتك^(٢) قد كرهت لقاءنا ، وجعلت مضايق وخنادق ، فليت شعري من علمك هذا ؟ فإن نرجع عنكم فلکم منا يومٌ كيوم أحد ، تُبقر فيه النساء . وبعث بالكتاب مع أبي أسامة الجشمي ، فلما أتى بالكتاب دعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبا بن كعب ، فدخل معه قُبته ، فقرأ عليه كتاب أبي سفيان . وكتب إليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : من محمّد رسول الله إلى أبي سفيان بن حرب . . . أما بعد ، فقد بما غرك بالله الغرور ، أما ما ذكرت أنك سرت إلينا في جمعكم ، وأنك لا تريد

(١) أي إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

(٢) في ب : « فرأيتكم » .

أن تعود حتى تستأصلنا ، فذلك أمر الله يحول بينك وبينه ، ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزى . وأما قولك : « من علمك الذى صنعنا من الخندق » ، فإن الله تعالى ألهمنى ذلك لما أراد من غيظك به وغيظ أصحابك ، وليأتين عليك يوم تُدافعنى بالراح ، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات ، والعزى ، وإساف ، ونائلة ، وهبل ، حتى أذكرك ذلك . قال أبو عبد الله : فذكرت ذلك لإبراهيم بن جعفر فقال : أخبرنى أبى أن فى الكتاب « ولقد علمت أنى لقيت أصحابك بأحياء^(١) وأنا فى غير قرىش ، فما حصر أصحابك منا شعرة ، ورضوا بمُدافعتنا بالراح . ثم أقبلت فى غير قرىش حتى لقيت قومى ، فلم تلقنا ، فأوقعت بقوى ولم أشهدنا من وقعة . ثم غزوتكم فى عُقر داركم فقتلت وحرقت - يعنى غزوة السويق - ثم غزوتك فى جمعنا يوم أحد ، فكانت وقعتنا فيكم مثل وقعتكم بنا ببدر ، ثم سَرنا إليكم فى جمعنا ومن تَأَلَّب إلينا يوم الخندق ، فلزتم الصياصى^(٢) وخذلتم الخنادق » .

(١) أحياء : اسم ماء أسفل من ثنية المرة برباغ . (وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٣٤٤) .
(٢) الصياصى : جمع صيصة ، وهى الحصن وكل ما امتنع به . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٠٧) .

باب ما أنزل الله من القرآن في الخندق

حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال :
 وأنزل الله عز وجل في شأن الخندق يذكر نعمته وكفايته عدوهم بعد سوء
 الظن منهم ومقالة من تكلم بالنفاق ، فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا
 نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم
 تروها ﴾ ^(١) . قال : وكانت الجنود التي أتت المؤمنين قريشاً وغطفان وأسداً
 وسليماً ، وكانت الجنود التي بعث الله تعالى عليهم الريح . وذكر : ﴿ إذ
 جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب
 الحناجر وتظنون بالله الظنونا ﴾ ^(٢) وكان الذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة ،
 والذين جاءوا من أسفل منهم قريش وأسداً وغطفان وسليماً . ﴿ هنالك ابتلي
 المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ ^(٣) . ﴿ وإذ يقول المنافقون والذين في
 قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ﴾ ^(٤) ، قول معتب بن قشير
 ومن كان معه على مثل رأيه . ﴿ وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام
 لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي
 بعورة إن يريدون إلا فراراً ﴾ ^(٥) ، يقول أوس بن قيثي ومن كان معه من
 قومه على مثل رأيه . ﴿ ولقد دخلت عليهم من أقطارها ﴾ ^(٦) من نواحيها ؛
 ﴿ ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً ﴾ ، يعني المنافقين .
 ﴿ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأعداء ﴾ ^(٧) إلى قوله تعالى

(٢) سورة ٣٣ الأحزاب ١٠ .

(٤) سورة ٣٣ الأحزاب ١٢ .

(٦) سورة ٣٣ الأحزاب ١٤ .

(١) سورة ٣٣ الأحزاب ٩ .

(٣) سورة ٣٣ الأحزاب ١١ .

(٥) سورة ٣٣ الأحزاب ١٣ .

(٧) سورة ٣٣ الأحزاب ١٥ .

﴿وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ، كان ثُعَلْبَةَ عَاهَدَ اللَّهُ يَوْمَ أُحُدٍ لَا يُؤَلِّفُ دُبْرًا أَبَدًا بَعْدَ أُحُدٍ . ثم ذكر أهلَ الإيمان حين أتاهم الأحزاب فحَصَرُوهم ، وظاهرتهم بنو قُرَيْظَةَ في الخَنْدَقِ فاشتدَّ عليهم البلاءُ ، فقالوا لَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ : ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾^(١) ، وذلك قوله في البقرة : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتُمُ الْبِأَسْمَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(٢) ، وفي قوله : ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾^(٣) ، يقول قُتَيْلٌ أَوْ أَبْلَى ؛ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ ، أَنْ يُقْتَلَ أَوْ يُبْلَى ؛ ﴿وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ ، ما تَغَيَّرَتْ نِيَّتُهُمْ . ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٤) .

حدَّثني إِسْحَاقُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ فَقَالَ : هَذَا مِنْ قَضَى نَحْبِهِ .

ذَكَرَ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ

من بنى عبد الأشهل : سعد بن معاذ ، رمَاهُ حِجَابُ بْنُ الْعَرِيقَةِ فمات ، ويقال رمَاهُ أَبُو أُسَامَةَ الْجُشَمِيُّ ؛ وَأَنَسُ بْنُ أَوْسِ بْنِ عَتِيكَ بْنِ عمرو بن عبد الأعلم بن زَعُورَاءِ بْنِ جُثَمِ بْنِ عبد الأشهل ، قتله خالد بن الوليد ، رمَاهُ بِسَهْمٍ ؛ وعبد الله بن سهل الأشهل ، رمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُويْفٍ فَقَتَلَهُ .

(٢) سورة ٢ البقرة ٢١٤ .
(٤) سورة ٣٣ الأحزاب ٢٤ .

(١) سورة ٣٣ الأحزاب ٢٢ .
(٣) سورة ٣٣ الأحزاب ٢٣ .

ومن بنى سَلَمَةَ : الطُّفَيْلُ بْنُ النُّعْمَانِ ، قتله وَحْشِيٌّ ، وكان وَحْشِيٌّ يقول :
أَكْرَمَ اللَّهُ بِحَرْبِي حَمَزَةَ وَالطُّفَيْلَ ؛ وَثَعْلَبَةَ بْنَ غَنْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ نَابِيٍّ ، قتله
هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ الْمَخْزُومِيُّ . ومن بنى دِينَار : كَعْبُ بْنُ زَيْدٍ ، وكان
قد ارْتُئِتْ يَوْمَ بَشْرَ مَعُونَةَ فَصَحَّ حَتَّى قُتِلَ فِي الْخَنْدَقِ ، قتله ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ .
فجميع من استشهد من المسلمين ستّة نفر .

ذَكَرَ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ : عمرو بن عبد بن أبي قيس بن عبد ودّ ، قتله
عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَنُوفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ ،
قتله الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، ويقال عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . ومن بنى
عبد الدار : عُثْمَانُ بْنُ مُنَبِّهٍ بن عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ ، مات بِمَكَّةَ مِنْ رَمِيَةٍ رُمِيَهَا
يَوْمَ الْخَنْدَقِ ؛ وَهُمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ .

ذَكَرَ مَا قِيلَ مِنَ الشَّعْرِ فِي الْخَنْدَقِ .

قال ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ : هَكَذَا كَانَ . . .

بَابُ غَزْوَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ

سَارَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِسَبْعِ بَقِيْنٍ مِنْ ذِي
الْقَعْدَةِ ، فَحَاصَرَهُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِسَبْعِ خُلُوفٍ
مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ خَمْسٍ . وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ .

قالوا : لَمَّا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ الْخَنْدَقِ ، وَخَافَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ خَوْفًا
شَدِيدًا ، وَقَالُوا : مُحَمَّدٌ يُزْحَفُ إِلَيْنَا ! وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ

يَوْمَ بَقَتَالَهُمْ حَتَّى جَاءَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَكَانَتْ امْرَأَةً نَبَّاشَ بْنَ قَيْسٍ
قَدْ رَأَتْ ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي حِصَارِ الْخَنْدَقِ ، قَالَتْ : أَرَى الْخَنْدَقَ لَيْسَ بِهِ أَحَدٌ ،
وَأَرَى النَّاسَ تَحْوِلُوا إِلَيْنَا وَنَحْنُ فِي حُصُونِنَا قَدْ ذُبِحْنَا [ذَبَحَ] الْغَنَمَ . فَذَكَرْتُ
ذَلِكَ لَزَوْجِهَا ، فَخَرَجَ زَوْجُهَا فَذَكَرَهَا لِلزَّيْبِرِ بْنِ بَاطَا ، فَقَالَ الزَّيْبِرُ : مَا لَهَا
لَا نَامَتْ عَيْنُهَا ، تُوَلَّى قُرَيْشٌ وَيَحْضُرُنَا مُحَمَّدٌ ! وَالتَّوَارَةُ ، وَلَمَّا بَعَدَ الْحِصَارَ
أَشَدُّ مِنْهُ !

قَالُوا : فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَنْدَقِ دَخَلَ بَيْتَ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَغَسَلَ رَأْسَهُ وَاغْتَسَلَ ، وَدَعَا بِالْمِجْمَرَةِ لِيُجِمِرَ ، وَقَدْ
صَلَّى الظُّهْرَ ، وَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَى بَغْلَةٍ عَلَيْهَا رِحَالَةٌ ^(١) وَعَلَيْهَا قَطِيفَةٌ ، عَلَى
ثَنَائِيَاهُ النَّقْعَ ، فَوَقَفَ عِنْدَ مَوْضِعِ الْجَنَائِزِ فَنَادَى : عَذِيرَكَ مِنْ مُحَارِبٍ !
قَالَ : فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزِعَاً فَقَالَ ^(٢) : أَلَا أَرَأَيْكُمْ وَضَعْتُ
الْأُمَّةَ وَلَمْ تَضَعْهَا الْمَلَائِكَةُ بَعْدُ ؟ لَقَدْ طَرَدْنَاهُمْ إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ
أَنْ تَسِيرَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَإِنِّي عَامِدٌ إِلَيْهِمْ فَمَزَلْزَلُ بِهِمْ حُصُونَهُمْ . وَيُقَالُ
جَاءَهُ عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقٍ . فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَدَفَعَ إِلَيْهِ لِيَوَاءَ ، وَكَانَ اللِّوَاءُ عَلَى حَالِهِ لَمْ يُحَلِّ مِنْ مَرْجَعِهِ مِنَ الْخَنْدَقِ ،
وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبِلَالٍ فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكُمْ أَلَّا تُصَلُّوا الْعَصْرَ إِلَّا بِبَنِي قُرَيْظَةَ . وَلَيْسَ رَسُولُ
لِلَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السِّلَاحُ وَالْمِغْفَرُ وَالذِّرْعُ وَالْبَيْضُ ، وَأَخَذَ قِنَاقَةً بِيَدِهِ ،
وَتَقَلَّدَ الثَّرَسَ وَرَكِبَ فَرَسَهُ ، وَحَفَّتْ بِهِ أَصْحَابُهُ وَتَلَبَّسُوا السِّلَاحَ وَرَكَبُوا
الْخَيْلَ ، وَكَانَتْ سِتَّةً وَثَلَاثِينَ فَرَساً ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الرحالة : سرج من جلود لا خشب فيها . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ١٥٢) .

(٢) أى جبريل .

قد قاد فرسين وركب واحداً ، يقال له اللّحيق ، فكانت ثلاثة أفراس معه . وعلى عليه السلام فارس ، ومرثد بن أبي مرثد . وفي بني عبد مناف : عثمان بن عفان رضى الله عنه فارس ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وعكاشة بن محصن فارس ، وسالم مولى أبي حذيفة ، والزبير بن العوام . ومن بني زهرة : عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص . ومن بني تميم : أبو بكر الصديق ، وطلحة بن عبيد الله . ومن بني عدي : عمر بن الخطاب . ومن بني عامر بن لؤي : عبد الله بن مخزومة . ومن بني فهر : أبو عبيدة بن الجراح . ومن الأوس : سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، ومحمد بن مسلمة ، وأبو نائلة ، وسعد بن زيد . ومن بني ظفر : قتادة ابن النعمان . ومن بني عمرو بن عوف : عويم بن ساعدة ، ومعن بن عدي ، وثابت بن أقرم ، وعبد الله بن سلمة . ومن بني سلمة : الحباب بن المنذر بن الجموح ، ومعاذ بن جبل ، وقطبة بن عامر بن حديدة . ومن بني مالك بن النجار : عبد الله بن عبد الله بن أبي . وفي بني زريق : رقاد بن لبيد ، وفروة بن عمرو ، وأبو عيَّاش ، ومعاذ بن رفاعة . ومن بني ساعدة : سعد ابن عبادة .

فحدثني ابن أبي سبرة ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، قال : فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه والخييل والرجالة حوله ، فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفري من بني النجار بالصَّوْرَيْنِ^(١) فيهم حارثة بن النعمان ، قد صفوا عليهم السلاح ، فقال : هل مرّ بكم أحد ؟ قالوا : نعم ، دحية الكلبي مرّ على بغلة عليها رحالة ، عليها قطيفة من

(١) الصَّوْرَيْنِ : موضع بأقصى البقيع ما يلي طريق بني قريظة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٣٧) .

سَتَبَرَّقَ ، فَأَمَرَنَا بِلبس السلاح ، فَأَخَذْنَا سِلَاحَنَا وَصَفَفْنَا ، وَقَالَ لَنَا :
هَذَا رَسُولُ اللَّهِ يُطْلَعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ . قَالَ حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ : فَكُنَّا صَفِّينَ ، فَقَالَ
لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَلِكَ جَبْرِيلُ ! فَكَانَ حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ
يَقُولُ : رَأَيْتُ جَبْرِيلَ مِنَ الدَّهْرِ مَرَّتَيْنِ - يَوْمَ الصُّورَيْنِ وَيَوْمَ مَوْضِعِ الْجَنَائِزِ
حِينَ رَجَعْنَا مِنْ حُنَيْنٍ . وَانْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ
فَنَزَلَ عَلَى بَشَرٍ لَنَا ^(١) أَسْفَلَ حَرَّةِ بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَكَانَ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ
سَبَقَ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ .

فَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، عَنْ أُسَيْدِ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ،
قَالَ : انْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ فَلَمَّا رَأَوْا أَيْقَنُوا بِالشَّرِّ ، وَغَرَزَ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الرَايَةَ عِنْدَ
أَصْلِ الْحِصْنِ ، فَاسْتَقْبَلُونَا فِي صِيَاصِيهِمْ يَشْتُمُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَأَزْوَاجَهُ . قَالَ أَبُو قَتَادَةَ : وَسَكَنَّا وَقَلْنَا : السِّيفُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ !
وَطَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَأَاهُ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَلْزِمَ اللِّوَاءَ فَلَزِمْتَهُ ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْمَعَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذَاهُمْ وَشَتْمَهُمْ . فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِلَيْهِمْ ، وَتَقَدَّمَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ : يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ ، لَا نَبْرَحُ حِصْنَكُمْ
حَتَّى تَمُوتُوا جَوْعاً . إِنَّمَا أَنْتُمْ بِمَنْزِلَةِ ثَعْلَبٍ فِي جُحْرٍ . قَالُوا : يَا ابْنَ الْحُضَيْرِ ،
نَحْنُ مَوَالِيكُمْ دُونَ الْخَزَرَجِ ! وَخَارُوا ^(٢) ، وَقَالَ : لَا عَهْدَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَلَا
إِلَّا ^(٣) . وَدَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ ، وَتَرَسَّنَا عَنْهُ ، فَقَالَ :

(١) هكذا في النسخ ؛ ولعل الصواب « بئر أنا » كما في ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، ج ٣ ،

ص ٢٤٥) . وَأَنَا : بئر من آبار بني قريظة . (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٤٠) .

(٢) في الأصل : « وجاروا » ؛ وما أثبتناه من ب . ونجاروا : أي خافوا . (السيرة الحلبية ،

ج ٢ ، ص ١١٥) .

(٣) الإل ، بالكسر : العهد والحلف . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٣٠) .

يا إخوة القِرْدَةِ والخنازير وعِبْدَةَ الطَّوَاغِيَتِ ، أَتَشْتَمُونَنِي ؟ قال : فجعلوا يحلفون بالتَّوراةِ التي أنزلت على موسى : ما فعلنا ! ويقولون : يا أبا القاسم ، ما كنتَ جَهُولاً ! ثم قدَّم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم الرُّمَّةَ مِن أَصْحَابِهِ .

فحدَّثني فَرَوَةَ بن زُبَيْد ، عن عائشة بنت سعد ، عن أبيها ، قال : قال لي رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : يا سعد ، تقدَّم فارمهم ! فتقدَّمتُ حيثُ تَبْلُغُهُمْ نَبْلِي ، ومعى نَيْفٌ على الخمسين ، فرميتهم ساعةً وكأنَّ نبلنا مثل^(١) جراد ، فانجحروا فلم يطلع منهم أحد . وأشفقنا على نبلنا أن يذهب ، فجعلنا نرمي بعضها^(٢) ونُمسك البعض . فكان كعب بن عمرو المازني - وكان رامياً - يقول : رميتُ يومئذٍ بما في كِنَانَتِي ، حتى أَمْسَكْنَا عَنْهُمْ بعد أن ذهبت ساعةٌ من الليل . قال : وقد رمونا ورسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم واقِفٌ على فرسه عليه السلاح ، وأصحاب الخيل حوله ، ثم أمرنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فانصرفنا إلى منزلنا وعسكرنا فبِتْنَا ، وكان طعامنا تمرًا بعث به سعد بن عُبَادَةَ ، أَحْمَالُ تمر ، فبِتْنَا^(٣) نأكل منها ، ولقد رُئِيَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وأبو بكر وعمر يأكلون من ذلك التمر ، ورسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يقول : نِعَمَ الطَّعَامُ التَّمْرُ ! واجتمع المسلمون عند رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عِشَاءً ، فمنهم مَن لم يُصَلِّ حتى جاء بني قُرَيْظَةَ ، ومنهم مَن قد صَلَّى ، فذكروا ذلك لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فما عاب على أحدٍ صَلَّى ، ولا على أحدٍ لم يُصَلِّ حتى بلغ بني قُرَيْظَةَ . ثم غدونا

(١) في ب : « رجل من جراد » .

(٢) في ب : « يرمي بعضنا ويمسك بعض » .

(٣) في الأصل : « فبينا » ؛ وما أثبتناه من ب .

عليهم بسُخْرَةٍ ، فقدّم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم الرّماة ، وعباً أصحابه فأحاطوا بحُصُونِهِمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، فجعل المسلمون يُرامونهم بالنبل والحجارة ، وجعل المسلمون يعتقبون فيعقب بعضهم بعضاً ، فما برح رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يُرامِيهم حتى آيَقَنُوا بالهَلَكَةِ .

فحدّثني الضّحّاك بن عثمان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كانوا يراموننا مِنْ حُصُونِهِمْ بالنبل والحجارة أَشَدَّ الرَّقْمِ ، وكنا نقوم حيث تبلغهم نبلُنا .

فحدّثني الضّحّاك بن عثمان ، عن جعفر بن محمود ، قال : قال محمّد ابن مُسلمَةَ : حَصَرْنَاهُمْ أَشَدَّ الْحِصَارِ ، فلقد رأيتنا يوم غدونا عليهم قبل الفجر ، فجعلنا ندنو من الحِصْنِ ونرميهم مِنْ كَثَبٍ . ولزمتنا حُصُونُهُمْ فلم نُفَارِقْهَا حتى أَمْسَيْنَا ، وَحَصَّنَا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم على الجهاد والصبر . ثم بتنا على حُصُونِهِمْ ، ما رجعنا إلى معسكرنا حتى تركوا قتالنا وأمسكوا عنه وقالوا : نُكَلِّمُكَ . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : نعم . فأنزلوا نَبَّاشَ بن قيس ، فكلّم رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ساعةً وقال : يا محمّد ، نزل على ما نزلت عليه بنو النّضير ؛ لك الأموال والحلقة وتَحْقِن دماءنا ، ونخرج من بلادكم بالنساء والذراري ، ولنا ما حملت الإبلُ إِلَّا الحَلَقَةَ . فأبى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فقالوا : فَتَحْقِن دماءنا وتُسلم لنا النساء والذّرّيّة ، ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : لا ، إِلَّا أَنْ تنزلوا على حكمي . فرجع نَبَّاشُ إلى أصحابه بمقالة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فقال كعب ابن أسد : يا معشر بني قُرَيْظَةَ ، والله إنكم لتعلمون أَنَّ محمّداً نبيُّ الله ، وما منعنا مِنَ الدخول معه إِلَّا الحَسَدُ للعرب ، حيث لم يكن نبياً من بني

إسرائيل فهو حيث جعله الله . ولقد كنت كارهاً لنقض العهد والعقد . ولكن
البلاء وشووم هذا الجالس^(١) علينا وعلى قومه ، وقومهم كانوا أسوأ^(٢) منا .
لا يستبقى محمد رجلاً واحداً إلا من تبعه . أتذكرون ما قال لكم ابن خراش^(٣)
حين قدم عليكم فقال : تركت الخمر والخمير والتأخير ، وجئت إلى السقاء
والتمر والشعير ؟ قالوا : وما ذلك ؟ قال : يخرج من^(٤) هذه القرية نبي ،
فإن خرج وأنا حتى أتبعته ونصرته . وإن خرج بعدى فأياكم أن تخذعوا عنه .
فاتبعوه وكونوا أنصاره وأولياءه . وقد آمنتم بالكتابين كليهما الأول والآخر
قال كعب : فتعالوا فلنتابعه ولنصدق به ولنؤمن به . فنامن على دماننا وأبنائنا
ونسائنا وأموالنا ، فنكون بمنزلة من معه . قالوا : لا نكون تبعاً لغيرنا ، نحن
أهل الكتاب والنبوّة ، ونكون تبعاً لغيرنا ؟ فجعل كعب يرد عليهم الكلام
بالنصيحة لهم . قالوا : لا نفارق التوراة ولا ندع ما كنا عليه من أمر موسى .
قال : فهل فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج في أيدينا السيوف إلى
محمد وأصحابه . فإن قتلنا قتلنا وما وراءنا أمر نهم به ، وإن ظفّرنا فلعمري
لنتخذن النساء والأبناء . فتضاحك حبي بن أخطب ثم قال : ما ذنب
هؤلاء المساكين ؟ وقالت رؤساء اليهود ، الزبير بن باطا وذووه : ما في العيش
خير بعد هؤلاء . قال : فواحدة قد بقيت من الرأي لم يبق غيرها ، فإن
لم تقبلوها فأنتم بنو إسيها . قالوا : ما هي ؟ قال : الليلة السبت ،
وبالحرى^(٥) أن يكون محمد وأصحابه آمنين لنا فيها أن نقاتله ، فنخرج

(١) يعني حي بن أخطب .

(٢) في ب : « أشوى منا » .

(٣) في الأصل : « حواش » . وفي ب : « جواش » ؛ وعلى هامش ب : « مطلب بن جواش » .
وما أثبتناه من ث ، ومن السيرة الحلبية . (ج ٢ ، ص ١١٦) .

(٤) في ب : « إنه يخرج بهذه القرية » .

(٥) في الأصل : « بالحرى » ؛ والتصحيح من ب .

فلعلنا أن نُصِيب منه غِرَّة . قالوا : نُفْسِد سبتنا ، وقد عرفت ما أصابنا فيه ؟ قال حِيَّيْ : قد دعوتك إلى هذا وَقْرِيشُ وَغَطَفَانُ حُضُورُ فَبَابِتَ أَنْ نَكسر السبت ، فإن أطاعتني اليهود فعلوا . فصاحت اليهود : لا نكسر السبت . قال نَبَّاشُ بن قَيْس : وكيف نُصِيب منهم غِرَّة وَأَنْت تَرى أَنَّ أَمْرهم كُلُّ يوم يشْتَدُّ . كانوا أَوَّلَ ما يُحاصروننا إِنما يُقَاتلون بالنهار ويرجعون الليل ، فكان هذا لك قولاً « لو بَيَّتْناهم » . فهم الآن يُبَيِّتون الليل وَيَظْلِلون النهار ، فَأَيَّ غِرَّةٍ نُصِيب منهم ؟ هِيَ مَلْحَمَةٌ وبلاء كُتِب علينا . فاختلفوا وسُقِط . في أيديهم ، وندموا على ما صنعوا ، وَرَقُّوا على النساء والصبيان ، وذلك أَنَّ النساء [والصبيان] لَمَّا رَأوا ضَعْفَ أَنْفُسهم هلكوا ، فبكى النساء والصبيان ، فَرَقُّوا عليهم .

فحدَّثني صالح بن جَعْفَر ، عن مُحَمَّد بن عَقْبَة ، عن ثَعْلَبَة بن أَبِي مالك ، قال : قال ثَعْلَبَة وَأُسَيْد ابنا سَعِيَّة^(١) ، وَأَسَد بن عُبَيْد عَمَّهم^(٢) : يا معشر بني قُرَيْظَةَ ، وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسولُ اللَّهِ وَأَنَّ صِفَتَهُ عِنْدنا ، حَدَّثنا بها علماونا وعلماء بني النَّضِير . هذا أَوَّلهم - يَعْنِي حِيَّيْ بن أَخْطَب - مع جُبَيْر بن الْهَيَّيَّان^(٣) أَصْدَقُ النَّاسِ عِنْدنا ، هُوَ خَبَرنا بِصِفَتِهِ عِنْد موْتِهِ . قالوا : لا نُفَارِقُ التَّوْرَةَ ! فَلَمَّا رَأَى هَؤُلاءِ النَّفَرِ إِباءَهُمْ ، نَزَلُوا فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي فِي صُبْحِهَا نَزَلَتْ قُرَيْظَةُ ، فَأَسْلَمُوا فَأَمَّنُوا عَلَى أَنْفُسهم وَأَهْلهم وَأَمْوَالهم .

فحدَّثني الضَّحَّاك بن عَثْمَان ، عن مُحَمَّد بن يَحْيَى بن حَبَّان ، قال عمرو بن سَعْدَى ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : يا معشر اليهود ، إِنَّكُمْ قَدْ حَالَفْتُمْ مُحَمَّدًا عَلَى مَا حَالَفْتُمُوهُ عَلَيْهِ ، أَلَّا تَنْصُرُوا عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ عَدُوِّهِ ، وَأَنْ تَنْصُرُوهُ

(١) في الأصل : « شعية » ؛ وما أثبتناه من ب ، ومن ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ٩٦) .

(٢) في ب : « ابن عمهم » .

(٣) على هامش نسخة ب : « مطلب بن الهيثبان » .

ممن دهمه ، فنقضتم ذلك العهد الذي كان بينكم وبينه ، فلم أدخل فيه ولم أشرككم في غدركم ، فإن أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا [على] اليهودية وأعطوا الجزية ، فوالله ما أدرى يقبلها أم لا . قالوا : نحن لا نُقر للعرب بخروج في رقابنا ياخذوننا به ، القتل خير من ذلك ! قال : فإني برئ منكم . وخرج في تلك الليلة مع بني سعيّة فمرّ بحرس النبي صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة ، فقال محمد بن مسلمة : من هذا ؟ فقال : عمرو بن سعدى . فقال محمد : مرّ ! اللهم ، لا تحرمنى إقالة عَشْرَاتِ الكِرام . فخلّى سبيله وخرج حتى أتى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبات به حتى أصبح ، فلما أصبح غدا فلم يُدر أين هو حتى الساعة ، فسئِل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال : ذلك رجلٌ نجاه الله بوفائه . ويقال إنه لم يطلع أحدٌ منهم ولم يُبادر^(١) للقتال ، في روايتنا .

حدثني إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، قال : مرّ عمرو بن سعدى على الحرس ، فناده محمد بن مسلمة : من هذا ؟ قال : عمرو بن سعدى . قال محمد : قد عرفناك . ثم قال محمد : اللهم ، لا تحرمنى إقالة عَشْرَاتِ الكِرام .

حدثني الثوري ، عن عبد الكريم الجزري ، عن عكرمة ، قال : لما كان يوم بني قريظة قال رجلٌ من اليهود : من يُبارز ؟ فقام إليه الزبير فبارزه . فقالت صفية : واجدي ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيهما علا صاحبه قتله . فعلاه الزبير فقتله ، فنقله رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه .

(١) في ب : « ولم يبادر » .

قال ابن واقد : ولم يُسمع بهذا الحديث في قتالهم وأراه وهل - هذا في خيبر .

حدثني معمر بن راشد ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، قال : كان أول شيء عتب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي لبابة بن عبد المنذر أنه خاصم يتيماً له في عذق . فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذق لأبي لبابة ، فصيح^(١) اليتيم واشتكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي لبابة : هب لي العذق يا أبا لبابة - لكى يردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليتيم . فأبى أبو لبابة أن يهبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا لبابة ، أعطه اليتيم ولك مثله في الجنة . فأبى أبو لبابة أن يعطيه .

قال الزهري : فحدثني رجل من الأنصار قال : لما أبى أن يعطيه قال ابن الدّخاح - وهو رجل من الأنصار : أرايت يا رسول الله إن ابنتك هذا العذق فأعطيته هذا اليتيم ، ألي مثله في الجنة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . فانطلق ابن الدّخاح حتى لقي أبا لبابة فقال : أبتاع منك عذقك بحديقتي - وكانت له حديقة نخل . قال أبو لبابة : نعم . فابتاع ابن الدّخاح العذق بحديقة من نخل ، فأعطاه اليتيم . فلم يلبث ابن الدّخاح أن جاء كفاراً قريش إلى أحد ، فخرج ابن الدّخاح فقتل شهيداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ربّ عذقٍ مُذللٍ لابن الدّخاح في الجنة .

قالوا : فلما اشتدّ عليهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسل إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر .

(١) فب : « فضخ اليتيم » .

فحدثني ربيعة بن الحارث ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن السائب بن أبي لبابة بن عبد المنذر ، عن أبيه ، قال : لما أرسلت بنو قريظة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يرسلني إليهم ، دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اذهب إلى حلفائك ، فإنهم أرسلوا إليك من بين الأوس . قال : فدخلت عليهم وقد اشتد عليهم الحصار ، فبهشوا^(١) إلي وقالوا : يا أبا لبابة ، نحن مواليك دون الناس كلهم . فقام كعب بن أسد فقال : أبا بشير ، قد علمت ما صنعنا في أمرك وأمر قومك يوم الحداثق وبُعْث ، وكلّ حرب كنتم فيها . وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ، ومحمد يابئ يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه . فلو زال عنا لحقنا بأرض الشام أو خيبر ، ولم نطأ له حراً^(٢) أبداً ، ولم نكثر عليه جمعاً أبداً . قال أبو لبابة : أما ما كان هذا معكم ، فلا يدع هلاككم - وأشرت إلى حيي بن أخطب . قال كعب : هو والله أوردني ثم لم يصدرني . فقال حيي : فما أصنع ؟ كنت أطمع في أمره ، فلما أخطأني آسيتك بنفسى ، يصيبني ما أصابك . قال كعب : وما حاجتي إلى أن أقتل أنا وأنت وتُسبى ذراريّنا ؟ قال حيي : ملحمة وبلاء كُتب علينا . ثم قال كعب : ما ترى ، فإننا قد اخترناك على غيرك ؟ إن محمداً قد أبى إلا أن ننزل على حكمه ، أفننزل^(٣) ؟ قال : نعم ، فانزلوا - وأوماً إلى حلقه ، هو الذبيح . قال : فندمت فاسترجعت ، فقال لي كعب : ما لك يا أبا لبابة ؟ فقلت : خنت الله ورسوله . فنزلت وإنّ لحيي لمُبتلةً من الدموع ،

(١) بهشوا إلى : أسرعوا إلى . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٠١) .

(٢) الحرا ، بالفتح والقصر : جناب الرجل . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٢٢) .

(٣) فب : « فنزل » .

والناس ينتظرون رجوعى إليهم ، حتى أخذتُ من وراء الحِصْن طريقاً آخر حتى جئتُ إلى المسجد فارتبطت ، فكان ارتباطى إلى الأُسْطُوَانَةِ الْمُخَلَّقَةِ (١) التى تقال أُسْطُوَانَةُ التَّوْبَةِ - ويقال ليس تلك ، إنما ارتبط إلى أُسْطُوَانَةِ كَانَتْ وَجَاهُ المنبر عند باب أُمِّ سَلَمَةَ زوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذا أثبتُ القولين - وبلغ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذهابى وما صنعت فقال : دعوه حتى يُحدث اللهُ فيه ما يشاء . لو كان جاعنى استغفرت له ؛ فأما إذ لم يأتنى وذهب فدعوه ! قال أبو لُبَابَةَ : فكنتُ فى أمرٍ عظيمٍ خمس عشرة ليلة ، وأذكرُ رؤيا رأيْتُها .

فحدثنى موسى بن عُبيدة ، عن أيوب بن خالد : قال ، قال أبو لُبَابَةَ : رأيتُ فى النوم ونحن محاصرو بنى قُرَيْظَةَ كَأَنِّى فى حَمَاءِ آسِنَةٍ ، فلم أخرج منها حتى كدتُ أموتُ من ريحها . ثم أرى نهراً جارياً ، فأرانى اغتسلت منه حتى استنقيت ، وأرانى أجدر ريحاً طيبة . فاستعبرها أبا بكر فقال : لتدخلنَّ فى أمرٍ تغتمُّ له ، ثم يُفرَّجْ عنك . فكنتُ أذكر قول أبى بكر رضى الله عنه وأنا مرتبط . فأرجو أن تنزل توبتى .

فحدثنى مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرَى ، قال : وكان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد استعمل أبا لُبَابَةَ على قتالهم ، فلما أحدث ما أحدث عزله واستعمل أُسَيْدَ بنَ حُضَيْرٍ . وارتبط . أبو لُبَابَةَ سبعاً بين يومٍ وليلةٍ عند الأُسْطُوَانَةِ التى عند باب أُمِّ سَلَمَةَ فى حرٍّ شديد ، لا يأكل فيهن ولا يشرب ، وقال : لا أزال هكذا حتى أفارق الدنيا أو يتوبَ الله علىَّ . قال : فلم يزل كذلك حتى ما يسمع الصوت من الجُهد ، ورسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينظر إليه بُكَرَةً

(١) أى التى طليت بالخلوق ، وهو ما يخلق به من الطيب . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ١٥٨) .

وعشيّة ، ثم تابَ الله تعالى عليه فنُودي : إِنَّ الله قد تابَ عليك ! وأرسل
النبيَّ صَلَّى الله عليه وسلّم إليه لِيُطْلَقَ عنه رِباطه ، فأبى أَنْ يُطْلَقَ عنه أَحَدٌ
غير رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فجاءَ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم
بنفسه فأطْلَقَ .

قال الزُّهْرِيُّ : فحدَّثتني هِنْد بنت الحارث ، عن أُمِّ سَلَمَةَ زوج النبيِّ
صَلَّى الله عليه وسلّم قالت : رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يحلّ عنه رِباطه ،
وإنَّ رسول الله ليرفع صوته يُكَلِّمُه ويُخْبِرُه بتوبته ، وما يدرى كثيراً ممّا يقول
من الجهد والضعف . ويُقال مكث خمسَ عشرةَ مربوطاً ، وكانت ابنته
تأثيه بتمرات لفظره ، فيلوك منهنّ ويترك ويقول : والله ، ما أَقْدِرُ على أَنْ
أُسيغها فرّاقاً إلّا تنزل توبتي . وتطلّقه عند وقت كلّ صلاة ، فإن كانت له
حاجةٌ تَوْضِئاً ، وإلا أعادت الرِّباط . ولقد كان الرِّباط حزّاً في ذراعيه ، وكان
من شَعْر ، وكان يُداويه بعد ذلك دَهْراً ، وكان ذلك يَبِينُ في ذراعيه بعد
ما بَرِيَ . وقد سمعنا في توبته وجهاً آخر .

حدَّثنا عبد الله بن يزيد بن قُسَيْطٍ ، عن أبيه ، عن محمّد بن عبد الرحمن
ابن ثوبان ^(١) ، عن أُمِّ سَلَمَةَ زوج النبيِّ صَلَّى الله عليه وسلّم ،
قالت : إنَّ توبةَ أَبِي لُبَابَةَ نزلت في بيتي . قالت أُمُّ سَلَمَةَ : فسمعت رسول
الله صَلَّى الله عليه وسلّم يضحك في السَّحَرِ فقلت : مِمّ تضحك يا رسول الله ،
أضحك الله سنك ؟ قال : تيب على أَبِي لُبَابَةَ . قالت ، قلت : أوْذنه بذلك
يا رسول الله ؟ قال : ما شئت . قالت : فقامت على باب الحجرة ، وذلك
قبل أَنْ يُضْرَبَ الحجاب ، فقلت : يا أبا لُبَابَةَ ، أبشِرْ فقد تابَ الله عليك

(١) في الأصل : « لوبان » ؛ والتصحيح من ب ، ومن ابن عبد البر . (الاستيعاب ،
ص ٢١٧) .

فشار الناس إليه ليُطلقوه ، فقال أبو لبابة : لا ، حتى يأتي رسول الله فيكون هو الذي يُطلق عني . فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح أطلقه . ونزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر : ﴿ وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ ۞ ﴾ (١) الآية . ويقال نزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۚ ۞ ﴾ (٢) . وحديثي محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، قال : نزلت فيه : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ (٣) الآية . وأثبت ذلك عندنا قوله عز وجل : ﴿ وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا ۚ ۞ ﴾ .

وحديثي معمر ، عن الزهري ، عن ابن كعب بن مالك ، قال : جاء أبو لبابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنا أهجر دار قومي التي أصبت فيها هذا الذنب ، فأخرج من مالي صدقة إلى الله ورسوله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يُجزئ عنك الثلث . فأخرج الثلث ، وهجر أبو لبابة دار قومه . ثم تاب الله عليه ، فلم يبين في الإسلام منه إلا خيراً حتى فارق الدنيا .

قالوا : ولما جهدهم الحصار ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رسول الله بأسراهم فكُتِفُوا رِبَاطًا ، وجعل على كتافهم محمد بن مسلمة ، ونحو ناحية ، وأخرجوا النساء والذريرة من الحصون فكانوا ناحية . واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن سلام ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سورة ٩ التوبة ١٠٢ .

(٢) سورة ٨ الأنفال ٢٧ .

(٣) سورة ٥ المائدة ٤١ .

عليه وسلم بجمع أمتعتهم وما وُجد في حُصونهم من الحَلَقَة والأَثاث والثياب .
فحدّثني ابن أبي سَبْرَة ، عن المِسُور بن رِفاعة ، قال : وُجد فيها
ألف وخمسمائة سيف ، وثلاثمائة دِرْع ، وألفا رُمح ، وألف وخمسمائة تُرْس
وَحَبْجَة ^(١) . وأخرجوا أثاثاً كثيراً ، وآنية كثيرة ، ووجدوا خمرًا
وجِرارَ سَكِرٍ ، فهُرِيق ذلك كلّهُ ولم يُخَمَّس . ووجدوا من الجمال النواضح
عِدَّة ، ومن الماشية ، فجمع هذا كلّهُ .

حدّثني عمر بن محمد ، عن أبي سعيد ، عن جابر بن عبد الله قال : أنا
كنت ممّن كسر جِرارَ السَّكِر يومئذٍ .

حدّثني خارجة بن عبد الله ، عن داود بن الحُصَيْن ، عن أبي سُفْيَان ،
عن محمد بن مَسْلَمَة ، قال : وتَنَحَّى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم فجلس ،
ودنت الأوس إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، حلفاؤنا
دون الخَزَرَج ، وقد رأيت ما صنعتَ ببني قَيْنُقَاع بالأَمْس حلفاء ابنِ
أُبَيٍّ ، وهبَتْ له ثلثمائة حاسِرٍ وأربعمائة دارع . وقد ندم حلفاؤنا على كان
من نَقَضِهِم العهدَ ، فَهَبَهُمْ لنا . ورسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ساكت ،
لا يتكلّم حتى أكثرُوا عليه وأَلَحُّوا ونطقت الأوس كلّها ، فقال رسول الله
صَلَّى الله عليه وسلم : أما تَرْضَوْنَ أَنْ يكونَ الحكمَ فيهم إلى رجلٍ منكم ؟
قالوا : بلى . قال : فذلك إلى سعد بن مُعَاذ . وسعد يومئذٍ في المسجد في
خيمة كُعَيْبَة ^(٢) بنت سعد بن عُتْبَة ، وكانت تُداوى الجَرَحَى ، وتُدَمِّمُ
الشَّمْعَت ، وتقوم على الضائع والذي لا أَحَدَ له وكان لها خيمة في المسجد ،
وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم جعل سعداً فيها . فلمّا جعل رسول الله

(١) الحَبْجَة : الترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب . (الصّحاح ، ص ١٣٤١) .

(٢) هكذا في النسخ . ويقال أيضاً «رفيدة» كما ذكر ابن إسحق . (السيرة النبوية ، ج ٣ ،

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحُكْمَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ خَرَجَتْ الْأَوْسُ حَتَّى جَاءُوهُ ،
فَحَمَلُوهُ عَلَى حِمَارٍ بِشَنْدَءٍ ^(١) مِنْ لَيْفٍ ، وَعَلَى الْحِمَارِ قَطِيفَةٌ فَوْقَ الشَّنْدَةِ
وَحِطَامُهُ حَبْلٌ مِنْ لَيْفٍ . فَخَرَجُوا حَوْلَهُ يَقُولُونَ : يَا أَبَا عَمْرٍو ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ
قَدْ وَلَّاكَ أَمْرَ مَوَالِيكَ لِتُحْسِنَ فِيهِمْ فَأَحْسِنْ ، فَقَدْ رَأَيْتَ ابْنَ أَبِيٍّ وَمَا صَنَعَ
فِي حَلْفَائِهِ . وَالضُّحَّاكُ بْنُ خَلِيفَةَ يَقُولُ : يَا أَبَا عَمْرٍو ، مَوَالِيكَ ، مَوَالِيكَ !
قَدْ مَنَعُوكَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا ، وَاخْتَارُوكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ وَرَجَوُا عِيَاذَكَ ^(٢) ، وَلَهُمْ
جِمالٌ وَعَدَدٌ . وَقَالَ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقَشٍ : يَا أَبَا عَمْرٍو ، أَحْسِنْ فِي
مَوَالِيكَ وَحَلْفَائِكَ ؛ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ الْبَقِيَّةَ ! نَصْرُوكَ
يَوْمَ الْبُعَاثِ وَالْحَدَاقِ وَالْمَوَاطِنِ ، وَلَا تَكُنْ شَرًّا مِنْ ابْنِ أَبِيٍّ .

قال إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه : وجعل قائلهم يقول : يا أبا عمرو .
وإنَّا والله قاتلنا بهم فقتلنا ، وعاززنا بهم فعززنا ! قالوا : وسعد لا يتكلم ، حتى
إذا أكثروا عليه قال سعد : قد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم .
فقال الضُّحَّاكُ بْنُ خَلِيفَةَ : وَأَقْوَمَاهُ ! ثُمَّ رَجَعَ الضُّحَّاكُ إِلَى الْأَوْسِ فَنَعَى
لَهُمْ بَنِي قُرَيْظَةَ . وَقَالَ مُعْتَبٌ بْنُ قُشَيْرٍ : وَأُسُوءُ صَبَاحَاهُ ! وَقَالَ حَاطِبُ بْنُ
أُمَيَّةَ الظَّفَرِيُّ : ذَهَبَ قَوْمِي آخَرَ الدَّهْرِ . وَأَقْبَلَ سَعْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالنَّاسُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُلُوسٌ ، فَلَمَّا
طَلَعَ سَعْدٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ . فَكَانَ
رَبَالُ بْنُ عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَقُولُونَ : فَقَمِنَّا لَهُ عَلَى أَرْجَلِنَا صَفَيْنَ ، يُعْجِيهِ كُلُّ
رَجُلٍ مِنَّا حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَائِلُ يَقُولُ : إِنَّمَا عَنَى
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ « قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ » يَعْنِي بِهِ الْأَنْصَارَ دُونَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « بَسْنَدٌ » ؛ وَمَا أَتَيْنَاهُ هُوَ قِرَاءَةُ ب . وَالشَّنْدَةُ : شِبْهُ إِكَافٍ يَجْعَلُ لِمُقَدِّمَتِهِ حَنُوءَ .

(النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٣٨) .

(٢) فِي ب : « عَائِدِيكَ » .

قُرَيْشٌ . قالت الأوس الذين بقوا عند رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم لسعد : يا أبا عمرو ، إنَّ رسول الله قد ولَّك الحكم ، فأحسن فيهم واذكر بلاعهم عندك . فقال سعد بن مُعَاذ : أترضون بحكمي لبني قُرَيْظَةَ ؟ قالوا : نعم ، قد رضينا بحكمك وأنت غائبُ عنَّا ، اختياراً منَّا لك ورجاء أن تمنَّ علينا كما فعله غيرك في حلفائه من قَيْنُقَاع ، وأثَرْنَا عندك أثَرُنَا ، وأحوجُ ما كنَّا اليومَ إلى مجازاتك . فقال سعد : لا آلوكم جهداً . فقالوا : ما يعنى بقوله هذا ؟ ثم قال : عليكم عهدُ الله وميثاقه أنَّ الحكم فيكم ما حكمتُ ؟ قالوا : نعم . فقال سعد للناحية الأخرى التي فيها رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وهو مُعرَّض عنها لإجلالاً لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : وعلى من هاهنا مثلُ ذلك ؟ فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ومن معه : نعم . قال سعد : فإنِّي أحكمُ فيهم أن يُقتلَ من جرَّت عليه المِوَسِي ، وتُسبَى النساءُ والذُرِّيَّةُ ، وتُقَسَم الأموال . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : لقد حكمتُ بحكم الله عزَّ وجلَّ من فوق سبعة أَرْقَعَةٍ ^(١) . وكان سعد بن مُعَاذ في الليلة التي في صباحها نزلت قُرَيْظَةُ على حكم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قد دعا فقال : اللَّهُمَّ ، إن كنتَ أبقيتَ من حرب قُرَيْشٍ شيئاً فأبقيني لها ، فإنه لا قومَ أحبُّ إليَّ أن أُقاتلَ من قومٍ كذَّبوا رسولَ الله ، وآذوه وأخرجوه ! وإن كانت الحربُ قد وضعت أوزارها عنَّا وعنهم فأجعلْ لي شهادة ، ولا تُمتني حتى تُقرَّ عيني من بني قُرَيْظَةَ ! فأقرَّ الله عينه منهم . فأمر بالسبى فسيقوا إلى دار أسامة بن زيد ، والنساء والذُرِّيَّة إلى دار ابنة الحارث ^(٢) وأمر رسول

(١) الأربعة : السموات ، الواحدة ربيع . (شرح ابن در ، ص ٣٠٦) .

(٢) هي رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد . (شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ،

ج ٢ ، ص ١٦٤) . وقال السهيلي : اسمها كيسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن

عبد شمس . (الروض الأنف ، ج ٢ ، ص ١٩٨) .

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَحْمَالِ التَّمْرِ فَنُشِرَتْ عَلَيْهِمْ ، فَبَاتُوا يَكْدُمُونَهَا كَدَمَ
الْحُمْرِ ، وَجَعَلُوا لِيَلْتَهُمْ يَدْرُسُونَ التَّوْرَةَ ، وَأَمَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالنَّهْيِ عَلَى دِينِهِ
وَلِزُومِ التَّوْرَةِ . وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّلَاحِ وَالْأَثَاثِ وَالْمَتَاعِ
وَالثِّيَابِ ، فَحُمِلَ إِلَى دَارِ بَنَاتِ الْحَارِثِ ؛ وَأَمَرَ بِالْإِبْلِ وَالْغَنَمِ ، فَتُرِكَتْ هُنَاكَ
تَرْعى فِي الشَّجَرِ . قَالُوا : ثُمَّ غَدَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السُّوقِ ،
فَأَمَرَ بِخُدُودِ^(١) فَخُذَّتْ فِي السُّوقِ مَا بَيْنَ مَوْضِعِ دَارِ أَبِي جَهْمِ الْعَدَوِيِّ إِلَى
أَحْجَارِ الزَّيْتِ بِالسُّوقِ ، فَكَانَ أَصْحَابُهُ يَحْفَرُونَ هُنَاكَ ، وَجَلَسَ رَسُولُ
اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، وَدَعَا بِرِجَالِ بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَكَانُوا يَخْرِجُونَ
رَسُولًا رَسُولًا ، تُضْرَبُ أَعْنَاقُهُمْ . فَقَالُوا لَكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ : مَا تَرَى مُحَمَّدًا مَا
يَصْنَعُ بِنَا ؟ قَالَ : مَا يَسُوؤُكُمْ وَمَا يَنْوُؤُكُمْ ، وَيَلْكُمْ ! عَلَى كُلِّ حَالٍ
لَا تَعْقِلُونَ ! أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الدَّاعِيَ لَا يَنْزِعُ ، وَأَنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُ ؟
هُوَ وَاللَّهِ السَّيْفُ ، قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى غَيْرِ هَذَا فَأَبَيْتُمْ ! قَالُوا : لَيْسَ هَذَا بِعَيْنِ
عِتَابٍ ، لَوْلَا أَنَّا كَرِهْنَا أَنْ نُزَرَى بِرَأْيِكَ مَا دَخَلْنَا فِي نَقْضِ الْعَهْدِ الَّذِي
كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ . قَالَ حُيَيٌّ : أَتَرَكُوا مَا تَرَوْنَ مِنَ التَّلَاوُمِ فَإِنَّهُ لَا يَرِدُ
عَنْكُمْ شَيْئًا ، وَاصْبِرُوا لِلْسَّيْفِ . فَلَمْ يَزَالُوا يُقَاتِلُونَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ الَّذِينَ يَلُونِ قَتَلَهُمْ عَلَى وَالزُّبَيْرِ . ثُمَّ أَتَى بِحُيَيِّ بْنِ
أَخْطَبٍ مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، عَلَيْهِ حُلَّةٌ شَقَقِيَّةٌ^(٢) قَدْ لَبَسَهَا لِلْقَتْلِ ،
ثُمَّ عَمِدَ إِلَيْهَا فَشَقَّقَهَا أَنْمُلَةً لَثَلًا يَسْلُبُهُ إِلَيَّاهَا أَحَدٌ ، وَقَدْ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ طَلَعَ : أَلَمْ يُمَكِّنِ اللهُ مِنْكَ يَا عَدُوُّ اللهِ ؟ قَالَ :

(١) الخدود : الحفر المستطيلة في الأرض . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢٩٠) .

(٢) حلة شققية : أى حمراء . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٢٩) . وعلى هامش ب : « تشبيهه بالبلع إذا شقق وهو إذا بدأ يحمر » .

بلى والله ، ما لمتُ نفسي في عداوتك ، ولقد التمسْتُ العِزَّ في مكانه (١) ،
 وأبى الله إلا أن يُمكنك مني ، ولقد قلقْتُ كلَّ مُقلِّق (٢) ، ولكنه من يخذل
 الله يُخذل . ثم أقبل على الناس فقال : يا أيُّها الناس ، لا بأس بأمرِ
 الله ! قدَّر وكتَّابٌ ، ملْحَمَةٌ كُتِبَتْ على بنى إسرائيل ! ثم أمر به فُضِرَ
 عنقه ، ثم أتى بغزال بن سَمْوأل فقال : ألم يُمكن الله منك ؟ قال : بلى
 يا أبا القاسم . فأمر به النبيَّ صَلَّى الله عليه وسلَّم فُضِرَتْ عنقه . ثم أتى
 بنَبَّاش بن قيس ، وقد جابذ (٣) الذي جاء به حتى قاتله فدقَّ الذي جاء به
 أنفه فأرْعَفَه ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم للذي جاء به : لِمَ صنعتَ
 به هذا ؟ أما كان في السيف كفاية ؟ فقال : يا رسول الله ، جابذني لأنَّ
 يهْرُب . فقال : كذب والتوراة يا أبا القاسم ، ولو خلَّاني ما تأخَّرت عن
 موطنٍ قُتِلَ فيه قومي حتى أكون كأحدهم . قال ، ثم قال رسول الله صَلَّى الله
 عليه وسلَّم : أحسِنوا إيسارهم ، وقبِّلوه ، وأسقوهم حتى يُبردوا فتقتلوا من
 بقي ، لا تجمعوا عليهم حرَّ الشمس وحرَّ السلاح - وكان يوماً صائفاً .
 فقبِّلوه وأسقوهم وأطعموهم ، فلما أبردوا راح رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يقتل
 من بقي ، ونظر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى سَلَمَى بنت قيس ، وكانت
 إحدى خالاته ، وكانت قد صلَّت القبْلَتَيْن وبَايَعَتَه ، وكان رِفَاعَة بن سَمْوأل
 له انقطاع إليها وإلى أخيها سَلِيط . بن قيس وأهل الدار ، وكان حين حُبس
 أرسل إليها أن كلِّمى محمّداً في تركي ، فإنَّ لي بكم حُرْمَةً ، وأنت إحدى
 أمّهاته ، فتكون لكم عندي يدًا إلى يوم القيامة . فقال رسول الله صَلَّى الله

(١) في ب : « في مكانه » .

(٢) أي ذهب في كل وجه في البلاد . (أساس البلاغة ، ص ٧٨٨) .

(٣) جابذ : مقلوب جاذب .

عليه وسلّم : ما لك يا أمّ المنذر ؟ قالت : يا رسول الله ، رِفاعة بن سَمْوَال كان يَغشانا وله بنا حُرْمَةٌ فَهَبَهُ لِي . وقد رآه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يَلُودُهَا ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : نعم ، هو لك . ثم قالت : يا رسول الله ، إنه سيُصَلِّي ويأْكُل لحم الجمل . فتبسّم النبي صَلَّى الله عليه وسلّم ، ثم قال : إن يُصَلِّ فهو خيرٌ له ، وإن يثبّت على دينه فهو شرٌّ له . قالت : فأسلم ، فكان يقال له مولى أمّ المنذر ، فشقّ ذلك عليه واجتنب الدار ، حتى بلغ أمّ المنذر ذلك فأرسلت إليه : إني والله ما أنا لك بمولاة ، ولكنني كلّمت رسولَ الله فوهبك لي ، فحققت دَمَكِ وَأَنْتِ على نَسَبِكَ . فكان بعدُ يَغشاهَا ، وعاد إلى الدار .

وجاء سعد بن عبادة ، والحُبَاب بن المنذر فقالا : يا رسول الله ، إن الأَوْس كرهت قتلَ بنِي قُرَيْظَةَ لِمَكَانِ حِلْفِهِمْ . فقال سعد بن مُعَاذ : يا رسول الله ، ما كرهه من الأَوْس مَنْ فِيهِ ^(١) خير ، فَمَنْ كرهه من الأَوْس لا أَرْضَاهُ اللهُ ! فقام أُسَيْد بن حُضَيْر فقال : يا رسول الله ، لا تُبْقِيَنَّ دَارًا من دور الأَوْس إِلَّا فَرَّقْتَهُمْ فِيهَا ، فَمَنْ سَخِطَ ذَلِكَ فلا يُرْغِمِ اللهُ إِلَّا أَنْفَهُ ، فَابْعَثْ إِلَى دَارِي أَوَّلِ دُورِهِمْ . فبعث إلى بنِي عبد الأشْهَلِ باثْنَيْنِ ، فضرب أُسَيْد بن حُضَيْر رَقَبَةً أَحَدَهُمَا ، وضرب أَبُو نَائِلَةَ الْآخَرِ . وبعث إلى بنِي حَارِثَةَ باثْنَيْنِ ، فضرب أَبُو بُرْدَةَ بن النِّيار رَقَبَةً أَحَدَهُمَا ، وَذَفَّفَ ^(٢) عليه مُحَيِّصَةً ، وضرب الْآخَرَ أَبُو عَبْس بن جَبَر ، ذَفَّفَ عليه ظُهَيْر بن رَافِع . وبعث إلى بنِي ظَفَرٍ بِأَسِيرَيْنِ .

فحدّثني يَعْقُوب بن مُحَمَّد ، عن عاصم بن عمر بن قَتَادَةَ ، قال :

(١) ف ب : « أَحَدُهُ خَيْر » .

(٢) ذَفَفَ عليه : أَجْهَزَهُ . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ١٤٢) .

قتل أحدهما قتادة بن النعمان ، وقتل الآخر نضر بن الحارث . قال عاصم :
 وحدثنى أيوب بن بشير المعاوي قال : أرسل إلينا - بني معاوية - بأسيرين ،
 فقتل أحدهما جبر بن عتيك ، وقتل الآخر نعان بن عصر ؛ حليف لهم
 من بلي . قالوا : وأرسل إلى بني عمرو بن عوف بأسيرين ، عقبة بن زيد
 وأخيه وهب بن زيد ، فقتل أحدهما عويم بن ساعدة ، والآخر سالم بن
 عمير . وأرسل إلى بني أمية بن زيد . وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكعب
 ابن أسد مجموعة يداه إلى عنقه ، وكان حسن الوجه ، فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : كعب بن أسد ؟ قال كعب : نعم يا أبا القاسم .
 قال : وما انتفعتم بنصح ابن خراش^(١) وكان مُصدِّقاً بي ، أما أمركم باتباعي
 وإن رأيتموني تُقرئوني منه السلام ؟ قال : بلى والتوراة يا أبا القاسم ، ولولا
 أن تُعيرني اليهود بالجزع من السيف لاتَّبعتك ، ولكنني على دين اليهود .
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قدّمه فاضرب عنقه . فقدّمه فضرب عنقه .
 فحدثنى عتبة بن جبيرة ، عن الحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو
 ابن سعد بن معاذ ، قال : لما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم حَيٍّ بن
 أخطب ، ونبّاش بن قيس ، وغزال بن سموأل ، وكعب بن أسد وقام ،
 قال لسعد بن معاذ : عليك بمن بقي . فكان سعد يُخرجهم رسلاً رسلاً يقتلهم .
 قالوا : وكانت امرأة من بني النضير يقال لها نُبّاتة ، وكانت تحت
 رجلٍ من بني قُرَيْظَةَ فكان يُحبّها وتُحبّه ، فلما اشتدّ عليهم الحصار بكت
 إليه وقالت : إنك لمُفارق . فقال : هو والتوراة ما ترين ، وأنتِ امرأة
 فدلتني عليهم هذه الرّحى ، فإنّا لم نقتل منهم أحداً بعد ، وأنتِ امرأة ، وإن

(١) في الأصل : « جواس » ، وفي ب : « جواش » . وما أثبتناه من ث ، ومن السيرة الحلبية .
 (ج ٢ ، ص ١٢٠) .

يظهر محمدٌ علينا لا يقتل النساء . وإنما كان يكره أن تُسبى ، فأحبَّ أن تُقتل بجُرمها . وكانت في حصن الزبير بن باطا . فدلَّت رَحَى فوق الحصن ، وكان المسلمون ربَّما جلسوا تحت الحصن يستظلُّون في فيَّنه ، فأطلعت الرَّحَى ، فلمَّا رآها القوم انفضَّوا ، وتُدرك خلَّاد بن سُويد فتشدَّخ رأسه ، فحذِر المسلمون أصل الحصن . فلمَّا كان اليوم الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُقتلوا ، دخلت على عائشة فجعلت تضحك ظهرًا لِبَطْنٍ وهى تقول : سرَّاءُ بنى قُرَيْظَةَ يُقتلون ! إذ سمعت صوت قائل يقول : يا نُبَّاتة قالت : أنا والله التي أَدعى . قالت عائشة : ولم ؟ قالت : قَتَلَنِي زَوْجِي - وكانت جارية حلوة الكلام . فقالت عائشة : وكيف قتلِكِ زوجُكِ ؟ قالت : كنت في حصن الزبير بن باطا ، فأمرني فدلَّيت رَحَى على أصحاب محمد فشدخت رأس رجلٍ منهم فمات وأنا أُقتل به . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فقتلت بخِلَّاد بن سُويد . قالت عائشة : لا أنسى طيب نفس نُبَّاتة وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تُقتل . فكانت عائشة تقول : قُتلت بنو قُرَيْظَةَ يومهم حتى قُتلوا بالليل على شَعَل السَّعَف . حدثني إبراهيم بن ثُمَّامة ، عن المِسْوَر بن رِفاعَة عن محمد بن كعب القُرَظِيُّ ، قال : قُتلوا إلى أن غاب الشَّفَق ، ثم رُدَّ عليهم الترابُ في الخَنْدَق . وكان من شُكِّ فيه منهم أن يكون بلغ نُظر إلى مُؤتزره ، إن كان أنبت قُتل ، وإن كان لم يُنبت طُرح في السَّبِي .

فحدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن أبي بكر بن حَزَم ، قال : كانوا ستمائة إلَّا عمرو بن السُّعْدَى وُجدت رِمَّتُهُ^(١) ونَجَا . قال ابن واقد : خروجه من الحصن أثبت .

(١) انظر ابن إسحق . (السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٢٤٩) .

وحدثني موسى بن عبيدة^(١) . عن محمد بن المنكدر ، قال : كانوا ما بين ستمائة إلى سبعمائة . وكان ابن عباس رحمه الله يقول : كانوا سبعمائة وخمسين .

قالوا : وكان نساء بني قريظة حين تحولوا في دار رملية بنت الحارث وفي دار أسامة يفلن : عسى محمد أن يمنّ على رجالنا أو يقبل منهم فدية . فلما أصبح وعلمن بقتل رجالهنّ صحن وشققن الجيوب ، ونشرن الشعور ، وضربن الخدود على رجالهنّ . فملأن المدينة . قال ، يقول الزبير بن باطا : اسكتن ؛ فأنتن أول من سبي من نساء بني إسرائيل منذ كانت الدنيا ؟ ولا يرفع السبي عنهم حتى نلتق نحن وأنتن^(٢) ، وإن كان في رجالكن^(٣) خير فذوكن^(٤) ، فللزمن^(٥) دين اليهود فعليه نموت وعليه نحى .

فحدثني عبد الحميد بن جعفر ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، وحدثني ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، وكل قد حدثني من هذا الحديث بطائفة ، قالوا : كان الزبير بن باطا منّ على ثابت بن قيس يوم بُعث ، فأثبت الزبير فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفني ؟ قال : وهل يجهل مثلي مثلك ؟ قال ثابت : إن لك عندي يدا ، وقد أردت أن أجزيك بها . قال الزبير : إن الكريم يجزي الكريم ، وأحوج ما كنت إليه اليوم . فأثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول

(١) هكذا في الأصل ، وفي ابن حجر . (تهذيب التهذيب ، ج ١ ، ص ٣٥٦) .

وفي ب : « موسى بن عبيد » .

(٢) في كل النسخ : « أنتم » .

(٣) في كل النسخ : « رجالكم » .

(٤) في الأصل : « فذوكم » ؛ وما أثبتناه من نسخة ب .

(٥) في ب : « فلزمن » .

الله إنه كان للزبير عندى يد ، جز ناصيتى يوم بُعث فقال : اذكر هذه النعمة عندك . وقد أحببت أن أجزيه بها فهبه لى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهو لك . فأتاه فقال : إن رسول الله قد وهبك لى . قال الزبير : شيخ كبير . لا أهل ولا ولد ولا مال بيثرب . ما يصنع بالحياة ؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله . أعطنى ولده . فأعطاه ولده فقال : يا رسول الله ، أعطنى ماله وأهله . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ماله وولده وأهله . فرجع إلى الزبير فقال : إن رسول الله قد أعطانى ولدك وأهلك ومالك . فقال الزبير : يا ثابت ، أما أنت فقد كافأتنى وقضيت بالذى عليك . يا ثابت . ما فعل الذى كأن وجهه امرأة صينية تتراعى عذارى الحى فى وجهه - كعب بن أسد ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى ؟ سيد الحيين كليهما ، يحملهم فى الحرب ويطعمهم فى المحل - حى بن أخطب ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل أول غادية اليهود إذا حملوا ، وحاميتهم إذا وگوا - غزال بن سموأل ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل الحوّل القلب الذى لا يؤم جماعة إلا فضّها ولا عقدة إلا حلّها - نباش بن قيس ؟ قال : قُتل . [قال :] فما فعل ليواء اليهود فى الزحف - وهب بن زيد ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل والى رفادة اليهود وأبو الأيتام والأرامل من اليهود - عقبه بن زيد ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل العمران اللذان كانا ياتقيان بدراسة التوراة ؟ قال : قُتلا . قال : يا ثابت ، فما خير فى العيش بعد هؤلاء ! أأرجع إلى دار كانوا فيها حُلُولاً فأخلد فيها بعدهم ؟ لا حاجة لى فى ذلك ، فإنى أسألك بىدى عندك إلا قدمتنى إلى هذا القتال الذى يقتل سراة بنى قريظة ثم يُقدمنى إلى مصارع قوى ، وخذ سيفى فإنه صارم فاضربنى به ضربةً وأجهز ، وارفع يدك

عن الطعام ، وألصق بالرأس واخفض عن الدماغ ، فإنه أحسن للجسد أن يبقى فيه العنق . يا ثابت ، لا أصبر إفراغ دلوٍ من نضح حتى ألقى الأحبة . قال أبو بكر . وهو يسمع قوله : ويحك يا ابن باطا ، إنه ليس إفراغ دلو ، ولكنه عذاب أبدى . قال : يا ثابت ، قدمنى فاقتلنى ! قال ثابت : ما كنت لأقتلك . قال الزبير : ما كنت أبالي من قتلنى ! ولكن يا ثابت ، انظر إلى امرأتى وولدى فإنهم جزعوا من الموت ، فاطلب إلى صاحبك أن يطلقهم وأن يرد إليهم أموالهم . وأدناه إلى الزبير بن العوام ، فقدمه ف ضرب عنقه . وطلب ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهله وماله وولده ، فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما كان من ذلك على ولده ، وترك امرأته من السبا ، ورد عليهم الأموال من النخل والإبل والرثّة إلّا الحلقة ، فإنه لم يردّها عليهم . فكانوا مع آل ثابت بن قيس بن شماس .

قالوا : وكانت ريحانة بنت زيد من بنى النضير متزوجة في بنى قريظة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذها لنفسه صفيًا ، وكانت جميلة ، فعرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسلم ، فأبت إلّا اليهودية . فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجد في نفسه ، فأرسل إلى ابن سعيّة فذكر له ذلك ، فقال ابن سعيّة : فداك أبى وأمى ، هـي تسلم ! فخرج حتى جاءها ، فجعل يقول لها : لا تتبعى قومك ، فقد رأيت ما أدخل عليهم حبي بن الخطب ، فأسلمى يصطفيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه . فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه إذ سمع وقع نعلين فقال : إن هاتين لنعلا ابن سعيّة يبشرنى بإسلام ريحانة . فجاءه فقال : يا رسول الله ، قد أسلمت ريحانة ! فسر بذلك .

فحدثنى عبد الملك بن سليمان ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي

صَعَصَعَةَ ، عن أيوب بن بشير المَعَاوِي ، قال : أرسل بها رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى بيت سلمى بنت قيس أمَّ المُنْدِر ، وكانت عندها حتى حاضت حَيْضَةً ، ثم طهرت من حيضها ، فجاءت أمَّ المُنْدِر فأخبرت النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فجاءها رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في منزل أمَّ المُنْدِر ، فقال لها رسول الله : إن أحببت أعتقك وأتزوجك فعلت ، وإن أحببت أن تكوني في ملكي أطوك بالملك فعلت . فقالت : يا رسول الله ، إنه أخف عليك وعلى أن أكون في ملكك . فكانت في ملك النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم يطؤها حتى ماتت عنده .

فحدثني ابن أبي ذئب قال : سألت الزُّهري عن رِيحانة فقال : كانت أمة لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فأعتقها وتزوجها ، وكانت تحتجب في أهلها وتقول : لا يراني أحد بعد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم . فهذا أثبت الحديثين عندنا . وكان زوج رِيحانة قبل النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم الحَكَم .

ذكر قَسَمِ المِغْنَمِ وبيعه

قالوا : لما اجتمعت المغانم أمر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بالمتاع فبيع فيمن يُريد ، وبيع السَّبْيُ فيمن يُريد ، وقُسمت النخل . فكان بنو عبد الأشهل ، وظَفَر ، وحارثة ، وبنو مُعاوية ، وهؤلاء النِّبَيْت^(١) ، لهم سهم . وكان بنو عمرو بن عَوْف وَمَن بَقِيَ من الأوس سهماً . وكانت بنو النُّجَّار ، ومازِن ، ومالك ، وذُبْيَان ، وعَدِي ، سهماً . وكانت سَلِمة . وزُرَيْق ، وبلحارث بن الخزرج ، سهماً . وكانت الخيل ستة وثلاثين فرساً ؛ فكانت أوَّل ما أُعلِمت سُهمانُ الخيل يوم المُرَيْسِيع ، ثم في بني

(١) أي من ولد النبيت ، وهو عمرو بن مالك بن الأوس . (جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٣٢) .

قُرَيْظَةَ أَيْضاً عُمِلَ فِيهَا مَا عُمِلَ فِي الْمُرَيْسِيعِ . أُسْهِمَ لِلْفَرَسِ سَهْمَانِ وَلِصَاحِبِهِ سَهْمٌ ، وَلِلرَّاجِلِ سَهْمٌ . وَأَسْهِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَخَالِدِ بْنِ سُوَيْدٍ ، قُتِلَ تَحْتَ الْحِصْنِ ، وَأَسْهِمَ لِأَبِي سِنَانِ بْنِ مِخْصَنٍ ، مَاتَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخَاصِرَهُمْ ، وَكَانَ يُقَاتِلُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ . وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، وَالْخَيْلُ سِتَّةً وَثَلَاثِينَ فَرَساً ، فَكَانَتِ السُّهُمَانُ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَاثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ سَهْماً ، لِلْفَرَسِ سَهْمَانِ وَلِصَاحِبِهِ سَهْمٌ .

وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَتِ الْخَيْلُ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ سِتّاً وَثَلَاثِينَ فَرَساً ، وَقَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَفْرَاسٍ ، فَلَمْ يَضْرِبْ إِلَّا سَهْماً وَاحِداً ، وَكَانَتِ السُّهُمَانُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَاثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ سَهْماً ، وَأَسْهِمَ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْأَمْوَالِ ، فَجُزِّئَتْ خَمْسَةً أَجْزَاءَ ، وَكُتِبَ فِي سَهْمٍ مِنْهَا «لِللَّهِ» ، وَكَانَتِ السُّهُمَانُ يَوْمَئِذٍ بِوَاءٍ ^(١) ، فَخُرِجَتِ السُّهُمَانُ ، وَكَذَلِكَ الرِّثَّةُ وَالْإِبِلُ وَالْغَنَمُ وَالسَّبْيُ . ثُمَّ فَضَّ أَرْبَعَةَ أَسْهُمٍ عَلَى النَّاسِ ، وَأَحْذَى ^(٢) النِّسَاءَ يَوْمَئِذٍ اللَّاتِي حَضَرْنَ الْقِتَالَ ، وَضَرَبَ لِرَجُلَيْنِ - وَاحِدٌ ^(٣) قُتِلَ وَآخَرُ مَاتَ . وَأَحْذَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءً شَهِدْنَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَلَمْ يُسْهِمَ لَهُنَّ - صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَأُمُّ عُمَارَةَ ، وَأُمُّ سَلَيْطَ . وَأُمُّ الْعَلَاءِ ، وَالسَّمِيرَاءُ بِنْتُ قَيْسٍ ، وَأُمُّ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ .

فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ نَجْرَةَ السَّاعِدِيِّ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : حَضَرَتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبِيعَ سَبْيَ بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَاشْتَرَى أَبُو الشَّخْمِ الْيَهُودِيَّ امْرَأَتَيْنِ ، مَعَ كُلِّ

(١) بَوَاءٌ : أَيْ سَوَاءٌ . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٩) .

(٢) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي ب : «وَأَخَذَ» . وَأَحْذَى الْغَنِيمَةَ : أَيْ أَعْطَى مِنْهَا . (الصَّحاح ، ص ٢٣١١) .

(٣) فِي الْأَصْلِ : «وَاحِداً» .

واحدة منهما ثلاثة أطفال غلمان ، وجوارٍ بخمسين ومائة دينار ، وجعل يقول : أَلَسْتُمْ عَلَى دِينِ الْيَهُودِ ؟ فَتَقُولُ الْمَرَأَتَانِ : لَا نَفَارِقُ دِينَ قَوْمِنَا حَتَّى نَمُوتَ عَلَيْهِ ! وَهَنْ يَبْكِينَ .

فَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ زَيْدِ بْنِ طَلْحَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمَّا سُبِيَ بَنُو قُرَيْظَةَ - النِّسَاءُ وَالذَّرِيَّةُ - بِأَعْيُنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ طَائِفَةٌ ، وَبَعَثَ طَائِفَةً إِلَى نَجْدٍ ، وَبَعَثَ طَائِفَةً إِلَى الشَّامِ مَعَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، يَبِيعُهُمْ وَيَشْتَرِي بِهِمْ سِلَاحًا وَخَيْلًا ، وَيُقَالُ بِأَعْيُنِهِمْ بَيْعًا مِنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، فَاقْتَسَمَا فَسَهَمَهُ عُثْمَانُ بِمَالٍ كَثِيرٍ ، وَجَعَلَ عُثْمَانُ عَلَى كُلِّ مَنْ جَاءَ مِنْ سَبْيِهِمْ شَيْئًا مُوَفِيًا^(١) ، فَكَانَ يُوجَدُ عِنْدَ الْعَجَائِزِ الْمَالُ وَلَا يُوجَدُ عِنْدَ الشُّوَابِّ ، فَرَبِحَ عُثْمَانُ مَالًا كَثِيرًا - وَسَهَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ - وَذَلِكَ أَنَّ عُثْمَانَ صَارَ فِي سَهْمِهِ الْعَجَائِزُ . وَيُقَالُ : لَمَّا قَسَمَ جَعَلَ الشُّوَابُّ عَلَى حِدَةٍ وَالْعَجَائِزُ عَلَى حِدَةٍ ، ثُمَّ خَيَّرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عُثْمَانَ ، فَأَخَذَ عُثْمَانُ الْعَجَائِزُ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ السَّبْيُ أَلْفًا مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ، فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُمْسَهُ قَبْلَ بَيْعِ الْمَغْنَمِ ، جُزْأً السَّبْيِ خُمُسَةٌ أَجْزَاءٌ ؛ فَأَخَذَ خُمْسًا ، فَكَانَ يُعْتَقُ مِنْهُ وَيَهَبُ مِنْهُ ، وَيُخْدَمُ مِنْهُ مَنْ أَرَادَ . وَكَذَلِكَ صَنَعَ بِمَا أَصَابَ مِنْ رِثَتِهِمْ ، قُسِمَتْ قَبْلَ أَنْ تُبَاعَ ؛ وَكَذَلِكَ النَّخْلُ ، عُزِلَ خُمْسُهُ . وَكُلَّ ذَلِكَ يُسْهِمُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُمُسَةَ أَجْزَاءٍ ، وَيُكْتَبُ فِي سَهْمٍ مِنْهَا «لِللَّهِ» ثُمَّ يُخْرَجُ السَّهْمُ ، فَحَيْثُ صَارَ^(٢) سَهْمُهُ أَخَذَهُ وَلَمْ يَتَخَيَّرْ . وَصَارَ الْخُمْسُ إِلَى مَحْصِيَةِ

(١) فِي ب : «مَوْفِيًا» . وَمَوْفِيًا : أَيُّ زِيَادَةٍ عَلَى الْبَيْعِ الَّذِي دَفَعَهُ . (أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ ، ص ١٠٢٤)

(٢) فِي ب : «فَحَيْثُ طَارَ» .

ابن جَزْءِ الزُّبَيْدِيِّ ، وهو الذى قَسَمَ المَغْنَمَ بين المسلمين .

حدَّثنى عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، أَنَّ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم كان يُسَهم ولا يتَخَيَّر .

حدَّثنى عبد الحميد بن جَعْفَر ، عن أبيه ، قال : نهى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أَنَّ يفرَّق بين سبئى بنى قُرَيْظَةَ فى القَسَم والبيع والنساء والدُّرَّة .

وحدَّثنى ابن أبى سَبْرَةَ ، عن إسحاق بن عبد الله ، أَنَّ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قال يومئذٍ : لا يُفرَّق بين الأمِّ وولدها حتى يبلغوا . فقيل : يا رسول الله ، وما بُلُوغهم ؟ قال : تحيض الجارية ويحتلم الغلام .

وحدَّثنى ابن أبى سَبْرَةَ ، عن يَعْقُوب بن زيد ، عن أبيه ، قال : كان يومئذٍ يُفرَّق بين الأختين إذا بلغتا ، وبين الأمِّ وابنتها إذا بلغت ، وكانت الأمُّ تُباع ، وولدها الصُّغار ، من المشركين من العرب ، ومن يهود المدينة وتيماء وخيبر يخرجون بهم ، فإذا كان الوليد صغيراً ليس معه أمٌّ لم يُباع من المشركين ولا من اليهود ، إلَّا من المسلمين .

فحدَّثنى عُتْبَةُ بن جَبْرِ ، عن جعفر بن محمود ، قال : قال محمَّد ابن مَسْلَمَةَ : ابتعتُ يومئذٍ من السَّبئى ثلاثة ، امرأةً معها ابناها ، بخمسة وأربعين ديناراً ، وكان ذلك حقِّي وحقُّ فرسى من السَّبئى والأرض والرُّثَّة ، وغيرى كهيتى . وكان أسهم للفارس ثلاثة أسهم ، له سهم ولفرسه سهمان .

وحدَّثنى المغيرة بن عبد الرحمن الحِزائى - وكان يُلقَّب قُصَيًّا - عن جَعْفَر بن خارجة قال : قال الزُّبَيْر بن العَوَّام : شهدتُ بنى قُرَيْظَةَ فارساً ، فضُرب لى سهم ، ولفرسى سهم .

وحدثني عبد الملك بن يحيى ، عن عيسى بن مَعْمَر ، قال : كان مع الزبير يومئذ فرسان ، فأَسَّهم له النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خمسةَ أسْهُم .

ذكر سعد بن مُعَاذ

قالوا : لَمَّا حَكَمَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ رَجَعَ إِلَى خِيَمَةِ كُعَيْبَةَ بِنْتِ سَعْدِ الْأَسْلَمِيَّةِ ، وَكَانَ رَمَاهُ حَبَّانُ بْنُ الْعَرِقَةِ - وَيُقَالُ أَبُو أُسَامَةَ الْجُشَمِيُّ - فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ ، فَكَوَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّارِ ، وَانْتَفَخَتْ يَدُهُ فَتَرَكَهُ فَسَالَ الدَّمُ ، فَحَسَمَهُ أُخْرَى فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ : اللَّهُمَّ ، رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي النَّاسِ قَوْمٌ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَقَاتِلَ مِنْ قَوْمٍ كَذَبُوا رَسُولَكَ ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ ! وَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، وَإِنْ كَانَ بَقِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَأَبْقِنِي أَقَاتِلَهُمْ فِيكَ ! وَإِنْ كُنْتَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ ، فَأَفْجُرْ هَذَا الْكَلِمَ وَاجْعَلْ مَوْتِي فِيهِ ، فَقَدْ أَقَرَّرْتُ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ ، لَعَادَتِهِمْ لَكَ وَلِنَبِيِّكَ وَلِأَوْلِيَائِكَ ! فَفَجَرَهُ اللَّهُ ، وَإِنَّهُ لِرَاقِدٌ بَيْنَ ظَهْرَيَّ اللَّيْلِ وَمَا يَدْرِي بِهِ . وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ ، فَأَتَاهُ وَهُوَ يَسُوقُ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَوَجَدُوهُ قَدْ سُجِّيَ بِمُلَاقَةٍ بِيضَاءَ ، وَكَانَ سَعْدٌ رَجُلًا أَبْيَضَ طَوِيلًا ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ رَأْسِهِ وَجَعَلَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهِ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّ سَعْدًا قَدْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِكَ ، وَصَدَّقَ رَسُولَكَ ، وَقَضَى الَّذِي عَلَيْهِ ، فَاقْبِضْ رُوحَهُ بِخَيْرٍ مَا تَقْبِضُ فِيهِ أَرْوَاحَ الْخَلْقِ . فَفَتَحَ سَعْدٌ عَيْنَيْهِ حِينَ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ . وَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

رأس سعد من حِجْرِهِ ثم قام وانصرف ، ولم يمت بعدُ ورجع إلى منزله ، فمكث ساعةً من نهارٍ أو أكثر من ساعةٍ ومات خِلافَهُ . ونزل جبريل عليه السلام حين مات سعد على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، مُعْتَجِرًا بعمامة من إِسْتَبْرَقَ ، فقال : يا مُحَمَّدُ ، مَنْ هذا الرجل الصالح الذى مات فيكم ؟ فُتَحَتْ له أَبْوابُ السماءِ ، واهْتَزَّ له عرش الرحمن . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم لجبريل عليه السلام : عهدى بسعد بن مُعَاذٍ وهو يموت ! ثم خرج فَرَعًا إلى خيمة كُعبية يجرُّ ثوبه مُسرِعًا ، فوجد سعدًا قد مات . وأقبلت رجال بنى عبد الأشْمَهْل ، فاحتملوه إلى منزله . قال : فخرج رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فى أثره ، فينقطع نعل أحدهم فلم يُعْرَجَ عليها ، ويسقط رِداؤه فلم يَلْوِ عليه ، وما يعْرَجُ أحدٌ على أحد حتى دخلوا على سعد . قال أبو عبد الله : وقد سمعنا أَنَّ النَّبِيَّ حضره حين تُوَفِّي .

وأخبرنى مُعَاذُ بن مُحَمَّدٍ ، عن عطاء بن أبي مُسلم ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابن عباس ، قال : لَمَّا انفجرت يد سعد بالدم قام إليه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم فاعتنقه ، والدم يَنْفَجُ فى وجه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وَلِحْيَتِهِ ، لا يُريد أحدٌ أن يقي رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم الدم إلَّا ازداد منه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قُرْبًا ، حتى قَضَى .

وحدَّثنى سُلَيْمَانُ بن داود ، عن الحُصَيْنِ ، عن أبيه ، عن أبي سُفيان ، عن سَلَمَةَ بن خريش ، قال : رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، ونحن على الباب نُريد أن ندخل على أثره ، فدخل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وما فى البيت أحدٌ إلَّا سعد مُسَجًى . قال : فرأيتُهُ يتخطى ، فلمَّا رأيتُهُ يتخطى وقفتُ ، وأومأَ إلى : قِفْ ! فوقفتُ ، ورددت من ورائى ، وجلس ساعةً ثم خرج فقلت : يا رسول الله ، ما رأيتُ أحدًا وقد رأيتُكَ تتخطى !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما قدرت على مجلس حتى قبض لي ملك من الملائكة أحد جناحيه ، فجلست . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هنيئاً لك أبا عمرو ! هنيئاً لك أبا عمرو ! .

حدثني محمد بن صالح ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، قال : فانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأم سعد تبكي وتقول :

وَيْلُ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدًا جَلَادَةً وَحَدًّا^(١)

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : مهلاً يا أم سعد ، لا تذكرى سعداً . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دَعَهَا يَا عُمَرُ ، فكلُّ باكية مُكثرة إلا أم سعد ، ما قالت من خير فلم تكذب . وأم سعد ؛ كبشة بنت عبيد بن معاوية بن عبيد بن الأبيجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، وأختها ؛ الفارعة بنت معاوية بن عبيد ، وهي أم سعد بن زُرارة . قالوا : ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُغسل ، فغسله الحارث ابن أوس بن مُعاذ ، وأُسَيد بن حُضَير ، وسَلَمَة بن سَلَامَة بن وَقَش يصب الماء ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم حاضر . فغُسل بالماء الأولى ، والثانية بالماء والسُّدُر ، والثالثة بالماء والكافور ، ثم كُفِّن في ثلاثة أثوابٍ صُحرائية^(٢) وأُدْرِج فيها إدراجاً ، وأُتِيَ بسريره كان عند آل سَبْط . يُحْمَل عليه الموتى ، فوُضِع على السرير ، فَرُئِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمله بين عمودَيْ سريره حين رُفِع من داره إلى أن خرج .

وحدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن أبي بكر بن

(١) في الأصل : « جَلَادَةٌ وَحَدًّا » ؛ وما أثبتناه من ب .

(٢) نسبة إلى صحار ، قرية باليمن . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٥٣) .

حَزَم ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن عمرة ، عن عائشة ،
 قالت : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشی أمام جنازة سعد بن مُعَاذ .
 وحدثني سَعِيد بن أَبِي زَيْد ، عن رَبِيع بن عبد الرحمن بن أَبِي سَعِيد
 الْخُدْرِي ، عن أَبِيهِ ، عن جَدِّهِ ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حين بلغه موت سعد بن مُعَاذ . فخرج بالناس ، فلما برز إلى الْبَقِيع قال :
 خُذُوا فِي جِهَازِ صَاحِبِكُمْ ! قال أَبُو سَعِيد : وكنت أنا مِمَّنْ حَفَرَ لَهُ قَبْرَهُ ،
 وكان يفوح علينا الْمِسْكُ كُلَّمَا حَفَرْنَا قَبْرَهُ مِنْ تَرَابٍ ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى
 اللَّحْدِ . قال رَبِيع : ولقد أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ شُرْحَبِيلِ
 ابْنِ حَسَنَةَ ، قال : أَخَذَ إِنْسَانٌ قَبْضَةً مِنْ قَبْرِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَذَهَبَ بِهَا ،
 ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَإِذَا هِيَ مِسْكٌ .

قالوا : ثُمَّ احْتَمَلُ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ كُنْتَ لَتَقَطْعُنَا فِي ذَهَابِكَ
 إِلَى سَعْدٍ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خَشِينَا أَنْ تَسْبِقَنَا الْمَلَائِكَةُ
 إِلَيْهِ كَمَا سَبَقْتَنَا إِلَى غَسْلِ حَنْظَلَةَ^(١) . وقالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَانَ سَعْدٌ
 رَجُلًا جَسِيمًا فَلَمْ نَرِ أَحَفَّ مِنْهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : رَأَيْتُ
 الْمَلَائِكَةَ تَحْمِلُهُ . قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يَقُولُونَ إِنَّمَا خَفَّ لِأَنَّهُ
 حَكَمَ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ . قال : كَذِبُوا ، وَلَكِنَّهُ خَفَّ لِحَمْلِ الْمَلَائِكَةِ .

فَكَانَ أَبُو سَعِيدِ الْخُدْرِي يَقُولُ : طَلَعَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَقَدْ فَرَّغْنَا مِنْ حُفْرَتِهِ ، وَوَضَعْنَا اللَّبْنَ وَالْمَاءَ عِنْدَ الْقَبْرِ ، وَحَفَرْنَا لَهُ عِنْدَ دَارِ
 عُقَيْلِ الْيَوْمِ ، وَطَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا ، فَوَضَعَهُ رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ قَبْرِهِ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ مَا
 مَلَأَ الْبَقِيعَ .

(١) أَيِ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَامِرِ الْغَسِيلِ . (الاستيعاب ، ص ٣٨١) .

قال الواقدي : حدثني إبراهيم بن الحُصَيْن ، عن داود بن الحُصَيْن ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه ، قال : لما انتهبوا إلى قبره نزل في قبره أربعة نفر : الحارث بن أوس بن مُعَاذ ، وأَسِيد بن حُصَيْر ، وأبو نائلة ، وسَلَمَة بن سَلَامَة ، ورسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم واقف على قَدَمَيْهِ على قبره ؛ فلما وُضِع في لَحْدِهِ تَغَيَّر وجهُ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وسبّح ثلاثاً ، فسبّح المسلمون ثلاثاً حتى ارتجّ البقيع . ثم كَبَّر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ثلاثاً ، وكَبَّر أصحابُه ثلاثاً حتى ارتجّ البقيع بتكبيره . فسُئِل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم عن ذلك فقل : يا رسول الله ، رأينا لوجهك تَغَيَّراً وسبّحت ثلاثاً ! قال : تَضايق على صاحبكم قبره ، وضمّ ضَمَّةً لو نجا منها أحدٌ لنجا منها سعد ، ثم فرّج الله عنه .

حدثني إبراهيم بن الحُصَيْن ، عن المِسْوَر بن رِفَاعَة ، قال : جاءت أمّ سعد - وهي كَبْشَة بنت عُبَيْد - تنظر إلى سعد في اللّحد ، فردّها الناس فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : دَعَوْها ! فأقبلت حتى نظرت إليه ، وهو في اللّحد قبل أن يُيَسَّنَى عليه اللّبن والتراب ، فقالت : أحسبُكِ عند الله ! وعَزَّاهَا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم على قبره ؛ وجلس ناحية ، وجعل المسلمون يردّون تراب القبر ويُسَوُّونه ، وتنحى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فجلس حتى سُوِّيَ على قبره ورُشَّ على قبره الماء ، ثم أقبل فوقف عليه فدعا له ، ثم انصرف .

ذكر من قُتِل من المسلمين في حصار بني قُرَيْظَة
خَلَاد بن سُويِد من بلحارث بن الخزرج ، دلّت عليه نُبَاتَة رَحَى
فشدخت رأسه ، فقال النبي صَلَّى الله عليه وسلّم : له أجر شهيد ! وقتلها به . ومات أبو سِنَان بن مِحْصَن ، فدُفِنه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم هناك ،

فهو في مقبرة بني قُرَيْظَةَ اليوم .

حدَّثنا الواقدي قال : حدَّثني إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، قال :
لَمَّا قُتِلَتْ بنو قُرَيْظَةَ ، قدم حُسَيْلُ بن نُؤَيْرَةَ الْأَشْجَعِيِّ خَيْبَر ، قد سار
يومين ، ويهود بني النَّضِير - سَلَامُ بنِ مِشْكَم ، وَكِانَةَ بنِ الرَّبِيعِ بنِ أَبِي الْحَقِيقِ .
ويهود خَيْبَرِ جُلُوسٌ في نَادِيهِمْ يَتَحَسَّبُونَ خبر قُرَيْظَةَ ، قد بلغهم أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حَصَرَهُمْ وهم يَتَوَقَّعُونَ ما هو كائِنْ ، فقالوا : ما
وراءك ؟ قال : الشرُّ ! قُتِلَتْ مُقَاتِلَةُ قُرَيْظَةَ صَبْرًا بالسيف ! قال كِنَانَةُ :
ما فعل حُيَيٌّ ؟ قال حُسَيْلُ : حُيَيٌّ قد طاح ، ضُرِبَتْ عُنُقُهُ صَبْرًا . وجعل
يُخْبِرُهُمْ عن سَرَائِهِمْ - كعب بنِ أَسَد ، وَغَزَالُ بنِ سَمَوَّال ، وَنَبَّاشُ بنِ
قَيْس - أَنَّهُ حَضَرَهُمْ قُتِلُوا بين يَدَيِ مُحَمَّدٍ . قال سَلَامُ بنِ مِشْكَم : هذا
كُلُّهُ عمل حُيَيِّ بنِ أَخْطَب ، شَأْمُنَا أَوَّلًا وَخَالَفْنَا فِي الرَّأْيِ ، فَأَخْرَجْنَا مِنْ
أَمْوَالِنَا وَشَرَفْنَا وَقَتْلَ إِخْوَانِنَا . وَأَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ سَبَاءُ الذُّرِّيَّةِ ؛ لا قَامَتْ يَهُودِيَّةٌ
بِالْحِجَازِ أَبَدًا ، ليس لليهود عِزٌّ ولا رَأْي . قالوا : وبلغ النساءُ فَصِيحَنَ ،
وَشَقِيقَتَيْ الْجُبُوبِ ، وَجَزْنَ الشُّعُورَ ، وَأَقَمْنَ الْمَاتِمَ ، وَضَوَى إِلَيْهِنَّ نِسَاءُ
العرب . وَفَزِعَتْ الْيَهُودُ إِلَى سَلَامٍ بنِ مِشْكَم فقالوا : فما الرَّأْيُ أَبَا عمرو ؟
ويقال أَبَا الْحَكَمِ . قال : وما تصنعون برأْي لا تأخذون منه حَرْفًا ؟ قال
كِانَةُ : ليس هذا بحِجْنِ عِتَاب ، قد صار الأمرُ إلى ما ترى . قال : مُحَمَّدٌ
قد فرغ من يهود يَثْرِبَ ، وهو سائرٌ إليكم ، فنازل بساحتكم ، وصانع بكم
ما صنع بنِي قُرَيْظَةَ . قالوا : فما الرَّأْيُ ؟ قال : نسير إليه بمن معنا من
يهود خَيْبَرِ ، فلهم عدد ، ونستجلبُ يهود تَيْمَاءَ ، وَفَدَكَ ، ووادي القُرَى ؛ ولا
نستعين بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ ، فقد رأَيْتُمْ في غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ ما صنعت بكم
العرب بعد أَن شَرِطْتُمْ لَهُمْ تَمَرَ خَيْبَرِ نَقَضُوا ذَلِكَ وَخَذَلُوكُمْ ، وطلبوا من
مُحَمَّدٍ بَعْضَ تَمَرِ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ، وينصرفون عنه ، مع أَنَّ نَعِيمَ بنِ مَسْعُودٍ

هو الذى كادهم بمحمّد ، ومعروفهم إليه معروفهم ! ثم نسير إليه فى عُقر داره فنقاتل على وترٍ حديثٍ وقديم . فقالت اليهود : هذا رأى . فقال كِنانة : إني قد خبرتُ العربَ فرأيتهم^(١) أشدّاء عليه ، وحصوننا هذه ليست مثل ما هناك ، ومحمّد لا يسير إلينا أبداً لِمَا يعرف . قال سَلَامُ بن مِشْكَم : هذا رجلٌ لا يُقاتل حتى يُؤخذ برقبته . فكان ذلك [والله]^(٢) محمود !
وقال حَسَّان بن ثابت يرثى سعد بن مُعَاذ^(٣) . . .

باب شأن سريّة عبد الله بن أنيس إلى سفيان بن خالد بن نبیح

قال عبد الله بن أنيس : خرجتُ من المدينة يوم الاثنين لخمسِ خلون من المحرم ، على رأس أربعة وخمسين شهراً ، فغبت اثنى عشرة ليلة ، وقدمت يوم السبت لسبعِ بقين من المحرم .

قال الواقديّ : حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن جبّير ، عن موسى بن جبّير ، قال : بلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أنّ سفيان بن خالد بن نبیح الهذليّ ، ثم اللّحيانيّ ، وكان نزل عُرنة^(٤) وما حولها فى ناسٍ من قومه وغيرهم ، فجمع الجموع لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وضوى إليه بشراً كثيرٌ من أفناء الناس . فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عبد الله بن أنيس ، فبعثه سريّةً وحده إليه ليقتله ، وقال له رسول الله صلّى الله عليه

(١) فى ب : « فرأيتهم ووجدتهم » .

(٢) زيادة من نسخة ب .

(٣) ذكر ابن إسحاق أبيات حسان بن ثابت . (السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٢٨٢) .

(٤) فى الأصل : « عزبة » ؛ وما أثبتناه من ب . وعرفة : موضع بقرب عرفة ، موضع الحجيج .

(شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٧٦) .

وسلم : انتسب إلى خُزاعة . فقال عبد الله بن أنيس : يا رسول الله ما أعرفه ،
فصّفه لي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك إذا رأيته هبته
وفرقت منه وذكرت الشيطان . وكنت لا أهاب الرجال ، فقلت : يا رسول
الله ، ما فرقت من شيء قط . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى ،
آية بينك وبينه ^(١) أن تجد له قُشْعِرِيرَةً إذا رأيته . واستأذنت
النبي صلى الله عليه وسلم أن أقول ، فقال : قل ما بدا لك . قال : فأخذت
سيفي لم أزد عليه . وخرجت أعترى إلى خُزاعة ، فأخذت على الطريق حتى
انتهيت إلى قُدَيْد ، فأجد بها خُزاعة كثيراً ، فعرضوا على الحُمَْلان والصحابه ،
فلم أريد ذلك وخرجت ^(٢) حتى أتيت بطن سرف ، ثم عدلت حتى خرجت
على عُرنة ، وجعلت أخبر من لقيت أنني أريد سُفَيان بن خالد لأكون معه ،
حتى إذا كنت ببطن عُرنة لقيته يمشى ، ووراءه الأحابيش ومن استجلب
وضوى إليه . فلما رأيته هبته ، وعرفته بالنعت الذي نعت لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم . ورأيتني أقطر ^(٣) فقلت : صدق الله ورسوله ! وقد
خلت في وقت العصر حين رأيته ، فصليت وأنا أمشي أومئ إيماء برأسي ،
فلما دنوت منه قال : من الرجل ؟ فقلت : رجل من خُزاعة ، سمعتُ بجمعك
لمحمد فجئتُك لأكون معك . قال : أجل ، إني لفي الجمع له . فمشيتُ
معه ، وحدثته فاستحلى حديثي ، وأنشدته شعراً ، وقلت : عجباً لِمَا
أحدث محمد من هذا الدين المُحدث ؛ فارق الآباء وسفه أحلامهم ! قال :
لم يَلَقَ محمدٌ أحداً يُشبهني ! قال : وهو يتوَكَّأ على عصا يهد الأرض ،

(١) في ب : « بينك وبين ذلك » .

(٢) في ب : « فخرجت أمشي » .

(٣) في الأصل : « أنظر » ؛ وما أثبتناه هو قراءة ب .

حتى انتهى إلى خبيائه . وتفرّق عنه أصحابه إلى منازل قريبة منه
وهم مُطيفون به . فقال : هلمّ يا أخا خُزاعة ! فدنوت منه فقال لجاريته :
احلّبي ! فحلبت ثم ناولتني . فمصصت ثم دفعته إليه ، فعبّ كما يعبّ
الجمال حتى غاب أنفه في الرغوة^(١) . ثم قال : اجلس . فجلست معه ،
حتى إذا هدأ الناس وناموا وهدأ ، اغتررت^(٢) فقتلته وأخذت رأسه ؛ ثم
أقبلت وتركت نساءه يبيكين عليه ، وكان النجاء مني حتى صعدت في
جبل فدخلت غاراً . وأقبل الطلب من الخيل والرجال تَوَزَّع في كل وجه ،
وأنا مُختف في غار الجبل ، وضربت العنكبوت على الغار ، وأقبل رجلٌ ومعه
إداوة ضخمة ونعلاه في يده . وكنت حافياً ، وكان أهمّ أمري عندى العطش ،
كنت أذكر تهامة وحرّها . فوضع إداوته ونعله وجلس يبول على باب الغار ،
ثم قال لأصحابه : ليس في الغار أحد . فانصرفوا راجعين . وخرجتُ إلى
الإداوة فشربت منها وأخذت النعلين فلبستهما . فكنت أسير الليل وأتوارى
النهار حتى جئت المدينة فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فلما
رأني قال : أفلح الوجه ! قلت : أفلح وجهك يا رسول الله ! فوضعت رأسه
بين يديه ، وأخبرته خبري ، فدفع إليّ عصاً فقال : تخصّر^(٣) بهذه في
الجنة . فإن المتخصّرين في الجنة قليل . فكانت عند عبد الله بن أنيس
حتى إذا حضره الموت أوصى أهله أن يُدرجوها في كفنه . وكان قتله في
المحرّم على رأس أربعة وخمسين شهراً .

(١) الرغوة : زبد اللبن . (الصحاح ، ص ٢٣٦٠) .

(٢) في الأصل : « اغتريته » ؛ وما أثبتناه هو قراءة ب . واغتررت : أى أخذته في غفلة .

(٣) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٧٦ .

(٣) التخصّر : الاتكاء على قضيب ونحوه . (شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ، ج ٢ ،

ص ٧٦) .

غزوة القرطاء^(١)

حدثني خالد بن إلياس ، عن جعفر بن محمود ، قال : قال محمد ابن مسلمة : خرجت في عشر ليالٍ خلون من المحرم ، فغبت تسع عشرة ، وقدمت الليلة بقيت من المحرم على رأس خمسة وخمسين شهراً .

حدثني عبد العزيز بن محمد بن أنس الظنفرى ، عن أبيه ، وحدثنا عبد العزيز بن سعد ، عن جعفر بن محمود ، زاد أحدهما على صاحبه في الحديث . قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة في ثلاثين رجلاً . فيهم عبّاد بن بشر ، وسلمة بن سلامة بن وقش ، والحارث ابن خزيمة . إلى بنى بكر بن كلاب . وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار ، وأن يشنّ عليهم الغارة . فكان محمد يسير الليل ويكمن النهار ، حتى إذا كان بالشربة^(٢) لقي ظعنًا ، فأرسل رجلاً من أصحابه يسأل من هم . فذهب الرسول ثم رجع إليه فقال : قوم من مُحارب . فنزلوا قريباً منه ، وحلّوا وروّحوا ماشيتهم . فأمهلهم حتى إذا ظعنوا أغار عليهم ، فقتل نفراً منهم وهرب سائرهم . فلم يطلب من هرب ، واستاق نَعْمًا وشاء ولم يعرض للظعن . ثم انطلق حتى إذا كان بموضع يُطلعه على بنى بكر بعث عبّاد ابن بشر إليهم : فأوفى على الحاضر فأقام : فلمّا روّحوا ماشيتهم وحلبوا وعطّنوا^(٣) جاء إلى محمد بن مسلمة فأخبره ، فخرج محمد بن مسلمة فشنّ عليهم الغارة . فقتل منهم عشرة ، واستاقوا النعم والشاء ثم انحدروا

(١) القرطاء : بطن من بنى بكر . (شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ١٧٣) .

(٢) في الأصل : « بالشربة » ؛ والتصحيح من نسخة ب . والشربة : موضع بين السليمة والربذة .

وقيل هي فيما بين نخل ومعدن بنى سليم . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٢٨) .

(٣) عطنت الإبل : رويت ثم بركت . (القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٤٨) .

إلى المدينة ، فما أصبح حين أصبح إلّا بضريّة^(١) . مسيرة ليلة أو ليلتين .
ثم حدرنا النّعم ، وخفنا الطلب ، وطرّنا الشاء أشدّ الطرد . فكانت تجرى
معنا كأنّها الخيل ، حتى بلغنا العدّامة . فأبطأ علينا الشاء بالرّبدة^(٢) .
فخلّفناه مع نفرٍ من أصحابي يقصدون به ، وطرّد النّعم فقدم به المدينة على
النبي صلّى الله عليه وسلّم . وكان محمّد يقول : خرجت من ضريّة . فما
ركبت خطوةً حتى وردتُ بطن نخل^(٣) ؛ فقدم بالنّعم . خمسين ومائة
بعير ، والشاء وهى ثلاثة آلاف شاة . فلمّا قدمنا خمّسه رسولُ الله صلّى الله
عليه وسلّم ثم فُضّ على أصحابه ما بقى ، فعدلوا الجُزور بعشرٍ من الغنم ،
فأصاب كلٌّ : جلٍ منهم .

غزوة بنى لحيان

حدّثنى عبد الملك بن وهب أبو الحسن الأسلميّ . عن عطاء بن أبي
مروان ، قال : خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لهلال ربيع الأوّل سنة
ستٍ فبلغ غُران وعُسفان^(٤) ، وغاب أربع عشرة ليلة .
حدّثنى معمر ، عن الزُّهرى . عن ابن كعب بن مالك . وحدّثنى
يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة ، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، وغيرهما
قد حدّثنى ، وقد زاد أحدهما على صاحبه ، قالوا : وجد رسولُ الله صلّى الله

(١) قال ابن سعد : إن ضريّة على سبع ليالٍ من المدينة . (الطغفات ج ٢ ، ص ٥٦) .
(٢) الرّيدة : قرية بنجد من عمل المدينة على ثلاثة أيام منها ، وقيل أربعة أيام . (وفاء الوفا ،
ج ٢ ، ص ٢٢٧) .
(٣) نخل : مكان على يمين من المدينة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٨١) .
(٤) فى الأصل : « غران » ؛ وما أثبتناه من ب ، ومن ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، ج ٣ ،
ص ٢٩٢) . وغران : اسم وادى الأزرق خلف أمج بميل . وعسفان : قرية جامعة بين
مكة والمدينة على نحو يمين من مكة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ ، ٣٤٥) .

عليه وسلّم على عاصم بن ثابت وأصحابه^(١) وجداً شديداً ، فخرج
[في مائتي رجل ومعهم عشرون فرساً]^(٢) في أصحابه فنزل بمَضْرِبِ
الْقُبَّةِ^(٣) من ناحية الجُرْف ، فعسكر في أوّل نهاره وهو يُظهر أنّه
يُريد الشام . ثم راح مُبرداً فمرّ على غُرَابَاتِ^(٤) ، ثم على بَيْنِ^(٥) ، حتى
خرج على صُخَيْرَاتِ الثُّمَامِ^(٦) ، فلقى الطريق هناك . ثم أسرع السير
حتى انتهى إلى بطن غُران حيث كان مُصَابِهِمْ ، فترحّم عليهم وقال : هَنَيْشاً
لكم الشهادة ! فسمعت به لِحِيان فهربوا في رؤوس الجبال ، فلم نقدر منهم
على أحد . فأقام يوماً أو يومين وبعث السَّرايا في كلّ ناحية ، فلم يقدرُوا على
أحد ، ثم خرج حتى أتى عُسْفَانَ ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
لأبي بكر : إِنَّ قُرَيْشاً قد بلغهم مسيرى وأنّى قد وردتْ عُسْفَانَ ، وهم يهابون
أن آتيهم ، فاخرجْ في عشرة فوارس . فخرج أبو بكر فيهم حتى أتوا
الغَمِيمَ ، ثم رجع أبو بكر إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولم
يلق أحداً . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إِنَّ هذا يبلغ
قُرَيْشاً فَيَذَعُوهُمْ . ويخافون أن نكون نُريدُهم - وخُبيب بن عديّ
يومئذٍ في أيديهم . فبلغ قُرَيْشاً أَنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
قد بلغ الغَمِيمَ ، فقالت قُرَيْش : ما أتى مُحَمَّدُ الغَمِيمَ إلّا يُريد أن يُخلّص

(١) قتلوا يوم بئر معونة .

(٢) زيادة من نسخة ب .

(٣) هكذا في النسخ ؛ ولهله يريد قباء ، وهي قرية بعمّال المدينة (وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٣٥٧) .

(٤) ويقال غراب ؛ بصيغة المفرد كما في ابن إسحاق ، وهو جبل بناحية المدينة . (السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٣٩٢) .

(٥) بين : قرية من قرى المدينة تقرب من السّيالة . (معجم ما استعجم ، ص ١٨٩) .

(٦) ويقال الثَّمامة ؛ كما ذكر السَّهْودِي . (وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٢٧٣) . ورواه ابن إسحاق بالياء التحتية بدل المثلثة . (السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٢٩٢) .

خُبَيْبًا . وكان خُبَيْب وصاحبه في حديدٍ مُوثَقين ، فجعلوا في رقابهم الجوامع ، وقالوا : قد بلغ محمدٌ صَجْنان وهو داخلٌ علينا ! فدخلت ماوِيَّةٌ على خُبَيْب فأخبرته الخبرَ وقالت : هذا صاحبك قد بلغ صَجْنان يُريدكم . فقال خُبَيْب : وهل ؟ قالت : نعم . قال خُبَيْب : يفعل الله ما يشاء ! قالت : والله ، ما ينتظرون بك إلا أن يخرج الشهر الحرام ، ويُخرجوك فيقتلوك ويقولون : أترى محمدًا غزانًا في الشهر الحرام ونحن لا نستحلُّ أن نقتل صاحبه في الشهر الحرام ؟ وكان مأسورًا عندهم ، وخافوا أن يدخلها رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عليهم . فانصرف رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى المدينة وهو يقول : آثبون ، تائبون ، عابدون ، لربنا حامدون ! اللهم ، أنت الصاحب في السفر ، والخليفة على الأهل ! اللهم ، أعوذُ بك من وعشاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في الأهل والمال ! اللهم ، بلغنا بلاغًا صالحًا يبلغ إلى خير ، مَغْفِرَةً منك ورضوانًا ! وغاب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عن المدينة أربعَ عشرةَ ليلةً ، وكان استخلف على المدينة ابنُ أمِّ مكتوم ، وكانت سنة ستٍّ في المحرم ، وهذا أوَّل ما قال هذا الدعاء ، ذكره أصحابنا كلُّهم .

غزوة الغابة

حدثني عبد العزيز بن عُقبة بن سَلَمَةَ بن الأَكْوَع ، عن إياس بن سَلَمَةَ ، عن أبيه ، قال : أغار عُيَيْنَةُ ليلةَ الأربعاءِ لثلاثِ خلونٍ من ربيع الآخر سنة ستٍّ ، وغزونا مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في طلبه يومَ الأربعاءِ ، فغبنا خمَسَ ليالٍ ورجعنا ليلةَ الاثنين . واستخلف رسولُ الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ ، وَعَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ ، وَغَيْرُهُمْ ، فَكُلُّهُمْ قَدْ حَدَّثَنِي بِطَائِفَةٍ ، قَالُوا : كَانَتْ لِقَاحُ ^(١) رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرِينَ لِقَاحَةً ، وَكَانَتْ مِنْ شَتَّى ، مِنْهَا مَا أَصَابَ فِي ذَاتِ الرَّقَّاعِ ، وَمِنْهَا مَا قَدِمَ بِهِ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ مِنْ نَجْدٍ . وَكَانَتْ تَرعى الْبَيْضَاءُ ^(٢) ، وَدُونَ الْبَيْضَاءِ ، فَأَجْذَبَ مَا هُنَاكَ فَقَرَّبُوهَا إِلَى الْغَابَةِ ، تُصِيبُ مِنْ أَثْلِهَا وَطَرَفَائِهَا وَتَغْدُو فِي الشَّجَرِ - قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : الْغَادِيَّةُ : تَغْدُو فِي الْعِصَاهِ ، أَمْ غِيلَانٍ وَغَيْرَهَا ؛ وَالْوَاضِعَةُ : الْإِبِلُ تَرعى الْحَمَضَ ؛ وَالْأَوَارِكُ : الَّتِي تَرعى الْأَرَكَ - فَكَانَ الرَّاعِي يُوَوِّبُ بِلِينِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ عِنْدَ الْمَغْرَبِ . وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ قَدْ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى لِقَاحِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الضَّاحِيَةِ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكَ ، وَنَحْنُ لَا نَأْمَنُ مِنْ عِيْنَةِ ابْنِ حِصْنٍ وَذَوِيهِ ، هِيَ فِي طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِهِمْ . فَأَلَحَّ عَلَيْهِ أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : ائْذَنْ لِي . فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَكَأَنِّي بَكَ ، قَدْ قُتِلَ ابْنُكَ ، وَأَخَذْتَ امْرَأَتَكَ ، وَجِئْتَ تَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَاكَ . فَكَانَ أَبُو ذَرٍّ يَقُولُ : عَجِبًا لِي ! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « لَكَأَنِّي بَكَ » وَأَنَا أُلَحُّ عَلَيْهِ . فَكَانَ وَاللَّهِ عَلَى مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَكَانَ الْمُقَدَّادُ بْنُ عَمْرٍو يَقُولُ : لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ السَّرْحِ جَعَلْتُ فَرَسِي سَبْحَةً لَا تَقْرُ ضَرْبًا بِأَيْدِيهَا وَصَهِيلاً . فَيَقُولُ أَبُو مَعْبُدٍ : وَاللَّهِ ، إِنَّ لَهَا شَأْنًا ! فَتَنْظُرُ آرِيَّهَا ^(٣) فَإِذَا هُوَ مَمْلُوءٌ عِلْفًا ، فَيَقُولُ : عَطَشِي ! . فَيَعْرِضُ الْمَاءَ تَلِيهَا فَلَا تُرِيَاهُ ، فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ أَسْرَجَهَا وَلَبَسَ سِلَاحَهُ ، وَخَرَجَ حَتَّى صَلَّى الصُّبْحَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا ، وَدَخَلَ النَّبِيُّ

(١) الْإِبِلُ . الْإِبِلُ الْحَوَامِلُ دُمَاتِ الْأَلْبَانِ . (شَرْحُ أَبِي ذَرٍّ ، ص ٣٢٩) .

(٢) الْبَيْضَاءُ : مَوْضِعُ دُمَاءِ حَمَى الرِّبْذَةِ . (مَعْجَمُ مَا اسْتَعْجَمَ ، ص ١٨٤) .

(٣) الْآرَى : حَبْلٌ تَنْزِلُ بِهِ الدَّابَّةُ فِي نَسَبِهَا . (الصَّحَاحُ ، ص ٢٢٦٧) .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتَهُ ، وَرَجَعَ الْمَقْدَادَ إِلَى بَيْتِهِ . وَفَرَسَهُ لَا تَقَرَّ . فَوَضَعَ
سَرَجَهَا وَسِلَاحَهُ وَاضْطَجَعَ ، وَجَعَلَ (١) إِحْدَى رَجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى . فَأَتَاهُ
آتٍ فَقَالَ : إِنَّ الْخَيْلَ قَدْ صَبَحَ بِهَا . فَكَانَ أَبُو ذَرٍّ يَقُولُ : وَاللَّهِ . إِنَّا لَنُفِي
مَنْزِلُنَا . وَلَقَدْ أَحْرَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِدَا رُوحَتِ : وَعُظُنْتُ :
وَحُلِبْتُ عَمَّتُهَا (٢) . وَنَمْنَا . فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلِ أَحْدَقَ بِنَا عُيَيْنَةَ فِي أَرْبَعِينَ
فَارِسًا ، فَصَاحُوا بِنَا وَهَمَّ قِيَامٌ عَلَى رِءُوسِنَا ، فَأَشْرَفَ لَهُمْ ابْنِي فَقَتَلُوهُ ، وَكَانَتْ
مَعَهُ امْرَأَتُهُ وَثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَتَجَوَّا ، وَتَنَحَّيْتُ عَنْهُمْ وَشَغَلْتُهُمْ عَنِّي إِطْلَاقُ عَقْلِ
الْقَاحِ ، ثُمَّ صَاحُوا فِي أَذْيَارِهَا ، فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهَا . وَجِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ وَهُوَ يَتَبَسَّمُ . فَكَانَ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ يَقُولُ : غَدَوْتُ
أُرِيدُ الْغَابَةَ لِلْقَاحِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ أَبْلَغُهُ لَبْنَهَا ، حَتَّى
أَلْقَى غَلَامًا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ كَانَ فِي إِبِلٍ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ،
فَأَخْطَأُوا مَكَانَهَا وَاهْتَدَوْا إِلَى لِقَاحِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَنِي
أَنَّ لِقَاحَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَغَارَ عَلَيْهَا عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ فِي
أَرْبَعِينَ فَارِسًا ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُمْ قَدْ رَأَوْا مَكْدَدًا بَعْدَ ذَلِكَ أُمِدَّ بِهِ عُيَيْنَةُ . قَالَ
سَلَمَةُ : فَأَحْضَرْتُ فَرَسِي رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى وَافَيْتُ عَلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ (٣)
فَصَرَخْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي : يَا صَبَاحَاهُ ! ثَلَاثًا ، أَسْمَعُ مَنْ بَيْنَ لَا بَتِّيْهَا .
فَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ ،
قَالَ : نَادَى : الْفَزَعُ ! الْفَزَعُ ! ثَلَاثًا ، ثُمَّ وَقَفَ وَاقِفًا عَلَى فَرَسِهِ حَتَّى طَلَعَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيدِ مُقْنَعًا فَوْقَ وَاقِفًا ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ

(١) فِي ب : « وَوَضَعَ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « غَنَمْتُهَا » ؛ وَمَا أَثْبَتْنَاهُ مِنْ ب . وَالْعَتَمَةُ : ظِلْمَةُ اللَّيْلِ ، وَكَانَتْ الْأَعْرَابُ
يُحْمِلُونَ الْحِلَابَ بِاسْمِ الْوَقْتِ . (الْبَهَايَةِ ، ج ٣ ، ص ٦٧) .

(٣) ثَنِيَّةُ الْوَدَاعِ : مِنْ يَمِينِ الْمَدِينَةِ وَدُونَهَا . (مَعْجَمٌ مَا اسْتَعْجَمَ ، ص ٨٤١) .
وَأَمَّا ثَنِيَّةُ مَشْرِقَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ يَطُورُهَا مِنْ يَرِيدِ مَكَّةَ ، وَقِيلَ مِنْ يَرِيدِ الشَّامِ . (وَفَاءُ الْوفا ،

ص ٢٧٧) .

أقبل إليه المقداد بن عمرو ، عليه الدرع والمغفر شاهراً سيفه ، فعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم لواءً في رمحه وقال : امض حتى تلحقك الخيول ، إننا على أدرك . قال المقداد : فخرجت وأنا أسأل الله الشهادة ، حتى أدرك أخريات العدو ، وقد أذم^(١) بهم فرس لهم فاقتحم فارسه وردف أحد أصحابه ، فآخذ الفرس المدمم فإذا هو ضرع^(٢) ، أشقر ، عتيق ، لم يقو على العدو ، وقد غدوا عليه من أقصى الغابة فحسر ، فأربط في عنقه قطعة وتر وأحلبه ، وقلت : إن مر به أحد فأخذه جثته بعلامتي فيه . فأدرك مسعدة فأطعته برمح فيه اللواء ، فزل الرمح وعطف على بوجهه فطعنني وآخذ الرمح بعضدي فكسرتة ، وأعجزني هرباً ، وأنصب لوائي فقلت : يراه أصحابي . ويلحقني أبو قتادة معلماً بعمامة صفراء على فرس له ، فسايرته ساعة ونحن ننظر إلى دبر مسعدة ، فاستحث فرسه فتقدم على فرسي ، فبان سبقه فكان أجود من فرسي حتى غاب عني فلا أراه . ثم ألحقه فإذا هو ينزع بُردته ، فصحت : ما تصنع ؟ قال : خيراً أصنع كما صنعت بالارس . فإذا هو قد قتل مسعدة وسجأه ببردة . ورجعنا فإذا فرس في يد عتبة بن زيد الحارثي ، فقلت : فرسي هذا وعلامتي فيه ! فقال : تعال إلى النبي ، فجعله مغنماً .

وخرج سلمة بن الأكوع على رجليه يعدو ليسبق الخيل مثل السبع . قال سلمة : حتى لحقت القوم فجعلت أرميهم بالنبل ، وأقول حين أرى : خذها مني وأنا ابن الأكوع ! فتكر على خيل من خيلهم ، فإذا

(١) أذمت ركاب القوم أي أعيت وتأخرت عن جماعة الإبل . (الصحيح ، ص ١٩٢٦) .

(٢) الضرع : الضعيف . (الصحيح ، ص ١٢٤٩) .

وَجَّهْتُ نَحْوِي انْطَلَقْتُ هَارِباً فَاسْبِقُهَا ، وَأَعْمَدُ إِلَى الْمَكَانِ الْمُعَوَّرِ ^(١) فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ وَأَرَى بِالنَّبِيلِ إِذَا أَمَكْنَنِي الرِّمَى وَأَقُولُ :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَاعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ ^(٢)

فَمَا زِلْتُ أَكْفَحُهُمْ وَأَقُولُ : قِفُوا قَلِيلاً ، يَلْحَقُكُمْ أَرْيَابُكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَيَزِدَادُونَ عَلَيَّ حَنْقاً فَيَكْرَهُونَ عَلَيَّ ، فَأُعْجِزُهُمْ هَرَباً حَتَّى انْتَهَيْتُ بِهِمْ إِلَى ذِي قَرْدٍ ^(٣) . وَلَحَقْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخِيُولُ عِشَاءً ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ الْقَوْمَ عِطَاشٌ وَلَيْسَ لَهُمْ مَاءٌ دُونَ أَحْسَاءٍ كَذَا وَكَذَا ، فَلَوْ بَعَثْتَنِي فِي مَائَةِ رَجُلٍ اسْتَنْقَذْتُ مَا بِيَايَدِهِمْ مِنَ السَّرْحِ ، وَأَخَذْتُ بِأَعْنَاقِ الْقَوْمِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَلَكْتَ فَاسْجِجْ ^(٤) . ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُمْ لَيُفْقِرُونَ فِي غَطَفَانَ . فَحَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ الْيَاسِ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَهْمٍ ، قَالَ : تَوَافَتِ الْخِيَلُ وَهُمْ ثَمَانِيَةٌ - الْمِقْدَادُ ، وَأَبُو قَتَادَةَ ، وَمُعَاذُ بْنُ مَاعِصٍ ، وَسَعْدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَأَبُو عَيَّاشٍ الزُّرْقِيُّ ، وَمُحَرِّزُ بْنُ نَضْلَةَ ، وَعُكَّاشَةُ بْنُ مِخْصَنٍ ، وَرَبِيعَةُ بْنُ أَكْثَمٍ .

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ ، قَالَ : مِنْ الْمُهَاجِرِينَ ثَلَاثَةٌ : الْمِقْدَادُ ، وَمُحَرِّزُ بْنُ نَضْلَةَ ، وَعُكَّاشَةُ بْنُ مِخْصَنٍ . وَمِنْ الْأَنْصَارِ : سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَهُوَ أَمِيرُهُمْ ، وَأَبُو عَيَّاشٍ الزُّرْقِيُّ فَارِسُ جُلُودَةٍ ^(٥) ،

(١) مكان معور : أى ذو مورة . (أساس البلاغة ، ص ٦٦١) .

(٢) الرضع : جمع راضع وهو اللثيم ، وأراد أن هذا اليوم هو يوم هلاك اللثام . (شرح أبي ذر ، ص ٣٢٩) .

(٣) ذو قرد : على نحو يوم من المدينة مما يلى غطفان ، ويقال هو بين المدينة وخيبر على يومين من المدينة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٦٠) .

(٤) أى قدرت فسهل وأحسن العفو ، وهو مثل سائر . (النهاية ، ج ٢ ، ص ١٤٠) .

(٥) قال ابن إسحاق : وفرس أبي عياش جلوة . (السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٢٩٦) .

وعَبَّاد بن بِشْر ، وأَسِيد بن حُضِير ، وأَبُو قَتَادَةَ .

قال أَبُو عِيَّاش : أَطْلُعُ عَلَى فَرَسٍ لِي ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ أُعْطِيتَ فَرَسَكَ مِنْ هُوَ أَفْرُسٌ مِنْكَ فَتَبِعَ الْخِيُولَ ! فَقُلْتُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْرُسٌ النَّاسِ . فَرَكَضْتُهُ ، فَمَا جَرَى بِي خَمْسِينَ ذِرَاعاً حَتَّى صَرَغَنِي الْفَرَسُ . فَكَانَ أَبُو عِيَّاش يَقُولُ : فَعَجَباً ! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَوْ أُعْطِيتَ فَرَسَكَ هَذَا مَنْ هُوَ أَفْرُسٌ مِنْكَ » وَأَقُولُ : « أَنَا أَفْرُسُ النَّاسِ » .

قالوا : وَذَهَبَ الصَّرِيخُ إِلَى بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ ، فَجَاءَتِ الْأَمْدَادُ ، فَلَمْ تَزَلِ الْخَيْلُ تَأْتِي ، وَالرِّجَالُ عَلَى أَقْدَامِهِمْ ، وَالْإِبِلُ ، وَالْقَوْمُ يَعْتَقِبُونَ الْبَعِيرَ وَالْحِمَارَ ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِي قَرَدٍ ، فَاسْتَنْقَدُوا عَشَرَ لِقَائِحَ ، وَأَفْلَتِ الْقَوْمُ بِمَا بَقِيَ وَهِيَ عَشْرٌ . وَكَانَ مُحَرِّزُ بْنُ نَضْلَةَ حَلِيفاً فِي عَبْدِ الْأَشْمَهْلِ ، فَلَمَّا نَادَى الصَّرِيخُ : « الْفَزَعُ ! الْفَزَعُ ! » كَانَ فَرَسٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ يَقَالُ لَهُ ذُو اللَّيْمَةِ مَرْبُوطاً فِي الْحَائِطِ . فَلَمَّا سَمِعَ صَاهِلَةَ الْخَيْلِ صَهْلَ وَجَالَ فِي الْحَائِطِ . فِي شَمَطْنِهِ ، فَقَالَ لَهُ النِّسَاءُ : هَلْ لَكَ يَا مُحَرِّزُ فِي هَذَا الْفَرَسِ فَإِنَّهُ كَمَا تَرَى صَنِيعٌ ^(١) جَامٌ تَرْكَبُهُ فَتَلْحَقُ الدُّوَاءُ ؟ وَهُوَ يَرَى رَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَرَّ بِهَا الْعُقَابُ يَحْمِلُهَا سَعْدٌ . قَالُوا : فَخَرَجَ فَجَزَعَ وَقَطَعَ وَادِي قَنَاةَ فَسَبَقَ الْمِقْدَادُ ، فَيُدْرِكُ الْقَوْمَ بِهِيْقاً ^(٢) فَاسْتَوْفَهُمْ فَوْقَوْا ، فَطَاعَنَهُمْ سَاعَةً بِالرَّمْحِ ، وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ مَسْعَدَةً

(١) الْفَرَسُ الصَّنِيعُ : هُوَ الَّذِي يَخْدُمُهُ أَهْلُهُ وَيَقُومُونَ عَلَيْهِ . (تَرْحَ أَبُ ذَرٍّ ، ص ٣٢٩) .
(٢) هَكَذَا فِي النُّسخِ ؛ وَلَعَلَّهُ يَرِيدُ هَيْبَةً ، وَهُوَ مَوْضِعٌ عَلَى مِيلٍ مِنْ بَيْتِ الْمَطْلَبِ . (وَفَاءُ الْوَفَاءِ ، ج ٢ ، ص ٣٨٧) .

فقطعنه بالرمح فدقّه في صُلبه ، وتناول رمح مُحَرِّز ، وعار^(١) فرسه حتى رجع إلى آريّه ، فلما رآه النساء وأهل الدار قالوا : قد قُتل . ويقال : كان مُحَرِّز على فرس كان لِعُكَّاشَة بن مِحْصَن يُدعى الجناح ، قاتل عليه . ويقال : الذي قُتل مُحَرِّز بن نَضْلَة أوثار ، وأقبل عَبَّاد بن بِشْر فيُدرك أوثاراً ، فتواقفا فتطاعنا حتى انكسرت رماحهما ، ثم صارا إلى السيفين فشدّ عليه عَبَّاد ابن بِشْر فعانقه ، ثم طعنه بخنجرٍ معه فمات .

وحدّثنى عمر بن أبي عاتكة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوة ، قال : كان أوثار وعمرو بن أوثار على فرسٍ لهما يقال [له] القُرْط^(٢) رديفَيْن عليه ، قتلها عُكَّاشَة بن مِحْصَن .

فحدّثنى زكريا بن زيد ، عن عبد الله بن أبي سُفيان ، عن أبيه ، عن أمّ عامر بنت يزيد بن السَّكَن ، قالت : كنت ممّن حضّا مُحَرِّزاً على اللّٰهُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فوالله إنّنا لنرى أطمنا ننظر إلى رَهَج الغُبار إذ أقبل ذو اللّٰمة ، فرس محمّد بن مسلّمة ، حتى انتهى إلى آريّه ، فقلت : أصيب والله ! فحملنا على الفرس رجلاً من الحيّ فقلنا : أطلع لنا رسول الله هل أصابه إلّا خير ، ثم ارجع إلينا سريعاً . قال : فخرج مُحَضِّراً^(٣) حتى لحق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بهيِّقا في الناس ، ثم رجع فأخبرنا بسلامة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فحمدنا الله تعالى على سلامة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

فحدّثنى ابن أبي سَبْرَة ، عن صالح بن كيسان قال ، قال مُحَرِّز بن

(١) عار فرسه : أى أفلت وذهب على وجهه . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٤٣) .

(٢) قُرب : « القُرْط » .

(٣) أحضر الفرس ، وكلّك الرجل : إذا عدا . (لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٢٧٧) .

نُضِلَّة : قبل أن يلتقى القومُ بيومٍ رأيتُ السماءَ فُرجت لي ، فدخلت السماءَ الدنيا حتى انتهيت إلى السابعة ، وانتهيت إلى سِدرة المنتهى ، فقيل لي : هذا منزلك . فعرضتها على أبي بكر وكان من أعبر الناس ، فقال : أبشِر بالشهادة ! فقتل بعد ذلك بيوم .

وحدثني يحيى بن عبد الله بن أبي قَتادة ، عن أمِّه ، عن أبيه ، قال : قال أبو قَتادة : إني لأغسلُ رأسي ، قد غسلت أحدَ شِقِّيهِ ، إذ سمعتُ فرسي جَرَوَةَ تصهل وتبحث بحافرها ، فقلت : هذه حرب قد حَضَرَتْ ! فقمْتُ ولم أغسلُ شِئْنَ رأسي الآخر ، فركبت وعلى بردة لي ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيح : الْفَزَعُ ! الْفَزَعُ ! قال : وأدرك المِقْدَاد بن عمرو فسايرته ساعة ، ثم تقدّمه فرسي وكانت أجود من فرسه ، وقد أخبرني المِقْدَاد - وكان سبقني - بقتل مَسْعَدَةَ مُحَرِّزًا . قال أبو قَتادة للمِقْدَاد : يا أبا مَعْبَد ، أنا أموت أو أقتل قاتِلَ مُحَرِّز . فضرب فرسه فلحقهم أبو قَتادة ، ووقف له مَسْعَدَةَ ، وحمل عليه أبو قَتادة بالقَنَاة فدقَّ صُلبه ويقول : خُذْهَا وأنا الخَزْرَجِي ! ووقع مَسْعَدَةَ ميتاً ، ونزل أبو قَتادة فسجّاه ببرْدَتِهِ ، وجنَّب فرسه معه ، وخرج يُحْضِر في أثر القوم حتى تلاحق الناس . قال أبو قَتادة : فلما مرَّ الناس ونظروا إلى بُرْدَةِ أَبِي قَتادة عرفوها فقالوا : هذا أبو قَتادة قتيل ! واسترجع أحدهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، ولكنه قتيل أبي قَتادة ، وجعل عليه بُرْدَتَهُ لتعرفوا أنه قتيلُهُ . فخلَّوا بين أبي قَتادة وبين قتيله وسلبه وفرسه ، فأخذه كَلَّهُ ، وكان سعد بن زيد قد أخذ سَلْبَهُ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا والله ! أبو قَتادة قتله ، ادفعه إليه .

فحدثني عبد الله بن أبي قتادة ، عن أبيه أبي قتادة ، قال : لما أدركني النبي صلى الله عليه وسلم يومئذٍ ونظر إلي قال : اللهم بارك له في شعره وبشره ! وقال : أفلح وجهك ! قلت : ووجهك يا رسول الله ! قال : قتلت مسعدة ؟ قلت : نعم . قال : فما هذا الذي بوجهك ؟ قلت : سهمٌ رميت به . يا رسول الله . قال : فاذنُ مني ! فدنوتُ منه فبصق عليه ، فما ضرب^(١) عليه قط . ولا قاح . فمات أبو قتادة وهو ابن سبعين سنة ، وكان ابن خمس عشرة سنة . قال : وأعطاني يومئذٍ فرسٌ مسعدةٌ وسلاحه ، وقال : بارك الله لك فيه ! حدثني ابن أبي سبرة ، عن سليمان بن سحيم ، قال : قال سعد بن زيد الأشهلي : لما كان يوم السرح أتنا الصريخ ، فأنا في بني عبد الأشهل ، فألبس درعي وأخذتُ سلاحي ، وأستوي على فرس لي جامٌ حصان ، يقال له النجل^(٢) ، فأنتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه الدرع والمغفر لا أرى إلا عينيه ، والخيول تعدو قبل قناة ، فالتفت إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا سعد امض ، قد استعملتك على الخيل حتى ألحقك إن شاء الله . فقربت فرسي ساعة ثم خلّيته فمرّ يُحضر ، فأمرُ بفريس حسير ، فقلت : ما هذا ؟ وأمرُ بمسعدة قتيل أبي قتادة ، وأمرُ بمُحرز قتيلاً فسأعني ، وألحق المقداد بن عمرو ، ومعاذ بن معيص ؛ فأحضرنا ونحن ننظر إلى رَهج القوم ، وأبو قتادة في أثرهم وأنظرُ إلى ابن الأكوع يسبق الخيل أمام القوم يرشقه بالنبل . فوقفوا وقفةً ونلحق بهم فتناوشنا ساعةً ، وأحملُ على حبيب بن عيينة

(١) ضرب الجرح : اشتد وجهه . (أساس البلاغة ، ص ٥٥٨) .

(٢) في ب : « النجل » .

بالسيف فأقطعُ منكبه الأيسر ، ونخلّي العنان ، وتتايع^(١) فرسه ، فيقع لوجهه ، واقتحم عليه فقتله ، وأخذتُ فرسه . وكان شعارنا : أَمِتْ أَمِتْ ! وقد سمعنا في قتل حُبَيْب بن عُيَيْنَةَ وجهاً آخر .

فحدثني موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : إنَّ المسلمين لما تلاحقوا هم والعدوُّ وقتل منهم مُحَرِّز بن نَضْلَةَ ، وخرج أبو قتادة في وجهه ، فقتل أبو قتادة مَسْعَدَةَ ، وقتل أوثار وعمرو بن أوثار ، قتلها عكاشة بن محصن ، وإنَّ حُبَيْب بن عُيَيْنَةَ كان على فرس له ، هو وفرقة ابن مالك بن حذيفة بن بدر ، قتلهم المقداد بن عمرو . قالوا : وتلاحق الناس بذي قرد ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف .

فحدثني سُفْيَان بن سعيد ، وابن أبي سَبْرَةَ ، عن أبي بكر بن عبد الله ابن أبي جَهم ، عن عُبَيْد الله بن عُتْبَةَ ، عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القِبْلَةِ ، وصف طائفة خلفه ، وطائفة مواجهة العدو ، فصلّى بالطائفة التي خلفه ركعةً وسجدتين ، ثم انصرفوا فقاموا مقامَ أصحابهم ، وأقبل الآخرون فصلّى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعةً وسجدتين ، فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان ، ولكل رجلٍ من الطائفتين ركعة .

حدثني مالك بن أبي الرَّجَّال ، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، عن عُمارة بن مَعْمَر ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد يوماً وليلةً يتحسّب^(٢) الخبر ، وقسم في كلِّ مائةٍ من أصحابه جزوراً ينحرونها ، وكانوا خمسمائة ، ويقال كانوا سبعمائة . قالوا : واستخلف رسول الله صلى

(١) في الأصل : « تتايع » ؛ وما أثبتناه من ب . والتتايع : التسارع . (الفائق ، ص ٧٤) .

(٢) التحسب : الاستخبار . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٥٥) .

الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم . وأقام سعد بن عُبادة في ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة خمس ليالٍ حتى رجع النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأحمال تمر وبعشرة جزائر بذى قَرَد . وكان في الناس قيس بن سعد على فرس له يقال له الورد ، وكان هو الذي قرَّب الجُرُر (١) والتمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ، بعثك أبوك فارساً ، وقوى المجاهدين ، وحرس المدينة من العدو ؛ اللهم ارحم سعداً وآل سعد ! ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نِعِمَّ المرءُ سعدُ بنُ عُبادة ! فتكلمت الخَزَرَج فقالت : يا رسول الله ، هو بَيْتُنَا (٢) وسَيِّدُنَا وابن سَيِّدِنَا ! كانوا يُطعمون في المَحَل ، ويحملون الكَلَّ (٣) وَيَقْرُونَ الضيفَ ، ويُعطون في النائبة ، ويحملون عن العشيرة ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : خيارُ الناس في الإسلام خيارُهم في الجاهلية إذا فقهوا في الدين . ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئرِ هَمَّ قالوا : يا رسول الله ، ألا تَسْمُ بِئرَ هَمَّ ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا ولكن يشترها بعضكم فيتصدق بها . فاشتراها طلحة بن عبيد الله فتصدق بها .

حدثني موسى بن محمد ، عن أبيه ، قال : كان أمير الفرسان المقداد حتى لحقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قَرَد .

حدثني محمد بن الفضل بن عبيد الله بن رافع بن خديج ، عن المسور ابن رفاعه ، عن ثعلبة بن أبي مالك ، قال : كان سعيد بن زيد أمير القوم ،

(١) في ب : « الجزور » .

(٢) في الأصل : « هو بيتنا » ؛ وما أثبتناه هو قراءة ب .

(٣) في الأصل : « ويحملون في الكل » ؛ وما أثبتناه من نسخة ب . والكل : العيال .

(النهاية ، ج ٤ ، ص ٣٢) .

وقال لحسان بن ثابت : أَرَأَيْتَ حَيْثُ جَعَلْتَ الْمِقْدَادَ رَأْسَ السَّرِيَّةِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ اسْتَعْمَلَنِي عَلَى السَّرِيَّةِ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ لَقَدْ نَادَى الصَّرِيخُ : الْفَزَعُ ! فَكَانَ الْمِقْدَادُ أَوَّلَ مَنْ طَلَعَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : امْضِ حَتَّى تَلْحَقَكَ الْخِيُولُ . فَمَضَى أَوَّلَ ، ثُمَّ تَوَافَيْنَا بَغْدُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ مَضَى الْمِقْدَادُ أَوَّلَنَا ، فَاسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّرِيَّةِ . فَقَالَ حَسَّانُ : يَا ابْنَ عَمِّ ، وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ إِلَّا الْقَافِيَةَ حَيْثُ قُلْتُ : غَدَاةَ فَوَارِسِ الْمِقْدَادِ . . . (١) فَحَلَفَ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ أَلَّا يُكَلِّمُ حَسَّانًا أَبَدًا . وَالثَّبْتُ عِنْدَنَا أَنَّ أَمِيرَهُمْ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ الْأَشْهَلِيُّ .

قالوا : وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ أَبِي ذَرٍّ عَلَى نَاقَةٍ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَضْبَاءُ ، وَكَانَتْ فِي السَّرْحِ ، فَكَانَ فِيهَا جَمَلٌ أَبِي جَهْلٍ ، فَكَانَ مِمَّا تَخَلَّصَهُ الْمُسْلِمُونَ ، فَدَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَتْهُ مِنْ أَخْبَارِ النَّاسِ ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي نَذَرْتُ إِنْ نَجَّانِي اللَّهُ عَلَيْهَا أَنْ أَنْحَرَهَا فَأَكُلَ مِنْ كَبِدِهَا وَسَنَامِهَا . فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : بئس ما جزيتها أَنْ حَمَلَكِ اللَّهُ عَلَيْهَا وَنَجَّاكِ ثُمَّ تَنْحَرِينَهَا ! إِنَّهُ لَا نَذَرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا فِيمَا لَا تَمْلِكِينَ ، إِنَّمَا هِيَ نَاقَةٌ مِنْ إِبِلِي فَارْجِعِي إِلَى أَهْلِكَ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ .

حَدَّثَنِي فَائِدُ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ جَدِّهِ سَلَمَى ، قَالَتْ : نَظَرْتُ إِلَى لَقُوحٍ (٢) عَلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَالُ لَهَا السَّمْرَاءُ ، فَعَرَفْتُهَا فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ :

(١) انظر ديوان حسان ، ص ٦٠ . وذكر ابن إسحاق أبيات حسان أيضاً . (السيرة النبوية ،

ج ٣ ، ص ٢٨٩) .

(٢) ناقة لقوح : أي غزيرة اللبن . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٦٣) .

هذه لِقَحْتِكَ السَّمَرَاءَ عَلَى بَابِكَ . فخرج رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم مستبشراً ، وإذا رأسها بيد ابن أخى عُيَيْنَةَ ، فلما نظر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم عرفها ثم قال : أَيْمَ بكَ ؟ فقال : يا رسول الله . أهديتُ لك هذه اللّقحة . فتبسّم النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم وقبضها منه . ثم أقام يوماً أو يومين ، ثم أمر له بثلاث أواقٍ من فضّة ، فجعل يتسخطّ . قال : فقلت : يا رسول الله ، أتُثيبه على ناقةٍ من إبلك ؟ فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : نعم وهو ساخطٌ . على ! ثم صَلَّى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم الظُّهر ، ثم صعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : إِنَّ الرجلَ ليُهدى لى الناقة من إبلٍ أعرفُها كما أعرفُ بعضَ أهلى ، ثم أُنثيه عليها فيظَلّ يتسخطّ . على ، ولقد هممتُ ألاّ أقبلَ هديّةً [إلاّ من قُرَشِيٍّ أو أنصارى - وكان أبو هريرة يقول : أو ثَقَفِيٍّ أو دَوْسِيٍّ] ^(١) .

ذكر من قُتل من المسلمين ومن المشركين

من المسلمين واحد : مُحَرَّرُ بن نَضْلَةَ ، قتله مَسْعَدَةُ .
وقُتل من المشركين : مَسْعَدَةُ بن حَكَمَةَ ، قتله أبو قَتَادَةَ ؛ وأوثار وابنه عمرو بن أوثار ، قتلها عكاشة بن مِخْصَن ؛ وحُبَيْب بن عُيَيْنَةَ ، قتله المِقْدَاد . وقال حَسَّان بن ثابت . . .

(١) زيادة من ب .

سرية عُكَّاشَةَ بنِ مُحْصَنٍ إلى الغَمَرِ^(١) في شهر ربيع الأول سنة ست

حدَّثني ابن أبي سَبْرَةَ ، عن عبد رَبِّهِ بن سَعِيد ، قال : سمعتُ رجلاً من بني أَسَد بن خُزَيْمَةَ يُحدِّثُ القَاسِمَ بنَ مُحَمَّدٍ يقول : بعث رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عُكَّاشَةَ بنَ مُحْصَنٍ في أربعين رجلاً - منهم ثابت بن أَقْرَم ، وشُجاع بن وَهَب ، ويزيد بن رُقَيْش . فخرج سريعاً يُغِذُّ السير ، ونذر القوم فهربوا من مأثم فنزلوا علياءً بلادهم ، فانتهى إلى الماء فوجد الدار خلواً ، فبعث الطلائع يطلبون خبراً أو يرون أثراً حديثاً ، فرجع إليه شُجاع بن وَهَب فأخبره أنه رأى أثر نَعَمٍ قريباً ، فتحملوا فخرجوا حتى يُصَيِّبُوا ربيئاً لهم قد نظر ليلته يسمع الصوت ، فلما أصبح نام فأخذه وهو نائم ، فقالوا : الخبر عن الناس ! قال : وأين الناس ؟ قد لحقوا بعلياء بلادهم ! قالوا : فالتَّعَم ؟ قال : معهم . فضربه أحدهم بسوطٍ في يده . قال : تومئني على دى وأطلعك على نعمٍ لبني عمِّ لهم ، لم يعلموا بمسيركم إليهم ؟ قالوا : نعم . فانطلقوا معه ، فخرج حتى أمعن ، وخافوا أن يكونوا معه في غدر ، فقرَّبوه فقالوا : والله ، لتصدُقنا أو لنضربنَّ عنقك ! قال : تطلعون عليهم من هذا الظُّرَيْب^(٢) . قال : فأوفوا على الظُّرَيْب فإذا نعمٌ رواتع ، فأغاروا عليه فأصابوه ، وهربت الأعراب في كلِّ وجه ، ونهى عُكَّاشَةُ عن الطلب ، واستاقوا مائتي بعير فحذروها إلى المدينة ، وأرسلوا

(١) الغمر : هو ماء لبني أسد على ليلتين من فيد ، كما قال ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٦١) .

(٢) الظريب : تصغير ظرب ، وهو الجبل المنبسط الصغير . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٩٩) .

الرجل ، وقدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يُصَبْ منهم أحدٌ ولم يلقوا كيداً .

سريّة محمد بن مسَلَمَة إلى ذى القِصّة

إلى بنى ثعلبة وعوال في ربيع الآخر

حدّثنى عبد الله بن الحارث ، عن أبيه ، قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن مسَلَمَة في عشرة ، فورد عليهم ليلاً ، فكمن القوم حتى نام ونام أصحابه ، فأحدقوا به وهم مائة رجل ، فما شعر القوم إلّا بالنبل قد خالطتهم . فوثب محمد بن مسَلَمَة وعليه القوس . فصاح بأصحابه : السلاح ! فوثبوا فتراموا ساعة من الليل ، ثم حملت الأعراب بالرماح فقتلوا منهم ثلاثة ، ثم انحاز أصحاب محمد إليه فقتلوا من القوم رجلاً ، ثم حمل القوم فقتلوا من بقي . ووقع محمد بن مسَلَمَة جريحاً ، فضرب كعبه فلا يتحرّك ، وجردوهم من الثياب وانطلقوا . فمرّ رجلٌ على القتلى فاسترجع ، فلما سمعه محمد تحرك له فإذا هو رجلٌ مُسلم ، فعرض على محمد طعاماً وشراباً وحمله حتى ورد به المدينة . فبعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا عُبَيْدَة بن الجراح في أربعين رجلاً إلى مصارعهم فلم يجد أحداً واستاق نِعْماً ثم رجع . قال أبو عبد الله : فذكرت هذه السريّة لإبراهيم بن جعفر ابن محمود بن محمد بن مسَلَمَة فقال : أخبرني أبي أن محمد بن مسَلَمَة خرج في عشرة نفر : أبو نائلة ، والحارث بن أوس ، وأبو عيس بن جَبَر ، ونُعْمان بن عَصَر ، ومُحَيِّصَة بن مسعود ، وخُوَيْصَة ، وأبو بُردة ابن نيار ، ورجلان من مُزينة ، ورجلٌ من غَطَنان ، فقتل المُزَنِيّان

وَالْغَطَفَانِي ، وَارْتُتَّ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ مِنَ الْقَتْلَى . قَالَ مُحَمَّدٌ : فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ خَيْبَرَ نَظَرْتُ إِلَى أَحَدِ النَّفَرِ الَّذِينَ كَانُوا وَلَوْا ضَرْبِي يَوْمَ ذِي الْقَصَّةِ ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ : أَسَلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ ! فَقُلْتُ : أَوْلَى !

سَرِيَّةُ أَمِيرِهَا أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى ذِي الْقَصَّةِ

فِي ربيع الآخر سنة ستٍ لَيْلَةَ السَّبْتِ ، وَغَابَ لَيْلَتَيْنِ .
 حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زِيَادٍ الْأَشْجَعِيُّ ، عَنْ عَيْسَى بْنِ عُمَيْلَةَ ، وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْفَضْلِ ، عَنْ أَبِيهِ ، زَادَ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، قَالَا : أَجْدَبْتُ بِلَادَ بَنِي ثَعْلَبَةَ وَأَنْمَارَ ، وَوَقَعَتْ سَحَابَةٌ بِالْمَرَاضِ إِلَى تَغْلَمَيْنَ^(١) ، فَصَارَتْ بَنُو مُحَارِبٍ وَثَعْلَبَةُ وَأَنْمَارٌ إِلَى تِلْكَ السَّحَابَةِ ، وَكَانُوا قَدْ أَجْمَعُوا أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَى سَرْحِ الْمَدِينَةِ ، وَسَرَّحَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَرْعَى بِبَطْنِ هَيْقَا ، فَبِعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ صَلَّوْا صَلَاةَ الْمَغْرِبِ ، فَبَاتُوا لَيْلَتَهُمْ يَمْشُونَ حَتَّى وَافَوْا ذِي الْقَصَّةَ مَعَ عَمَايَةِ الصَّبْحِ ، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ فَأَعْجَزَهُمْ هَرَبًا فِي الْجِبَالِ ، وَأَخَذَ رَجُلًا مِنْهُمْ وَوَجَدَ نَعْمًا مِنْ نَعْمَتِهِمْ فَاسْتَاقَهُ ، وَرِثَةً مِنْ مَتَاعٍ ، فَقَدَّمَ بِهِ الْمَدِينَةَ ، فَأَسْلَمَ الرَّجُلَ فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا قَدَّمَ عَلَيْهِ خَمْسَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَسَمَ مَا بَقِيَ عَلَيْهِمْ .

(١) التَّغْلَمَيْنِ : مَوْضِعٌ مِنْ بِلَادِ بَنِي فِزَارَةَ قَبْلَ رَيْمِ . (مَعْجَمٌ مَا اسْتَعْجَمَ ، ص ٢٠٣) .

سرية زيد بن حارثة إلى العيص في جمادى الأولى سنة ست

حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة الغابة بلغه أنَّ عيراً لقريش أقبلت من الشام ، فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب ، فأخذوها وما فيها . وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان^(٢) ، وأسروا ناساً ممن كان في العير معهم ، منهم أبو العاص بن الربيع ، والمغيرة بن معاوية بن أبي العاص . فأما أبو العاص فلم يَغْدُ أَنْ جاء المدينة ، ثم دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سحرًا ، وهى امرأته ، فاستجارها فأجارته . فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر قامت زينب على بابها فنادت بأعلى صوتها فقالت : إني قد أجزتُ أبا العاص ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعتُ ؟ قالوا : نعم . قال : فوالذى نفسى بيده ، ما علمت بشيء مما كان حتى سمعتُ الذى سمعتم ، المومنون يدُّ على من سواهم ، يُجبر عليهم أديانهم ، وقد أجزنا من أجارت . فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم إلى منزله دخلت عليه زينب فسألته أن يردَّ إلى أبي العاص ما أخذ منه من المال ، ففعل وأمرها ألا يقرَّبها ، فإنها لا تحلُّ له ما دام مشركاً . ثم كلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وكانت معه بضائع لغير واحدٍ من قريش ، فأدَّوا إليه كلَّ شيء ؛ حتى إنهم ليردُّون

(١) العيص : بينها وبين المدينة أربع ليال ، وبينها وبين ذى المروة ليلة . (طبقات ابن سعد ،

ج ٢ ، ص ٦٣) .

(٢) أى صفوان بن أمية .

الإداوة^(١) والحبل ، حتى لم يبق شيء . ورجع أبو العاص إلى مكة فأدى إلى كل ذي حق حقه . قال : يا معشر قريش ، هل بقي لأحد منكم شيء ؟ قالوا : لا والله . قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لقد أسلمت بالمدينة ، وما معنى أن أقیم بالمدينة إلا أن خشيت أن تظنوا أنني أسلمت لأن أذهب بالذي لكم . ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه زينب بذلك النكاح . ويقال إن هذه العير كانت أخذت طريق العراق ، ودليلها فرات بن حيان العجلي .

قال محمد بن إبراهيم : وأما المغيرة بن معاوية فأقلت ، فتوجه تلقاء مكة فأخذ الطريق نفسها ، فلقية سعد بن أبي وقاص قافلاً في سبعة نفر ، وكان الذي أسر المغيرة خوات بن جبير ، فأقبل به حتى دخلوا المدينة بعد العصر وهم مبردون .

قال محمد بن إبراهيم ، فأخبرني ذكوان مولى عائشة ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : احتفظي بهذا الأسير ! وخرج النبي صلى الله عليه وسلم . قالت عائشة : فلهوت مع امرأة أتحدث معها ، فخرج وما شعرت به ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره فقال : أين الأسير ؟ فقلت : والله ما أدري ، غفلت عنه ، وكان هاهنا آنفاً . فقال : قطع الله يدك ! قالت : ثم خرج فصاح بالناس ، فخرجوا في طلبه فأخذوه بالصورين ، فأقى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم . قالت عائشة : فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أقلب بيدي ، فقال : ما لك ؟ فقلت : أنظر كيف تقطع يدي ؛ قد دعوت على بدعوتكم ! قالت : فاستقبل القبلة فرفع يديه ثم قال : اللهم إنما أنا بشر ، أغضب وآسف

(١) الإداوة : المطهرة التي يتوضأ بها . (شرح ابن ذر ، ص ١٦٧) .

كما يغضب البشر . فأيما مؤمنٍ أو مؤمنةٍ دعوتُ عليه بدعوةٍ فاجعلها له
رحمة .

سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرَف ^(١)

في جمادى الآخرة سنة ست

حدثني أسامة بن زيد اللثي ، عن عمران بن مناح ، قال : بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى الطَّرَف إلى بني ثعلبة ،
فخرج في خمسة عشر رجلاً ، حتى إذا كانوا بالطَّرَف أصاب نَعْمًا وشاء .
وهربت الأعراب وخافوا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سار إليهم ،
فانحدر زيد بن حارثة حتى صبح المدينة بالنعم ، وخرجوا في طلبه حتى
أعجزهم ، فقدم بعشرين بعيراً . ولم يكن قتالٌ فيها ، وإنما غاب أربع ليال .
حدثني ابن أبي سبرة ، عن أبي رُشد ، عن حُجيد بن مالك ، عن مَنْ حضر
السرية ، قال : أصابهم بعيران أو حسابهما من الغنم ، فكان كلُّ بعيرٍ عشرًا
من الغنم ، وكان شعارنا : أَمِتْ ! أَمِتْ !

سرية زيد بن حارثة إلى حِسْمَى

في جمادى الآخرة سنة ست

حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : أقبل دحية
الكلبي من عند قيصر ، قد أجاز دحية بمالٍ وكساه كُسى . فأقبل حتى كان
بحِسمَى ، فلقى ناسًا من جذام فقطعوا عليه الطريق ، وأصابوا كلَّ شيءٍ

(١) زاد ابن سعد : هو ماء قريب من المراض دون النخيل على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة .

(الطبقات ، ج ٢ ، ص ٦٣) .

معه فلم يصل إلى المدينة إِلَّا بِسَمَلٍ^(١) ، فلم يدخل بيته حتى انتهى إلى باب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فدَقَّه ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : مَنْ هذا ؟ فقال : دِحْيَةُ الْكَلْبِيِّ . قال : ادخل . فدخل فاستخبره رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عما كان من هِرَقْلٍ حتى آتَى على آخر ذلك ، ثم قال : يا رسول الله ، أَقْبَلْتُ من عنده حتى كنت بِحِسْمَى فَأَغَارَ عَلَى قَوْمٍ من جُذَامٍ ، فما تركوا معي شيئاً حتى أَقْبَلْتُ بِسَمَلٍ^(٢) ، هذا الثوب .

فحدَّثَنِي موسى بن محمد قال : سمعت شيخاً من سعد هُذَيْمٍ كان قديماً يُخبر عن أبيه يقول : إِنَّ دِحْيَةَ لَمَّا أُصِيبَ - أَصَابَهُ^(٣) الْهُنَيْدُ بن عَارِضٍ وابنه عَارِضُ بن الْهُنَيْدِ ، وكانا وَاللهِ نَكِيدَيْنِ مَشُومَيْنِ ، فلم يُبْقُوا معه شيئاً ، فسمع بذلك نفرٌ من بني الضَّبْيِ فنفروا إلى الْهُنَيْدِ وابنه . فكان فيمن نفر منهم النُّعْمَانُ بن أَبِي جُعَالٍ في عشرة نفر ، وكان نُعْمَانُ رجل الوادى ذا الْجَلْدِ وَالرَّمَايَةِ^(٤) . فارتَمَى النُّعْمَانُ وَقُرَّةَ بن أَبِي أَصْفَرَ الصَّلْعِي ، فرماه قُرَّةٌ فَأَصَابَ كَعْبَهُ فَأَقْعَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ . ثم انتهض النُّعْمَانُ فرماه بِسَهْمٍ عَرِيضِ السَّرْوَةِ^(٥) ، فقال : خُذْهَا من الفتى ! فخلَّ السهم في رُكْبَتِهِ فَشَنَجَهُ وَقَعَدَ ، فَخَلَّصُوا لِدِحْيَةَ متاعه فرجع به سالماً إلى المدينة .

قال موسى ، فسمعتُ شيخاً آخر يقول : إِنَّمَا خَلَّصَ مَتَاعَ دِحْيَةَ رَجُلٌ كان صَحْبِهِ من قُضَاعَةٍ ، هو الذي كان استنقذ له كلَّ شيءٍ أَخَذَ منه

(١) في الأصل : « بِسَمَلٍ » ؛ وما أثبتناه من ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٦٣) .

والسمل : الخلق من الثياب . (النهاية ، ج ٢ ، ص ١٨٣) .

(٢) في الأصل : « بِسَمَلٍ » .

(٣) في الأصل : « أَصَابُوا » ؛ وما أثبتناه هو ما يقتضيه السياق .

(٤) في الأصل : « وكان نعمان رجل الوادى الجلد والرماية » ؛ ولعل ما أثبتناه أحكم للسياق .

(٥) السروة : السهم العريض النصل . (القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٣٤٢) .

رَدَّه على دِحْيَةَ . ثم إِنَّ دِحْيَةَ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَسْعَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَمَ الْهَنْدِ وابْنِهِ ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَسِيرِ ، فَخَرَجَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مَعَهُ .

وَقَدْ كَانَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدِ الْجُدَامِيِّ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَافِدًا ، فَأَجَازَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ ، ثُمَّ سَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكْتُبَ مَعَهُ كِتَابًا ، فَكَتَبَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لِرِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ إِلَى قَوْمِهِ عَامَّةً وَمَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ يَلْنَعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ . فَمَنْ أَقْبَلَ مِنْهُمْ فَهُوَ مِنْ حِزْبِ اللَّهِ وَحِزْبِ رَسُولِهِ ، وَمَنْ ارْتَدَّ فَلَهُ أَمَانٌ شَهْرَيْنِ . فَلَمَّا قَدِمَ رِفَاعَةُ عَلَى قَوْمِهِ بِكِتَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَهُ عَلَيْهِمْ فَأَجَابُوهُ وَأَسْرَعُوا ، وَنَفَذُوا إِلَى مُصَابِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ ^(١) فَوَجَدُوا أَصْحَابَهُ قَدْ تَفَرَّقُوا .

وَقَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ خِلَافَهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَبِعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَمْسِمِائَةِ رَجُلٍ ، وَرَدَّ مَعَهُ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ . وَكَانَ زَيْدٌ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ ، وَمَعَهُ دَلِيلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ . وَقَدْ اجْتَمَعَتْ غَطَفَانُ كُلُّهَا وَوَائِلُ وَمَنْ كَانَ مِنْ سَلَامَاتٍ وَبِهَرَاءَ حِينَ جَاءَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ بِكِتَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى نَزَلُوا - الرِّجَالُ وَرِفَاعَةُ - بِكُرَاعٍ ^(٢) رُؤْيَا لَمْ يُعْلَمَ . وَأَقْبَلَ الدَّلِيلُ الْعُدْرِيُّ بَزِيدِ بْنِ حَارِثَةَ حَتَّى هَجَمَ بِهِمْ ، فَأَغَارُوا مَعَ الصَّبْحِ عَلَى الْهَنْدِ وَابْنِهِ وَمَنْ كَانَ فِي مَحَلَّتِهِمْ ، فَأَصَابُوا مَا وَجَدُوا ، وَقَتَلُوا

(١) فِي الْأَصْلِ : « مُصَابُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ » ؛ وَمَا أُثْبِتْنَاهُ هُوَ مَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ . (انظر شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ١٩٠) ؛ وَالسِّيَرَةُ الْخَلْبِيَّةُ ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .
(٢) الْكُرَاعُ : الْجَانِبُ الْمُسْتَطِيلُ مِنَ الْحَرَّةِ . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٥) .
وَرُؤْيَا : مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَنِي مَالِزَنَ . (معجم ما استعجم ، ص ٣٤٢ ، ٣٨٨) .

فيهم فأوجعوا^(١) ، وقتلوا الهندي وابنه ، وأغاروا على ماشيتهم ونساءهم ، فأخذوا من النعم ألف بعير ، ومن الشاء خمسة آلاف شاة ، ومن السبى مائة من النساء والصبيان . وكان الدليل إنما جاء بهم من قبل الأولاج^(٢) ، فلما سمعت بذلك الضبيب بما صنع زيد بن حارثة ركبوا ، فكان فيمن ركب حبان بن ملة^(٣) وابنه ، فدنوا من الجيش وتواصوا لا يتكلم أحد إلا حبان بن ملة^(٣) ، وكانت ابينهم علامة إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال « قودى ! » فلما طلعا على العسكر طلعا على الدهم من السبى والنعم ، والنساء والأسارى أقبلوا جميعاً ، والذي يتكلم حبان بن ملة يقول : إنا قوم مسلمون . وكان أول من لقيهم رجل على فرس ، عارض رمحه ، فأقبل يسوقهم ، فقال رجل منهم : قودى ! فقال حبان : مهلاً ! فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال له حبان : إنا قوم مسلمون . قال له زيد : اقرأ أم الكتاب ! وكان زيد إنما يمتحن أحدهم بأمر الكتاب لا يزيده . فقرأ حبان ، فقال له زيد : نادوا في الجيش « إنه قد حرم علينا ما أخذناه منهم بقراءة أم الكتاب » . فرجع القوم ونهاهم زيد أن يهبطوا واديهم الذي جاءوا منه ، فأمسوا في أهليهم ، وهم في رصد لزيد وأصحابه ، فاستمعوا حتى نام أصحاب زيد بن حارثة ، فلما هدأوا وناموا ركبوا إلى رفاة بن زيد - وكان في الركب في تلك الليلة أبو زيد بن عمرو ، وأبو أسماء بن عمرو ، وسويد بن زيد وأخوه ، وبرذع بن زيد ، وتعلبة بن عدي - حتى

(١) أى أكثروا فيهم . (شرح الزرقاني على الواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ١٩١) .

(٢) الأولاج : جمع ولجة ، وهى معطف الوادى . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢١١) . وهو اسم موضع هنا .

(٣) هكذا في الأصل . وفى ابن إسحاق : « حسان بن ملة » ؛ وقال ابن هشام : « حبان بن ملة » (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٢٦١) .

صَبَّحُوا رِفَاعَةَ بِكُرَاعِ رُؤْيَةٍ ، بِحَرَّةٍ لَيْلٍ ^(١) ، فَقَالَ حِبَّانُ ^(٢) : إِنَّكَ لَجَالِسٌ
تَحْلِبُ الْمُعْزَى [وَنِسَاءُ جُدَامِ أُسَارَى] ^(٣) . فَأَخْبِرْهُ الْخَبْرَ فَدَخَلَ مَعَهُمْ حَتَّى
قَدَمُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ - سَارُوا ثَلَاثًا - فَابْتَدَاهُمْ رِفَاعَةُ
فَدَفَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابَهُ الَّذِي كَتَبَ مَعَهُ ، فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ
اسْتَخْبَرَهُمْ فَأَخْبَرُوهُ بِمَا صَنَعَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ . فَقَالَ : كَيْفَ أَصْنَعُ بِالْقَتْلِ ؟
فَقَالَ رِفَاعَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ أَعْلَمُ ، لَا تُحَرِّمَ عَلَيْنَا حَلَالًا وَلَا تُحِلَّ لَنَا
حَرَامًا . قَالَ أَبُو زَيْدٍ ^(٤) : أَطْلُقْ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ كَانَ حَيًّا ، وَمَنْ قُتِلَ
فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيْ هَاتَيْنِ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَدَقَ أَبُو زَيْدٍ !
قَالَ الْقَوْمُ : فَابْعَثْ مَعَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلًا إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، يُخَلِّي بَيْنَنَا
وَبَيْنَ حَرَمِنَا وَأَمْوَالِنَا . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : انْطَلِقْ مَعَهُمْ يَا عَلِيُّ !
فَقَالَ عَلِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا يُطِيعُنِي زَيْدٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : هَذَا سَيْفِي فَخُذْهُ . فَأَخَذَهُ فَقَالَ : لَيْسَ مَعِيَ بَعِيرٌ أَرْكَبُهُ . فَقَالَ
بَعْضُ الْقَوْمِ : هَذَا بَعِيرٌ ! فَرَكِبَ بَعِيرَ أَحَدِهِمْ وَخَرَجَ مَعَهُمْ حَتَّى لَقُوا رَافِعَ
ابْنَ مَكِيثَ بِشِيرَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ إِبِلِ الْقَوْمِ ، فَرَدَّهَا عَلِيُّ عَلَى
الْقَوْمِ . وَرَجَعَ رَافِعُ بْنُ مَكِيثَ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَدِيفًا حَتَّى لَقُوا زَيْدَ بْنَ
حَارِثَةَ بِالْفَحْلَتَيْنِ ^(٥) ، فَلَقِيَهُ عَلِيُّ وَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَأْمُرُكَ أَنْ تَرُدَّ عَلَى
هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَا كَانَ بِيَدِكَ مِنْ أَسِيرٍ أَوْ سَبْيٍ أَوْ مَالٍ . فَقَالَ زَيْدٌ : عَلَامَةٌ
مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ! فَقَالَ عَلِيُّ : هَذَا سَيْفُهُ ! فَعَرَفَ زَيْدُ السَّيْفَ فَهَنَزَ فَصَاحَ

(١) حرة ليل : لبنى مرة بن عوف بن سعد بن غطفان ، يطؤها الحاج الشامي في طريقه إلى المدينة .

(٢) وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٨٨ .

(٣) أى قال لرفاعة بن زيد . -

(٤) الزيادة من الزرقاني . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ١٩٢) .

(٥) أى أبو زيد بن عمرو . انظر الزرقاني . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ١٩٢) .

(٥) الفحلتيين : بين المدينة وذى المروة ، كما قال ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٦٤) .

بأناس فاجتمعوا فقال : مَنْ كان بيده شئٌ من سَبْيِ أو مالٍ فليُرِّدْهُ ، فهذا رسولُ رسولِ الله . فردَّ إلى الناس كلَّ ما أخذ منهم ، حتى إن كانوا ليأخذون المرأة من تحت فخذ الرجل .

حدَّثني أسامة بن زيد بن أسلم ، عن يُسْر بن مِخْجَن الدَّيْلِيّ ، عن أبيه ، قال : كنت في تلك السَّريَّة ، فصار لكل رجلٍ سبعة أبعرة وسبعون شاة ، ويصير له من السَّبْيِ المرأة والمرأتان ، فَوُطِّئُوا بالملك بعد الاستبراء ، حتى ردَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ذلك كلَّه إلى أهله ، وكان قد فرَّق وباع منه .

سَريَّةُ أميرها عبد الرحمن بن عَوْفٍ إلى دُومة الجندَل
في شعبان سنة ست

حدَّثني سعيد بن مسلم بن قَمَادِين ، عن عطاء بن أَبِي رَبَاح ، عن ابن عمر ، قال : دعا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عبد الرحمن بن عَوْفٍ فقال : وتجهَّزْ فإني باعُثُكَ في سَريَّةٍ من يَوْمِكَ هذا ، أو من غدٍ إن شاء الله . قال ابن عمر : فسمعتُ ذلك فقلت : لَأَدْخُلَنَّ فَلأُصَلِّينَّ مع النَّبِيِّ الغداة ، فَلأَسْمَعَنَّ وصيته لعبد الرحمن بن عوف . قال : فغدوتُ فصلَّيتُ فإذا أبو بكر ، وعمر ، وناس من المهاجرين ، فيهم عبد الرحمن بن عَوْفٍ ، وإذا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قد كان أمره أن يسير من الليل إلى دُومة الجندَل فيدعوهم إلى الإسلام ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم لعبد الرحمن : ما خلَّفُكَ عن أصحابك ؟ قال ابن عمر : وقد مضى أصحابُهُ في السَّحَرِ ، فهم مُعسكرُونَ بالجُرْفِ وكانوا سبعمائة رجلٍ ، فقال : أَحَبِّبْتُ يا رسول الله أن يكون آخر عهدِي بك ، وعلى ثيابٍ سفري . قال : وعلى عبد الرحمن ابن عَوْفٍ عِمَامَةٌ قد لفَّها على راسه . قال ابن عمر : فدعاه النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسلَّم فأقعدَه بين يديه فنقضَ عِمَامَتَه بيده ، ثم عممه بعِمَامَةِ سِوْدَاءٍ ،

فَأَرْخَى بَيْنَ كَتَفَيْهِ مِنْهَا ، ثُمَّ قَالَ : هَكَذَا فَاعْتَمِّ يَا ابْنَ عَوْفٍ ! قَالَ :
وعلى ابنِ عَوْفٍ السيفُ مُتَوَشَّحُهُ . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أَغْزُ بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَاتِلْ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ، لَا تَغُلْ وَلَا تَغْدِرْ وَلَا تَقْتُلْ
وَلِيدًا . قَالَ ابْنُ عَمْرِو : ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا
خَمْسًا قَبْلَ أَنْ يُحْلَلَ بِكُمْ ؛ مَا نُقْضَ مِكَيَالُ قَوْمٍ إِلَّا أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِالسِّنِينَ
وَنَقَضَ مِنْ الشُّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ، وَمَا نَكُثَ قَوْمٌ عَهْدَهُمْ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ ، وَمَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلَّا أَمْسَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَطَرَ السَّمَاءِ ، وَلَوْلَا
الْبَهَائِثُ لَمْ يُسْقَوْا ، وَمَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الطَّاعُونَ ،
وَمَا حَكَمَ قَوْمٌ بِغَيْرِ آيِ الْقُرْآنِ إِلَّا أَلْبَسَهُمُ اللَّهُ شِيْعًا ، وَأَذَاقَ بَعْضَهُمْ بِأَسْ
بَعْضٍ .

قَالَ : فَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَتَّى لَحِقَ أَصْحَابَهُ فَسَارَ حَتَّى قَدِمَ دُومَةَ
الْجَنْدَلِ ، فَلَمَّا حَلَّ بِهَا دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَمَكَثَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَدْعُوهُمْ
إِلَى الْإِسْلَامِ . وَقَدْ كَانُوا أَبَوَا أَوَّلِ مَا قَدِمَ يُعْطُونَهُ إِلَّا السَّيْفَ ، فَلَمَّا كَانَ
الْيَوْمَ الثَّلَاثَ أَسْلَمَ الْأَصْبَغُ بْنُ عَمْرِو الْكَلْبِيُّ ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا وَكَانَ رَأْسُهُمْ .
فَكَتَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ ، وَبَعَثَ رَجُلًا مِنْ
جُهَيْنَةَ يَقُولُ [لَهُ] رَافِعُ بْنُ مَكِيثٍ ، وَكَتَبَ يُخْبِرُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَدْ أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ فِيهِمْ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ
يَتَزَوَّجَ بِنْتَ الْأَصْبَغِ ثُمَامِضَ . فَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبَنَى بِهَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ
بِهَا ، هِيَ أُمُّ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَوْفٍ ، عَنْ صَالِحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ .
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ إِلَى كَلْبٍ ، وَقَالَ :
إِنْ اسْتَجَابُوا لَكَ فَتَزَوَّجْ ابْنَتَهُمْ أَوْ ابْنَتَهُمْ سَبَاهُمْ . فَلَمَّا قَدِمَ دَعَاهُمْ

إلى الإسلام فاستجابوا وأقام على إعطاء الجزية . وتزوج عبد الرحمن بن عوف ثُمَاضِر بنت الأَصْبَغ بن عمرو ملكهم ، ثم قدم بها المدينة ، وهى أمّ أبى سَلَمَة .

سَرِيَّة عَلَى بن أبى طالب عليه السلام إلى بنى سعد ، بِفَدَاكَ ^(١)
فى شعبان سنة ست

حدّثنى عبد الله بن جَعْفَر ، عن يعقوب بن عُتْبَة ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلّم عليّاً عليه السلام فى مائة رجلٍ إلى حَيّ سعد ، بِفَدَاكَ ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنّ لهم جمعاً يُريدون أن يُمدّوا يهودَ خَيْبَر ، فصار الليلَ وكمن النهارَ حتّى انتهى إلى الهَمَج ^(٢) ، فأصاب عينا فقال : ما أنت ؟ هل لك علم بما وراءك من جمع بنى سعد ؟ قال : لا علم لى به . فشدّوا عليه فأقرّ أنه عينٌ لهم بعثوه إلى خَيْبَر ، يعرض على يهود خَيْبَر نصرهم على أن يجعلوا لهم من تهرم كما جعلوا لغيرهم ويقبضون عليهم ، فقالوا له : فأين القوم ؟ قال : تركتهم وقد تجمّع منهم مائتا رجل ، وراسهم وبر ابن عُلَيم . قالوا : فسرّ بنا حتّى تدلّنا . قال : على أن تؤمّنونى ! قالوا : إن دلّتنا عليهم وعلى سرّجهم أمّناك ، وإلا فلا أمان لك . قال : فذاك ! فخرج بهم دليلاً لهم حتّى ساء ظنّهم به ، وأوفى بهم على فدّافد وآكام ، ثم أفضى بهم إلى سهولة فإذا نَعَمٌ كثيرٌ وشاء ، فقال : هذا نَعْمهم وشاءهم . فأغاروا عليه فضمّموا النَعَم والشاء . قال : أرسلونى ! قالوا : لا حتّى نأمن الطلب ! ونذر بهم الراعى رعاء الغنم والشاء ، فهربوا إلى جمعهم فحدّروهم ،

(١) فدك : قرية قريبة من خيبر بينها وبين المدينة ست ليال . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٥٥)

(٢) الهَمَج : ماء بين خيبر وفدك . (طبقات ابن سعد ، ج ٢ ، ص ٦٥) .

فتفرّقوا وهربوا ، فقال الدليل : عَلَامَ تحبسني ؟ قد تفرّقت الأعراب وأنذرهم الرعاء . قال على عليه السلام : لم نبلي معسكرهم . فانتهي بهم إليه فلم يرَ أحداً . فأرسلوه وساقوا النعم والشاء ، النعم خمسمائة بعير ، وألفا شاة .

حدثني أُبَيْرُ بن العلاء ، عن عيسى بن عذيلة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : إني لبيّوادى الهمّج إلى بديع ^(١) ، ما شعرتُ إلا ببني سعد يحملون الطُّعْن وهم هاربون ، فقلت : ما دهاهم اليوم ؟ فدنوت إليهم فلقيت رأسهم وبر بن عليم ، فقلت : ما هذا المسير ؟ قال : الشر ، سارت إلينا جموع محمد وما لا طاقة لنا به ، قبل أن نأخذ للحرب أهبتها ؛ وقد أخذوا رسولا لنا بعثناه إلى خيبر ، فأخبرهم خبرنا وهو صنع بنا ما صنع . قلت : ومن هو ؟ قال : ابن أخي ، وما كنا نعدّ في العرب فتى واحداً أجمع قلب منه . فقلت : إني أرى أمر محمد أمراً قد آمن وغلظ . أوقع بقريش فصنع بهم ما صنع ، ثم أوقع بأهل الحصون بيثرب ، قينقاع وبنى النضير وقريظة ، وهو سائر إلى هؤلاء بخيبر . فقال لي وبر : لا تخش ذلك ! إن بها رجالاً ، ونصوناً منيعة ، وماءً واتناً ^(٢) ، لا دنا منهم محمد أبداً ، وما أحراهم أن يغزوه في عُقر داره . فقلت : وترى ذلك ؟ قال : هو الرأي لهم . فمكث على عليه السلام ثلاثاً ثم قسم الغنائم وعزل الخمس وصى النبي صلى الله عليه وسلم لقرحاً تدعى الحفيدة قدم بها .

(١) بديع : أرض من فذك ، وهي مال للمغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن المغيرة المخزومي .

(معجم ما استعجم ، ص ١٤٤) .

(٢) وتن الماء ، أي داء ولم ينقطع . (الصراح ، ص ٢٢١٢) .

سرية زيد بن حارثة إلى أمِّ قُرَفة في رمضان سنة ست

حدَّثني أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي قال : حدَّثنا عبد الله بن جعفر ، عن عبد الله بن الحسين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، قال : خرج زيد بن حارثة في تجارةٍ إلى الشام ، ومعه بضائع لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذ خُصِيَّتِي تَيْس فذبغهما ثم جعل بضائعهم فيهما ، ثم خرج حتى إذا كان دون وادي القرى ومعه ناسٌ من أصحابه ، لقيه ناسٌ من بني فزارة من بني بدر ، فضربوه وضربوا أصحابه حتى ظنوا أن قد قُتلوا ، وأخذوا ما كان معه ؛ ثم استبَل^(١) زيد فقدم المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فبعثه في سَرِيَّةٍ فقال لهم : اكمُنوا النهارَ وسيروا الليلَ . فخرج بهم دليلٌ لهم ، ونذرت بهم بنو بدر فكانوا يجعلون ناطوراً^(٢) لهم حين يُصبحون فينظر على جبلٍ لهم مشرفٍ وجهَ الطريقِ الذي يرون أنهم يأتون منه ، فينظر قدر مسيرة يومٍ فيقول : اسرحوا فلا بأس عليكم هذه ليلتكم ! فلما كان زيد بن حارثة وأصحابه على نحو مسيرة ليلةٍ أخطأ بهم دليلُهم الطريق ، فأخذ بهم طريقاً أخرى حتى أمسوا وهم على خطأ ، فعرفوا خطأهم ، ثم صمدوا^(٣) لهم في الليل حتى صبَّحوهم ، وكان زيد بن حارثة نهاهم حيث انتهوا عن الطلب . قال : ثم وعز إليهم ألا يفترقوا . وقال :

(١) استبل : أي برأ . (الصحيح ، ص ١٦٤٠) .

(٢) الناطور : حافظ الكرم ، والمعنى هاهنا الطليعة . (القاموس المحيط ، ج ٢ ،

ص ١٤٤) .

(٣) صمدوا لهم : أي ثبتوا لهم وقصدهم وانتظروا غفلتهم . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٣٧٤) .

إذا كبرت فكبروا . وأحاطوا بالحاضر ثم كبر وكبروا ، فخرج سلمة بن
الأكوع فطلب رجلاً منهم حتى قتله ، وقد أمعن في طلبه ، وأخذ جارية
بنت مالك بن حذيفة بن بدر وجدها في بيت من بيوتهم ؛ وأمها أم قرفة ،
وأم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن زيد . فغنموا ، وأقبل زيد بن حارثة ، وأقبل
سلمة بن الأكوع بالجارية ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فذكر
له جمالها ، فقال : يا سلمة ، ما جارية أصبتها ؟ قال : جارية يا رسول
الله رجوت أن أفندي بها امرأة منا من بنى فزارة . فأعاد رسول الله صلى الله
عليه وسلم مرتين أو ثلاثاً يسأله : ما جارية أصبتها ؟ حتى عرف سلمة
أنه يريد ما فوهبها له ، فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحزن بن أبي
وهب ، فولدت له امرأة ليس له منها ولد غيرها .

فحدثني محمد ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها ،
قالت : وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيتي ، فأتى زيد فقرع الباب ، فقام إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعجر ثوبه عرياناً ، ما رأيته عرياناً قبلها ، حتى اعتنقه وقبله ، ثم سأله
فأخبره بما ظفّر الله .

ذكر من قتل أم قرفة

قتلها قيس بن المحسر قتلاً عنيفاً ؛ ربط بين رجلَيْها حبلاً ثم ربطها بين
بعيرين ، وهى عجوز كبيرة . وقتل عبد الله بن مسعدة ، وقتل قيس بن
الدعمان بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر .

(١) كذا في الأصل وابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ٦٣٩) . وفي ابن سعد : « مسلمة بن

الأكوع » . (الطبقات ، ج ٣ ، ص ٦٥) .

سرية أميرها عبد الله بن رَوَاحَة إلى أسير بن زارم في شوال سنة ست

قال الواقدي : حدثني موسى بن يعقوب ، عن أبي الأسود ، قال : سمعت عُروة بن الزبير قال : غزا عبد الله بن رَوَاحَة خَيْبَرَ مَرَّتَيْنِ ؛ بعثه النبي صَلَّى الله عليه وسلم البعثة الأولى إلى خَيْبَرَ في رمضان في ثلاثة نفر ينظر إلى خَيْبَرَ ، وحال أهلها وما يُريدون وما يتكلمون به ، فأقبل حتى أتى ناحية خَيْبَرَ فجعل يدخل الحوايط . ، وفرّق أصحابه في النطاة ، والشق ، والكتيبة^(١) . ووعوا ما سمعوا من أسير وغيره . ثم خرجوا بعد إقامة ثلاثة أيام ، فرجع إلى النبي صَلَّى الله عليه وسلم لليال بقين من رمضان ، فخبّر النبي صَلَّى الله عليه وسلم بكل ما رأى وسمع ، ثم خرج إلى أسير في شوال .

فحدثني ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن أبي سفيان ، عن ابن عباس ، قال : كان أسير رجلاً شجاعاً ، فلما قُتل أبو رافع أمرت اليهود أسيرَ بن زارم ، فقام في اليهود فقال : إنه والله ما سار محمد إلى أحد من اليهود إلا بعث أحداً من أصحابه فأصاب منهم ما أراد ، ولكنني أصنع ما لا يصنع أصحابي . فقالوا : وما عسيت أن تصنع ما لم يصنع أصحابك ؟ قال : أسيرُ في غطفان فأجمعهم . فسار في غطفان فجمعها ، ثم قال : يا معشر اليهود ، نسير إلى محمد في عقر داره ، فإنه لم يُغزَ أحدٌ في داره إلا أدرك منه عدوه بعض ما يُريد . قالوا : نِعَم ما رأيت . فبلغ ذلك النبي صَلَّى الله عليه وسلم . قال : وقدم عليه خارجة بن حُسيل الأشجعي ، فاستخبره رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم ما وراءه فقال : تركت

(١) النطاة والشق والكتيبة من آطام خيبر . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٣٠ ، ٣٦٤ ، ٣٨٣) .

أُسِيرَ بِن زَارِمَ يَسِيرُ إِلَيْكَ فِي كِتَابِ الْيَهُودِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
فَنَادَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ ، فَانْتَدَبَ لَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا .
قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ : فَكُنْتُ فِيهِمْ . فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ . قَالَ : فَخَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا خَيْبَرَ فَأَرْسَلْنَا
إِلَى أُسَيْرٍ : إِنَّا آمِنُونَ حَتَّى نَأْتِيكَ فَنَعْرُضُ عَلَيْكَ مَا جِئْنَا لَهُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ،
وَلِي مِثْلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ . فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ بَعَثَنَا
إِلَيْكَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ فَيَسْتَعْمَلَكَ عَلَى خَيْبَرَ وَيُحْسِنَ إِلَيْكَ . فَطَمَعَ فِي ذَلِكَ ،
وَشَاوَرَ الْيَهُودَ فَخَالَفُوهُ فِي الْخُرُوجِ وَقَالُوا : مَا كَانَ مُحَمَّدٌ يَسْتَعْمَلُ رَجُلًا
مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ . فَقَالَ : بَلَى ، قَدْ مَلَلْنَا الْحَرْبَ . قَالَ : فَخَرَجَ
مَعَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ رَدِيفٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . قَالَ : فَسَرْنَا
حَتَّى إِذَا كُنَّا بِقَرْقَرَةَ ثَبَارٍ^(١) نَدِمَ أُسَيْرٌ حَتَّى عَرَفْنَا النَّدَامَةَ فِيهِ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ أُنَيْسٍ : وَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى سِنِيٍّ فَفَطَنْتُ لَهُ . قَالَ : فَدَفَعْتُ بُعَيْرِي فَقُلْتُ :
غَدْرًا أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ ! ثُمَّ تَنَاوَمْتُ فَدَنَوْتُ مِنْهُ لَأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ ، فَتَنَاوَلَ سِنِيٍّ ،
فَغَمَزْتُ بُعَيْرِي وَقُلْتُ : هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَنْزِلُ فَيَسُوقُ بَنَانًا ؟ فَلَمْ يَنْزِلْ أَحَدٌ ،
فَنَزَلْتُ عَنْ بُعَيْرِي فَسَقْتُ بِالْقَوْمِ حَتَّى انْفَرَدَ أُسَيْرٌ ، فَضَرَبْتُهُ بِالسِّيفِ
فَقَطَعْتُ مُؤَخَّرَةَ الرَّجْلِ وَأَنْدَرْتُ^(٢) عَامَّةً فَخَذَهُ وَسَاقِهِ ، وَسَقَطَ عَنْ بُعِيرِهِ
وَفِي يَدِهِ مِخْرَاشٌ مِنْ^(٣) شَوْحَطٍ . فَضَرَبْتَنِي فَشَجَنِي مَأْمُومَةً^(٤) ، وَمَلْنَا عَلَى

(١) فِي مَغَازِي مَوْسَى بْنِ عَقِبَةَ : « قَرْقَرَةُ ثَبَارٍ » . (وَفَاءُ الْوَفَا ، ج ٢ ، ص ٣٦١) .
وِثْبَارٌ : مَوْضِعٌ عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنْ خَيْبَرَ . (وَفَاءُ الْوَفَا ، ج ٢ ، ص ٢٧٣) .
(٢) أَنْدَرَهُ : أَسْقَطَهُ ، وَ يُقَالُ ضَرَبَ يَدَهُ بِالسِّيفِ فَأَنْدَرَهَا . (الصِّحَاحُ ، ص ٨٣٥) .
(٣) فِي الْأَصْلِ : « مِخْرَاشٌ مِنْ سَوْطٍ » ؛ وَمَا أُثْبِتْنَاهُ مِنْ ابْنِ سَعْدٍ . (الطَّبَقَاتُ ، ج ٢ ، ص ٦٧)
وَالْمِخْرَاشُ : عَصَا مَعْوِجَةُ الرَّأْسِ . (النِّهَايَةُ ، ج ١ ، ص ٣٨٨) . وَالشَّوْحَطُ : ضَرْبٌ مِنْ شَجَرِ
الْجِبَالِ . (الصِّحَاحُ ، ص ١١٣٦) .
(٤) يُقَالُ : شَجَّةٌ مَأْمُومَةٌ ، أَيُّ بَلَغَتْ أَمَّ الرَّأْسِ . (الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ ، ج ٤ ، ص ٧٦) .

أصحابه فقتلناهم كلهم غير رجلٍ واحدٍ أعجزنا شداً ، ولم يُصَبْ من المسلمين أحدٌ ، ثم أقبلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحدث أصحابه إذ قال لهم : تمشوا بنا إلى الثنية نتحسب من أصحابنا خبراً . فخرجوا معه ، فلما أشرفوا على الثنية فإذا هم بسرعان أصحابنا . قال : فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه . قال : وانتهينا إليه فحدثنا الحديث ، فقال : نجاكم الله من القوم الظالمين !

قال عبد الله بن أنيس : فدنوتُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنفت في شجتي . فلم تقح بعد ذلك اليوم ولم تؤذني ، وقد كان العظم قلٌّ ؛ ومسح على وجهي ودعا لي . وقطع قطعةً من عصاه فقال : أمسك هذا معك علامةً بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها ، فإنك تأتي يوم القيامة مُتخصراً^(١) . فلما دُفِن جُعِلت معه تلي جسده دون ثيابه .

فحدثني خارجة بن الحارث . عن عطية بن عبد الله بن أنيس . عن أبيه ، قال : كنت أصلح قوسي . قال : فجئت فوجدت أصحابي قد وجهوا إلى أسير بن زارم . قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا أرى أسير ابن زارم ! أي اقتله .

سرية أميرها كُرز بن جابر

لما أُغِير على لِقاح النبي صلى الله عليه وسلم بذى الجدر في شوال سنة ست ، وهي على ثمانية أميالٍ من المدينة^(٢) .

(١) أي يأخذ بيده مخرصة ، وهي العصا . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٩٦) .

(٢) قال ابن سعد : الجدر ناحية قباء قريباً من غير على ستة أميالٍ من المدينة . (الطبقات .

ج ٢ ، ص ٦٧) .

حدَّثنا خارجة بن عبد الله ، عن يزيد بن رومان ، قال : قدم نفرٌ من عُرينة ثمانيةٌ على النبيِّ صَلَّى الله عليه وسلَّم فأسلموا ، فاستوبأوا^(١) المدينة فأمَر بهم النبيُّ صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى لِقاحه ، وكان سَرَحُ المسلمين بذي الجَدَر ، فكانوا بها حتى صحَّوا وسمنوا . وكانوا استأذَنوه يشربون من ألبانها وأبوالها ، فأَذَن لهم فغدوا على اللُّقاح فاستاقوها^(٢) ، فيُدركهم مولى النبيِّ صَلَّى الله عليه وسلَّم ومعه نفرٌ فقاتلهم ، فأخذوه فقطعوا يده ورجله ، وغرَزا الشَّوْكَ في لِسانه وعينه حتى مات . وانطلقوا بالسَّرَح ، فأقبلت امرأةٌ من بني عمرو بن عوف على حمارٍ لها حتى تمرَّ بيسار تحت شجرة ، فلَمَّا رآته وبنا به - وقد مات - رجعت إلى قومها وخبرتهم الخبر . فخرجوا نحو يَسار حتى جاءوا به إلى قُبَاء ميتاً . فبعث رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في أثرهم عشرين فارساً ، واستعمل عليهم كُرْز بن جابر الفِهْرِيّ ، فخرجوا في طلبهم حتى أدركهم الليل ، فباتوا بالحرَّة وأصبحوا فاغتندوا لا يدرون أين يسلكون ، فإذا هم بامرأةٍ تحمل كَتِفَ بَعير ، فأخذوها فقالوا : ما هذا معك ؟ قالت : مررتُ بقومٍ قد نحروا بعيراً فأعطوني . قالوا : أين هم ؟ قالت : هم بتلك القِفار من الحرَّة ، إذا وافيت عليها رأيتم دخانهم . فساروا حتى أتوهم حين فرغوا من طعامهم ، فأحاطوا بهم فسألوهم أن يستأسروا ، فاستأسروا بأجمعهم لم يُفَلت منهم إنسانٌ ، فربطوهم ، وأردفهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة ، فوجدوا رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بالغابة ، فخرجوا نحوه .

قال خارجة : فحدَّثني يزيد بن رومان قال : حدَّثني أنس بن مالك

(١) استوبأوا المدينة : أى وجدوها رُبَّة . (الصحاح ، ص ٧٩) .

(٢) وقد كفروا بعد إسلامهم .

قال : فخرجتُ أَسْعَى في آثارهم مع الغلمان حتى لقي بهم النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالزَّغَابَةِ بمَجْمَعِ السُّيُولِ ، فأمر بهم ففُطِعت أيديهم وأرجلهم ، وسُـمِلت أعينُهم وصُلِبوا هناك . قال أنس : إني لواقفٌ أنظرُ إليهم .

قال الواقدي : فحدَّثني إسحاق ، عن صالح مولى التَّوَمَةِ ، عن أبي هريرة ، قال : لما قطع النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم أيدي أصحاب اللِّقَاح وأرجلهم وسُـمِل أعينهم نزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ ... ﴾ ^(١) الآية . قال : فلم تُسَمَل بعد ذلك عَيْن .

قال : فحدَّثني أبو جعفر ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : ما بعث النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم بعد ذلك بعثاً إلاَّ نَهَاهم عن المُثَلَّة .

وحدَّثني ابن بلال ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : لم يقطع رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم لساناً قطُّ ، ولم يسْمَل عيناً ، ولم يزد على قطع اليد والرجل .

وحدَّثني ابن أبي حَبِيبَةَ ، عن عبد الرحمن بن عبد الرحمن ، قال : أمير السَّريَّة ابنُ زيد الأشْهَلِيَّ .

حدَّثني ابن أبي سَبْرَةَ ، عن مروان بن أبي سَعِيد بن المُعَلَّى ، قال : لما ظفروا باللِّقَاح خَلَفُوا عليها سَلَمَةَ بن الأَكْوَع ، ومعه أبو رُهم الغِفَارِيُّ ، وكانت اللِّقَاح خمسَ عشرة لِقْحَةً غِزَارًا . فلما أَقبل رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى المدينة من الزَّغَابَةِ وجلس في المسجد ، إذا اللِّقَاح على باب المسجد ، فخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم فنظر إليها فتنقَّذ منها لِقْحَةً

له يُقال لها الحِناؤُ^(١) فقال : أَى سَلَمَةٍ ، أَيْنَ الحِناؤُ ؟ قال : نَحَرَهَا القَوْمُ ولم ينحروا غيرها . ثم قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : انظر مكاناً ترعاها فيه . قال : ما كان أمثل من حيث كانت بذى الجَدْر . قال : فردّها إلى ذى الجَدْر . فكانت هناك ، وكان لبنُها يُراحُ به إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، كلَّ ليلةٍ وطَبُّ من لبن .

قال ابن أبي سَبْرَةَ : فحدّثنى إسحاق بن عبد الله ، عن بعض ولد سَلَمَةَ بن الأَكْوَع ، أنه أخبره أن سَلَمَةَ بن الأَكْوَع أخبره بعدة العشرين فارساً فقال : أنا ، وأبو رُهم الغِفاريّ ، وأبو ذَرٍّ ، وبُرَيْدة بن الخُصيب ، ورافع بن مَكِيث ، وجُنْدُب بن مَكِيث ، وبِلال بن الحارث المُزَنّي ، وعبد الله بن عمرو بن عَوْف المُزَنّي ، وجُعَال بن سُراقَة ، وصفوان بن مُعَطَّل ، وأبو رَوعة مَعْبَد بن خالد الجُهَنّي ، وعبد الله بن بَدْر ، وسُوَيْد بن صَخْر ، وأبو ضُبَيْس الجُهَنّي .

غزوة الحُدَيْبِيَّة^(٢)

قال : حدّثنا ربيعة بن عُمَيْر بن عبد الله بن الهَرَم ، وقُدّامة بن موسى ، وعبد الله بن يزيد الهُدَلّيّ ، ومحمّد بن عبد الله بن أبي سَبْرَةَ ، وموسى بن محمّد ، وأَسامة بن زيد اللَّيْثي ، وأبو مَعْشَر ، وعبد الحميد بن جعفر ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز ، ويونس بن محمّد ، ويعقوب بن محمّد بن

(١) في الأصل : « الحيا » ؛ وما أثبتناه من الزرقاني ، يروى عن الواقدي . (شرح على المواهب

اللدنية ، ج ٢ ، ص ٢١١) . ومن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٦٨) .

(٢) على هامش الأصل : « هي قرية صغيرة سميت باسم بُرّ هناك عند مسجد الشجر وهي شجر

سمر » . والحُدَيْبِيَّة على تسعة أميال من مكة . (شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ، ج ٢ ،

ص ٢١٦) .

أَبِي صَعْصَعَةَ ، وَمُجَمِّعُ بْنُ يَعْقُوبَ ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي زَيْدِ الزُّرَّقِيِّ ، وَعَابِدُ
ابْنُ يَحْيَى ، وَمُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى
ابْنُ سَهْلٍ بْنُ أَبِي حُثَمَةَ ، وَيَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ ، وَمَعَاذُ بْنُ مُحَمَّدٍ ،
وعبد الله بن جعفر ، وحِزَامُ بْنُ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ ؛ فَكُلُّ قَدْ حَدَّثَنِي مِنْ هَذَا
الْحَدِيثِ بِطَائِفَةٍ ، وَبَعْضُهُمْ أَوْعَى لِهَذَا الْحَدِيثِ مِنْ بَعْضٍ ، وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ
الْمُسَمَّنِينَ قَدْ حَدَّثَنِي ، أَهْلُ الثَّقَةِ ، وَكُتِبَتْ كُلُّ مَا حَدَّثُونِي ، قَالُوا : كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَأَى فِي النَّوْمِ أَنَّهُ دَخَلَ الْبَيْتَ ، وَحُلِقَ
رَأْسُهُ ، وَأَخَذَ مِفْتَاحَ الْبَيْتِ ، وَعَرَّفَ مَعَ الْمُعَرِّفِينَ ^(١) ، فَاسْتَنْفَرَ أَصْحَابَهُ إِلَى
الْعُمْرَةِ ، فَاسْرِعُوا وَتَهَيَّئُوا لِلخُرُوجِ . وَقَدِمَ عَلَيْهِ بُسْرُ بْنُ سُفْيَانَ الْكَعْبِيُّ فِي
لَيَالٍ بَقِيَتْ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ سِتٍّ ، فَقَدِمَ مُسَلِّمًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ زَائِرًا لَهُ ، وَهُوَ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى أَهْلِهِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا بُسْرُ ، لَا تَبْرَحْ حَتَّى تَخْرُجَ مَعَنَا فَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ مُعْتَمِرُونَ .
فَأَقَامَ بُسْرُ وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُسْرَ بْنَ سُفْيَانَ ^(٢) يَبْتَاعَ لَهُ
بُذْنًا ، فَكَانَ بُسْرُ يَبْتَاعُ الْبُذْنَ وَيَبْعَثُ بِهَا إِلَى ذِي الْجَدْرِ حَتَّى يَنْصُرَ
خُرُوجَهُ ، فَأَمَرَ بِهَا فَجُلِبَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا نَاجِيَةَ بْنَ جُنْدُبٍ الْأَسَدِيَّ ^(٣)
أَنْ يُقَدِّمَهَا إِلَى ذِي الْحُلَيْفَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى هَدْيِهِ نَاجِيَةَ بْنَ جُنْدُبٍ .
وَخَرَجَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ ، لَا يَشْكُونَ فِي الْفَتْحِ ،
لِلرُّؤْيَا الَّتِي رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَعَجَزُوا بِغَيْرِ سِلَاحٍ إِلَّا
السُّيُوفَ فِي الْقُرْبِ ، وَسَاقَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِهِ الْهَدْيَ ، أَهْلُ قُوَّةٍ - أَبُو بَكْرٍ

(١) أَى وَقَفَ عَلَى عَرَفَةَ .

(٢) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « الْأَشْهَلُ » . وَمَا أَثْبَتْنَاهُ مِنْ ابْنِ سَعْدٍ . (الطَّبَقَاتُ ، ج ٢ ، ص ٨٧)

وَمِنْ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ . (الْإِسْتِيعَابُ ، ص ١٥٢٢) .

وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم - ساقوا هدياً حتى وقف بذي الحليفة ، وساق سعد بن عبادة بُدناً . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أتخشى يا رسول الله علينا من أبى سفيان بن حرب وأصحابه ، ولم نأخذ للحرب عُدتها ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ما أدرى ، ولست أحبُّ أحمل السلاح مُعتمراً . وقال سعد بن عبادة : يا رسول الله ، لو حملنا السلاح معنا ، فإن رأينا من القوم ريباً كنّا مُعدين لهم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لستُ أحمل السلاح ، إنما خرجتُ مُعتمراً . واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم الاثنين لَهلال ذى القعدة ، فاغتسل في بيته وليس ثوبين من نسج صُحار^(١) ، وركب راحلته القصواء من عند بابه ، وخرج المسلمون ، فصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بذي الحليفة ، ثم دعا بالبُدن فجلّلت^(٢) ، ثم أشعر^(٣) بنفسه منها عِدّة ، وهنَّ مُوجّهاتٌ إلى القبلة ، في الشقِّ الأيمن . ويقال دعا ببَدَنَةٍ واحدة فاشعرها في الجانب الأيمن ، ثم أمر ناجية بن جندب بإشعار ما بقى ، وقلّدها نعلًا نعلًا ، وهى سبعون بدنة فيها جمل أبى جهل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غنمه بيدر ، وكان يكون في لقاحه بذي الجدر . وأشعر المسلمون بُدنهم ، وقلّدوا النعال في رقاب البدن ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بُسْر بن سفيان من ذى الحليفة فأرسله عِيناً له ، وقال : إنَّ قُرَيْشاً قد بلغها أنّى أريد العمرة ، فخبّر لى خبرهم ، ثم القنى بما يكون منهم .

(١) صُحار : قرية باليمن ينسب الثوب إليها . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٥٣) .

(٢) تجليل الفرس : أن تلبسه الجمل ؛ أى القطاء . (الصحاح ، ص ١٦٦١) .

(٣) أشعر : ضرب صفحة السنام اليمنى بحديدة فلطخها بدمها إشعاراً بأنه هدى . (شرح الزرقانى

على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٢١٨) .

فتقدّم بِبُشْرٍ أَمَامَهُ ، ودعا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم عبّاد بن بِشْرٍ فقدّمه
أَمَامَهُ طليعةً في خيل المسلمين عشرين فارساً ، وكان فيها رجالٌ من المهاجرين
والأنصار - المقداد بن عمرو وكان فارساً ، وكان أبو عِيَّاشَ الزُّرَقِيُّ فارساً ،
وكان الحُبَابُ بن المُنْذِرِ فارساً ، وكان عامر بن ربيعة فارساً ، وكان سَعِيدُ
ابن زيد فارساً ، وكان أبو قتادة فارساً ، وكان مُحَمَّدُ بن مَسْلَمَةَ فارساً ،
في عِدَّةٍ منهم . ويقال أميرهم سعد بن زيد الأشْهَلِيُّ . ثم دخل رسولُ الله
صَلَّى الله عليه وسلّم المسجد فصَلَّى ركعتين ، ثم خرج ودعا براحلته فركبها
من باب المسجد ، فلما انبعثت به مُسْتَقْبِلَةَ الْقِبْلَةِ أَحْرَمَ وَلَبَّى بِأَرْبَعِ
كَلِمَاتٍ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ! لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، لَبَّيْكَ ! إِنَّ الْحَمْدَ
وَالنَّعْمَةَ لَكَ ، وَالْمُلْكَ ، لَا شَرِيكَ لَكَ ! وَأَحْرَمَ عَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ بِإِحْرَامِهِ ،
ومنهم من لم يُحْرَمَ إِلَّا مِنَ الْجُحْفَةِ . وسلك طريق البَيْدَاءِ^(١) ، وخرج
معه المسلمون ستّ عشرة مائة ، ويقال ألف وأربعمائة ، ويقال ألف وخمسمائة
 وخمسة وعشرون رجلاً ؛ خرج معه مِنْ أَسْلَمَ مائة رجلٍ ، ويقال سبعون رجلاً ؛
 وخرج معه أربع نسوة : أُمُّ سَلَمَةَ زوج النبي صَلَّى الله عليه وسلّم ، وأُمُّ عُمَارَةَ ،
 وأُمُّ مَنِيعَ ، وأُمُّ عامر الأشْهَلِيَّةُ ، فجعل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يَمُرُّ
بِالْأَعْرَابِ فيما بين مَكَّةَ والمدينة فيستنفرهم ، فيتشاكلون^(٢) له بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَبْنَائِهِمْ وَذَرَارِيَّهُمْ - وهم بنو بَكْرَ ، وَمُزَيْنَةَ ، وَجُهَيْنَةَ - فيقولون فيما بينهم :
أَيُّرِيدُ مُحَمَّدٌ يَغْزُو بِنَا إِلَى قَوْمٍ مُعَدِّينَ مُوَيَّدِينَ فِي الْكُرَاعِ وَالسَّلَاحِ ؟ وَإِنَّمَا
مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَكَلَةُ جَزُورٍ ! لَنْ يَرْجِعَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ مِنْ سَفَرِهِمْ هَذَا أَبَدًا !

(١) البَيْدَاءُ : هي التي إذا رَجَلَ الْحِجَاجُ مِنْ ذِي الْحَلِيفَةِ اسْتَقْبَلُوهَا مُصْعِدِينَ إِلَى الْمَغْرِبِ .

(وفاء الوفا ، ح ٢ ، ص ٢٦٧) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « فَيَتَشَاكَلُونَ » .

قومٌ لا سلاحَ معهم ولا عَدَدَ ، وإنما يُقدِّم على قومٍ حديثٍ عهدٌ بهم بمن أُصيب منهم ببدر !

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يُقدِّم الخيل ، ثم يُقدِّم ناجية بن جُنْدُب مع الهَدْي ، وكان معه فتیانٌ من أسلَم ، وقَدَّم المسلمون هَدْيهم مع صاحب هَدْي رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ناجية بن جُنْدُب مع الهَدْي . وخرج رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم حين أصبح يوم الثلاثاء بمَكَل ، فراح من مَكَلٍ وتعرَّشَى بالسَّيَّالَةِ ، ثم أصبح بالروحاء ، فلقى بها أَصْرَاماً^(١) من بني نَهْد ، معهم نَعَمٌ وشاءٌ ، فدعاهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا له وانقطعوا من الإسلام ، فأرسلوا إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بلبنٍ مع رجلٍ منهم . فأبَى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أن يقبل منهم وقال : لا أقبل هديَّةَ مُشْرِك . فأمر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أن يُبتاع منهم فابتاعوه من الأعراب فسرَّ القوم ؛ وجاءوا بثلاثة أَضْبٍ أَحْيَاءٍ يعرضونها ، فاشتراها قوم أَحِلَّةٌ من العسكر ، فأكلوا وعرضوا على المُحرَّمين فأبَوْا حتى سألوا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عن ذلك فقال : كُلُوا فكلُّ صيدٍ ليس لكم حَلَالاً في الإحرام تأكلونه ، إلَّا ما صيدتم أو صيد لكم . قالوا : يا رسول الله ، فوالله ما صيدنا ولا صادتَه إلَّا هؤلاء الأعراب ، أهدوا لنا وما يدرون أن يلقونا ، إنما هم قوم سَيَّارَةٌ يُصْبِحون اليوم بِأَرْضٍ وهم الغدُ بِأَرْضٍ أُخْرَى يتبعون الغَيْثَ ، وهم يُريدون سَحَابَةً وقعت من الخريف بِفَرَشٍ^(٢) مَكَل . فدعَا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم برجلٍ منهم فسأله : أين تُريدون ؟ فقال : يا مُحَمَّد ، ذُكرت لنا سَحَابَةٌ وقعت بِفَرَشٍ مَكَل منذ شهر ، فأرسلنا رجلاً منا يرتاد

(١) أَصْرَام : جمع صرمة ، وهي الجماعة . (القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ١٣٩) .

(٢) الفرش : الموضع يكثر فيه النبات . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٨٢) .

البلاد ، فرجع إلينا فخبّرنا أَنَّ الشاة قد شَبِعَتْ وَأَنَّ البعير يمشى ثَقِيلاً مما جمع من الحوض ، وَأَنَّ الغُدْرَ كَثِيرَةٌ مُرْوِيَةٌ ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَلْحَقَ بِهِ .

فحدّثنى عبد العزيز بن محمّد ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب ابن عبد الله بن حنطب ، عن أبي قتادة ، قال : خرجنا مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم في عمرة الحُدَيْبِيَّةِ وَمِنَّا الْمُحْجِلُّ والمُحْرِمُ ، حتّى إِذَا كُنَّا بِالْأَبْوَاءِ ، وَأَنَا مُحْجِلٌ ، رَأَيْتُ حِمَارًا وَحْشِيًّا ، فَأَسْرَجْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُ فَقُلْتُ لِبَعْضِهِمْ : نَاوِلْنِي سَوْطِي ! فَأَبَى أَنْ يُنَاوِلَنِي فَقُلْتُ : نَاوِلْنِي رُمْحِي ! فَأَبَى ، فَنَزَلْتُ فَأَخَذْتُ سَوْطِي وَرُمَحِي ثُمَّ رَكِبْتُ فَرَسِي ، فَحَمَلْتُ عَلَى الْحِمَارِ فَقَتَلْتُهُ ، فَجِئْتُ بِهِ أَصْحَابِي الْمُحْرِمِينَ وَالْمُحْجِلِّينَ ، فَشَكَكُ الْمُحْرِمُونَ فِي أَكْلِهِ ، حتّى أَدْرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلّم ، وَقَدْ كَانَ تَقَدَّمْنَا بِقَلِيلٍ ، فَأَدْرَكَنَاهُ فَسَأَلْنَاهُ عَنْهُ فَقَالَ : أَمَعَكُمْ مِنْهُ شَيْءٌ ؟ قَالَ : فَأَعْطَيْتُهُ الدَّرَاعَ فَأَكَلَهَا حتّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا وَهُوَ مُحْرِمٌ . فَقِيلَ لِأَبِي قَتَادَةَ : وَمَا خَلَّفَكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلّم ؟ قَالَ : طَبَخْنَا الْحِمَارَ فَلَمَّا نَضِجَ لَحِقْنَاهُ وَأَدْرَكَنَاهُ .

وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عبد الله بن عُتْبَةَ ، عن ابن عَبَّاسٍ ، عن الصَّعْبِ بن جَثَامَةَ ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلّم بِالْأَبْوَاءِ يَوْمَئِذٍ بِحِمَارٍ وَحْشِيٍّ ، فَأَهْدَاهُ لَهُ فَرَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلّم . قَالَ الصَّعْبُ : فَلَمَّا رَأَى وَمَا بَوَجْهِي مِنْ كِرَاهِيَةِ رَدِّ هَدِيَّتِي ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلّم : إِنَّا لَمْ نَرِدْهُ إِلَّا أَنَا حُرْمٌ . قَالَ : فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلّم يَوْمَئِذٍ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا نَصْبِحُ الْعَدُوَّ وَالْغَارَةَ فِي غَلَسِ الصُّبْحِ فَنُصِيبُ الْوِلْدَانَ تَحْتَ بُطُونِ الْخَيْلِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلّم : هُمْ مَعَ الْآبَاءِ .

وقال : سمعته يومئذ يقول : « لا حِمَى إِلَّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ » . ويُقال إِنَّ الحمار يومئذ كان حَيًّا .

وحدثني عبد الرحمن بن الحارث ، عن جدّه ، عن أبي رُهم الغفاريّ ، قال : لما نزلوا الأبواءَ أهْدَى إِيْماءُ بن رَحْضَةَ جُزْرًا ومائة شاة ، وبعث بها مع ابنه خُفاف بن إِيْماء وبعيرَيْن يحملان لبناً ، فانتهى به إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فقال : إِنَّ أَبِي أَرْسَلَنِي بِهَذِهِ الْجُزْرِ وَاللَبَنِ إِلَيْكَ . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : متى حللتم ها هنا ؟ قال : قريباً ، كان ماءٌ عندنا قد أجذب فُسُقْنَا ماشيتنا إلى ماءٍ ها هنا . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : فكيف البلاد ها هنا ؟ قال : يتَغَذَّى بغيرها ، وأما الشاة فلا تُذَكَّر . فقبل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم هديّته ، وأمر بالغنم ففُرِّقَ في أصحابه ، وشربوا اللبن غُصًّا غُصًّا^(١) حتى ذهب اللبن ، وقال : بارك الله فيكم !

فحدثني أبو جعفر الغفاريّ ، عن أُسَيْد بن أَبِي أُسَيْد ، قال : أُهْدِيَ يومئذ لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم من وَدَّانِ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ ؛ مِعْشاً^(٢) ، وَعِثْرًا^(٣) ، وَضَغَابِيْسَ^(٤) ؛ وجعل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يأكل من الضَّغَابِيْسِ وَالْعِثْرِ وَأَعْجَبَهُ ، وأمر به فأدخل على أُمِّ سَلَمَةَ زوجته ، وجعل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يُعْجِبُهُ هَذِهِ الْهَدِيَّةُ وَيُرِي صَاحِبَهَا أَنَّهَا طَرِيفَةٌ . وحدثني سَيْف بن سُلَيْمَانَ ، عن مُجَاهِد ، عن عبد الرحمن بن أَبِي لَيْلَى ،

(١) العس : القديح الكبير . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٩٥) .

(٢) المِعْش : الطعام وما يعاش به والخبز . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٨٠) .

(٣) العِثْر : نبت ينبت متفرقاً فإذا طال وقطع أصله خرج منه شبه اللبن . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٦٥) .

(٤) الضغابيس : صغار الفناء ، واحداً ضغبيوس . (الأنوار المحيطة ، ج ٢ ، ص ٢٢٥) .

عن كعب بن عُجْرَةَ ، قال : لَمَّا كُنَّا بِالْأَبْوَاءِ وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَا أَنْفَخْتُ تَحْتَ قِدْرٍ لِي وَرَأْسِي يَتَهَاوَنُ قَمَلًا وَأَنَا مُحْرَمٌ ، فَقَالَ : هَلْ يُؤْذِيكَ هَوَامُّكَ يَا كَعْبُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : فَاحْلِقْ رَأْسَكَ . قَالَ : وَنَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ فَفَذِيئَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾^(١) . فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَذْبَحَ شَاةً ، أَوْ أَصُومَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، أَوْ أَطْعِمَ سِتَّةَ مَسَاكِينَ ، كُلَّ مَسْكِينٍ مُدَّيْنِ « أَيْ ذَلِكَ فَعَلْتُ أَجْزَاكَ » . وَيُقَالُ إِنَّ كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ أَهْدَى بِقَرَّةٍ قَلْدَهَا وَأَشْعَرَهَا . وَقَالَ نَاجِيَةُ بْنُ جُنْدُبٍ : عَطِبَ لِي بَعِيرٌ مِنَ الْهَدْيِ حِينَ نَظَرْتُ إِلَى الْأَبْوَاءِ ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَبْوَاءِ فَأَنْخَبِرْتُهُ فَقَالَ : انْحَرِهَا وَاصْبِغْ قَلَائِدَهَا فِي دَمِهَا ، وَلَا تَأْكُلِ أَنْتَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ رُقُقَتِكَ مِنْهَا شَيْئًا ، وَخَلِّ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَهَا . فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجُحْفَةَ لَمْ يَجِدْ بِهَا مَاءً ، فَبَعَثَ رَجُلًا فِي الرِّوَايَا إِلَى الْخَرَّارِ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ غَيْرَ بَعِيدٍ فَرَجَعَ بِالرِّوَايَا فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَمْضِيَ قَدَمًا رُغْبًا ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اجْلِسْ ! وَبَعَثَ رَجُلًا آخَرَ فَخَرَجَ بِالرِّوَايَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَكَانِ الَّذِي أَصَابَ الْأَوَّلَ الرَّعْبُ فَرَجَعَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا لَكَ ؟ فَقَالَ : لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَمْضِيَ رُغْبًا ! قَالَ : اجْلِسْ ! ثُمَّ بَعَثَ رَجُلًا آخَرَ ، فَلَمَّا جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي رَجَعَ مِنْهُ الرَّجُلَانِ قَلِيلًا وَجَدَ مِثْلَ ذَلِكَ الرَّعْبِ فَرَجَعَ ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَرْسَلَهُ بِالرِّوَايَا وَخَرَجَ السُّقَاءُ مَعَهُ ، وَهُمْ لَا يَشْكُونَ فِي الرَّجُوعِ لِمَا رَأَوْا مِنْ رَجُوعِ النَّفَرِ ، فَوَرَدُوا الْخَرَّارَ فَاسْتَقَوْا ثُمَّ أَقْبَلُوا بِالْمَاءِ ؛ ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بشجرة فُقم^(١) ما تحتها ، فخطب الناس فقال : أيها الناس ، إني كائنٌ لكم فَرَطاً^(٢) ، وقد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لم تَضِلُّوا ؛ كتاب الله وسُنَّتُه بأيديكم ! ويقال : قد تركتُ فيكم كتاب الله وسُنَّةَ نبيِّه .

ولما بلغ المشركين خروجُ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى مَكَّة راعَهم ذلك ، واجتمعوا له وشاوروا فيه ذوى رأيهم فقالوا : يُريدُ أن يدخل علينا في جُنُوده مُعْتَمِراً ، فتسمع به العربُ ، وقد دخل علينا عَنُوةً وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا ! والله ، لا كان هذا أبداً ومنا عينٌ تَطْرِفُ ، فارتأوا رأيكم ! فأجمعوا أمرهم ، وجعلوه إلى نفرٍ من ذوى رأيهم - صَفْوان بن أُميَّة ، وسَهْل بن عمرو ، وعِكْرِمَة بن أبي جهل - فقال صَفْوان : ما كنَّا لنقطعَ أمراً حتى نُشاورَكم ؛ نَرَى أن نُقدِّمَ مائتي فارسٍ إلى كُرَاعِ الغَميمِ ونستعملَ عليها رجلاً جَلِداً . فقالت قُرَيْشُ : نِعَمَ ما رأيتَ ! فقدموا على خيلهم عِكْرِمَة ابن أبي جهل - ويقال خالد بن الوليد - واستنفرت قُرَيْشُ مَنْ أَطاعها من الأحابيش ، وأجلبت ثَقِيفٌ معهم ؛ وقدموا خالد بن الوليد في الخيل ، ووضَعوا العيون على الجبال حتى انتهوا إلى جبلٍ يقال له وَزَرٌ^(٣) وَزَع ، كانت عيُونُهم عشرةَ رجالٍ قام [عليهم] الحَكَم بن عبد مناف ، يُوحى بعضهم إلى بعضِ الصوتِ الخَفِيِّ : فعل محمدٌ كذا وكذا ! حتى ينتهي ذلك إلى قُرَيْشٍ ببِلْدَح . وخرجت قُرَيْشُ إلى بِلْدَحَ فضربوا بها القِيَابَ والأبنية ، وخرجوا بالنساء والصِّبيان فعسكروا هناك ، ودخل بُشَيْر بن سفيان مَكَّةَ فسمع من كلامهم ورأى منهم ما رأى ، ثم رجع إلى رسول الله صَلَّى

(١) قم : كنس . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٢٧٨) .

(٢) فوطا : أى أجرا . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٩٤) .

(٣) هكذا في الأصل . والوزر : الجبل المنيع . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٥٤) .

الله عليه وسلم فلقية بغدير ذات الأَشْطَاطِ مِنْ وراءِ عُسْفَانَ ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : يا بُسْر ، ما وراءك ؟ قال : يا رسول الله ، تركتُ قومَكَ ، كعب بن لُؤى ، وعامر بن لُؤى ، قد سمعوا بمسيرك ففزعوا وهابوا أن تدخل عليهم عَنوةً ، وقد استنفروا لك الأحابيش وَمَنْ أَطَاعَهُمْ ، معهم العُوذُ المَطَافِيلُ^(١) ، قد لبسوا لك جِلْدَ النُّمُورِ ليصدوك عن المسجد الحرام ، وقد خرجوا إلى بَلَدَحَ وضربوا بها الأبنية ، وتركْتُ عمادهم يُطعمون الجُزُرَ أحابيشهم ومن ضَمَوِ إليهم في دُورهم ، وقَدَّمُوا الخيلَ عليها خالد بن الوليد ، مائتي فرس ، وهذه خيلهم بالغَمِيمِ ، وقد وضعوا العيون على الجبال ووضعوا الأرصاد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : هذا خالد بن الوليد على خيل المشركين بالغَمِيمِ . ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين فأتى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فكيف ترون يا معشر المسلمين في هؤلاء الذين استنفروا إلَيَّ مَنْ أَطَاعَهُمْ لِيَصِدُّونا عن المسجد الحرام ؟ أترون أن نَمْضِيَ لِيُوجِّهَنَا إلى البيتِ فَمَنْ صَدَّنَا عنه قاتلناه ، أم ترون أن نُخَلِّفَ هؤلاء الذين استنفروا لنا إلى أهلهم فنُضَيِّبُهُمْ ؟ فإن اتَّبَعُونَا اتَّبَعْنَا مِنْهُمْ عُنُقٌ يَقْطَعُهَا اللهُ ، وإن قعدوا قعدوا محزونين موتورين ! فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال : اللهُ ورسولُهُ أعلم ! نَرَى يا رسول الله أن نَمْضِيَ لِيُوجِّهَنَا فَمَنْ صَدَّنَا عن البيتِ قاتلناه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنَّ خيلَ قُرَيْشٍ فيها خالد بن الوليد بالغَمِيمِ . فقال أبو هُرَيْرَةَ : فلم أَرَأَ أَحَدًا كان أكثرَ مشاورةً لأصحابه مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت مشاورته أصحابَه في الحرب فَقَطَ . قال : فقام المِقْدَادُ بن عمرو

(١) العوذ من الإبل : جمع عائد ، وهى التى ولدت . والمطافيل : جمع مطفل ، وهى التى لها طفل . فاستعاره ها هنا للنساء والصبيان . (شرح أبى ذر ، ص ٣٣٩) .

فقال : يا رسول الله ، لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ^(١) ولكن : اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ . والله يا رسول الله ، لو سِرْتَ إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ ^(٢) لَسِرْنَا مَعَكَ مَا بَقِيَ مِنَّا رَجُلٌ . وَتَكَلَّمَ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ . نَرَى أَنَّ نَصِيمِدَ لِمَا خَرَجْنَا لَهُ ، فَمَنْ صَدَدْنَا قَاتِلِنَاهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّا لَمْ نَخْرُجْ لِقِتَالِ أَحَدٍ ، إِنَّمَا خَرَجْنَا عُمَارًا . وَلَقِيَهُ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، لَقَدْ اغْتَرَرْتَ بِقِتَالِ قَوْمِكَ جَلَابِيْبٍ ^(٣) الْعَرَبِ ، وَاللَّهِ مَا أَرَى مَعَكَ أَحَدًا لَهُ وَجْهٌ ، مَعَ أَنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا لَا سِلَاحَ مَعَكُمْ ! قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَضَمْتُ بَطْرَ اللَّاتِ ! قَالَ بُدَيْلُ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا يَدُكَ عِنْدِي لَأَجَبْتُكَ ، فَوَاللَّهِ مَا أَتَهُمْ أَنَا وَلَا قَوْمِي إِلَّا أَكُونُ أَحِبُّ أَنْ يَظْهَرَ مُحَمَّدٌ ! إِنْ رَأَيْتُ قُرَيْشًا مُقَاتِلَتِكَ عَنْ ذَرَارِيَّهَا وَأَمْوَالِهَا ، قَدْ خَرَجُوا إِلَى بَلَدٍ فَضَرَبُوا الْأَبْنِيَةَ ، مَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ ، وَرَادَفُوا ^(٤) عَلَى الطَّعَامِ ، يُطْعَمُونَ الْجُزُرَ مَنْ جَاءَهُمْ ، يَتَقَوَّوْنَ بِهِمْ عَلَى حَرْبِهِمْ ، فَرَأَيْكَ !

حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ قَمَادِينَ ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ ، قَالَ : كَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ تَوَافَدُوا وَجَمَعُوا الْأَمْوَالَ يُطْعَمُونَ بِهَا مَنْ ضَوَى إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَحَابِيْشِ ، فَكَانَ يُطْعَمُ فِي أَرْبَعَةِ أَمْكَنَةٍ : فِي دَارِ النَّدْوَةِ لَجْمَاعَتِهِمْ ،

(١) سورة ه المائدة ٢٤ .

(٢) برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر . (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٤٩) .

(٣) في الأصل : « جلابت » . والجلابيب : جمع جلباب ، وهو الإزار والرداء . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٧٠) . والجلابيب : لقب كان المشركون في مكة يلقبون به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . (شرح أبي ذر ، ص ٣٣٣) .

(٤) أى يتبع بعضهم بعضاً . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ١٤٤) .

وكان صفوان بن أمية يطعم في داره ، وكان سهيل بن عمرو يطعم في داره ، وكان عكرمة بن أبي جهل يطعم في داره ، وكان حويطب بن عبد العزى يطعم في داره .

حدثني ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين قال : ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصصف خيله فيما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين القبلة ، وهي في مائتي فرس ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر فتقدم في خيله فقام بإزائه فصصف أصحابه .

قال داود : فحدثني عكرمة . عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : فحانت صلاة الظهر فأذن بلال وأقام ، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة وصفف الناس خلفه يركع بهم ويسجد ، ثم سلم فقاموا على ما كانوا عليه من التبعية . فقال خالد بن الوليد : قد كانوا على غيرة ، لو كذا حملنا عليهم لأصبنا منهم . ولكن تأتى الساعة صلاة هي أحب إليهم من أنفسهم وأبنائهم ! قال : فنزل جبريل عليه السلام بين الظهر والعصر بهذه الآية : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ .. ﴾ (١) الآية . قال : فحانت العصر فأذن بلال ، وأقام فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم مواجهاً القبلة ، والعدو أمامه ، وكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر الصنفان جميعاً . ثم ركع وركع الصنفان جميعاً ، ثم سجد فسجد الصنف الذي يليه وقام الآخرون يحرسونه . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم السجود بالصنف الأول وقاموا معه سجد الصنف المؤخر السجدةين ، ثم استأخر الصنف الذي يلونه ، وتقدم الصنف المؤخر ، فكانوا يلون رسول

الله صَلَّى الله عليه وسلم فقاموا جميعاً ، ثم ركع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم فرقع الصَّفَّانِ جميعاً ، ثم سجد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم وسجد الصَّفُّ الذي يلونه ، وقام الصَّفُّ المؤخَّر يحرسونه مُقْبِلِينَ على العدو ، فلما رفع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم رأسه من السجدة سجد الصَّفُّ المؤخَّر السجدة اللتين بَقِيَتَا عليهم ، واستوى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم جالساً فتشهد ، ثم سَلَّمَ عليهم . فكان ابن عباس رضى الله عنه يقول : هذه أول صلاة صلاها رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم في الخوف .

حدثني سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ . عن مَنْصُورٍ ، عن مُجَاهِدٍ . عن ابن عِيَّاش الزُّرَقِيِّ ، أنه كان مع النبي صَلَّى الله عليه وسلم يومئذٍ . فذكر أَنَّ النبي صَلَّى الله عليه وسلم صلى هكذا . وذكر أَبُو عِيَّاش أَنَّهُ أَوَّلُ مَا صَلَّى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم صلاة الخوف .

حدثني ربيعة بن عُثْمَانَ . عن وَهَبِ بْنِ كَيْسَانَ . عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قال : صَلَّى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم أول صلاة الخوف في غزوة ذات الرِّقَاعِ ، ثم صلاها بعدُ بعُسْفَانَ . بينهما أربع سنين ؛ وهذا أثبتُّ عندنا . قالوا : فلمَّا أَمْسَى قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : تَيَامَنُوا فِي هَذَا الْعَصَلِ^(١) ، فَإِنَّ عِيُونَ قُرَيْشٍ بِمَرِّ الظُّهْرَانِ أَوْ بِضُجُنَّانٍ ، فَأَيْتُكُمْ يَعْرِفُ ثَنِيَّةَ ذَاتِ الْحَنْظَلِ^(٢) ؟ فقال بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ الْأَسْلَمِيُّ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ عَالِمٌ بِهَا . قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : اسْلُكْ أَمَامَنَا . فَأَخَذَ بِهِ بُرَيْدَةُ فِي الْعَصَلِ قَبْلَ جِبَالِ سِرَاوِعَ قَبْلِ الْمَغْرِبِ ، فَسَارَ قَلِيلًا تُنَكِّبُهُ الْحِجَارَةُ

(١) في الأصل : « هذا الفضل » ؛ والتصحيح من ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ص ٦٩) .

والعصل : الاعوجاج ، والمعنى هنا الرمل المعوج الملتوى . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٠٢) .

(٢) عند البكري : « ذات الحناظل » بصيغة الجمع ، وهو موضع في ديار بني أسد . (معجم

ما استعجم ، ص ٢٨٨) .

وَتُعَلِّقُهُ الشَّجَرُ ، وَحَارَ حَتَّى كَانَهُ لَمْ يَعْرِفْهَا قَطُّ . قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَسْلُكُهَا فِي الْجُمُعَةِ مِرَارًا . فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَتَوَجَّهَ قَالَ : ارْكَبْ ! فَرَكِبْتُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ رَجُلٌ يَدُلُّنَا عَلَى طَرِيقِ ذَاتِ الْحَنْظَلِ ؟ فَنَزَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيُّ فَقَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَدُلُّكَ . فَسَارَ قَلِيلًا ثُمَّ هَسَقَطَ . فِي خَمَرٍ ^(١) الشَّجَرِ ، فَلَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ارْكَبْ . ثُمَّ قَالَ : مَنْ رَجُلٌ يَدُلُّنَا عَلَى طَرِيقِ ذَاتِ الْحَنْظَلِ ؟ فَنَزَلَ عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ نُهْمٍ ^(٢) الْأَسْلَمِيُّ فَقَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَدُلُّكَ . فَقَالَ : انْطَلِقْ أَمَامَنَا . فَانْطَلَقَ عَمْرٍو أَمَامَهُمْ حَتَّى نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الثَّنِيَّةِ فَقَالَ : هَذِهِ ثَنِيَّةُ ذَاتِ الْحَنْظَلِ ؟ فَقَالَ عَمْرٍو : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى رَأْسِهَا تَحَدَّرَ بِهِ . قَالَ عَمْرٍو : وَاللَّهِ إِنْ كَانَ لَيَهْمُنِي نَفْسِي وَجَدِّي ، إِنَّمَا كَانَتْ مِثْلُ الشَّرَاكِ ^(٣) ، فَاتَسَعَّتْ لِي حَتَّى بَرَزْتُهِ وَكَانَتْ مُحَجَّجَةً لَاحِجَةً ^(٤) . وَلَقَدْ كَانَ النَّفَرُ يَسِيرُونَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ جَمِيعًا مُعْطِفِينَ مِنْ سَعَتِهَا يَتَحَدَّثُونَ : وَأَضَاعَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى كَانُوا فِي قَمَرٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا مِثْلُ هَذِهِ الثَّنِيَّةِ اللَّيْلَةَ إِلَّا مِثْلُ الْبَابِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ^(٥) .

حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي حَبِيبَةَ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ ، عَنْ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي

(١) فِي الْأَصْلِ : « جَمَرُ الشَّجَرِ » ؛ وَمَا أَثْبَتْنَاهُ أَقْرَبُ الْإِحْتِمَالَاتِ . وَالْخَمَرُ : كُلُّ مَا سَتَرَكَ

مِنْ شَجَرٍ أَوْ بِنَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ . (النهاية ، ج ١ ، ص ٣٢٠) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « عَبْدُ نُهْمٍ » . وَمَا أَثْبَتْنَاهُ مِنْ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ . (الاستيعاب ، ص ١٩٩٢) .

(٣) الشَّرَاكُ : سِيرُ النُّعْلِ . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٠٨) .

(٤) اللَّاحِبُ : الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٥٠) .

(٥) سُورَةُ ٢ الْبَقَرَةِ ٥٨ .

هُريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكلمة التي عُرضت على بني إسرائيل : « لا إله إلا الله وادخلوا الباب سُجَّدًا » . قال : باب بيت المقدس ، فدخلوا من قِبَل أَسْتَاهِم ، وقالوا : « جَبَّة في شعيرة » .

وحدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكلمة التي عُرضت على بني إسرائيل أن يقولوا : « نستغفر الله ونتوب إليه » . فكلما هَذَيْنِ الحديثَيْنِ قد رَوَى .

قالوا : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يجوز هذه الثنيةَ أحدٌ إلا غفر الله له . قال أبو سعيد الخدري : وكان أخى لأُمِّي قتادة بن النعمان في آخر الناس ، قال : فوقفتُ على الثنية فجعلت أقول للناس : إن رسول الله قال : « لا يجوز هذه الثنية أحدٌ إلا غفر له » . فجعل الناس يُسرعون حتى جاز أخى في آخر الناس ، وفرقتُ أن يُصبح قبل أن نجوز . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل : مَنْ كان معه ثَقْلٌ فَلْيَصْطِنِعْ . قال أبو سعيد : وإنما معه صلى الله عليه وسلم ثَقْلٌ - الثَّقَل : الدَّقِيق - وإنما كان عامَّةُ زادنا الثمر . فقلنا : يا رسول الله ، إننا نخافُ من قُرَيْشٍ أن ترانا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنهم لن يروكم ، إن الله سيُعِينكم عليهم . فأوقدوا النيران ، واصطنع مَنْ أراد أن يصطنع . فلقد أوقدوا أكثرَ من خمسمائة نار . فلما أصبحنا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ، ثم قال : والذي نفسي بيده ، لقد غفر الله لِلرَّكَبِ أَجْمَعِينَ إِلَّا رَوَيْكِبًا واحدًا على جملي أحمر ، التقت عليه رجال القوم ليس منهم . فطُلبَ في العسكر وهو يُظَنُّ أنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا به ناحيةً إلى دَرَزَى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل من بني ضَمْرَةَ من

أهل سيف البحر ، فقليل لسعيد : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَذَا وَكَذَا . قَالَ سَعِيد : وَيَحْك ! اذْهَبْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَغْفِرُ لَكَ ! قَالَ : بَعِيرِي وَاللَّهِ أَهْمٌ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي - وَإِذَا هُوَ قَدْ أَضَلَّ بَعِيرًا لَهُ يَتَّبِعُ الْعَسْكَرَ يَتَوَصَّلُ بِهِمْ وَيَطْلُبُ بَعِيرَهُ - وَإِنَّهُ لَفِي عَسْكَرِكُمْ ، فَأَدُّوا إِلَيَّ بَعِيرِي . فَقَالَ سَعِيد : تَحَوَّلْ عَنِّي لَا حَيَّاكَ اللَّهُ ! أَلَا لَا أَرَى قُرْبِي إِلَّا دَاهِيَةً وَمَا أَشْعُرُ بِهِ ! فَاَنْطَلَقَ الْأَعْرَابِيُّ يَطْلُبُ بَعِيرَهُ بَعْدَ أَنْ اسْتَبْرَأَ الْعَسْكَرَ ، فَبَيْنَا هُوَ فِي جِبَالِ سُراوِعَ إِذْ زَلَقَتْ نَعْلَهُ فَتَرَدَّى فَمَاتَ ، فَمَا عَلِمَ بِهِ حَتَّى أَكَلَتْهُ السَّبَاعُ .

وَحَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ سَيَأْتِي قَوْمٌ تَحْقِرُونَ أَعْمَالَكُمْ مَعَ أَعْمَالِهِمْ . فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قُرَيْشٌ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ أَهْلُ الْيَمَنِ ، فَإِنَّهُمْ أَرْقُ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا . قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هُمْ خَيْرٌ مِنَّا ؟ فَقَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا - وَيَصِفُ هِشَامُ فِي الصِّفَةِ كَأَنَّهُ يَقُولُ مَوَاءً - أَلَا إِنَّ فَضْلَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ ﴿ ١ ﴾

حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ : أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ كَأَنَّهُمْ قَطَعَ السَّحَابَ ، هُمْ خَيْرٌ مِنْ عَلَى الْأَرْضِ . قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : وَلَا نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا ، ثُمَّ الرَّابِعَةَ قَالَ قَوْلًا ضَعِيفًا : إِلَّا أَنْتُمْ .

حَدَّثَنِي مَعْمَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ ،

عن المِسْوَر بن مَعْرَمَةَ قال : وسار رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، فلمَّا دَنَا من الحُدَيْبِيَّة وقعت يد راحلته على ثَنِيَّةٍ تُهْبِطُ على غَائِطِ القَوْمِ ، فبركت راحلته فقال المسلمون : حَلْ ! حَلْ ! فَابْتَأْنِ تَنْبَعُثُ فَقَالُوا : خَلَّاتُ^(١) الْقَصْوَاءُ ! فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : إِنَّمَا مَا خَلَّاتُ ، وَلَا هُوَ لَهَا بِعَادَةٍ ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ . أَمَا وَاللَّهِ لَا يَسْأَلُونِي الْيَوْمَ خُطَّةً فِي تَعْظِيمِ حُرْمَةِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا . ثُمَّ زَجَرْنَاهَا فَقَامَتْ ، فَوَلَّى رَاجِعاً عَوْدَهُ عَلَى بَدْنِهِ حَتَّى نَزَلَ بِالنَّاسِ عَلَى ثَمَدٍ^(٢) مِنْ ثِمَادِ الْحُدَيْبِيَّةِ ظَنُّونَ^(٣) قَلِيلَ الْمَاءِ ، يَتَبَرَّضُ مَاوُهُ تَبَرُّضاً^(٤) ، فَاشْتَكَى النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِلَّةَ الْمَاءِ ، فَاَنْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَأَمَرَ بِهِ فُغِرَزَ فِي الثَّمَدِ ، فَجَاشَتْ لَهُمُ بِالرَّوَاءِ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ^(٥) بَعْطَنَ . قَالَ : وَإِنَّهُمْ لَيَغْرِفُونَ بِأَنْيَتِهِمْ جُلُوسًا عَلَى شَفِيرِ الْبُئْرِ . وَالَّذِي نَزَلَ بِالسَّهْمِ نَاجِيَةٌ بَنِ الْأَعْجَمِ مِنْ أَسْلَمَ . وَقَدْ رَوَى أَنَّ جَارِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ لِنَاجِيَةٍ بَنِ جُنْدُبَ وَهُوَ فِي الْقَلْبِ :

يَا أَيُّهَا الْمَاتِحُ دَلَوِي دُونَكَ إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ
يُثْنُونَ خَيْرًا وَيُمَجِّدُونَكَ

فَقَالَ نَاجِيَةٌ وَهُوَ فِي الْقَلْبِ :

-
- (١) خَلَّاتُ : أَي بركت ، والخلاء في الإبل بمنزلة الحزان في الدواب . (شرح أبي ذر ، ص ٣٤٠) .
- (٢) الثمد : الماء القليل الذي لا مادة له . (الصحاح ، ص ٤٤٨) .
- (٣) الظنون : البئر لا يدرى أفها ماء أم لا ، ويقال القليلة الماء . (الصحاح ، ص ٢١٦٠) .
- (٤) يبرض الماء من العين إذا خرج وهو قليل . (الصحاح ، ص ١٠٦٦) .
- (٥) أي تركوا الماء . (لسان العرب ، ج ٦ ، ص ١١٨) . والمعنى : مبرك الإبل حول الماء . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٠٧) .

قد علمتُ جاريةً يَمَانِيَّةً أَنِّي أَنَا المَاتِحُ واسمِي نَاجِيَّةٌ
وَطَعْنَةٌ مِنِّي رَشَائِشٌ وَاهِيَّةٌ طَعْنَتْهَا تَحْتَ صُدُورِ الْعَالِيَةِ

أَنشَدْنِيهَا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ نَاجِيَةِ بْنِ الْأَعْجَمِ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ وَهَبِ
الْأَسْلَمِيِّ . فَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عُبَيْدٍ ، عَنْ إِيَّاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكَّوْعِ ،
عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : الَّذِي نَزَلَ بِالسَّهْمِ نَاجِيَةَ بْنَ جُنْدُبٍ .

وَحَدَّثَنِي الْهَيْثَمُ بْنُ وَاقِدٍ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَرْوَانَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ :
حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَسْلَمٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ نَاجِيَةَ بْنَ
الْأَعْجَمِ - وَكَانَ نَاجِيَةُ بْنُ الْأَعْجَمِ يُحَدِّثُ - يَقُولُ : دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ شُكِيَ إِلَيْهِ قِلَّةُ الْمَاءِ ، فَأَخْرَجَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ
وَدَفَعَهُ إِلَيَّ وَدَعَانِي بِدَلْوٍ مِنْ مَاءِ الْبُئْرِ ، فَجِثَّتْ بِهِ فَتَوَضَّأَ ، فَقَالَ : مَضْمُضٌ
فَاهٍ ، ثُمَّ مَجَّ فِي الدَّلْوِ ، وَالنَّاسُ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ وَإِنَّمَا هِيَ بُشْرٌ وَاحِدَةٌ ، وَقَدْ
سَبَقَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى بَلَدِ الْحَافِ فَنَظَرُوا عَلَى مِيَاهِهِ ، فَقَالَ : أَنْزِلْ بِالْمَاءِ فَصُبَّهُ فِي
الْبُئْرِ وَأَثَرُ^(١) مَاءِهَا بِالسَّهْمِ . فَفَعَلْتُ ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا كُنْتُ أَخْرِجُ
حَتَّى كَادَ يَغْمُرُنِي ، وَفَارَتْ كَمَا تَفُورُ الْقِدْرُ حَتَّى طُمَّتْ ، وَاسْتَوَتْ بِشَفِيرِهَا
يَغْتَرِفُونَ مَاءَ جَانِبِهَا حَتَّى نَهَلُوا مِنْ آخِرِهِمْ . قَالَ : وَعَلَى الْمَاءِ يَوْمَئِذٍ نَفَرٌ مِنْ
الْمُنَافِقِينَ ؛ الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ ، وَأَوْسٌ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ، وَهُمْ جُلُوسٌ يَنْظُرُونَ
إِلَى الْمَاءِ ، وَالْبُشْرُ تَجِيشُ بِالرَّوَاءِ وَهُمْ جُلُوسٌ عَلَى شَفِيرِهَا . فَقَالَ أَوْسُ بْنُ
خُوَيْلٍ : وَيَحْكُ يَا أَبَا الْحُبَابِ ! أَمَا آنَ لَكَ أَنْ تُبْصِرَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ؟ أَبَعَدَ
هَذَا شَيْءٌ ؟ وَرَدُّنَا بُشْرًا يَتَبَرَّضُ مَاؤُهَا - يَتَبَرَّضُ : يَخْرُجُ فِي الْقَعْبِ جُرْعَةً
مَاءً - فَتَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدَّلْوِ وَمَضْمُضٌ فَاهٍ فِي الدَّلْوِ ،

(١) أَثَرُ فِي الشَّيْءِ : تَرَكَ فِيهِ أَثَرًا . (لِسَانُ الْعَرَبِ ، ج ٥ ، ص ٦٠) .

ثم أفرغ الدلو فيها ونزل بالسهم فحشحتها^(١) فجاشت بالرواء . قال : يقول ابن أبي : قد رأيت مثل هذا . فقال أوس : قَبَحَكَ اللَّهُ وَقَبَحَ رَأْيِكَ ! فيقبل ابن أبي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي أبا الحباب ، أين رأيت مثل ما رأيت اليوم ؟ فقال : ما رأيت مثله قط . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلم قلت ما قلت ؟ قال ابن أبي : أستغفر الله ! قال ابنه : يا رسول الله ، استغفر له ! فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد ، عن جده عبيد بن أبي عبيد ، قال : سمعت خالد بن عباد الغفاري يقول : أنا نزلت بالسهم يومئذ في البئر .

حدثني سفيان بن سعيد ، عن أبي إسحاق الهمداني ، قال : سمعت البراء بن عازب يقول : أنا نزلت بالسهم .

قالوا : ومطر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية مراراً فكثرت المياه . حدثني سفيان بن سعيد ، عن خالد الحذاء ، عن أبي المليح الهذلي ، عن أبيه ، قال : مطرنا بالحديبية مطراً فما ابتلت منه أسفل نعالنا ، فننادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الصلاة في الرجال .

حدثني مالك بن أنس ، عن صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عتبة ، عن زيد بن خالد الجهني ، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح في الحديبية في إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم !

(١) حشحتها : حركها . (أساس البلاغة ، ص ١٥٣) .

قال : « أصبح من عبادى مؤمنٌ بى وكافرٌ^(١) . فأما من قال مُطِرْتُ بفضلِ الله ورحمته فذلك مؤمنٌ بى كافرٌ بالكواكب ؛ وأما من قال مُطِرْنَا بنوءِ كذا وكذا فذلك كافرٌ بى مؤمنٌ بالكواكب .

حدثنى ابن أبى سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أبى سلمة الحَضْرَمِيِّ ، قال : سمعتُ أبا قتادة يقول ، سمعتُ ابنَ أبى يقول - ونحن بالحُدَيْبِيَّةِ ومُطِرْنَا بها - فقال ابنُ أبى : هذا نوءُ الخَرِيفِ ، مُطِرْنَا بالشَّعْرَى ! وحدثنى محمد بن الحِجَازِى ، عن أُسَيْدِ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ ، عن أبى قتادة ، قال : لما نزلنا على الحُدَيْبِيَّةِ ، والماءُ قليل ، سمعتُ الجَدَّ بنَ قَيْسٍ يقول : ما كان خُرُوجُنَا إلى هَؤُلَاءِ القومِ بشىءٍ ! نموتُ من العطشِ عن آخرنا ! فقلت : لا تَقُلْ هذا يا أبا عبد الله ، فليَمْ خَرَجْتَ ؟ قال : خَرَجْتُ مع قَوْمِي . قلت : فَلِمَ تَخْرُجُ مَعْتَمِرًا ؟ قال : لا والله ، ما أَحْرَمْتُ . قال أَبُو قَتَادَةَ : ولا نَوَيْتُ العُمْرَةَ ؟ قال : لا ! فَلَمَّا دَعَا رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ فَنَزَلَ بالسَّهْمِ ، وتَوَضَّأَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدَّلْوِ وَجَّ فَاهُ فِيهِ ، ثُمَّ رَدَهُ فِي الْبَيْتِ ، فَجَاشَتْ الْبَيْتُ بِالرَّوَاءِ . قال أَبُو قَتَادَةَ : فَرَأَيْتُ الْجَدَّ مَاذَا رَجُلِيهِ عَلَى شَفِيرِ الْبَيْتِ فِي الْمَاءِ ، فقلتُ : أبا عبد الله ! أَيْنَ مَا قُلْتَ ؟ قال : إِنَّمَا كُنْتُ أَمْزَحُ مَعَكَ ، لا تَذْكُرْ لِمُحَمَّدٍ مِمَّا قُلْتُ شَيْئًا . قال أَبُو قَتَادَةَ : وَقَدْ كُنْتُ ذَكَرْتُهُ قَبْلَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : فَغَضِبَ الْجَدُّ وَقَالَ : بَقِينَا مَعَ صَبِيَّانِ مِنْ قَوْمِنَا لا يَعْرِفُونَ لَنَا شَرَفًا وَلَا سِنًا ، لَبَطُنُ الْأَرْضِ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْ ظَهَرِهَا ! قال أَبُو قَتَادَةَ :

(١) فى الأصل : « أصبح من عبادى مؤمناً وكافراً بى » ؛ وما أثبتناه من مسلم . (الصحيح ،

وقد كنتُ ذكرتُ قوله للنبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابنه خيرٌ منه ! قال أبو قتادة : فلقيني نَفَرٌ من قومي فجعلوا يُؤنّبونني ويُلومونني حين رفعتُ مقاتله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلتُ لهم : بِئْسَ القومُ أنتم ! ويحكم ! عن الجَدِّ بن قيس تذبّون ؟ قالوا : نعم ، كبيرُنا وسيّدُنا . فقلتُ : قد والله طَرَحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سُودَدَه عن بني سَلَمَة ، وسود علينا بِشر بن البراء بن معرور^(١) ، وهدمنا المنامات التي كانت على باب الجَدِّ وبنيناها على باب بِشر بن البراء ، فهو سيّدنا إلى يوم القيامة . قال أبو قتادة : فلما دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى البيعة فرّ الجَدُّ بن قيس فدخل تحت بطن البعير ، فخرجتُ أَعْدُو وأخذتُ بيد رجلٍ كان يُكلِّمُنِي فَأَخْرَجَنَاهُ من تحت بطن البعير ، فقلتُ : وَيْحَكَ ! ما أَدَخَلَكَ ها هنا ؟ أَفَرَارًا مِمَّا نَزَلَ بِهِ رُوحُ الْقُدُسِ ؟ قال : لا ، ولكني رُعِبْتُ وَسَمِعْتُ الْهَيْعَةَ^(٢) . قال الرجل : لا نَضَحْتُ^(٣) عنك أبدًا ، وما فيكَ خَيْرٌ . فلما مرض الجَدُّ بن قيس ونزل به الموتُ لزم أبو قتادة بيته فلم يخرج حتى مات ودُفِنَ ، فقليل له في ذلك فقال : والله ، ما كنتُ لأُصَلِّيَ عليه وقد سمعته يقول يوم الحُدَيْبِيَّةِ كَذَا وكَذَا ، وقال في غزوة تَبُوكَ كَذَا وكَذَا ، واستحييتُ من قومي يرونني خارجاً ولا أشهده . ويقال : خرج أبو قتادة إلى ماله بالواديَيْن فكان فيه حتى دُفِنَ ، ومات الجَدُّ في خلافة عُثْمَانَ .

وقال : لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحُدَيْبِيَّةَ أَهْدَى لَهُ عَمْرُو

(١) في الأصل : « مغرور » . والتصحيح عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٨٧) ،

ومن ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ١٦٧) .

(٢) الهيمّة : الصوت تفرّج منه وتخافه من عدو . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٦١) .

(٣) فضح عنه : ذب ودفع . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢٥٣) .

ابن سالم وبُسْر بن سُفْيَان الخُزَاعِيَّانِ غَزَمًا وَجَزُورًا ، وَأَهْدَىٰ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ لِسَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ جُزْرًا ، وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ ، فَجَاءَ سَعْدٌ بِالْغَنَمِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَمْرًا أَهْدَاهَا لَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَعَمْرُو قَدْ أَهْدَىٰ لَنَا مَا تَرَى ، فَبَارَكَ اللَّهُ فِي عَمْرُو ! ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجُزْرِ ، تُنَحَّرَ وَتُقَسَّمُ فِي أَصْحَابِهِ ، وَفُرِقَ الْغَنَمُ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنْ آخِرِهَا . قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ مَعَهُ : فَدَخَلَ عَلَيْنَا مِنْ لَحْمِ الْجُزْرِ كَنَحْوِ مِمَّا دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ ، وَشَرَكْنَا فِي شَاةٍ فَدَخَلَ عَلَيْنَا بَعْضُهَا . وَكَانَ الَّذِي جَاءَنَا بِالْهَدِيَّةِ غُلَامٌ مِنْهُمْ ، فَاجْلَسَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالْغُلَامُ فِي بُرْدَةٍ لَهُ بَلِيَّةٌ ^(١) ، فَقَالَ : يَا غُلَامُ ، أَيْنَ تَرَكْتَ أَهْلَكَ ؟ قَالَ : تَرَكْتُهُمْ قَرِيبًا بَضْجَنَانَ وَمَا وَالَاهُ . فَقَالَ : كَيْفَ تَرَكْتَ الْبِلَادَ ؟ فَقَالَ الْغُلَامُ : تَرَكْتُهَا وَقَدْ تَيْسَّرَتْ ، قَدْ أَمَشَرُ عِضَاهُهَا ^(٢) ، وَأَعَذَقُ إِذْخِرُهَا ^(٣) ، وَأَسْلَبُ ثِمَامُهَا ^(٤) ، وَأَبْقُلُ حَمْضُهَا ^(٥) ، وَانْبَلَّتِ الْأَرْضُ فَتَشَبَّعَتْ شَاتُهَا إِلَى اللَّيْلِ ، وَشَبَّعَ بَعِيرُهَا إِلَى اللَّيْلِ مِمَّا جَمَعَ مِنْ خَوْصٍ وَضَمَمَدِ الْأَرْضِ ^(٦) وَبَقُلُ ، وَتَرَكْتُ مِيَاهَهُمْ كَثِيرَةً تُشْرِعُ فِيهَا الْمَاشِيَةُ ، وَحَاجَةُ الْمَاشِيَةِ إِلَى الْمَاءِ قَلِيلٌ لِرَطَوْبَةِ الْأَرْضِ . فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ لِسَانُهُ ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَسْوَةٍ فَكُسِيَ الْغُلَامُ ، وَقَالَ الْغُلَامُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُمَسَّ

(١) كلمة غامضة في الأصل : ولعل ما أثبتناه أقرب الاختلالات .

(٢) في الأصل : «قد أمسن عضاهها» . وأمشر : خرج ورقه . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٩٥) .

(٣) الإذخر : الحشيش الأخضر ، وحشيش طيب الريح . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٣٤) .

(٤) أسلب ثمامها : أى أخرج خوصها . (النهاية ، ج ٢ ، ص ١٧٣) .

(٥) أى نبت وظهر من الأرض . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٥٩) .

(٦) ضمد الأرض : رطبها . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٢٥) .

يدك أطلبُ بذلك البركة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذن !
فدنا فأخذ يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها ، ومسح رسول الله صلى
الله عليه وسلم على رأسه وقال : بارك الله فيك ! فكان قد بلغ سنًا ، وكان
له فضلٌ وحالٌ في قومه حتى توفى زمن الوليد بن عبد الملك .

قالوا : فلمّا اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية جاءه بُدَيْل
ابن وَرْقَاءَ وَرَكَبُ من خُزَاعَةَ ، وهم عَيْبَةُ نُضَحِ (١) رسول الله صلى الله عليه
وسلم بتِهَامَةٍ ، منهم المسلم ومنهم المُوَادِعُ ، لا يُخْفُونَ عليه بتِهَامَةً شيئاً ،
فَأَنَاحُوا رَوَاجِلَهُمْ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جَاءُوا فَسَلَّمُوا
عليه ، فقال بُدَيْل : جئناك من عند قومك ، كعب بن لُؤَيٍّ وعامر بن
لُؤَيٍّ ، قد استنفروا لك الْأَحَابِيْشَ ومن أَطَاعَهُمْ ، معهم الْعُوْذُ الْمَطَافِيلُ
- النساءُ وَالصَّبِيَّان - يُقْسِمُونَ بِاللّهِ لَا يُخْلُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْبَيْتِ حَتَّى تَبْدَ
خَضْرَاؤُهُمْ (٢) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنَّا لَمْ نَأْتِ لِقَاتِلِ
أَحَدٍ ، إِنَّمَا جِئْنَا لِنَطُوفَ بِهَذَا الْبَيْتِ ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتِلَانَاهُ ؛ وَفُرِشَ
قَوْمٌ قَدْ أَضْرَّتْ بِهِمُ الْحَرْبُ وَنَهَكْتَهُمْ ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً يَأْمَنُونَ
فِيهَا ، وَيُخْلَدُونَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَالنَّاسُ أَكْثَرُ مِنْهُمْ . فَإِنْ ظَهَرَ
أَمْرِي عَلَى النَّاسِ كَانُوا بَيْنَ أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ، أَوْ يُقَاتِلُوا وَقَدْ
جَمَعُوا ! وَاللّهِ لَا جَهْدَنِّي عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرَدَ سَالِفَتِي (٣) أَوْ يُنْفِذَ اللَّهُ أَمْرَهُ !

(١) أى موضع الأمانة على سره . (شرح الزرقاني على المواهب اللدنية - ج ٢ ، ص ٢٢٤) .

(٢) فى الأصل : « حفراهم » ؛ والتصحيح عن ابن سعد . (الطبقات - ج ٢ ، ص ٧٠) .

وخضراؤهم : أى جماعتهم . (الفائق ، ص ١٧٥) .

(٣) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، وكفى بانفرادها عن الموت لأنها لاتنفرد عما

يليهما إلا بالموت ، وقيل أراد حتى يفرق بين رأسى وجسدى . (النهاية - ج ٢ ، ص ١٧٥) .

فوعى بُدَيْلٌ مَقَالَتَهُ وَرَكِبَ ، ثُمَّ رَكِبُوا إِلَى قُرَيْشٍ ، وَكَانَ فِي الرِّكْبِ عَمْرُو
ابن سالم ، فَجَعَلَ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَا تُنْصَرُونَ عَلَيَّ مَنْ يَعْرِضُ هَذَا أَبَدًا ،
حَتَّى هَبَطُوا عَلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ . فَقَالَ نَاسٌ مِنْهُمْ : هَذَا بُدَيْلٌ وَأَصْحَابُهُ ،
إِنَّمَا جَاءُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَسْتَخْبِرُواكُمْ ، فَلَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ حَرْفٍ وَاحِدٍ ! فَلَمَّا
رَأَى بُدَيْلٌ وَأَصْحَابُهُ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَخْبِرُونَهُمْ قَالَ بُدَيْلٌ : إِنَّا جِئْنَا مِنْ عِنْدِ
مُحَمَّدٍ ، أَتُحِبُّونَ أَنْ نُخْبِرَكُمْ ؟ قَالَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَالْحَكَمُ بْنُ
الْعَاصِ : لَا وَاللَّهِ ، مَا لَنَا حَاجَةٌ بِأَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ ! وَلَكِنْ أَخْبِرُوهُ عَنَّا أَنَّهُ
لَا يَدْخُلُهَا عَلَيْنَا عَامَهُ هَذَا أَبَدًا حَتَّى لَا يَبْقَى مِنَّا رَجُلٌ . فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ
مَسْعُودٍ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رَأْيًا أَعْجَبَ ! وَمَا تَكْرَهُونَ أَنْ تَسْمَعُوا مِنْ
بُدَيْلٍ وَأَصْحَابِهِ ؟ فَإِنْ أَعْجَبَكُمْ أَمْرٌ قَبِلْتُمُوهُ ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ شَيْئًا تَرَكْتُمُوهُ ؛
لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا أَبَدًا ! وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ ذَوِي رَأْيِهِمْ وَأَشْرَافِهِمْ ، صَفْوَانُ
ابن أُمَيَّةَ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ : أَخْبِرُونَا بِالَّذِي رَأَيْتُمْ وَالَّذِي سَمِعْتُمْ . فَأَخْبَرُوهُمْ
بِمَقَالَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي قَالَ ، وَمَا عَرَضَ عَلَى قُرَيْشٍ مِنَ الْمُدَّةِ ،
فَقَالَ عُرْوَةُ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ تَتَهَمُونَنِي ؟ أَلَسْتُ الْوَالِدَ وَأَنَا الْوَلَدُ ؟ وَقَدْ
اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عَمَّاظٍ لِنَصْرِكُمْ ، فَلَمَّا بَلَغُوا^(١) عَلَى نَفَرْتُ إِلَيْكُمْ بِنَفْسِي
وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي ! فَقَالُوا : قَدْ فَعَلْتَ ! فَقَالَ : وَإِنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ شَفِيقٌ
عَلَيْكُمْ ، لَا أَدْخُرُ عَنْكُمْ نَصْحًا ، وَإِنَّ بُدَيْلًا قَدْ جَاءَكُمْ بِخُطْبَةٍ رُشِدٍ لَا يَرُدُّهَا
أَحَدٌ أَبَدًا إِلَّا أَخَذَ شَرًّا مِنْهَا ، فَاقْبَلُوهَا مِنْهُ وَابْعَثُونِي حَتَّى آتِيَكُم بِمُصَدِّقِهَا
مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَنْظِرْ إِلَى مَنْ مَعَهُ وَأَكُونُ لَكُمْ عَيْنًا آتِيَكُم بِخَبْرِهِ . فَبَعَثَتْهُ قُرَيْشٌ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَقْبَلَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَاخَ رَاحِلَتَهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَلَعُوا » ؛ وَمَا أَثْبَتَاهُ مِنَ الزُّرْقَانِيِّ . وَبَلَغُوا : أَيِ امْتَنَعُوا مِنَ الْإِجَابَةِ .

(شرح الزُّرْقَانِيِّ عَلَى الْمَوَاهِبِ اللَّدْنِيَّةِ ، ج ٢ ، ص ٢٢٧) .

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل حتى جاءه ، ثم قال :
يا محمد ، إني تركتُ قومك ، كعب بن لؤي وعامر بن لؤي على أعداد^(١)
مياه الحُدَيْبِيَّةِ معهم العوذُ المطافيل ، قد استنفروا لك أحابيشهم ومن
أطاعهم ، وهم يُقسمون بالله لا يُخذلون بينك وبين البيت حتى تجتاحهم .
ولمّا أنت من قتالهم بين أحدِ أمرين ، أن تجتاح قومك ، ولم نسمع
برجلٍ اجتاح أصله قبلك ؛ أو بين أن يخذلك من نرى معك ، فإنّي لا
أرى معك إلّا أوباشاً^(٢) من الناس ، لا أعرفُ وجوههم ولا أنسابهم .
فغضب أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقال : امْصُصْ بَطْرَ اللَّاتِ ! أنحن
نخذله ؟ فقال عروة : أما والله لولا يدُ لك عندي لم أجزّك بها بعدُ لأجبتُك !
وكان عروة بن مسعود قد استعان في حملِ دِيَّةٍ ، فأعانه الرجل بالفريضتين
والثلاث وأعانه أبو بكر بعشرِ فرائض ، فكانت هذه يدُ أبي بكر عند
عروة بن مسعود . فطَفِقَ عروة وهو يُكلِّمُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
يَمْسُ لِحْيَتِهِ - والمُغِيرَةُ قائمٌ على رأسِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ،
على وجهه المِغْفَر - فطَفِقَ المِغِيرَةُ كلِّما مَسَّ لِحْيَةَ رسولِ الله صلى الله عليه
وسلم قَرَعَ يَدَهُ ويقول : اكْشِفْ يَدَكَ عن مَسِّ لِحْيَةِ رسولِ الله قبلَ ألاَّ تصلَ
إليك ! فلمّا أكثرَ عليه غضبَ عروة فقال : لِبِتْ شِعْرِي مَنْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ
مِنْ هَذَا الَّذِي أَرَى مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِكَ ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :
هذا ابنُ أَخِيكَ المِغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ . قال : وَأَنْتَ بِذَلِكَ يَا عُذْرُ ؟ وَاللَّهِ مَا
غَسَلْتُ عَنْكَ عَذْرَتَكَ إِلَّا بِعُلَابِطٍ^(٣) . أمْس ! لقد أورثتنا العداوة من ثَقِيف

(١) الأعداد : جمع العد بالكسر ، وهو الماء الذى له مادة لا تنقطع ، كماء العين والبر .

(الصحيح ، ص ٥٠٣) .

(٢) الأوباش من الناس : الأخطا مثل الأوثاب ، ويقال : هو جمع مقلوب من البوش .

(الصحيح ، ص ١٠٢٤) .

إلى آخر الدهر ! يا محمد ، أتدري كيف صنع هذا ؟ إنه خرج في رَكْبٍ من قومه ، فلما كانوا بيننا وناموا فَطَرَقَهُمْ فَتَمَتَّلَهُمْ وَأَخَذَ حَرَائِبَهُمْ وَفَرَّ مِنْهُمْ . وكان المُغِيرَةُ خرج مع نفرٍ من بني مالك بن حُطَيْط بن جُشَم بن قَسِيٍّ - والمُغِيرَةُ أَحَدُ الْأَحْلَامِ^(١) - ومع المُغِيرَةُ حليفان له يقال لأحدهما دُمُون - رجل من كِنْدَةَ - والآخر الشَّرِيد ، وإنما كان اسمه عمرو ، فلما صنع المُغِيرَةُ بِأَصْحَابِهِ ما صنع شَرَّدَهُ فَسُمِّيَ الشَّرِيد . وخرجوا إلى الْمُقَوَّقَس صاحب الإسكندرية ، فجاء بني مالك وآثرهم على المُغِيرَةِ فَأَقْبَلُوا رَاجِعِينَ ، حتى إذا كانوا ببَيْسَانَ^(٢) شربوا خمرًا ، فكفَّ المُغِيرَةُ عن بعض الشراب وأمسك نفسه ، وشربت بنو مالك حتى سكروا ، فوثب عليهم المُغِيرَةُ فقتلهم ، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً . فلما قتلهم ونظر إليهم دُمُونُ تَغَيَّبَ عَنْهُمْ ، وظنَّ أَنَّ المُغِيرَةَ إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى قَتْلِهِمُ السُّكْرُ ، فجعل المُغِيرَةُ يطلب دُمُونَ ويصيح به فلم يأت ، ويُقَلِّبُ القَتْلَى فلا يراه فبكى ، فلما رأى ذلك دُمُونُ خرج إليه فقال للمغيرة : ما غَيَّبَكَ ؟ قال : خشيتُ أَن تَقْتُلَنِي كما قتلت القوم . قال المُغِيرَةُ : إِنَّمَا قَتَلْتُ بَنِي مَالِكِ بِمَا صَنَعَ بِهِمُ الْمُقَوَّقَس . قال : وأخذ المُغِيرَةُ أَمْتَعَتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَلَحَقَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا أُخَمِّسُهُ ، هذا غَدْر ! وذلك حين أُخْبِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبرَهم . وأسلم المُغِيرَةُ ، وأقبل الشَّرِيدُ فَقَدِمَ مَكَّةَ فَأَخْبَرَ أَبَا سُفْيَانَ ابْنَ حَرْبٍ بِمَا صَنَعَ المُغِيرَةُ بِبَنِي مَالِكِ ، فبعث أبو سُفْيَانَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي

= في الأصل : « بعلاط » ؛ ولعل ما أثبتناه أقرب الاحتمالات . والعلاط : القطيع من الغنم .
(القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٣٧٤) . وقد حمل عروة الدية عن الثقفين الذين قتلهم
المغيرة قبل إسلامه . [انظر السطر الأخير من الصفحة السابقة ٥٩٥]

(١) الأحلام : ذوو الألباب والمقول . (النهاية ج ١ ، ص ٢٥٥) .

(٢) بيسان : موضع بين خيبر والمدينة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٦٨) .

سُفَيَانُ إِلَى عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ يُخْبِرُهُ الْخَبَرَ - وَهُوَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ بْنِ أَبِي عَامِرِ
ابْنِ مَسْعُودٍ بْنُ مُعْتَبٍ - فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : خَرَجْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِنَعْمَانَ^(١)
قُلْتُ فِي نَفْسِي : أَيْنَ أَسْلُكُ ؟ [إِنْ سَلَكْتُ] ذَا غِفَارٍ فَهِيَ أَبْعَدُ وَأَسْهَلُ ،
وَإِنْ سَلَكْتُ ذَا الْعَلَقِ^(٢) فَهِيَ أَغْلَظُ . وَأَقْرَبُ . فَسَلَكْتُ ذَا غِفَارٍ فَطَرَقْتُ عُرْوَةَ بْنَ
مَسْعُودٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْمَالِكِيِّ ، فَوَاللَّهِ مَا كَلَّمْتُهُ مِنْذُ عَشْرِ سَنِينَ وَاللَّيْلَةَ أَكَلَّمْتُهُ .
قَالَ : فَخَرَجْنَا إِلَى مَسْعُودٍ فَنَادَاهُ عُرْوَةُ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : عُرْوَةُ .
فَأَقْبَلَ مَسْعُودٌ إِلَيْنَا وَهُوَ يَقُولُ : أَطَرَقْتَ [عَرَاهِيَةَ]^(٣) أَمْ طَرَقْتَ بِدَاهِيَةَ ؟
بَلْ طَرَقْتَ بِدَاهِيَةَ ! أَقْتَلَ رَكْبُهُمْ رَكْبُنَا أَمْ قَتَلَ رَكْبُنَا رَكْبَهُمْ ؟ لَوْ قَتَلَ
رَكْبُنَا رَكْبَهُمْ مَا طَرَقَنِي عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ! فَقَالَ عُرْوَةُ : أَصَبْتَ ، قَتَلَ^(٤)
رَكْبِي رَكْبَكَ يَا مَسْعُودُ ، انْظُرْ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ ! فَقَالَ مَسْعُودُ : إِنِّي عَالِمٌ
بِحِجْدَةِ بَنِي مَالِكٍ وَسُرْعَتِهِمْ إِلَى الْحَرْبِ . فَهَبْنِي صَمْتًا . قَالَ : فَانْصَرَفْنَا عَنْهُ ،
فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا مَسْعُودُ فَقَالَ : بَنِي مَالِكٍ ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْمُغِيرَةِ بْنِ
شُعْبَةَ أَنَّهُ قَتَلَ إِخْوَانَكُمْ بَنِي مَالِكٍ فَأَطَاعُونِي وَخَذُوا الدِّيَةَ ، أَقْبَلُوهَا مِنْ بَنِي
عَمِّكُمْ وَقَوْمِكُمْ . قَالُوا : لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا ، وَاللَّهِ لَا تُقَرِّكَ الْأَحْلَافُ أَبَدًا
حِينَ تَقْبَلُهَا . قَالَ : أَطَاعُونِي وَأَقْبَلُوا مَا قُلْتُ لَكُمْ ، فَوَاللَّهِ لَكَأَنِّي بِكِينَانَةَ بْنِ
عَبْدِ يَالِيلٍ قَدْ أَقْبَلَ تَضْرِبُ دِرْعُهُ رَوْحَتِي^(٥) رَجُلِيهِ ، لَا يُعَانِقُ رَجُلًا إِلَّا

(١) نَعْمَانُ : وَادٍ لَهْدِيلٍ عَلَى لَيْلَتَيْنِ مِنْ عُرْفَاتٍ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : وَادٍ يَسْكُنُهُ بَنُو عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ
ابْنِ تَمِيمٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ هَذِيلٍ ، بَيْنَ أَذْنَاهُ وَمَكَّةَ نِصْفَ لَيْلَةٍ ، بِهِ جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ الْمَدْرَاءُ . (مَعْجَمُ
الْبِلَادِ ، ج ٨ ، ص ٣٠٠) .

(٢) ذُو عُلُقٍ : جَبَلٌ مَعْرُوفٌ فِي أَعْلَاهُ هَضْبَةٌ سَوْدَاءُ . (مَعْجَمُ الْبِلَادِ ، ج ٦ ، ص ٢١٠) .

(٣) كَلِمَةٌ غَامِضَةٌ فِي الْأَصْلِ . وَمَا أُثْبِتْنَاهُ مِنَ النَّهَايَةِ لَا بِنِ الْإِثْبَارِ (ج ٣ ، ص ٨٩) ، وَعَنْهُ نَقَلَ
صَاحِبُ اللِّسَانِ (ج ١٩ ، ص ١٨٠) ، وَالزَّيْدِيُّ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ (ج ٩ ، ص ٣٩٨) .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « قَتَلَ رَكْبِي » .

(٥) لِأَنَّهُ كَانَ أَرُوحَ . وَالْأَرُوحُ : هُوَ الَّذِي تَتَدَانِي عَقْبَاهُ وَيَتْبَاعُهُ صَدْرًا قَدَمِيهِ . (النَّهَايَةُ

ج ٢ ، ص ١١٠) .

صَرَعه ؛ والله لكانى بجندب بن عمرو وقد أقبل كالسيد عاضاً على سَهمٍ
مُفَوَّقٍ بآخر . لا يسير إلى أحدٍ بسهمه إلا وضعه حيث يُريد ! فلما غلبوه
أعدَّ للقتال واصطفوا . أقبل كنانة بن عبد ياليل يضرب دِرْعَهُ رَوْحَتَى
رِجْلَيْهِ يقول : مَنْ مُصَارِع ؟ ثم أقبل جندب بن عمرو عاضاً سَهماً مُفَوَّقاً
بآخر . قال مسعود : يا بني مالك أَطِيعُونِي ! قالوا : الأمرُ إليك ! قال :
فبرز مسعود بن عمرو فقال : يا عُرْوَةُ بن مسعود اخرجْ إلى ! فخرج إليه
فلما التقيا بين الصَّفَيْنِ قال : عليك ثلاث عشرة دِيَّةً ، فَإِنَّ الْمُغِيرَةَ قد
قتل ثلاثةَ عَشَرَ رجلاً فاحمِلْ بدياتهم . قال عُرْوَةُ : حملتُ بها ، هِيَ عَلَيَّ !
قال : فاصطَلح الناسُ . قال الأعشى أخو بني بكر بن وائل :

تَحْمَلُ عُرْوَةُ الْأَحْلَافَ (١) لَمَّا رَأَى أَمراً تَضِيقُ بِهِ الصُّدُورُ
ثَلَاثَ مِثْنِ عَادِيَةٍ وَأَلْفًا كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَلْدُ الصَّبُورُ

قال الواقدي : فلما فرغ عُرْوَةُ بن مسعود من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما قال لبديل بن ورقاء
وأصحابه وكما عرض عليهم من المدة ، ركب عُرْوَةُ بن مسعود حتى
أتى قُرَيْشاً فقال : يا قوم ، إني قد وفدت على الملوك ، على كِسْرَى وهِرَقْلَ
والنَجَاشِي ، وإني والله ما رأيتُ ملكاً قَطُّ أَطْوَعَ فيمن هو بين ظَهْرَانِيهِ من
محمدٍ في أصحابه ؛ والله ما يُشِيدُونَ إليه النظر ، وما يرفعون عنده الصوت ،
وما يكفيه إلا أن يُشير إلى أمرٍ فيُفعل ، وما يتنخَّم وما يَبْصُقُ إلا وقعت
في يَدَيَّ رجلٍ منهم يمسح بها جِلْدَهُ ، وما يتوصَّأُ إلا ازدحموا عليه أيُّهم يظفر
منه بشئ ؛ وقد حزرتُ القوم ، واعلموا أنكم إن أردتم السيفَ بذلَّوه لكم ؛
وقد رأيتُ قوماً ما يُبالون ما يُصنع بهم إذا منعوا صاحبهم ؛ والله لقد رأيتُ

(١) في الأصل : « الأخلاف » .

نُسيَّاتٍ معه إِنَّ كُنَّ لَيْسَلْمَنَهُ أَبَدًا عَلَى حَالٍ ؛ فَرَوْا رَأْيَكُمْ . وَإِيَّاكُمْ
وإِضْجَاعَ الرَّأْيِ ^(١) . وَقَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةً فَمَادُوهُ ! يَا قَوْمَ . اقْبَلُوا مَا
عَرَضَ فَإِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ . مَعَ أَنِّي أَخَافُ أَلَّا تُنْصَرُوا عَلَيْهِ ! رَجُلٌ أَتَى هَذَا
الْبَيْتَ مُعْظَمًا لَهُ ، مَعَهُ الْهَدْيُ يَنْحَرُهُ وَيَنْصَرِفُ ! فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : لَا تَكَلِّمْ
بِهَذَا يَا أَبَا يَعْفُورٍ ^(٢) ! لَوْ غَيْرُكَ تَكَلَّمْ بِهَذَا لِلْمُنَاهِ ، وَلَكِنْ نَرُدُّهُ عَنِ الْبَيْتِ
فِي عَامِنَا هَذَا وَيَرْجِعُ إِلَى قَابِلٍ .

قَالُوا : ثُمَّ جَاءَ مِكَرَزُ بْنُ حَفْصِ بْنِ الْأَخِيْفِ ، فَلَمَّا طَلَعَ وَرَأَاهُ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ هَذَا رَجُلٌ غَادِرٌ ! فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَّمَهُ بِنَحْوِ مِمَّا كَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قُرَيْشٍ
أَخْبَرَهُمْ بِمَا رَدَّ عَلَيْهِ . فَبِعَثُوا الْحُلَيْسَ بْنَ عُلْقَمَةَ - وَهُوَ يَوْمئِذٍ سَيِّدُ الْأَحَابِيْشِ -
فَلَمَّا طَلَعَ الْحُلَيْسُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَعْظُمُونَ
الْهَدْيَ وَيَتَأَلَّهُونَ ^(٣) ، ابْعَثُوا الْهَدْيَ فِي وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاهُ . فَبِعَثُوا الْهَدْيَ ،
فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْهَدْيِ يَسِيلُ ^(٤) فِي الْوَادِي عَلَيْهِ الْقَلَائِدُ ، قَدْ أَكَلَ أُوبَارَهُ ^(٥)
يُرْجِعُ الْحَنِينَ . وَاسْتَقْبَلَهُ الْقَوْمُ فِي وَجْهِهِ يُكَبُّونَ ، قَدْ أَقَامُوا نِصْفَ شَهْرٍ قَدْ
تَفَلُّوا ^(٦) وَشَبِعُوا ، رَجَعَ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِعْظَامًا لِمَا
رَأَى ، حَتَّى رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالَ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَا لَا يَحِلُّ صَدُّهُ ، رَأَيْتُ
الْهَدْيَ فِي قَلَائِدِهِ قَدْ أَكَلَ أُوبَارَهُ ، مَعَكُوفًا عَنْ مَحِلِّهِ . وَالرِّجَالُ قَدْ تَفَلُّوا
وَقَبَلُوا أَنْ يَطُوفُوا بِهَذَا الْبَيْتِ ! أَمَّا وَاللَّهِ مَا عَلَى هَذَا حَالُفْنَاكُمْ ، وَلَا عَاقِدْنَاكُمْ

(١) أَيِ الْوَمْنِ فِي الرَّأْيِ . (الْقَامُوسُ الْمَحِيط ، ج ٣ ، ص ٥٥) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « أَبَا يَعْقُوبَ » ؛ وَمَا أُثْبِتْنَاهُ عَنْ ابْنِ سَعْدٍ . (الطَّبَقَات ، ج ١٠ ، ص ٣٦٩) .

(٣) التَّأَلُّهُ : التَّعْبُدُ وَالتَّنَسُّكُ . (الْقَامُوسُ الْمَحِيط ، ج ٤ ، ص ١٢٨٠) .

(٤) يَسِيلُ : أَيِ يَسْرِعُ . (شَرْحُ أَبِي ذَرٍّ ، ص ٢٤١) .

(٥) أَيِ مِنْ طَوْلِ الْحَبْسِ . انْظُرْ ابْنَ سَعْدٍ . (الطَّبَقَات ، ج ٢ ، ص ٧٠) .

(٦) التَّفَلُّ : تَرْكُ اسْتِعْمَالِ الطَّيْبِ . (النِّهَايَةُ ، ج ١ ، ص ١١٦) .

على أن تصدّوا عن بيت الله من جاء معظماً لِحُرْمَتِهِ مُودِّياً لِحَقِّهِ . وساق
 الهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَجْلَهُ ؛ والذي نفسى بيده لَتَسْخُلَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا جَاءَ
 بِهِ . أَوْ لَأَنْفِرَنَّ بِالْأَحَابِيشِ نَفْرَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ! قالوا : إِنَّمَا كُلُّ مَا رَأَيْتَ مَكِيدَةً
 مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ . فَاكْشُفْ عَنَّا حَتَّى نَأْخُذَ لَأَنْفُسِنَا بَعْضَ مَا نَرْضَى بِهِ .
 وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَعَثَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قُرَيْشٍ خِرَاشُ بْنُ أُمَيَّةَ
 الْكَعْبِيِّ عَلَى جَمَلٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَالُ لَهُ الثَّعْلَبُ . لِيُبَلِّغَ
 أَشْرَافَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا جَاءَ لَهُ . وَيَقُولُ : إِنَّمَا جِئْنَا
 مُعْتَرِينَ . مَعْنَى الْهَدْيِ مَعْكُوفاً . فَنَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَنُحِلُّ وَنَنْصَرِفُ . فَعَقَرُوا
 جَمَلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالَّذِي وَلِيَ عَقْرَهُ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ
 وَأَرَادَ قَتْلَهُ . فَمَنْعَهُ مَنْ هُنَاكَ مِنْ قَوْمِهِ حَتَّى خَلُّوا سَبِيلَ خِرَاشٍ ، فَرَجَعَ إِلَى
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَكْدُ (١) ، فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 بِمَا لَقِيَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْعَثْ رَجُلًا أَمْنَعُ مِنِّي ! فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لِيَبْعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي
 أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي ، قَدْ عَرَفْتُ قُرَيْشُ عِدَاوَتِي لَهَا ، وَلَيْسَ بِهَا مِنْ بَنِي
 عَدِيٍّ مَنْ يَمْنَعُنِي ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ . فَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً . قَالَ عُمَرُ : وَلَكِنْ أَدُلُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ
 أَعَزَّ بِمَكَّةَ مِنِّي ، وَأَكْثَرُ عَشِيرَةً وَأَمْنَعُ ، عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ . فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : اذْهَبْ إِلَى قُرَيْشٍ فَخَبِّرْهُمْ أَنَّا
 لَمْ نَأْتِ لِقِتَالِ أَحَدٍ ، وَإِنَّمَا جِئْنَا زُورًا لِهَذَا الْبَيْتِ ، مُعْظَمِينَ لِحُرْمَتِهِ ،
 مَعْنَى الْهَدْيِ نَنْحَرُهُ وَنَنْصَرِفُ . فَخَرَجَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى بَلَدَ حِمْيَرَ . فَيَجِدُ قُرَيْشًا
 هُنَاكَ فَقَالُوا : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ . يَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ

(١) أَيُّ مَا كَادَ يَرْجِعُ إِلَّا بِشَقِ النَّفْسِ

وإلى الإسلام ، تدخلون في الدين كافةً ، فإنَّ الله مُظهرُ دينه ومُعزُّ نبيِّه !
 وأُخرى تَكْنُتُون ، ويَلِي هذا منه غيرُكم ، فإن ظفروا بِمحمَّدٍ فذلك ما أردتم ،
 وإن ظفر محمدٌ كنتم بالخيار . أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس أو تُقاتلوا
 وأنتم وافرون جامون ؛ إنَّ الحرب قد نهكتكم وأذهبت بالأمائل منكم ! وأُخرى ،
 إنَّ رسولَ الله يُخبركم أَنه لم يأت لقتال أحد ، إنما جاء مُعتمراً ، معه الهدى
 عليه القلائد ينحره وينصرف . فجعل عُثمانُ رضى الله عنه يُكلِّمهم فيأتيهم
 بما لا يُريدون ، ويقولون : قد سمعنا ما تقول ولا كان هذا أبداً ، ولا دخلها
 علينا عَنوةٌ ، فارجعْ إلى صاحبك فأخبره أَنه لا يصل إلينا . فقام إليه أبا ن
 ابن سعيد بن العاص ، فرحبَ به وأجازه وقال : لا تَقْصِرْ عن حاجتك !
 ثم نزل عن فرسٍ كان عليه فحملَ عُثمانُ على السَّرجِ وردَّفه ورائه ،
 فدخل عُثمانُ مَكَّةَ ، فأتى أشرافهم رجلاً رجلاً ، أبا سُفيان بن حرب ، وصَفْوان
 ابن أُمَيَّة وغيرهم ، منهم مَن لقي ببِلَدَح ومنهم مَن لقي بِمَكَّةَ ، فجعلوا يردُّون
 عليه : إنَّ محمَّداً لا يدخلها علينا أبداً ! قال عُثمانُ رضى الله عنه : ثم كنت
 أدخل على قوم مؤمنين من رجالٍ ونساءٍ مُستضعفين فأقولُ : إنَّ رسولَ الله
 يبشِّرُكم بالفتح ويقول : « أَظْلَكُم حَتَّى لَا يَسْتَخْفِيَ بِمَكَّةَ الْإِيمَانُ » (١) . فقد
 كنتُ أرى الرجل منهم والمرأة تنتحب حتى أَظُنَّ أَنه يموت فرحاً بما خبَّرتُه ،
 فيسأل عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فيُخْفِي المسألة ، ويشتدُّ ذلك
 [على] أنفسهم ، ويقولون : اقرأ على رسول الله منَّا السلام ؛ إنَّ الذى
 أنزله بالحديبية لقادرٌ أن يُدخله بَطْنَ مَكَّةَ ! وقال المسلمون : يا رسول الله ،
 وصل عُثمانُ إلى البيت فطاف ! فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم :
 ما أَظُنُّ عُثمانَ يطوفُ بالبيت ونحن محصورون . قالوا : يا رسول الله ،

(١) فى الأصل : « بِالْإِيمَانِ » .

وما يمنعه وقد وصل إلى البيت ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ظننى به ألا يطوف حتى نطوف ، فلما رجع عثمان رضى الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : اشتفيت من البيت يا عبد الله ! قال عثمان : بئس ما ظننتم بى ! لو كنت بها سنة والنبي مقيم بالحُدَيْبِيَّة ما طفت ، ولقد دعتنى قُرَيْشٌ إلى أن أطوف فأبيت ذلك عليها . فقال المسلمون : لرسول الله كان أعلمنا بالله تعالى وأحسننا ظناً .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بالحُدَيْبِيَّة يتحارسون الليل ، وكان الرجل من أصحابه يبيت على الحرس حتى يُصبح يُطيف بالعسكر ، فكان ثلاثة من أصحابه يتناوبون الحراسة : أوس بن خُوَلَّى ، وعَبَاد بن بشر ، ومحمد بن مَسْلَمَةَ . فكان محمد بن مَسْلَمَةَ على فرس النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من تلك الليالي وعثمان بمكة بعد ، وقد كانت قُرَيْشٌ بعثت ليلاً خمسين رجلاً ، عليهم مِكَرَز بن خَفَص ، وأمرهم أن يُطيفوا بالنبي صلى الله عليه وسلم رجاء أن يُصيبوا منهم أحداً أو يُصيبوا منهم غيرة ، فأخذهم محمد بن مَسْلَمَةَ وأصحابه ، فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عثمان بمكة قد أقام بها ثلاثاً يدعو قُرَيْشاً ، وكان رجال من المسلمين قد دخلوا مكة بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهلهم ؛ فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان وأصحابه قد قتلوا ، فذلك حين دعا إلى البيعة . وبلغ قُرَيْشاً حبس أصحابهم ، فجاء جمع من قُرَيْشٍ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى تراموا بالنبل والحجارة ، وأسروا أيضاً من المشركين حينئذ أسرى ، ثم إن قُرَيْشاً بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومِكَرَز بن خَفَص ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يوم منازل بني مازن بن النجار ، وقد نزلت في ناحية من

الحُدَيْبِيَّةَ جَمِيعاً . قَالَتْ أُمُّ عُمَارَةَ : وَالرَّسُولُ تَخْتَلِفُ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ ، فَمَرَّ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فِي مَنْزِلِنَا . قَالَتْ : فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُرِيدُ حَاجَةً فَإِذَا هُوَ قَدْ بَلَغَهُ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَمْرٍاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ قُتِلَ ، فَجَلَسَ فِي رِحَالِنَا ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِالْبَيْعَةِ . قَالَتْ : فَأَقْبَلَ النَّاسُ يُبَايِعُونَهُ فِي رِحَالِنَا حَتَّى تَدَارَكَ النَّاسُ ، فَمَا بَقِيَ لَنَا مَتَاعٌ إِلَّا وَطِيءٌ ! وَزَوْجُهَا غَزِيَّةُ بْنُ عَمْرٍو . وَقَالَتْ : فَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ . قَالَتْ : فَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ قَدْ تَدَبَّسُوا السَّلَاحَ ، وَهُوَ مَعَنَا قَلِيلٌ ؛ إِنَّمَا خَرَجْنَا عُمَارًا ، فَأَنَا أَنْظَرُ إِلَى غَزِيَّةِ ابْنِ عَمْرٍو وَقَدْ تَوَشَّحَ بِالسَّيْفِ ، فَقَمْتُ إِلَى عَمُودٍ كَذَا نَسْتَظِلُّ بِهِ فَأَخَذَتْهُ فِي يَدِي ، وَمَعِيَ سِكِّينٌ قَدْ شَدَّدَتْهُ فِي وَسْطِي ، فَقُلْتُ : إِنَّ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ رَجَوْتُ أَنْ أَقْتُلَهُ . فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ يُبَايِعُ النَّاسَ ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ آخِذٌ بِيَدِهِ ، فَبَايَعَهُمْ عَلَى الْأَلَا يُفَرُّوْا . وَقَالَ قَائِلٌ : بَايَعَهُمْ عَلَى الْمَوْتِ . وَيُقَالُ : أَوَّلُ النَّاسِ بَايَعَ سِنَانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ ابْنَ مِحْصَنٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَبَايَعُكَ عَلَى مَا فِي نَفْسِكَ . فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَايِعُ النَّاسَ عَلَى بَيْعَةِ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ دَخَلُوا عَلَى أَهْلِيهِمْ عَشْرَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ؛ كُرْزُ بْنُ جَابِرِ الْفِهْرِيِّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ، وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَهَيْشَامُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَاثِلٍ ، وَحَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ ، وَأَبُو حَاطِبِ بْنِ عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الشَّمْسِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ ، وَأَبُو الرُّومِ بْنُ عُمَيْرٍ ، وَعُمَيْرُ بْنُ وَهَبِ الْجُمَحِيِّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ وَهَبٍ حَلِيفُ سُهَيْلٍ فِي بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى .

فَلَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سَهْلَ أَمْرُهُمْ !

قال : من قاتلك لم يكن من رأى ذوى رأينا ولا ذوى الأحلام منا ؛ بل كنّا له كارهين حين بلغنا ولم نعلم به ، وكان من سفهائنا ! فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أول مرة والذين أسرت آخر مرة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إننى غير مُرسلهم حتى تُرسل أصحابى . قال سهيل : أنصفتنا ! فبعث سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص إلى قريش الشّتيّم بن عبد مناف التّيمي : إنكم حبستم رجالاً من أصحاب محمد بينكم وبينهم أرحام ، لم تقتلوهم وقد كنّا لذلك كارهين ! وقد أبى محمد أن يُرسل من أسر من أصحابكم حتى تُرسلوا أصحابه ، وقد أنصفنا ، وقد عرفتم أنّ محمداً يُطلق لكم أصحابكم . فبعثوا إليه بمن كان عندهم ، وكانوا أحد عشر رجلاً ، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابهم الذين أسروا أول مرة وآخر مرة ، فكان فيمن أسر أول مرة عمرو بن أبى سفيان . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبايع الناس يومئذ تحت شجرة خضراء ، وقد كان ممّا صنع الله للمسلمين أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر مناديه فنادى : إنّ رُوحَ القدّس قد نزل على الرسول وأمر بالبيعة ، فاخرجوا على اسم الله فبايعوا . قال ابن عمر : فخرجت مع أبى وهو يُنادى للبيعة ، فلمّا فرغ من النداء أرسلنى أبى إلى النّبي صلى الله عليه وسلم أخبره أنّى قد أذنت الناس . قال عبد الله : فأرجع فأجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبايع الناس ، فبايعته الثانية . قال عبد الله لعمر أن يرجع إلى النّبي صلى الله عليه وسلم ، فأذن له فرجع ؛ وكان يُمسك بيد النّبي صلى الله عليه وسلم وهو يُبايع . فلمّا نظرت قريش - سهيل بن عمرو ، وحويطب ابن عبد العزى ومن كان معه ، وعيون قريش - إلى ما رأت من سرعة الناس إلى البيعة وتشميرهم إلى الحرب ، اشتدّ رعبهم وخوفهم وأسرعوا إلى القضيّة .

فلما رجع عثمان رضي الله عنه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشجرة فبايعه ؛ وقد كان قبل ذلك حين بايع الناس قال : إِنَّ عُثْمَانَ ذَهَبَ فِي حَاجَةِ اللَّهِ وَحَاجَةِ رَسُولِهِ ، فَأَنَا أَبَايَعُ لَهُ ! فَضَرَبَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ .

قال الواقدي : حدثني جابر بن سليم ، عن صفوان بن عثمان ، قال : فكانت قُرَيْشٌ قد أرسلت إلى عبد الله بن أبي : إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَدْخُلَ فَتَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَافْعَلْ . وابنه جالس عنده فقال له ابنه : يَا أَبَتِ ، أَذْكُرُكَ اللَّهُ أَنْ تَفْضَحْنَا فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ؛ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَلَمْ يَطُفْ رَسُولُ اللَّهِ ؟ فَأَبَى ابْنُ أَبِي وَقَالَ : لَا أَطُوفُ حَتَّى يَطُوفَ رَسُولُ اللَّهِ . فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ذلك فسر به . ورجع حُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَمِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ إِلَى قُرَيْشٍ ، فَأَخْبَرُوهُمْ بِمَا رَأَوْا مِنْ سُرْعَةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْبَيْعَةِ ، وَمَا جَعَلُوا لَهُ ، فَقَالَ أَهْلُ الرَّأْيِ مِنْهُمْ : لَيْسَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ نَصَالِحَ مُحَمَّدًا عَلَى أَنْ يَنْصَرِفَ عَنَّا عَامَهُ هَذَا وَيَرْجِعَ قَابِلًا ، فَيَقِيمُ ثَلَاثًا وَيَنْحَرِ هَذِيهَ وَيَنْصَرِفَ ، وَيُقِيمُ بَبِلَدِنَا وَلَا يَدْخُلَ عَلَيْنَا . فَاجْمَعُوا [عَلَى] ذَلِكَ ، فَلَمَّا أَجْمَعَتْ قُرَيْشٌ عَلَى الصُّلْحِ وَالْمُودَاعَةِ بَعَثُوا سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو وَمَعَهُ حُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى وَمِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ وَقَالُوا : ائْتِ مُحَمَّدًا فَصَالِحْهُ ، وَلِيَكُنْ فِي صُلْحِكَ لَا يَدْخُلُ فِي عَامِهِ هَذَا ، فَوَاللَّهِ لَا يَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّكَ دَخَلْتَ عَلَيْنَا عَنُودًا . فَأَتَى سُهَيْلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ طَلَعَ قَالَ : أَرَادَ الْقَوْمُ الصُّلْحَ . فَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَطَالَ الْكَلَامَ ، وَتَرَاغَعُوا ، وَتَرَاغَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَانْخَفَضَتْ .

فحدثني يعقوب بن محمد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن الحارث ابن عبد الله بن كعب ، قال : سمعتُ أُمَّ عُمَارَةَ تَقُولُ : إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى

رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً يومئذٍ مُتَرَبِّعاً ، وإنَّ عبادَ بنِ بشرٍ
وسَلَمَةَ بنِ أسلم بن حريش مُقْنَعَانِ بالحديد ، قائمان^(١) على رأسِ النَّبِيِّ
صَلَّى الله عليه وسلم ، إذ رَفَعَ سُهَيْلُ بن عمرو صَوْتَهُ قَالَا : اخْفِضْ من
صوتك عند رسول الله ! وسُهَيْلُ بَارِكُ على رُكْبَتَيْهِ ، رافعٌ صَوْتَهُ كَأَنِّي أَنْظُرُ
إِلَى عِلْمٍ^(٢) في شفته وإلى أنيابه ، وإنَّ المسلمين لَحَوْلَ رَسُولِ الله صلى الله
عليه وسلم جُلُوس .

قالوا : فلما اصطلحوا فلم يبق إلَّا الكتاب ، وثب عمر إلى رسول الله
صَلَّى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ألسنا بالمُسلمين ؟ قال رسول
الله صَلَّى الله عليه وسلم : بَلَى ! قال : فَعَلَامَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ في ديننا ؟ فقال
رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : أنا عبدُ الله ورسولُهُ ، ولن أُخَالِفَ أَمْرَهُ ،
ولن يُضَيِّعَنِي . فذهب عمر إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال : يا أبا بكر ،
ألسنا بالمُسلمين ؟ فقال : بَلَى ! فقال عمر : فَلِمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ في ديننا ؟
فقال أبو بكر : الزَّمْ غَرْزَهُ^(٣) ! فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ الله ، وَأَنَّ الْحَقَّ مَا
أَمَرَ بِهِ ، ولن نُخَالِفَ أَمْرَ الله ولن يُضَيِّعَهُ اللهُ ! ولقي عمر من القضية أَمْرًا
كبيرًا ، وجعل يردُّ على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم الكلام ويقول :
عَلَامَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ في ديننا ؟ فجعل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم يقول :
أنا رسولُ الله ولن يُضَيِّعَنِي ! قال : فجعل يردُّ على النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلم
الكلام . قال : يقول أبو عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاح : أَلَا تَسْمَعُ يا ابن الخطَّابِ
رسول الله يقول ما يقول ؟ تَعَوِّذُ بالله من الشيطانِ وَاتَّهِمُ رَأْيَكَ ! قال عمر
رضي الله عنه : فجعلت أَتَعَوِّذُ بالله من الشيطانِ الرَّجِيمِ حَيَاءً ، فما أَصَابَنِي

(١) في الأصل : « قائمين » .

(٢) العلم : الشق في الشفة العليا . (الصحاح ، ص ١٩٩٠) .

(٣) أى الزم أمره . والنفرز للرجل بمنزلة الركاب للسرّج . (شرح أبي ذر ، ص ٣٤١) .

قط. شئ مثل ذلك اليوم ، ما زلتُ أصوم وأتصدق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت يومئذ . فكان ابنُ عباس رضي الله عنه يقول : قال لي عمر في خلافته ، وذكر القضية : ارتبتُ ارتياباً لم أرتبه منذُ أسلمتُ إلا يومئذ ، ولو وجدت ذلك اليوم شيعةً تخرج عنهم رغبةً عن القضية لخرجتُ . ثم جعل الله تبارك وتعالى عاقبتها خيراً ورشداً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم .

قال أبو سعيد الخدري : جلستُ عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً ، فذكر القضية فقال : لقد دخلني يومئذ من الشك ، وراجعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ مراجعةً ما راجعته مثلها قط . ولقد عتقتُ فيما دخلني يومئذ رقاباً ، وصمتُ دهرًا ، وإني لأذكرُ ما صنعتُ خالياً فيكون أكبر همي ، ثم جعل الله عاقبة القضية خيراً ، فنبغي للعباد أن يتهموا الرأي ؛ والله لقد دخلني يومئذ من الشك حتى قلتُ في نفسي : لو كنا مائة رجلٍ على مثل رأيي ما دخلنا فيه أبداً ! فلما وقعت القضية أسلم في الهدنة أكثرُ ممن كان أسلم من يوم دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى يوم الحديبية ، وما كان في الإسلام فتحٌ أعظم من الحديبية . وقد كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهون الصلح ، لأنهم خرجوا لا يشكُّون في الفتح لرويا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خلق رأسه ، وأنه دخل البيت ، فأخذ مفتاح الكعبة ، وعرف مع المعرفين ! فلما رأوا الصلح دخل الناس من ذلك أمرٌ عظيمٌ حتى كادوا يهلكون . فبينما الناس على ذلك قد اصطلحوا والكتاب لم يكتب ، أقبل أبو جندل بن سهيل ، قد أفلت يرسف في القيد متوشح السيف خلا له أسفل مكة ؛ فخرج من أسفلها حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكتب سهيلاً ، فرفع سهيل رأسه فإذا

بابنه أبى جندل ، فقام إليه سهيل فضرب وجهه بَعْضِ شوكٍ وأخذ
 بلبته وصاح أبو جندل بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أُرِدُّ إلى المشركين
 يفتنوني في ديني ؟ فزاد المسلمين ذلك شراً إلى ما بهم ، وجعلوا يبكون لكلام
 أبى جندل . قال : يقول حُوَيْطِب بن عبد العزى لمِكرز بن حفص : ما
 رأيتُ قوماً قطُّ أشدَّ حُباً لمن دخل معهم من أصحاب محمدٍ لمحمدٍ وبعضهم
 لبعض ! أما إنى أقول لك لا تأخذ من محمدٍ نصفاً أبداً بعد هذا اليوم ،
 حتى يدخلها عذوة ! فقال مِكرز : أنا أرى ذلك . وقال سهيل : هذا أول
 ما قاضيتك عليه ، رُدُّوه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إننا لم نقض
 الكتابَ بعدُ . فقال سهيل : والله لا أكتبك على شيء حتى تردّه إلى .
 فردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيلاً
 أن يتركه فإبى سهيل ، فقال مِكرز بن حفص وحُوَيْطِب : يا محمد ،
 نحن نُجيره لك . فأدخلاه فُسْطاطاً فأجاراه ، وكف أبوه عنه . ثم رفع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته فقال : يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ،
 فإنّ الله جاعلٌ لك ولَمَنْ معك فرجاً ومَخْرَجاً ! إننا قد عقدنا بيننا وبين القوم
 صلحاً ، وأعطيناهم وأعطينا على ذلك عهداً ، وإننا لا نغدر ! وعاد عمر إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أَلستَ برسولِ الله ؟ قال : بلى .
 قال : أَلسنا على الحق ؟ قال : بلى . قال : أليس عدونا على الباطل ؟ قال :
 بلى . قال : فلمْ نُعطى الدّنية في ديننا ؟ قال رسول الله : إني رسولُ الله ،
 ولنْ أعصيه ولنْ يُضيعني . فانطلق عمر حتى جاء إلى أبى بكر فقال له مثل
 ما قال للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر : إنه رسولُ الله ولنْ
 يعصيه ولنْ يُضيعه ، ودَعْ عنك ما تَرى يا عمر ! قال عمر : فوثبت إلى أبى
 جندل أمشى إلى جنبه . وسهيل بن عمرو يدفعه ، وعمر يقول : اصبر

يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دمٌ أحدهم دمٌ كلب ، وإنما هو رجل وأنت رجل ومعلك السيف ! فرجوتُ أن يأخذَ السيفَ ويضربَ أباه ، فضنَّ الرجلُ بأبيه . فقال عمر : يا أبا جندل ، إنَّ الرجلَ يقتلُ أباه في الله ، والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم في الله ، فرجلٌ برجلٍ ! قال : وأقبل أبو جندل على عمر فقال : مالك لا تقتله أنت ؟ قال عمر : نهاني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن قتلِهِ وقَتْلِ غَيْرِهِ . قال أبو جندل : ما أنت بأحقَّ بطاعةِ رسول الله مني ! وقال عمر ورجالٌ معه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، ألم تكن حدثتنا أنك ستدخل المسجد الحرام ، وتأخذُ مفتاحَ الكعبة وتُعرِّف مع المُعرِّفين ؟ وهديتنا لم يصلْ إلى البيت ولا نحن ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قلتُ لكم في سفركم هذا ؟ قال عمر : لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إنكم ستدخلونه ، وآخذُ مفتاحَ الكعبة ، وأحلقُ رأسي ورؤوسكم ببطن مكة ، وأُعرِّف مع المُعرِّفين ! ثم أقبل على عمر فقال : أنسيتم يومَ أُحُدٍ إذ تُصعدون ولا تَلَوُّون على أحدٍ وأنا أدعوكم في أخراكم ؟ أنسيتم يومَ الأحزابٍ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصارُ وبلغت القلوب الحناجر ؟ أنسيتم يومَ كذا ؟ وجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُذكِّرهم أموراً - أنسيتم يومَ كذا ؟ فقال المسلمون : صدق الله ورسوله يا نبي الله ، ما فكرنا فيما فكرتَ فيه ، لأنَّنا أعلم بالله وبأمره منَّا ! فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ القضية وحلق رأسه قال : هذا الذي وعدتكم . فلما كان يومُ الفتح أخذ المفتاح فقال : ادعوا لي عمر بن الخطاب ! فقال : هذا الذي قلتُ لكم . فلما كان في حجة الوداع بعرفة فقال : أي عمر ، هذا الذي قلتُ لكم ! قال : أي رسول الله ، ما كان فتحٌ في الإسلام أعظم

مِنْ صَلَاحِ الْحُدَيْبِيَّةِ ! وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : مَا كَانَ فَتْحُ فِي الْإِسْلَامِ أَعْظَمَ مِنْ فَتْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَلَكِنَّ النَّاسَ يَوْمُئِذٍ قَصُرَ رَأْيُهُمْ عَمَّا كَانَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَرَبِّهِ ؛ وَالْعِبَادُ يَعْجَلُونَ ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَعْجَلُ كَعَجَلَةِ الْعِبَادِ حَتَّى تَبْلُغَ الْأُمُورُ مَا أَرَادَ اللَّهُ . لَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى سُهِيلِ بْنِ عَمْرٍو فِي حَاجَةِ قَائِمًا عِنْدَ الْمَنْحَرِ يُقَرِّبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُدْنَةً ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْحَرُهَا بِيَدِهِ ، وَدَعَا الْخَلَائِقَ فَخَلَقَ رَأْسَهُ ، وَأَنْظَرُ إِلَى سُهِيلٍ يَلْقُطُ مِنْ شَعْرِهِ ، وَأَرَاهُ يَضَعُهُ عَلَى عَيْنَيْهِ ، وَأَذْكُرُ إِبَاءَهُ أَنَّ يُقَرِّرَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ بِأَنَّهُ يُكْتَبُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَيَأْبَى أَنْ يُكْتَبَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَحَمَدَتِ اللَّهُ الَّذِي هَدَاهُ لِلْإِسْلَامِ ؛ وَصَلَوَاتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ الَّذِي هَدَانَا بِهِ وَأَنْقَذَنَا بِهِ مِنَ الْهَلَكَةِ !

فَلَمَّا حَضَرَتِ الدَّوَاةُ وَالصَّحِيفَةُ بَعْدَ طَوِيلِ الْكَلَامِ وَالْمَرَاجَعَةِ فِيمَا بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُهِيلِ بْنِ عَمْرٍو ، وَلَمَّا التَّمَ الْأَمْرُ وَتَقَارَبَ ، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَكْتُبُ الْكِتَابَ بَيْنَهُمْ ، وَدَعَا أَوْسَ بْنَ خُوَلَّى يَكْتُبُ ، فَقَالَ سُهِيلُ : لَا يَكْتُبُ إِلَّا أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ ، ابْنُ عَمِّكَ عَلَى أَوْ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ! فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا يَكْتُبُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . فَقَالَ سُهِيلُ : لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ ، اكْتُبْ كَمَا نَكْتُبُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ . فَضَاقَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا : هُوَ الرَّحْمَنُ . وَقَالُوا : لَا تَكْتُبْ إِلَّا الرَّحْمَنَ . قَالَ سُهِيلُ : إِذَا لَا أَقَاضِيهِ عَلَى شَيْءٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ! هَذَا مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالَ سُهِيلُ : لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا خَالَفْتُكَ ، وَاتَّبَعْتُكَ ، أَفَتَرْغَبُ عَنْ اسْمِكَ وَاسْمِ أَبِيكَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ؟ فَضَجَّ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا ضَجَّةً هِيَ أَشَدُّ مِنَ الْأَوَّلَى حَتَّى ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ ،

وقام رجالٌ من أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم يقولون : لا نكتبُ إلّا
محمّدُ رسولُ الله !

فحدّثنى ابنُ أبي سَبْرَةَ ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أبي فَرْوَةَ ،
عن واقد بن عمرو ، قال : حدّثنى مَنْ نظر إلى أُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ وسعد بن
عُبَادَةَ أَخْذَا بيدَ الكاتبِ فأمسكاهما وقالَا (١) : لا تكتبُ إلّا محمّدُ رسولُ الله ،
وإلّا فالسيفُ بيننا ! علامَ نعطى هذه الدّنيّة في ديننا ؟ فجعل رسولُ الله
صلى الله عليه وسلّم يُخَفِّضُهُمْ وَيُؤَيِّ بِيدِهِ إِلَيْهِمْ : اسكتوا ! وجعل حُويطِبُ
يتعجّب ممّا يصنعون ، ويُقبل على مِرْكَزِ بنِ حَفْصٍ ويقول : ما رأيتُ
قوماً أَحْوَطَ لِدِينِهِمْ مِنْ هؤُلاءِ القوم ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم :
اكتبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ . فنزلت هذه الآية في سُهَيْلٍ حينَ أبى أَنْ يُقَرِّبَ بِالرَّحْمَنِ :
﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (٢) .
فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : أَنَا محمّدُ بنُ عبد الله ، فاكتب ! فكتب :
باسمِكَ اللَّهُمَّ ، هذا ما اصطَلَحَ عليه محمد بن عبد الله وسُهَيْلُ بن عمرو ،
اصطَلَحَا على وَضْعِ الحربِ عَشْرَ سنين ، يَأْمَنُ فِيهَا النَّاسُ وَيَكْتَفُ بَعْضُهُمْ
عَنْ بَعْضٍ ، على أَنَّهُ لَا إِسْلَالَ وَلَا إِغْلَالَ (٣) ، وَأَنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةٌ مَكْفُوفَةٌ (٤) ؛
وَأَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ مُحَمَّدٍ وَعَقْدِهِ فَعَلَ ، وَأَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ
يَدْخُلَ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَعَقْدِهَا فَعَلَ ؛ وَأَنَّهُ مَنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْهُمْ بِغَيْرِ إِذْنٍ
وَلَيْتَهُ رَدَّهُ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ مَنْ أَتَى قُرَيْشًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ لَمْ تَرُدَّهُ ؛ وَأَنَّ مُحَمَّدًا

(١) في الأصل : « فأمسكهما وقال » .

(٢) سورة الإسراء ١٧ .

(٣) الإِسْلَالُ : السَّرَقَةُ الْخَفِيَّةُ . وَالْإِغْلَالُ : الْخِيَانَةُ . (شرح أبي ذر ، ص ٣٤١) .

(٤) عَيْبَةٌ مَكْفُوفَةٌ : هِيَ اسْتِمَارَةٌ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ تَكْفُفٌ عَنَّا وَتَكْفُفٌ عَنْكَ . (شرح أبي ذر ،

ص ٣٤١) .

يرجع عنا عامه هذا بأصحابه ، ويدخل علينا قاتل في أصحابه فيقيم ثلاثاً ، لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر ، السيوف في القرب . شهد أبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، ومحمد ابن مسلمة ، وحويطب بن عبد العزى ، ومكرز بن حفص بن الأخيف ، وكتب ذلك على صدر هذا الكتاب ، فلما كتب الكتاب قال سهيل : يكون عندي ! رثا رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل عندي ! فاختلعا فكتب له نسخة ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب الأول وأخذ سهيل نسخته ، وكان عنده . ووثبت من هناك خزاعة فقالوا : نحن ندخل في عهد محمد وعقده . ونحن على من وراعا من قوما . ووثبت بنو بكر فقالوا : نحن ندخل مع قريش في عهدا وعقدها ، ونحن على من وراعا من قوما . فقال حويطب لسهيل : بادأنا أخوالك بالعداوة وقد كانوا يستترون منا ، قد دخلوا في عهد محمد وعقده ! قال سهيل : ما هم إلا كغيرهم ، هؤلاء أقاربنا ولحمنا قد دخلوا مع محمد ، قوم اختاروا لأنفسهم أمراً فما نصنع بهم ؟ قال حويطب : نصنع بهم أن ننصر عليهم حلماءنا بني بكر . قال سهيل : إياك أن تسمع هذا منك بنو بكر ! فإنهم أهل شوم ، فيقعوا بخزاعة فيغضب محمد لحلفائه ، فينقض العهد بيننا وبينه . قال حويطب : حظوت والله أخوالك بكل وجه ! فقال سهيل : ترى أخوالى أعز على من بنو بكر ؟ ولكن والله لا تفعل قريش شيئاً إلا فعلته ، فإذا أعانت بنو بكر على خزاعة فإنما أنا رجل من قريش ، وبنو بكر أقرب إلى في قدم النسب ، وإن كان لهؤلاء لخؤولة ، وبنو بكر من قد عرفت ، لنا منهم مواطن كلها ليست بحسنة ، منها يوم عكاظ .

قالوا : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب وانطلق
سُهَيْل بن عمرو وأصحابه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه :
قُومُوا فَانْحَرُوا وَاحْلِقُوا ! فلم يُجِبْهُ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَى ذَلِكَ ، فقالها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثَ مرَّاتٍ كُلَّ ذَلِكَ يَأْمُرُهُمْ ، فلم يفعل واحدٌ مِنْهُمْ
ذلك . فانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل على أُمِّ سَلَمَةَ زوجته
مُعْضَباً شديداً الغَضَب ، وكانت معه في سفره ذلك . فاضطجع فقالت :
مالك يا رسول الله ؟ مراراً لا تُجِيبُنِي^(١) . ثم قال : عَجَباً يا أُمِّ سَلَمَةَ !
إني قلتُ للناس انْحَرُوا وَاحْلِقُوا وَحِلُّوا مراراً ، فلم يُجِيبْنِي أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ
إلى ذلك وهم يسمعون كلامي وينظرون في وجهي ! قالت . فقأت : يا رسول
الله ، انْطَلِقْ أَنْتَ إِلَى هَدْيِكَ فَانْحَرِهِ . فَإِنَّهُمْ سَيَقْتَدُونَ بِكَ . قالت :
فاضْطَبِعْ^(٢) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بثوبه . ثم خرج وأخذَ الحَرْبَةَ يَنْهَمُ^(٣)
هَدْيَهُ . قالت أُمِّ سَلَمَةَ : فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حِينَ يَهْوِي بِالْحَرْبَةِ إِلَى الْبَدَنَةِ
رافعاً صوته : بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ! قالت : فما هذا إِلَّا أَنْ رَأَوْهُ نَحَرَ ، فتواثبوا
إلى الْهَدْيِ ، فازدحموا عليه حتى خَشِيتُ أَنْ يَغْمَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً .

فحدثني يعقوب بن محمد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن الحارث
ابن عبد الله بن كعب ، عن أُمِّ عُمَارَةَ ، قالت : فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم مُضْطَبِعاً بثوبه والحَرْبَةَ فِي يَدَيْهِ يَنْحَرُ بِهَا .
حدثني مالك بن أنس ، عن أَبِي الزُّبَيْرِ ، عن جابر ، قال : وَأَشْرَكَ
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه في الْهَدْيِ ، فنحر الْبَدَنَةَ عن

(١) هكذا في الأصل .

(٢) أى أخذ ثوبه فجعل وسطه تحت إبطه الأيمن وألقى طرفيه على كنفه الأيسر من جهتي صدره .

(النهاية ، ج ٣ ، ص ١٢) .

(٣) نهم الرجل ناقته إذا زجرها . (الصحاح ، ص ٢٠٤٧) .

سبعة ، وكان الهدى سبعين بدنة . وكان جمل أبي جهل قد غنمه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، فكان المسلمون يغزون عليه المغازي ، وكان قد ضرب في لِقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم التي استاق عُيَيْنَةَ بن حِصْن ، ولِقاحه التي كانت بذى الجدر التي كان ساقها العُرنِيَّون ، وكان جملُ أبي جهل نَجِيًّا مَهْرِيًّا^(١) كان يرعى مع الهدى ، فشرد قبل القضية فلم يقف حتى انتهى إلى دار أبي جهل وعرفوه ، وخرج في أثره عمرو بن عَنَمَةَ^(٢) السلمي فأبى أن يُعطيه له سُفْهَاءُ مِنْ سُفْهَاءِ مَكَّةَ ، فقال سُهيل بن عمرو : ادفعوه إليه . فَأَعطوا به مائة ناقة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اولا أَنَا سَمِينَاهُ فِي الْهَدْيِ فَعَلْنَا . فَتُحَرِّجُ الْجَمَلُ عَنْ سَبْعَةِ ، أَحَدُهُمْ أَبُو بَكْرٍ ، وَعَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ : كَانَ الْهَدْيُ سَبْعِينَ ، وَكَانَ النَّاسُ سَبْعِمِائَةَ ، وَكَانَ كُلُّ بَدَنَةٍ عَنْ عَشْرَةٍ . وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَثْبَتُ عِنْدَنَا أَنَّهُ سِتُّ عَشْرَةَ مِائَةً . قَالَ : وَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ يَنْحَرُ بَدَنَاتٍ لَهُ سَاقَهَا مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيْضًا ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَرِبًا^(٣) فِي الْحِلِّ ، وَكَانَ يُصَلِّي فِي الْحَرَمِ . وَحَضَرَهُ يَوْمَئِذٍ مَنْ يَسْأَلُ مِنْ لُحُومِ الْبُذْنِ مُعْتَرًّا^(٤) غَيْرَ كَبِيرٍ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِيهِمْ مِنْ لُحُومِ الْبُذْنِ وَجُلُودَهَا . قَالَتْ أُمُّ كُرْزٍ الْكَعْبِيَّةُ : جِئْتُ أَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ لُحُومِ

(١) مهرة بن حيدان حى من العرب تنسب إليهم الإبل المهرية . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٣٧) .

(٢) في الأصل : « عمرو بن غنمة » ؛ وما أثبتناه من ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ١٢٩) .

(٣) أى كانت أبنيته مضروبة في الحل . (شرح أبي ذر ، ص ٣٤٢) .

(٤) هو الذى يتعرض للسؤال من غير طلب . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٣٤٢) .

الَهْدَى حين نحر بالْحُدَيْبِيَّة ، فسمعتُه يقول : عن الغلام شاتان مُكَافِئَتَان^(١) والجارية شاة . وأكل المسلمون مِن هَدْيِهِم الذي نَحَرُوا يَوْمَئِذٍ وَأَطْعَمُوا المساكين مِمَّنْ حضرهم ، وكان رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بعث بعشرين بَدَنَةً لِيُتَنَحَّرَ عِنْدَ الْمَرْوَةِ مع رجلٍ من أَسْلَمَ ، فنَحَرَهَا عِنْدَ الْمَرْوَةِ وقسم لحمها .

وحدَّثني يَعْقُوبُ بن مُحَمَّد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أَبِي صَعَصَعَةَ ، عن العجاء بن عبد الله ، عن أُمِّ عُمَارَةَ ، قالت : فَأَنَا أَنْظَرُ إِلَى رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين فرغ من نَحَرِ الْبُذْنِ فدخل قُبَّةً لَهُ مِنْ أَدَمٍ حَمْرَاءَ ، فِيهَا الْحَلَّاقُ فَحَلَقَ رَأْسَهُ ، فَأَنْظَرُ إِلَيْهِ قَدْ أَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنْ قُبَّتِهِ وهو يقول : رَحِمَ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ ! قيل : يَا رسولَ اللَّهِ ، وَالْمُقَصِّرِينَ ! قال : رَحِمَ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ - ثلاثاً . ثم قال : وَالْمُقَصِّرِينَ .

فحدَّثني إبراهيم بن يزيد ، عن أَبِي الزُّبَيْرِ ، عن جابر ، قال : وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ حين حَلَقَ رَأْسَهُ ، ورمى بشعره على شجرة كانت إلى جنبه من سَمَرَةِ خَضِرَاءَ . قالت أُمُّ عُمَارَةَ : فجعل الناس يأخذون الشعرَ مِنْ فوق الشجرة فيَتَحَاصُّونَ^(٢) فيه ، وجعلتُ أَزاحم حتى أَخَذْتُ طَاقَاتٍ مِنْ شَعْرٍ . فكانت عندها حتى ماتت تُغَسِّلُ للمريض . قال : وحلق يومئذٍ ناسٌ . وقصر آخرون . قالت أُمُّ سَلَمَةَ زوج النَبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَقَبِصْتُ يَوْمَئِذٍ أَطْرَافَ شَعْرِي . وكانت أُمُّ عُمَارَةَ تقول : قصرتُ يَوْمَئِذٍ - بِمِقْصَرٍّ مَعِيَ - الشعر وما شَبَدَّ .

(١) في الأصل : « مكافئتان » . وشاتان مكافئتان : متساويتان في السن . (النهاية ، ج ٤ ،

ص ٢٣) .

(٢) تحاصوا : أى اقتسموا . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٩٨) .

حدثني خراش بن هُنَيْد . عن أبيه ، قال : كان الذي حلقه خراش ابن أُمَيَّة .

قالوا : قام رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم بالحُدَيْبِيَّة بضعةَ عشرَ يوماً ، ويُقال عشرين ليلة . فلما انصرف رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم من الحُدَيْبِيَّة نزل بمَرِّ الظُّهْران ثم نزل عُسْفان ، فَأَرَمُوا^(١) مِنَ الزَّاد ، فشكَا النَّاسُ إِلَى رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم أَنَّهُمْ قَدْ بُلُغُوا مِنَ الْجُوعِ - وَفِي النَّاسِ ظَهْرٌ - [وَقَالُوا] : فَنَنْحِرْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَنَذْهِنَ مِنْ شُحُومِهِ ، وَنَتَّخِذُ مِنْ جُلُودِهِ حِذَاءً ! فَأَذِنَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلم ، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ يَكُ فِي النَّاسِ بَقِيَّةُ ظَهْرٍ يَكُنْ أَمْثَلُ ، وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِأَزْوَادِهِمْ ثُمَّ ادْعُ اللَّهَ فِيهَا . فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلم بِالْأَنْطَاعِ فُبُسِطَتْ ، ثُمَّ نَادَى مُنَادِيهِ : مَنْ كَانَ عِنْدَهُ بَقِيَّةٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَنْشُرْهُ عَلَى الْأَنْطَاعِ . قَالَ أَبُو شُرَيْحٍ الْكَعْبِيُّ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ مَنْ يَأْتِي بِالتَّمْرَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَأْتِي بِشَيْءٍ ، وَيَأْتِي بِالْكَفِّ مِنَ الدَّقِيقِ ، وَالْكَفِّ مِنَ السُّوَيْقِ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ قَلِيلٌ . فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ أَزْوَادُهُمْ وَانْقَطَعَتْ مَوَادُّهُمْ مَشَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلم إِلَيْهَا فَدَعَا فِيهَا بِالْبَرَكَةِ ، ثُمَّ قَالَ : قَرَّبُوا أَوْعِيَتَكُمْ ! فَجَاءُوا بِأَوْعِيَتِهِمْ . قَالَ أَبُو شُرَيْحٍ : فَأَنَا حَاضِرٌ ، فَيَأْتِي الرَّجُلُ فَيَأْخُذُ مَا شَاءَ مِنَ الزَّادِ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْخُذُ مَا لَا يَجِدُ لَهُ مَحْمَلًا ؛ ثُمَّ أَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلم بِالرَّحِيلِ ، فَلَمَّا ارْتَحَلُوا مُطِرُوا مَا شَاءُوا وَهُمْ صَائِفُونَ . فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلم وَنَزَلُوا مَعَهُ ، فَشَرَبُوا مِنَ الْمَاءِ ، فَقَامَ رَسُولُ

(١) أَرَمِلَ الْقَوْمَ : إِذَا نَفَدَ زَادُهُمْ . (الصحاح ، ص ١٨١٣) .

فَحَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ ، سَمِعْتُ شُعْبَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : سَمِعْتُ
ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كُنْتُ أَسِيرُ
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مُنْصَرَفِهِ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، فَسَأَلْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُجِبْنِي ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَلَمْ يُجِبْنِي ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ
فَلَمْ يُجِبْنِي . قَالَ عُمَرُ : فَقُلْتُ : ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ يَا عُمَرُ ! نَذَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ثَلَاثًا ،
كُلَّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُنِي ! قَالَ : فَحَرَّكَتُ بَعِيرِي حَتَّى تَقْدَمْتُ النَّاسَ ، وَخَشِيتُ
أَنْ يَكُونَ نَزْلُ فِي قُرْآنٍ ، فَأَخَذَنِي مَا قَرُبَ وَمَا بَعُدَ ، وَلَمَّا كُنْتُ رَاجِعًا
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحُدَيْبِيَّةِ وَكَرَاهَتِي الْقَضِيَّةَ ، فَإِنِّي لَأَسِيرُ
مَهْمُومًا مُتَقَدِّمًا لِلنَّاسِ ، فَإِذَا مُنَادٍ ^(١) يُنَادِي : يَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ !
فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مَا اللَّهُ بِهِ أَعْلَمُ ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ وَهُوَ مُسْرُورٌ ، ثُمَّ قَالَ :
أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ؛ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ
﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ ^(٢) . فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَتِهِ ، وَإِتِمَامِ نِعْمَتِهِ وَنَصْرِهِ ،
وِطَاعَةِ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَنِفَاقِ مَنْ نَافَقَ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ عَشْرَ
آيَاتٍ .

وحدّثني مُجمَعُ بن يعقوب ، عن أبيه ، عن مُجمَع بن جارية ، قال :

(۱) فی الأصل : « منادی » .

(٢) سورة ٤٨ الفتح ١

لَمَّا كُنَّا بَصَجْنَانِ رَاجِعِينَ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ رَأَيْتُ النَّاسَ يَرْكُضُونَ فَإِذَا هُمْ يَقُولُونَ : أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [قُرْآن] . فَرَكُضْتُ مَعَ النَّاسِ ، حَتَّى تَوَافَيْنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ^(١) ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : يَهْنِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَلَمَّا هَنَأَهُ جِبْرِيلُ هَنَأَهُ الْمُسْلِمُونَ .

وَكَانَ مِمَّا نَزَلَ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ قَالَ : قَضَيْنَا لَكَ قِضَاءً مُبِينًا ؛ فَالْفَتْحُ قُرَيْشٌ ^(٢) وَمُوَادَعَتُهُمْ ، فَهُوَ أَعْظَمُ الْفَتْحِ . ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ ^(٣) قَالَ : مَا كَانَ قَبْلَ النَّبُوَّةِ وَمَا تَأَخَّرَ . قَالَ : مَا كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ ، بِصُلْحِ قُرَيْشٍ ؛ ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ، قَالَ : الْحَقُّ ؛ ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ ^(٤) حَتَّى تَظْهَرَ فَلَا يَكُونُ شَرِكُ . ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٥) ، قَالَ : الطَّمَانِينَةُ ؛ ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ ، قَالَ : يَقِينًا وَتَصَدِيقًا ؛ ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ ^(٦) ، قَالَ : مَا اجْتَرَحُوا ؛ ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ، يَقُولُ : فَوْزًا لَهُمْ أَنْ يَغْفَرَ لَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ؛ ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ

(١) سورة ٤٨ الفتح ١

(٢) في الأصل : « قريشا »

(٣) سورة ٤٨ الفتح ٢

(٤) سورة ٤٨ الفتح ٣

(٥) سورة ٤٨ الفتح ٤

(٦) سورة ٤٨ الفتح ٥

ظَنَّ السَّوءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوءِ ﴿١﴾ ، يعنى الذين مرّ عليهم بين مكة والمدينة ؛ من مُزينة وجُهينة وبنى بكر ، واستنفرهم إلى الحديبية فاعتلوا وتشاغلوا بأهليهم وأموالهم . يقول : عليهم ما تمنّوا وظنّوا ، وذلك أنّهم قالوا : إنما خرج محمدٌ في أكلة رأس ﴿٢﴾ ، يقدّم على قومٍ مؤثّورين ، فأبّوا أن ينفروا معه . ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا ﴾ ﴿٣﴾ ، قال : شاهداً عليهم ومُبشّراً لهم بالجنة ونذيراً لهم من النار . ﴿ وَتُعْزِزُهُ ﴾ ﴿٤﴾ ، قال : تنصروه وتوقّروه وتعظّمه ؛ ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ، قال : تُصلّوا لله بكرةً وعشيّاً . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ﴿٥﴾ حين دعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فبايعوه يومئذٍ على ألا يفرّوا ، ويقال : على الموت ؛ ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ ، يقول : من بدل أو غير ما بايع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فإنّما ذلك على نفسه ، ومن أوفى فإنّ له الجنة ، ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ ﴿٦﴾ ، قال : هم الذين مرّ بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فاستنفرهم واستعان بهم في بدايته فتشاغلوا بأهليهم وأموالهم ، فلمّا سلّم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وجاء إلى المدينة جاءوه يقولون استغفر لنا إِبَاعَنَا أَنْ نَسِيرَ مَعَكَ . يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي

(١) سورة ٤٨ الفتح ٦

(٢) أى هم قليل . (الصحيح ، ص ١٦٢٤)

(٣) سورة ٤٨ الفتح ٨

(٤) سورة ٤٨ الفتح ٩

(٥) سورة ٤٨ الفتح ١٠

(٦) سورة ٤٨ الفتح ١١

قُلُوبِهِمْ ﴿١﴾ ، يقول : سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ ^(١) ، إلى قوله عز وجل : ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ ، قال : قولهم حين مرّ بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « وإنا محمدٌ [في] أكلة رأس ، يخرج إلى قوم مؤثورين معدين ، ومحمد لا سلاح معه ولا عُدّة » فَأَبَوْا أَنْ يَنْفِرُوا ، ﴿وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ، قال : كان يقيناً في قلوبهم . وقوله عز وجل : ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ ، يقول : هلكى . وقوله : ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا . . .﴾ ^(٢) إلى آخر الآية . قال : هم الذين تخلفوا عنه وَأَبَوْا أَنْ يَنْفِرُوا معه ، هؤلاء العرب من مُزينة وجُهينة وبكر ، لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم التوجّه إلى خيبر قالوا : نحن نتبعكم . يقول الله عز وجل ، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ . قال : الذى قضى الله ، قضى ألاّ تتبعونا ، وهو كلام الله ، يقال قضاؤه . يقول : ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ يعنى هؤلاء الذين تخلفوا عنك في عمرة الحديبية . ﴿سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ^(٣) . قال : هم فارس والروم ؛ ويقال : هوازن ، ويقال : بنى حنيفة يوم اليمامة ؛ ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ، قال : إن أبيتم أن تُقاتلوا كما أبيتم أن تخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة [الحديبية] .

(١) سورة ٤٨ الفتح ١٢

(٢) سورة ٤٨ الفتح ١٥

(٣) سورة ٤٨ الفتح ١٦

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾^(١)
 قال : لما نزلت العورات الثلاث . ﴿لَيْسَتْ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(٢)
 أخرجوا العميان والمرضى والعرجان من بيوتهم . فأنزل الله عز وجل : ﴿لَيْسَ
 عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾ ، ويقال : هذا في الغزو .

وحدثني محمد ومعمّر ، عن الزهري ، قال : سمعتُ سعيد بن المسيّب
 يقول : نزلت هذه الآية في قومٍ من المسلمين كانوا إذا نفروا للغزو وضعوا
 مفاتيح بيوتهم عند الزماني من ذلك ، فأنزل الله عز وجل في ذلك رخصةً لهم
 بالإذن في كل . ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ
 الشَّجَرَةِ﴾^(٣) ، قال : وهي سمرّة خضراء ؛ ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ، قال :
 صدق نيّاتهم . ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ ، يعني الطمأنينة ، وهو بيعة
 الرضوان ؛ ﴿فَتَحًا قَرِيبًا﴾ ، قال : صلح قريش ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾^(٤)
 إلى يوم القيامة . وفي قوله عز وجل : ﴿فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾^(٥) ، قال : فتح
 خيبر ؛ ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ ، قال : الذين كانوا طافوا بالنبي
 صلى الله عليه وسلم من المشركين رجاء أن يُصيبوا من المسلمين غرة ،
 فأسرهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسراً ؛ ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ .
 قال : عبرة^(٦) ، صلح قريش وحكم [لم] يكن فيه سيف ، وكان

(١) سورة ٤٨ الفتح ١٧
 (٢) سورة ٢٤ النور ٥٨
 (٣) سورة ٤٨ الفتح ١٨
 (٤) سورة ٤٨ الفتح ١٩
 (٥) سورة ٤٨ الفتح ٢٠
 (٦) في الأصل : « قال غيره »

فتحاً عظيماً . ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾^(١) ، قال : فارس والروم ، ويُقال مكة . ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَعِدُّونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^(٢) ، يقول : لو قاتلتكم قريش انهزموا ثم لم يكن لهم من الله ولي ، يعنى حافظ . ، ولا نصير من العرب . ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٣) ، قال : قضاء الله الذى قضى ولا تبديل أن رُسُلَه يظهرون ويغلبون . ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾^(٤) ، قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسروا من المشركين بالحديبية أسرى ، فكفَّ الله أيدي المسلمين عن قتلهم ؛ ﴿وَأَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ ، من كانوا حُسبوا بمكة ، فذلك الظفر . ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَجْلُهُ﴾^(٥) ، يقول : حيث لم يصل إلى البيت وحُبس بالحديبية ؛ ﴿وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ، يقول : لولا رجال ونساء مُسْتَضْعَفُونَ بمكة ؛ ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ ، يقول : [أن] تمتلئهم ولا تعرفوهم فيصيبكم من ذلك بلاءٌ عظيم ؛ حيث قتلت المسلمين وأنتم لا تعلمون ؛ ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ ، يقول : لو خرجوا من عندهم ؛ ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، يقول : سلطناكم عليهم بالسيف . ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ

(١) سورة ٤٨ الفتح ٢١

(٢) سورة ٤٨ الفتح ٢٢

(٣) سورة ٤٨ الفتح ٢٣

(٤) سورة ٤٨ الفتح ٢٤

(٥) سورة ٤٨ الفتح ٢٥

كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴿١﴾ حَيْثُ أَبِي سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو بْنِ
يَكْتَبُ «مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ» وَحَيْثُ أَبِي أَنْ يَكْتُبَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» .
﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سُكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، يَقُولُ : بَيْنَهُمْ ؛ ﴿وَأَلْزَمَهُمْ
كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ ، يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُمْ أَحَقُّ بِهَا
وَأَوْلَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ . ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ
الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ (٢) إِلَى قَوْلِهِ : ﴿فَجَعَلَ مِنْ ذَلِكَ فِتْنَةً قَرِيبًا﴾ ، وَالْفَتْحُ
الْقَرِيبُ صَلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ . وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِمْرَةِ الْقَضِيَّةِ
فَحَلَقَ وَحَلَقَ مَعَهُ قَوْمٌ ، وَقَصَّرَ مِنْ قَصْرٍ ، وَدَخَلَ فِي حَجَّتِهِ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ آمِنِينَ
لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ . ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى
الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ (٣) .
قَالَ : يَبْتَغُونَ بِذَلِكَ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ الْفَضْلَ مِنَ اللَّهِ وَالرِّضْوَانَ . ﴿سَيَمَاهُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ ، قَالَ : أَثَرُ الْخُشُوعِ وَالتَّوَاضُعِ ؛ ﴿مَثَلُهُمْ
فِي التَّوَارَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى
عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ ، فَهَذَا فِي الْإِنْجِيلِ ، يَعْنِي أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا قَلِيلًا ، ثُمَّ أَزْدَادُوا ، ثُمَّ كَثُرُوا ، ثُمَّ اسْتَغْلَظُوا ، وَقَالَ :
«وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصُّدِّيقُونَ» (٤) ، قَالَ : هِيَ مَفْصُولَةٌ
بِأَنَّهُمْ آهُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ يُصَلِّونَهُمْ . قَالَ بَعْدُ : ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (٥)
وَفِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارَعَةٌ﴾ (٥)

(١) سورة ٤٨ الفتح ٢٦

(٢) سورة ٤٨ الفتح ٢٧

(٣) سورة ٤٨ الفتح ٢٩

(٤) سورة ٥٧ الحديد ١٩

(٥) سورة ١٣ الرعد ٣١

وأشهدنا بيننا وبينك، من ردّ من قدم عليك من أصحابنا ، فابعث إلينا بصاحبنا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بصير أن يرجع معهم ودفعه إليهما ، فقال أبو بصير : يا رسول الله ، تردّنى إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير ، إنّنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر ، وإنّ الله جاعل لك ولن معك من المسلمين فرجاً ومخرجاً . قال أبو بصير : يا رسول الله ، تردّنى إلى المشركين ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انطلق يا أبا بصير ، فإنّ الله سيجعل لك مخرجاً . فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العامرى وصاحبه ؛ فخرج معهما ؛ وجعل المسلمون يسرون إلى أبى بصير : يا أبا بصير ، أبشّر ! فإنّ الله جاعل لك مخرجاً ، والرجل يكون خيراً من ألف رجل ، فافعل وافعل ! يأمرونه بالذين معه . فخرجوا حتى كانوا بذى الحليفة - انتهوا إليها عند صلاة الظهر - فدخل أبو بصير مسجد ذى الحليفة فصلّى ركعتين صلاة المسافر ؛ ومعه زاد له يحمله من تمر ، فمال إلى أصل جدار المسجد فوضع زاده فجعل يتغذى ، وقال لصاحبه : اذنوا فكلوا ! فقالا : لا حاجة لنا فى طعامك . فقال : ولكن او دعوتونى إلى طعامكم لأجبتكم وأكلت معكم . فاستحييا فدنوا ووضعوا أيديهما فى التمر معه ، وقدما سفرتهما لهما فيها كسر ، فأكلوا جميعاً ، وأنسهم ، وعلّق العامرى بسيفه على حَجَرٍ فى الجدار ، فقال أبو بصير للعامرى : يا أخا بنى عامر ، ما اسمك ؟ فقال : خنيس . قال : ابن من ؟ قال : ابن جابر . فقال : يا أبا جابر أصارم سيفك هذا ؟ قال : نعم . قال : ناؤنيه أنظر إليه إن شئت ، فناوله العامرى وكان أقرب إلى السيف من أبى بصير ، فأخذ

أَبُو بَصِيرٍ بِقَائِمِ السَّيْفِ ، وَالْعَامِرِيُّ مُمَسِّكُ الْجَفْنِ ، فَعَلَاهُ بِهِ حَتَّى بَرَدَ ،
وَخَرَجَ كَوَثَرُ هَارِبًا يَعْدُو نَحْوَ الْمَدِينَةِ ، وَخَرَجَ أَبُو بَصِيرٍ فِي أَثَرِهِ ، فَأَعْجَزَهُ
حَتَّى سَبَقَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ أَبُو بَصِيرٍ : وَاللَّهِ لَوْ أَدْرَكْتُهُ
لَأَسْلَكْتُهُ طَرِيقَ صَاحِبِهِ ! فَبَيَّنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي
أَصْحَابِهِ بَعْدَ الْعَصْرِ إِذْ طَلَعَ الْمُؤَلَّى يَعْدُو ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : هَذَا رَجُلٌ قَدْ رَأَى دُعْرًا ! فَنَاقَبِلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَيْحَكَ ، مَا لَكَ ؟ قَالَ :
قَتَلْتُ صَاحِبَكُمْ صَاحِبِي ، وَأَفْلَتُ مِنْهُ وَلَمْ أَكْذُ ! وَكَانَ الَّذِي حَبَسَ أَبَا بَصِيرٍ
احْتِمَالُ سَلْبِهِمَا عَلَى بَعِيرِهِمَا ، فَلَمْ يَبْرِجْ مَكَانَهُ قَائِمًا حَتَّى طَلَعَ أَبُو بَصِيرٍ ،
فَنَازَحَ الْبَعِيرَ بِبَابِ الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ مُتَوَشِّحًا بِالسَّيْفِ - سَيْفِ الْعَامِرِيِّ - فَوَقَفَ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ : وَفَتْ ذِمَّتُكَ وَأَدَّى اللَّهُ
عَنْكَ ، وَقَدْ أَسْلَمْتُ بِيَدِ الْعَدُوِّ ، وَقَدْ امْتَنَعْتُ بِدِينِي مِنْ أَنْ أَفْتَنَ ، وَتَبَغَّيْتَ
بِي أَنْ (١) أَكْذِبَ بِالْحَقِّ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَيْلُ أُمِّهِ ، مِحْشُ
حَرْبٍ (٢) لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ !

وَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ بِسَلْبِ الْعَامِرِيِّ خُنَيْسِ بْنِ جَابِرٍ وَرَحْلِهِ وَسَيْفِهِ ، فَقَالَ :
خَمْسُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي إِذَا خَمْسْتُهُ رَأَوْنِي
لَمْ أَؤْفِ لَهُمْ بِالَّذِي عَاهَدْتُهُمْ عَلَيْهِ ؛ وَلَكِنْ شَأْنُكَ بِسَلْبِ صَاحِبِكَ ! وَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكُوَثَرٍ : تَرْجِعْ بِهِ إِلَى أَصْحَابِكَ . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ،
قَدْ أَهَمَّتْ نَفْسِي ، مَا لِي بِهِ قُوَّةٌ وَلَا يَدَانِ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « أَوْ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مِحْسَنُ حَرْبٍ » . يُقَالُ : حَشَّ الْحَرْبَ إِذَا أَسْعَرَهَا وَهَيَّجَهَا ، تَشْبِيهًُا بِإِسْعَارِ النَّارِ .
(الْهَيْجَةُ ، ج ١ ، ص ٢٣٠) .

لَأَبِي بَصِيرٍ : اذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ ! فَخَرَجَ أَبُو بَصِيرٍ حَتَّى أَتَى الْعِيصَ ، فَنَزَلَ مِنْهُ نَاحِيَةً عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ عَلَى طَرِيقِ عَيْرِ قُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ . قَالَ أَبُو بَصِيرٍ : فَخَرَجْتُ وَمَا مَعِيَ مِنَ الزَّادِ إِلَّا كَفٌّ مِنْ تَمَرٍ فَأَكَلْتُهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَكَنْتُ أَتَى السَّاحِلَ فَأُصِيبُ حَيْثَانَا قَدْ أَلْقَاهَا الْبَحْرُ فَأَكَلَهَا . وَيُلَاحِظُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ قَدْ حُبِسُوا بِمَكَّةَ ، وَأَرَادُوا أَنْ يَلْحَقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَصِيرٍ «وَيْلُ أُمِّهِ» . وَحُشُّ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ رَجَالٌ » ، فَجَعَلُوا يَتَسَلَّلُونَ إِلَى أَبِي بَصِيرٍ . وَكَانَ الَّذِي كَتَبَ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابُ عُمَرَ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ بِالسَّاحِلِ عَلَى طَرِيقِ عَيْرِ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِمْ كِتَابُ عُمَرَ جَعَلُوا يَتَسَلَّلُونَ رَجُلًا رَجُلًا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى أَبِي بَصِيرٍ فَاجْتَمَعُوا عِنْدَهُ ، قَرِيبٌ مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا ، فَكَانُوا قَدْ ضَيَّقُوا عَلَى قُرَيْشٍ ، لَا يَظْفَرُونَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَتَلُوهُ ، وَلَا تَمُرُّ عَيْرٌ إِلَّا اقْتَطَعُوهَا ، حَتَّى أَحْرَقُوا قُرَيْشًا ، لَقَدْ مَرَّ رَكْبٌ يُرِيدُونَ الشَّامَ مَعَهُمْ ثَلَاثُونَ بَعِيرًا ، وَكَانَ هَذَا آخِرُ مَا اقْتَطَعُوا ، لَقَدْ أَصَابَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، مَا قِيمَتُهُ ثَلَاثُونَ دِينَارًا . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : ابْعَثُوا بِالْخُمْسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ . فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ : لَا يَقْبَلُهُ رَسُولُ اللَّهِ ؛ قَدْ جِئْتُ بِسَلْبِ الْعَامِرِيِّ ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ ، وَقَالَ «إِنِّي إِذَا فَعَلْتُ هَذَا لَمْ أَفِ لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ» . وَكَانُوا قَدْ أَمَرُوا عَلَيْهِمْ أَبَا بَصِيرٍ ، فَكَانَ يُصَلِّي بِهِمْ وَيُفَرِّضُهُمْ^(١) وَيُجَمِّعُهُمْ ، وَهُمْ سَامِعُونَ لَهُ مُطِيعُونَ . فَلَمَّا بَلَغَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو قَتْلُ أَبِي بَصِيرٍ الْمَعَامِرِيَّ اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا صَالَحْنَا مُحَمَّدًا عَلَى هَذَا .

(١) أَيْ يَفْصِلُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ وَالْخُلُودَ . (لِسَانُ الْعَرَبِ ، ج ٩ ، ص ٦٧) . وَيَجْمَعُهُمْ : أَيْ يَصَلِّي بِهِمُ الْجُمُعَةَ ، (لِسَانُ الْعَرَبِ ج ٩ ، ص ٤١٠) .

قالت قُرَيْش : قد برىء محمدٌ منه ، قد أمكن صاحبكم فقتله بالطريق ، فما على محمدٍ في هذا ؟ فقال سُهيل : قد والله عرفتُ أنَّ محمدًا قد أوفى . وما أوتينا إِلَّا مِنْ قِبَلِ الرُّسُولِينَ . قال : فأسند ظهره إلى الكعبة وقال : والله ، لا أُؤخِّرُ ظهري حتى يُودى هذا الرجل . قال أبو سُفيان : إنَّ هذا لهو السَّفه ! والله لا يُودى ! ثلاثًا . وأتَى ^(١) قُرَيْشَ تَديِه ، وإنما بعثته بنو زهرة ؟ فقال سُهيل : قد والله صدقتَ ، ما ديتُهُ إِلَّا على بنى زهرة ، وهم بعثوه ولا يُخرج ديتَه غيرُهم قَصْرَةً ^(٢) ؛ لأنَّ القاتل منهم ، فهم أولى مَنْ عَقَلَه . فقال الأخنس : والله لا نَديِه ، ما قتلنا ولا أمرنا بقتله ، قتله رجلٌ مُخالف لديننا مُتَّبِعٌ لِمحمد فأرسلوا إلى محمدٍ يديه . قال أبو سُفيان : لا ، ما على محمدٍ ديةٌ ولا غُرْمٌ ؛ قد برىء محمدٌ ؛ ما كان على محمدٍ أكثر ممَّا صنع ، لقد أمكن الرُّسُولِينَ منه . فقال الأخنس : إنَّ ودته قُرَيْشٌ كلُّها كانت زهرة بطنًا ^(٣) من قُرَيْشٍ تَديِه معهم ، وإن لم تدِه قُرَيْشٌ فلا نَديِه أبدًا . فلم تخرج له ديةٌ حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح . فقال مَوْهَب بن رِياح ، فيما قال سُهيل في بنى زهرة ، وما أراد أن يُغرهم من الدية :

أَتَانِي عَنْ سُهَيْلٍ ذَرُّوْ قَوْلٍ لِيُوقِظَنِي وَمَا بِي مِنْ رُقَادٍ
فَإِنْ كُنْتَ الْعِتَابَ تُرِيدُ مِنِّي فَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ بَعَادٍ
مَتَى تَغْمِزُ قَنَاتِي لَا تَجِدْنِي ضَعِيفَ الرَّأْيِ فِي الْكُرْبِ الشَّدَادِ
يُسَامِي الْأَكْرَمِينَ بَعِزُّ قَوْمٍ هُمُ الرُّأْسُ الْمُقَدَّمُ فِي الْعِبَادِ

أَنشدنيها عبد الله بن أبي عُبَيْدة ، وسمعتهم يُثبِتونها .

(١) في الأصل : « وأبى » .

(٢) أى دون الناس . (لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٤١١) .

(٣) في الأصل : « بطن » .

فلما بلغ أبو بصير من قُرَيْش ما بلغ من الغيظ . بعثت قُرَيْش رجلاً ، وكتبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً يسأَلونه بِأَرْحَامِهِمْ : أَلَا تُدْخِلُ أَبَا بَصِيرٍ وَأَصْحَابَهُ . فلا حاجة لنا بهم ؟ وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بصير أَنْ يَتَقَدَّمَ بِأَصْحَابِهِ معه ؛ فجاءه الكتاب وهو يموت ، فجعل يقرأ وهو يموت ، فمات وهو في يديه . فقَبَرَهُ أَصْحَابُهُ هناك وصلُّوا عليه ، وبنوا على قبره مسجداً ، وأقبل أصحابُهُ إلى المدينة وهم سبعون رجلاً ، فيهم الوليد بن الوليد بن المُغيرة . فلما دخل الحرة عَثَرَ فانقطعت إصبعه فربطها وهو يقول :

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إَصْبَعٌ دَمِيتِ وفي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ .
فدخل المدينة فمات بها . فقالت أُمُّ سَلَمَةَ : يا رسول الله ، ائذن لي أبكي على الوليد . قال : ابكي عليه ! قال : فجمعت النساء وصنعت لهنَّ (١) طعاماً ، فكان ممَّا ظهر من بكائها :

١. عَيْنُ قَابِكِي لِلْوَلِيدِ لِـ بِنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ
مِثْلُ الْوَلِيدِ بْنِ الْوَلِيدِ لِـ أَبِي الْوَلِيدِ كَفَى الْعَشِيرَةِ

فحدثني ابنُ أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : لما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ترداد (الوليد قال : ما اتخذوا الوليدَ إِلَّا حَنَانًا .

وقالوا : لا نعلم قُرَشِيَّةً خَرَجَتْ بين أبويها مُسلمةً مهاجرةً إلى الله إِلَّا أُمُّ كُلْثُومَ بنتِ عُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيْطٍ . كانت تُحَدِّثُ تقول : كنتُ أخرجُ إلى باديةٍ لنا بها أهلي فأُقيمُ فيهم الثلاثَ والأربع ، وهي من ناحية التَّنعيم – أو قالت بالحَصَصِ حاص (٢) – ثم أرجعُ إلى أهلي فلا يُنكرون ذهابي ، حتى أجمعُ

(١) في الأصل : « لهم » .

(٢) ويروى أيضاً « الحصاص » ، وهو موضع بالحجاز . (معجم ما استعجم ، ص ٢٨٩) .

السير ، فخرجتُ يوماً من مكة كائى أريد البادية التى كنتُ فيها ، فلمّا رجعتُ من تبغى خرجتُ حتى انتهيتُ إلى الطريق . فإذا رجلٌ من خُزاعة فقال : أين تُريدان ؟ فقلتُ : حاجتى ؛ فما مسألتُك وهن أنت ؟ فقال : رجلٌ من خُزاعة . فلمّا ذكر خُزاعة اطمأننتُ إليه ؛ لدخول خُزاعة فى عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وعَمَدِهِ ، فقلتُ : إني امرأةٌ من قُرَيْشٍ أريد اللُّهوقَ برسول الله . ولا عِلْمَ لى بالطريق . فقال : أهلُ الليل والنهار^(١) ، أنا صاحبُكِ حتى أُورِدكِ المدينة . ثمّ جاءنى ببعيرٍ فركبتهُ ، فكان يقود بى البعير ، لا والله ما يُكلِّمنى كلمةً . حتى إذا أناخ البعير تنحى عنى ، فإذا نزلتُ جاء إلى البعير فقيده فى الشجرة وتنحى عنى^(٢) فى الشجرة ، حتى [إذا] كان الرَّواحُ جَذَعَ^(٣) البعيرَ فقربته وولّى عنى ، فإذا ركبته أخذ برأسه فلم يلتفت وراءه حتى نزل ؛ فلم يزل كذلك حتى قدمنا المدينة ، فجزاه الله خيراً من صاحب ! فكانت تقول : نِعَمَ الحى خُزاعة ! قالت : فدخلتُ على أمّ سَلَمَةَ زوج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وأنا مُنتقبة فما عرفتنى حتى انتسبتُ ، وكشفتُ النِّقابَ فالتزمتنى وقالت : هاجرت إلى الله وإلى رسوله ؟ فقلت : نعم ، وأنا أخافُ أن يرُدّنى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المشركين كما ردّ غيرى من الرجال ؛ أبا جَنْدَل بن سُهَيْل ، وأبا بَصِير ، وحالُ الرجالِ يا أمّ سَلَمَةَ ليس كحال النساء ؛ والقومُ مُصَبِّحى ، قد طالتُ غيبتى عنهم اليوم

(١) ربما أراد بذلك : نحن أهل الليل والنهار ، العارفون بمسالك الطريق ليلاً ونهاراً .

(٢) فى الأصل : « تنحى إلى » .

(٣) فى الأصل : « جَذَعَ » . ويجذع البعير : حبسه على غير علف . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ١٢) .

ثمانية أيامٍ منذ فارقتهم ، فهم يبحثون قَدَر ما كنتُ أُغيبُ ثم يطلبونني .
فإن لم يجدوني رحلوا إلى فساروا ثلاثاً . فدخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
على أمِّ سلمة فأنخبرته أمُّ سلمة خبرَ أمِّ كلثوم . فرحَّب بها رسولُ الله صلى
الله عليه وسلم . وقالت أمُّ كلثوم : يا رسول الله . إني فررتُ بدينى إليك
فامنعنى ولا تردنى إليهم يفتنونى ويعذبونى ، فلا صَبِرَ نى على العذاب ، إنما أنا
امرأةٌ وضعفُ النساءِ إلى ما تعرف ؛ وقد رأيتُك رددتَ رجلين إلى المشركين
حتى امتنع أحدهما . وأنا امرأة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ
اللهَ نقضَ العهدَ فى النساءِ . وأنزل الله فيهنَّ « الممتحنة » . وحكَمَ فى ذلك
بحكْمٍ رضوه كلُّهم : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرُدُّ مَنْ جَاءَ مِنَ
الرجال ، ولا يرُدُّ مَنْ جَاءَهُ مِنَ النساءِ . وقَدِمَ أَخَوَاهَا مِنَ الغَد : الوليدُ وعمارة
ابنَا عُقبة بن أبي مُعيط . فقالا : يا محمد . فِ لنا بشرطنا وما عاهدتنا
عليه . فقال : قد نقضَ اللهُ ! فانصَرَفَا .

فحدثنى محمد بن عبد الله ، عن الزُّهرى ، قال : دخلتُ على عُروة بن
الزُّبَيْر وهو يكتب إلى هُنَيد صاحب الوليد بن عبد الملك . وكان كتب
يسأله عن قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ (١) ، فكتب إليه : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
صالح قُرَيْشياً يوم الحُدَيْبِيَّة على أن يرُدَّ إليهم مَنْ جَاءَ بغير إذنٍ وليه ،
فكان يرُدُّ الرجال ، فلمَّا هاجر النساءُ أبى الله ذلك أن يرُدَّهنَّ إذا امتحنَّ
بِمِحنة الإسلام ، فزعمت أنها جاءت رغبةً فيه ، وأمره أن يرُدَّ صدقاتهنَّ

إليهم^(١) إن احتبس عنهم^(٢) . وأن يردّوا عليهم مثل الذى يردّون عليهم^(٣) إن فعلوا . فقال : ﴿ وَلَيْسَ سَلُوا مَا أَنْفَقُوا ﴾^(٤) وصبّحها أخواها من الغد^(٥) فطلّباها . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردّها إليهم ، فرجعا إلى مكّة . فأخبرا قريشاً . فلم يبعثوا فى ذلك أحداً . ورضوا بأن تُحبس النساء ﴿ وَلَيْسَ سَلُوا مَا أَنْفَقُوا ﴾^(٦) ذلكم حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَبِعَاقِبَتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ ﴾^(٧) مثل ما أَنْفَقُوا^(٨) . قال : فإن فات أحداً منهم أهله إلى الكفار ، فإن أتتكم امرأة منهم فأصبتم فعوضوهم ممّا أصبتم صداق المرأة التى أتتكم ؛ فأما المؤمنون فأقرّوا بحُكْمِ اللَّهِ . وأبى المشركون أن يُقرّوا بذلك . وأن ما ذاب^(٩) للمشرّكين على المسلمين من صداق من هاجر من أزواج المشركين . ﴿ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ ﴾^(١٠) من مال المشركين فى أيديكم . ولسنا نعلم امرأة من المسلمين فاتت زوجها بالثّحق بالمشرّكين بعد إيمانها ، ولكنه حُكْمُ اللَّهِ به لأمير كان . والله عليمٌ حكيمٌ . ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ ﴾^(١١) . يعنى من غير أهل الكتاب . فطلّق عمر بن الخطاب رضى الله عنه زينب بنت أبى أميّة . فتزوّجها معاوية بن أبى سفيان ، وطلّق عمر

(١) أى إلى رجالهم .

(٢) فى الأصل : « إن احتبسوا عنهم »

(٣) فى الأصل : « وأن يرد عليهم مثل الذى يرد عليهم » ، وما أثبتناه من ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٣٤١) .

(٤) سورة ٦٠ الممتحنة ١٠

(٥) فى الأصل : « من الرد » .

(٦) سورة ٦٠ الممتحنة ١١

(٧) ذاب : أى وجب . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٥١) .

(٨) سورة ٦٠ الممتحنة ١٠

أَيْضًا بِنْتُ جَرُولِ الْخُزَاعِيَّةِ ، فَتَزَوَّجَهَا أَبُو جَهْمُ بْنُ حُدَيْفَةَ . وَطَلَّقَ عِيَاضُ ابْنَ غَنَمٍ الْفِهْرِيَّ أُمَّ الْحَكَمِ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ يَوْمَئِذٍ . فَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ الثَّقَفِيُّ فَوُلِدَتْ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ الْحَكَمِ .

غَزْوَةُ خَيْبَرَ (١)

حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنُ زَكَرِيَّا بْنِ حَيَّوِيهِ لَفْظًا . سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثَمِائَةٍ . قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْوَهَّابِ ابْنُ عِيْسَى بْنُ أَبِي حَيَّةٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ شُجَاعٍ الثَّلَجِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ وَقْدِ الْوَاقِدِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَمُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التِّيمِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ . وَابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، وَابْنُ أَبِي حَبِيبَةَ . وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ . وَمُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَهْلٍ ، وَعَائِدُ ابْنُ يَحْيَى . وَعَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَيَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدِ اللَّيْثِيِّ ، وَأَبُو مَعْشَرٍ ، وَمُعَاذُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَيُونُسُ وَيَعْقُوبُ ابْنَا مُحَمَّدِ الظَّفَرِيَّانِ ، وَيَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي زَيْدِ بْنِ الْمُعَلَّى الزُّرَقِيُّ ، وَرَبِيعَةُ بْنُ عُثْمَانَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدٍ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنَا مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَمَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُقْبَةَ ؛ فَكُلُّهُمْ قَدْ حَدَّثَنِي مِنْ حَدِيثِ خَيْبَرَ بِطَائِفَةٍ ، وَبَعْضُهُمْ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ ، وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ الْمُسَمِّينَ قَدْ حَدَّثَنِي مِنْ حَدِيثِ خَيْبَرَ ، فَكُتِبَتْ مَا حَدَّثُونِي .

(١) خيبر : على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام . (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٩٥) .

قالوا : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من الحُدَيْبِيَّةِ في ذى الحِجَّةِ تمامَ سنة ست^(١) ، فأقام بالمدينة بقيَّة ذى الحِجَّةِ والمحرم ، وخرج في صفر سنة سبعٍ - ويقال خرج لهلال ربيع الأوَّل - إلى خَيْبَرَ . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتهيؤ للغزو فهم مُجدُّون ، وتجلَّب من حوله يغزون معه ، وجاءه المُخَلَّفون يُريدون أن يخرجوا معه رجاء الغنيمة ، فقالوا : نخرج معك ! وقد كانوا تخلفوا عنه في غزوة الحُدَيْبِيَّةِ ، وأرجفوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ، فقالوا : نخرج معك إلى خَيْبَرَ . إنها ريف الحجاز طعاماً وَوَدَكاً^(٢) . وأموالاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخرجوا معي إلَّا راغبين في الجهاد ، فأما الغنيمة فلا . وبعث مُنادياً فنادى : لا يخرجنَّ معنا إلَّا راغبٌ في الجهاد ، فأما الغنيمة فلا ! فلما تجهَّز الناس إلى خَيْبَرَ شقَّ ذلك على يهود المدينة الذين هم مُوادعون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفوا أنهم إذا دخلوا خَيْبَرَ أهلك الله خَيْبَرَ كما أهلك بني قَيْنُقَاع والنَّضِير وقُرَيْظَةَ . قال : فلما تجهَّزنا لم يبقَ أحدٌ من يهود المدينة له على أحدٍ من المسلمين حقٌّ إلَّا لَزِمَهُ ، وكان لأبي الشَّحْم اليهودي عند عبد الله بن أبي حذَرَد الأسلمي خمسة دراهم في شعيرٍ أخذه لأهله ، فلزمه ، فقال : أَجَلْنِي فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَقْدَمَ عَلَيْكَ فَأَقْضِيكَ حَقَّكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قد وعد نبيَّه خَيْبَرَ أَنْ يُغْنِمَهُ إِيَّاهَا . وكان عبد الله بن أبي حذَرَد ممن شهد الحُدَيْبِيَّةِ ، فقال : يا أبا الشَّحْم ، إنا نخرجُ إلى ريف الحجاز في الطعام والأموال . فقال أبو الشَّحْم حسداً وبغياً : تَحْسِبُ أَنَّ قِتَالَ خَيْبَرَ مثل ما تلقونه من الأعراب ؟ فيها والثوراة عشرة آلافٍ مُقاتل !

(١) في الأصل : « تمام سنة ست سنين » .

(٢) الودك : هو دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٠٢) .

قال ابن أبي حنرَد : أَى عَدُوَّ اللَّهِ ! تُخَوِّفُنَا بَعْدَوْنَا وَأَنْتِ فِي ذِمَّتِنَا وَجَوَارِنَا ؟
وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ! فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْمَعُ إِلَى مَا يَقُولُ هَذَا
الْيَهُودِي ؟ وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ أَبُو الشَّحْمِ . فَأَسْكُتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ شَيْئًا ، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حَرَكَ شَفَتَيْهِ بِشَيْءٍ لَمْ أَسْمَعْهُ ، فَقَالَ الْيَهُودِي : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، هَذَا قَدْ
ظَلَمَنِي وَحَبَسَنِي بِحَقِّي وَأَخَذَ طَعَامِي ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أَعْطِهِ حَقَّهُ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَخَرَجْتُ فَبِعْتُ أَحَدَ ثَوْبَيْ بَثْلَاثَةِ دِرَاهِمٍ ، وَطَلَبْتُ
بَقِيَّةَ حَقِّهِ فَقَضَيْتُهُ ، وَلَبِسْتُ ثَوْبِي الْآخَرَ ، وَكَانَتْ عَلَيَّ عِمَامَةٌ فَاسْتَدَفَأْتُ^(١)
بِهَا . وَأَعْطَانِي سَلَمَةُ بْنُ أَسْلَمٍ ثَوْبًا آخَرَ ، فَخَرَجْتُ فِي ثَوْبَيْنِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ،
وَنَفَّلَنِي اللَّهُ خَيْرًا ، وَغَنِمْتُ امْرَأَةً بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَبِي الشَّحْمِ قَرَابَةً فَبِعْتُهَا مِنْهُ
بِمَالٍ .

وَجَاءَ أَبُو عَبَسَ بْنِ جَبْرِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا عِنْدَنَا نَفَقَةٌ وَلَا زَادَ
وَلَا ثَوْبٌ أَخْرَجُ فِيهِ ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شُقَيْقَةً سُنْبُلَانِيَّةً^(٢) ،
فَبَاعَهَا بِثَمَانِيَةِ دِرَاهِمٍ ، فَابْتَاعَ تَمْرًا بِدَرَاهِمِينَ لِزَادِهِ وَتَرَكَ لِأَهْلِهِ نَفَقَةً
دَرَاهِمِينَ ، وَابْتَاعَ بُرْدَةً بِأَرْبَعَةِ دِرَاهِمٍ . فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي طَرِيقٍ خَيْبَرَ فِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ إِذْ أَبْصَرَ بِرَجُلٍ يَسِيرُ أَمَامَهُ ، عَلَيْهِ شَيْءٌ يُبْرِقُ
فِي الْقَمَرِ كَأَنَّهُ فِي الشَّمْسِ وَعَلَيْهِ بَيْضَةٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
مَنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ : أَبُو عَبَسَ بْنِ جَبْرِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « اسْتَدَمَرْتُ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « شُقَيْقَةُ سِلَانِيَّةٌ » ، وَالشَّقِيقَةُ : تَصْغِيرُ شَقَّةٍ وَهِيَ جِنْسٌ مِنَ الثِّيَابِ . وَسُنْبُلَانِيَّةٌ :

أَيُّ سَابِقَةِ الطُّولِ ، سُنْبُلُ ثَوْبِهِ إِذَا أَسْبَلَهُ وَجَرَهُ مِنْ خَلْفِهِ أَوْ أَمَامَهُ ، وَالتَّوْنُ زَائِدَةٌ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ

يَكُونُ مَنَسُوبًا إِلَى مَوْضِعٍ . (الْهَيْجَةُ ، ج ٢ ، ص ٢٣١ ، ١٨٤) .

أَدْرِ كُوهَ ! [قال] : فَأَدْرَكُونِي فَحَبَسُونِي ، وَأَخَذْنِي مَا تَقْدُمُ وَمَا تَأْخَرُ ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ نَزَلَ فِي أَمْرٍ مِنَ السَّمَاءِ ، فَجَعَلْتُ أَتَذَكَّرُ مَا فَعَلْتُ حَتَّى لَحَقَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : مَا لَكَ تَقْدُمُ النَّاسَ لَا تَسِيرُ مَعَهُمْ ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ نَاقَتِي نَجِيبَةٌ . قَالَ : فَأَيْنَ الشَّقِيقَةَ الَّتِي كَسَبَتْكَ ؟ فَقُلْتُ : بَعَثَهَا بِثَمَانِيَةِ دَرَاهِمٍ ، فَتَزَوَّدْتُ بِدَرَاهِمِينَ تَمَرًا ، وَتَرَكْتُ لِأَهْلِي نَفَقَةً دَرَاهِمِينَ ، وَاشْتَرَدْتُ بَرْدَةً بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمٍ . فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : أَنْتَ وَاللَّهُ يَا أَبَا عَبَسَ وَأَصْحَابُكَ مِنَ الْفُقَرَاءِ ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ سَلِمْتُمْ وَعَشِمْتُمْ قَلِيلًا لِيَكْثُرَنَّ زَادُكُمْ ، وَلِيَكْثُرَنَّ مَا تَتْرَكُونَ لِأَهْلِيكُمْ ، وَلَتَكْثُرَنَّ دَرَاهِمُكُمْ وَعَبِيدُكُمْ ، وَمَا ذَاكَ بِخَيْرٍ لَكُمْ ! قَالَ أَبُو عَبَسَ : فَكَانَ وَاللَّهِ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَاسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَدِينَةِ سِبَاعُ بْنُ عُرْفُطَةَ الْغِفَارِيُّ . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَنَحْنُ ثَمَانُونَ بَيْتًا مِنْ دَوْسَ ، فَقَالَ قَائِلٌ : رَسُولُ اللَّهِ بِخَيْبَرٍ وَهُوَ قَادِمٌ عَلَيْكُمْ . فَقُلْتُ : لَا أَسْمَعُ بِهِ يَنْزِلُ مَكَانًا أَبَدًا إِلَّا جِئْتُهُ . فَتَحَمَّلْنَا حَتَّى جِئْنَاهُ بِخَيْبَرٍ فَنَجَدَهُ قَدْ فَتَحَ النَّظَاةَ وَهُوَ مُحَاصِرٌ أَهْلَ الْكَتَيْبَةِ ، فَأَقَمْنَا حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا . وَكُنَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَصَلَّيْنَا الصُّبْحَ خَلْفَ سِبَاعِ بْنِ عُرْفُطَةَ بِالْمَدِينَةِ ، فَقَرَأَ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى سُورَةَ مَرْيَمَ فِي الْآخِرَةِ : ﴿ وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ ^(١) ، فَلَمَّا قَرَأَ ﴿ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ ^(٢) قُلْتُ : تَرَكْتُ عَمِّي بِالسَّرَاةِ لَهُ مَكِيلَانِ ، مَكِيلَانِ

(١) سورة ٨٣ المطففين ١

(٢) سورة ٨٣ المطففين ٢

يُطْفَنَ به ومكيال يَتَبَخَّسُ به^(١) . ويقال : استخلف رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم أبا ذرَّ ، والثبت عندنا سباع بن عُرْفُطَةَ .

وكانت يهود خيبر لا يظنون أنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم يغزوهم لِمَنَعَتَهُمْ وَحُصُونَهُمْ وسلاحهم وَعَدَدِهِمْ ؛ كانوا يخرجون كلَّ يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفاً ثم يقولون : محمد يغزونا ؟ هيهات ! هيهات ! وكان من كان بالمدينة من اليهود يقولون حين تجهَّز النبي صَلَّى الله عليه وسلم إلى خيبر : ما أَمْنَعَ والله خيبرَ منكم ! لو رأيتم خيبرَ وحصونها ورجالها لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم ؛ حصون شامخات في ذُرَى الجبال ، والماء فيها واتن^(٢) ، إنَّ بخيبرَ لَأَلْفَ دارع ، ما كانت أسدُّ وغطفان يمتنعون من العرب قاطبةً إِلَّا بهم ، فأنتم تطبقون خيبرَ ؟ فجعلوا يُوحون بذلك إلى أصحاب النبي صَلَّى الله عليه وسلم ، فيقول أصحابُ النبي صَلَّى الله عليه وسلم : قد وعدها اللهُ نبيَّه أن يُغَنِّمَهُ إِيَّاهَا . فعخرج رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم إليهم ، فَعَمَّى اللهُ عليهم مخرجَه إِلَّا بِالظنِّ حتى نزل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم بساحاتهم ليلاً . وكانوا قد اختلفوا فيما بينهم حيث أَحْسَنُوا بِمسير رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، فأشار عليهم الحارثُ أبو زَيْنَبِ اليهوديَّ بأنَّ يُعسكرُوا خارجاً من حصونهم ويبرزوا له ، فإني قد رأيتُ مَنْ سارَ إليه من الحصون ، لم يكن لهم بقاء بعد أن حاصره حتى نزلوا على حُكْمِهِ ، ومنهم مَنْ سَبَى ومنهم مَنْ قُتِلَ صَبْرًا . فقالت اليهود : إنَّ حصوننا هذه ليست مثل تلك ، هذه حصون مَنِيعة في

(١) تبخس : أى نقص . (القاموس المحيط - ج ٢ ، ص ١٩٩) .

(٢) فى الأصل : « وائق » ؛ والتصحيح هو ما يقتضيه السياق . وواتن الماء وغيره : أى دام ولم ينقطع .

(الصحيح ، ص ٢٢١٢) .

ذُرَى الجبال . فخالفوه وثبتوا في حصونهم . فلَمَّا صَبَّحَهُم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وعاینوه أيقنوا بالهلكة .

فخرج رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من المدينة فسلک شَنِیَّة الوداع ، ثم أخذ على الزَّغَايَةِ ، ثم على نَقَمَى ، ثم سلک المُسْتَنَاح ، ثم کَبَس الوطیح^(١) ، ومعهم دليان من أشجع يقال لأحدهما حُسَیل بن خارجة ، والآخر عبد الله بن نُعَیم ، خرج على عَصَر^(٢) وبه مسجد ، ثم على الصَّهْبَاء^(٣) . فلَمَّا کان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فی مسیره قال لعامر بن سِنَان : انزِلْ يا ابن الأكوع فخذْ لنا مِنْ هَنَاتِكَ^(٤) . فاقتحم عامر عن راحلته ، ثم ارتجى برسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وهو يقول :

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا^(٥) وَلَا تَصَلَّيْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَلْقَيْنَا سَكِينَةً^(٦) عَلَيْنَا وَتَبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَيْنَا
إِنَّا إِذَا صِيحَحَ بَنَا أَتَيْنَا وَبِالصَّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : يرحمك الله ! فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : وَجَبْتَ وَاللَّهِ يا رسول الله ! فقال رجل من القوم : لولا مَتَّعْتَنَا [به] يا رسول الله ! فاستشهد عامر يوم خَيْبَر . فكان سَلَمَةُ بن

(١) في الأصل : « ثم كبس الوطه » . وكبس دار فلان : أغار عليها . (الصحاح ، ص ٩٦٦) .

والوطيح : من أعظم حصون خيبر ، سمى بوطيح بن مازن . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٩٢) .

(٢) عصر : جبل بين المدينة ووادي الفرع . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٤٦) .

(٣) الصهباء : موضع بينه وبين خيبر روحة . (معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٠١) .

(٤) من هناتك : أى من كلماتك أو من أراجيزك ، وهى جمع هنة . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٥٦) .

(٥) هكذا في الأصل . وانظر لتصويب الوزن صحيح مسلم (ص ١٤٢٨) ، وشرح الزرقاني على المواهب

الدنية (ج ٢ ، ص ٢٦٢) .

(٦) السكينة هنا الوقار والتثبت . (شرح أبي ذر ، ص ٣٤٤) .

الأكوع يقول : لما كنا دون خيبر نظرت إلى ظبي حاقف^(١) في ظل شجرة ،
فأفرد له سهماً فأرميه فلم يصنع سهمي شيئاً ، وأذعر الظبي فيلحقني
عامر ففوق له السهم فوضع السهم في جنب الظبي ، وينقطع وتر القوس
فيعلق رصافه بجنبه ، فلم يخلصه إلا بعد شدة . ووقع في نفسي يومئذ
طيرة ورجوت له الشهادة فبصرت رجلاً من اليهود فيصيب نفسه
فمات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة : ألا تحرك
بنا الركب ! فنزل عبد الله عن راحلته فقال :

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكيناً علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارحمه ! فقال عمر رضي
الله عنه : وجبت يا رسول الله . قال الواقدي : قتل يوم مؤتة شهيداً .
قالوا : وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصهباء فصلى بها العصر
ثم دعا بالطعمة فلم يؤت إلا بالسويق والتمر ، فأكل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأكلوا معه ، ثم قام إلى المغرب فصلى بالناس ولم يتوضأ ، ثم
صلى العشاء بالناس ، ثم دعا بالأدلاء فجاء حسيل بن خازمة الأشجعي ،
وعبد الله بن نعيم الأشجعي . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسيل : امض أمامنا حتى تأخذنا صدور الأودية ، حتى نأثي خيبر من
بينها وبين الشام ، فأحول بينهم وبين الشام وبين حلفائهم من غطفان .
فقال حسيل : أنا أسلك بك . فأنتهى به إلى موضع له طرق ، فقال له :

(١) ظبي حاقف : رابض في حف من الرمل ؛ والحقف : المعوج من الرمل أو الرمل العظيم المستدير ،
أو المستطيل المشرف . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ١٠٩) .

يا رسول الله ، إِنَّ لَهَا طُرُقًا يُؤْتَى مِنْهَا كُلُّهَا ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : سَمَّهَا لِي ! وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم يُحِبُّ الْفَأَلَّ الْحَسَنَ وَالْأَسِمَ الْحَسَنَ ، ويكره الطَّيْرَةَ وَالْأَسِمَ الْقَبِيحَ . فقال الدليل : لَهَا طَرِيقٌ يُقَالُ لَهَا حَزَنٌ . قال : لَا تَسْلُكُهَا ! قال : لَهَا طَرِيقٌ يُقَالُ لَهَا شَاشٌ . قال : لَا تَسْلُكُهَا ! قال : لَهَا طَرِيقٌ يُقَالُ لَهَا حَاطِبٌ . قال : لَا تَسْلُكُهَا ! قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ أَسْمَاءً أَقْبَحَ ! سَمٌّ لِرَسُولِ اللَّهِ ! قال : لَهَا طَرِيقٌ وَاحِدَةٌ لَمْ يَبْقَ غَيْرُهَا . فقال عمر : سَمَّهَا . قال : اسْمُهَا مَرْحَبٌ . قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : نَعَمْ اسْلُكُهَا ! قال عمر : أَلَا سَمَّيْتُ هَذَا الطَّرِيقَ أَوَّلَ مَرَّةٍ !

وبعث رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم عَبَّادَ بْنَ بِشْرِ فِي فَوَارِسَ طَلِيعَةً ، فَأَخَذَ عَيْنًا لِلْيَهُودِ مِنْ أَشْجَعٍ فَقَالَ : مَنْ (١) أَنْتَ ؟ قَالَ : بَاغٍ أَبْتَغِي أَبْعَرَةً ضَلَّتْ لِي ، أَنَا عَلَى أَثَرِهَا . قَالَ لَهُ عَبَّادُ : أَلَيْكَ عِلْمٌ بِخَيْبَرٍ ؟ قَالَ : عَهْدِي بِهَا حَدِيثٌ ، فِيمَ تَسْأَلُنِي عَنْهُ ؟ قَالَ : عَنِ الْيَهُودِ . قَالَ : نَعَمْ ، كَانَ كِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ وَهُوَ ذُو بَنِي قَيْسٍ سَارُوا فِي حُلَفَائِهِمْ مِنْ غَطَفَانَ ، فَاسْتَنْفَرُوهُمْ وَجَعَلُوا لَهُمْ تَمْرَ خَيْبَرٍ سَنَةً ، فَجَاءُوا مُعَلِّدِينَ مُوَيْدِينَ (٢) بِالْكَرَاعِ وَالسَّلَاحِ يَقْوَدُهُمْ عُتْبَةُ بْنُ بَدْرٍ ، وَدَخَلُوا مَعَهُمْ فِي حُصُونِهِمْ ، وَفِيهَا عَشْرَةُ آلَافٍ مُقَاتِلٍ ، وَهُمْ أَهْلُ الْحُصُونِ الَّتِي لَا تُرَامُ ، وَسَلَاحٌ وَطَعَامٌ كَثِيرٌ لَوْ حُصِرُوا لَسَنِينَ لِكَفَّاهُمْ ، وَمَاءٌ وَاتْنُ يَشْرَبُونَ فِي حُصُونِهِمْ ، مَا أَرَى لِأَحَدٍ بِهِمْ طَاقَةً . فَرَفَعَ عَبَّادُ بْنُ بِشْرِ السُّوْطَ . فَضْرِبَهُ ضَرْبَاتٍ وَقَالَ : مَا أَنْتَ إِلَّا عَيْنٌ لَهُمْ ، اصْدُقْنِي وَإِلَّا ضَرَبْتُ عَنْقَكَ ! فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : أَفْتَوَمْنِي عَلَى أَنْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مَا أَنْتَ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مُوَيْدِينَ » .

أصدقك؟ قال عباد : نعم . فقال الأعرابي : القوم مرعوبون منكم خائفون وجُلُون لِمَا قد صنعتم بمن كان يَشْرِب من اليهود ، وإنَّ يهود يَشْرِب بعثوا ابن عمِّي وجدوه بالمدينة ، قد قدم بسلة يبيعها ، فبعثوه إلى كِنانة بن أبي الحُقَيْق يُخبرونه ^(١) بِقِلَّتِكُمْ وَقِلَّةِ خَيْلِكُمْ وسلاحكم . [ويقولون له] : فاصدقوهم الضرب ينصرفوا عنكم ، فَإِنَّهُ لَمْ يَلْقَ قَوْمًا يُحَسِّنُونَ الْقِتَالَ ! وقُرَيْش والعرب قد سُروا بِمسيره إليكم لِمَا يعلمون من مَوَادِّكُمْ وكثرة عددكم وسلاحكم وجودة حُصُونِكُمْ ! وقد تنابعت قُرَيْش وغيرُهم ممن يَهْوَى هوى مُحَمَّد ، تقول قُرَيْش : إِنَّ خَيْبَرَ تَظْهَر ! ويقول آخرون : يَظْهَر مُحَمَّد ، فَإِنْ ظَفِرَ مُحَمَّد فهو ذُلُّ الدَّهْرِ ! قال الأعرابي : وَأَنَا أَسْمَعُ كُلَّ هَذَا ، فقال لى كِنانة : اذهب مُعْتَرِضًا للطريق فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَنْكِرُونَ مَكَانَكَ ، واحْزُرْهُمْ لَنَا ، وَاذْنُ مِنْهُمْ كَالسَّائِلِ لَهُمْ مَا تَقْوَى بِهِ ، ثُمَّ أَلْقِ إِلَيْهِمْ كَثْرَةَ عَدَدِنَا وَمَادَّتِنَا فَإِنَّهُمْ لَنْ يَدْعُوا سُؤَالَكَ ، وَعَجَّلَ الرَّجْعَةَ إِلَيْنَا بِخَبَرِهِمْ . فَأَتَى بِهِ عَبَادُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فقال عمر بن الخطَّاب : اضْرِبْ عُنُقَهُ . قال عباد : جَعَلْتُ لَهُ الْأَمَانَ . فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمْسِكْهُ مَعَكَ يَا عَبَاد ! فَأَوْثَقَ رِبَاطًا . فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ عَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي دَاعِيكَ ثَلَاثًا ، فَإِنْ لَمْ تُسَلِّمْ لَمْ يُخْرِجَ الْعَجَلُ عَنْ عُنُقِكَ إِلَّا صَعْدًا ! فَاسَلِّمِ الْأَعْرَابِيَّ ، وَخَرَجَ الدَّلِيلُ يَسِيرُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَى بِهِ ، فَيَسْلُكُ بَيْنَ خِيَاضٍ وَالسَّرِيرِ ^(٢) ، فَاتَّبَعَ صُدُورَ الْأَوْدِيَةِ حَتَّى هَبَطَ بِهِ الْخَرَصَةُ ^(٣) ، ثُمَّ نَهَضَ بِهِ حَتَّى سَلَكَ بَيْنَ الشَّقِّ

(١) فِي الْأَصْلِ : « يُخْبِرُهُ » .

(٢) السَّرِير : الْوَادِي الْأَدْنَى بِخَيْبَرَ . (وَفَاءُ الْوَفَا ، ج ٢ ، ص ٣٢٢) .

(٣) الْخَرَصَةُ : حَصْنٌ مِنْ حَصُونِ خَيْبَرَ . (السَّيْرَةُ الْحَلَبِيَّةُ ، ج ٢ ، ص ١٥٨) .

والنَّطَاة . ولما أَشْرَفَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على خَيْبَر قال لِأَصْحَابِهِ : قِفُوا ! ثم قال : قُولُوا : اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وما أَظَلَّتْ ، وَرَبَّ الْأَرْضَيْنِ السَّبْعِ وما أَقْلَدَتْ ، وَرَبَّ الرِّيحِ وما ذَرَتْ ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هذه الْقَرْيَةِ ، وَخَيْرَ أَهْلِهَا ، وَخَيْرَ ما فِيهَا ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّها وَشَرِّ ما فِيها . ثم قال : ادْخُلُوا على بركةِ اللهِ ! فسار حتى انتهى إلى المنزلة ، وَعَرَّسَ بها سَاعَةً من اللَّيْلِ ، وكان الْيَهُودُ يَقُومُونَ كُلَّ لَيْلَةٍ قَبْلَ الْفَجْرِ فَيَتَلَبَّسُونَ السِّلَاحَ وَيَصِفُّونَ الْكُتَّائِبَ ، وَهُمْ عَشْرَةُ آلَافٍ مُقَاتِلٍ . وكان كِنَانَةُ بنُ أَبِي الْحَقِّيقِ قد خَرَجَ فِي رَكْبٍ إِلَى غَطَفَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى نَصْرِهِمْ ، وَلَهُمْ نِصْفُ تَمَرِ خَيْبَرِ سَنَةٍ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَائِرٌ إِلَيْهِمْ . وكان رَجُلٌ من بَنِي فِزَارَةَ حَلِيفٌ لَهُمْ قَدِمَ بِسِلْعَةٍ إِلَى الْمَدِينَةِ فَبَاعَهَا ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : تَرَكْتُ مُحَمَّدًا يُعْبَى أَصْحَابَهُ إِلَيْكُمْ . فَبِعَثُوا [إِلَى] حَلَفَائِهِمْ مِنْ غَطَفَانَ ، فَخَرَجَ كِنَانَةُ بنُ أَبِي الْحَقِّيقِ فِي أَرْبَعَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ يَدْعُوهُمْ إِلَى نَصْرِهِمْ ، وَلَهُمْ نِصْفُ تَمَرِ خَيْبَرِ سَنَةٍ . فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَاحَتِهِمْ لَمْ يَتَحَرَّكُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَلَمْ يَصِحَّ لَهُمْ دِيكٌ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، فَأَصْبَحُوا وَأَفْشَدَتِهِمْ تَعَفُّقٌ ، وَفَتَحُوا حُصُونَهُمْ مَعَهُمُ الْمَسَاحِيُّ وَالْكَرَازِينَ وَالْمَكَاثِلَ ^(١) ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ قَالُوا : مُحَمَّدٌ وَالْحَمِيسُ ^(٢) ! قَوْلُوا هَارِبِينَ حَتَّى رَجَعُوا

(١) الْمَسَاحِيُّ : جَمْعُ مَسْحَاةٍ ، وَهِيَ الْمَجْرُوقَةُ مِنَ الْحَدِيدِ . وَالْكَرَازِينَ : جَمْعُ كَرْزَنٍ وَهُوَ الْفَأْسُ . وَالْمَكَاثِلُ : جَمْعُ مَكْتَلٍ وَهُوَ الزَّبِيلُ الْكَبِيرُ ، قِيلَ إِنَّهُ يَسَعُ خَمْسَةَ عَشَرَ صَاعًا . (النهاية ، ج ٢ ، ص ١٥٠ ؛ ج ٤ ، ص ٨ ، ١٤٤) .

(٢) الْحَمِيسُ : الْجَيْشُ . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٢٦٦) .

إلى حصونهم . وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الله أكبر !
 خربت خيبر! إننا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . ولما انتهى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المنزلة جعل مسجداً فصلى إليه من
 آخر الليل نافلة . فثارت راحلته تجر زمامها ، فأدركت توجه إلى الصخرة
 لا تريد تركب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوها فإنها مأمورة !
 حتى بركت عند الصخرة ، فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصخرة ،
 وأمر برحله فخط . وأمر الناس بالتحول إليها ، ثم ابتنى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عليها مسجداً . فهو مسجدهم اليوم . فلما أصبح جاءه الحباب
 ابن المُنذر بن الجموح فقال : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنك نزلت
 منزلك هذا ، فإن كان عن أمرٍ أمرت به فلا نتكلم فيه ، وإن كان الرأي
 تكلمنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل هو الرأي . فقال :
 يا رسول الله ، دنوت من الحصن ونزلت بين ظهري النخل والنز^(١) ، مع أن
 أهل النطاة لى بهم معرفة ، ليس قوم أبعد مدى منهم ؛ ولا أعدل منهم ،
 وهم مرتفعون علينا . وهو أسرع لانحطاط . نبلهم ، مع أنى لا آمن من بيئاتهم
 يدخلون في خمر^(٢) النخل ؛ تحول يا رسول الله إلى موضع برىء من النز ومن
 الوباء ، نجعل الحرّة بيننا وبينهم حتى لا ينالنا نبلهم . ثم قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : نقاتلهم هذا اليوم . ودعا رسول الله صلى الله عليه

(١) النز : ما يتحلب من الأرض من الماء . (الصحاح ، ص ٨٩٦) .

(٢) في الأصل : « جمر » ، ولعل ما أثبتناه أقرب الاحتمالات . والحمر بالتحريك : كل ما سترك من

شجر أو بناء أو غيره . (النهاية ، ج ١ ، ص ٣٢٠) .

وسلم محمد بن مسلمة فقال : انظر لنا منزلاً بعيداً من حصونهم بريئاً^(١) من الوباء ، نأمن فيه بياتهم . فطاف محمد حتى انتهى إلى الرجيع^(٢) ، ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليلاً فقال : وجدت لك منزلاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : على بركة الله . وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك إلى الليل يُقاتل أهل النطاة ، يُقاتلها من أسفلها . وحشدت اليهود يومئذٍ ، فقال له الحُباب : لو تحوّلت يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أمسينا إن شاء الله تحوّلنا . وجعلت نبل اليهود تُخالط عسكر المسلمين وتُجاوزه ، وجعل المسلمون يلْقِطون نبلهم ثم يردونها عليهم . فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحوّل ، وأمر الناس فتحوّلوا إلى الرجيع ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغدو بالمسلمين على راياتهم ، وكان شعارهم : يا منسور أمت ! فقال له الحُباب بن المنذر : يا رسول الله ، إن اليهود ترى النخل أحب إليهم من أبكار أولادهم ، فاقطع نخلهم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل ، ووقع المسلمون في قطعها حتى أسرعوا^(٣) في القطع ، فجاءه أبو بكر فقال : يا رسول الله ، إن الله عز وجل قد وعدكم خيبر ، وهو مُنجز ما وعدك ، فلا تقطع النخل . فأمر فنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنَهَى عن قطع النخل .

وحدثني محمد بن يحيى ، عن أبيه ، عن جده ، قال : رأيت نخلاً بخيبر في النطاة مُقطّعةً ، فكان ذلك ممّا قطع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) في الأصل : « بري » .

(٢) الرجيع : وإدقرب خيبر . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣١٥) .

(٣) في الأصل : « أسرعوا » .

وحدثني أسامة بن زيد الليثي ، عن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة قال : قطع المسلمون في النطاة أربعمائة عذق . ولم تقطع في غير النطاة .

فكان محمد بن مسلمة ينظر إلى صور^(١) من كبيس . قال : أنا قطعت هذا الصور بيدي حتى سمعت بلالاً ينادى عزمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يقطع النخل ! فأمسكنا . قال : وكان محمود بن مسلمة يقاتل مع المسلمين يومئذ . وكان يوماً صائفاً شديداً الحر . وهو أول يوم قاتل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل النطاة وبها بدأ . فلما اشتد الحر على محمود وعليه أداته كاملة جلس تحت حصن ناعم يتغى فيئه . وهو أول حصن بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يظن محمود أن فيه أحداً من المقاتلة . إنما ظن أن فيه أثاثاً ومتاعاً - وناعم يهودى . وله حصون ذوات عدد فكان هذا منها - فدلّى عليه مرحب رحى فأصاب رأسه . فهى سمت البيضة رأسه حتى سقطت جلدة جبينه على وجهه . وأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فردّ الجلدة فرجعت كما كانت ، وعصّبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوب . فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول إلى الرجيع وخاف على أصحابه البيات . فضرب عسكره هناك وبات فيه ، وكان مقامه بالرجيع سبعة أيام . يغدو كل يوم بالمسلمين على راياتهم متسلّحين ويترك العسكر بالرجيع ، ويستخلف عليه عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ويقاتل أهل النطاة يومه إلى الليل ، ثم إذا أمسى رجع إلى الرجيع . وكان قاتل أول يوم من أسفل النطاة ، ثم عاد بعد فقاتلهم من أعلاها حتى

(١) الصور : النخل الصفار أو المجتمع . والكبيس : ضرب من التمر . (القاموس المحيط ، ج ٢ ،

فتح الله عليه . وكان من جرح من المسلمين حُمِلَ إلى المعسكر فدوى ، وإن كان به انطلاق انطلق إلى معسكر النبي صلى الله عليه وسلم . وكان أول يوم قاتلوا فيه جرح من المسلمين خمسون رجلاً من نبلهم ، فكانوا يُداوون من الجراح . ويقال : إن قوماً شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وباء المنزل فأمرهم بالتحول إلى الرجيع ، وهدموا خيبر على ثمرة خضراء وهى وبئة وخيمة ، فأكلوا من تلك الثمرة ، وأحمدتهم الحمى ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : قرّسوا ^(١) الماء في الشنان ، فإذا كان بين الأذنين فاحدروا الماء عليكم حذرًا ^(٢) واذكروا اسم الله . ففعلوا فكأنما أنشطوا من عقال ^(٣) .

وكان كعب بن مالك يحدث : إن رجلاً من اليهود من أهل النطاة نادانا بعد ليلة ونحن بالرجيع : أنا آمن وأبلاغكم ؟ قلنا : نعم . قال : فابتدرناه فكنت أول من سبق إليه فقلت : من ^(٤) أنت ؟ فقال : رجل من اليهود . فادخلناه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اليهودي : يا أبا القاسم : تؤمنني وأهلي على أن أدلك على عورة من عورات اليهود ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . فدلّه على عورة اليهود . قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه تلك الساعة فحضّهم على الجهاد ، وخبرهم أن اليهود قد أسلمها حلفاؤها وهربوا ، وأنها قد تجادلت واختلفوا بينهم . قال

(١) في الأصل : « قرصوا » . و قرس : صب . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٢٤٢) .

(٢) الحذر : الحط من علو إلى أسفل . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٥) .

(٣) في الأصل : « نشطوا من العقل » . وما أثبتناه أفصح كما ذكر ابن الأثير . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٤٥) .

(٤) في الأصل : « ما » .

كعب : فغدونا عليهم فظفرنا الله بهم . فلم يكن في النطاة شئٌ غير الذرية فلما انتهينا إلى الشَّقِّ وجدنا فيه ذرية . فدفع رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى اليهودي زوجته وكانت في الشَّقِّ . فدفعها إليه فرأيتها أخذ بيد امرأةٍ حسناء .

قالوا : وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يُناوب بين أصحابه في حراسة الليل في مقامه بالرجيع سبعة أيام . فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل عذرَ بن الخطاب على العسكر ، فطاف عمر بأصحابه حول العسكر وفرَّقهم أو فرَّق منهم . فأثنى برجلٍ من اليهود في جوف الليل فأمر به عمر أن يُضرب عنقه . فقال اليهودي : اذهب بي إلى نبيكم حتى أُكلمه ، فأمسكه عمر وانتهى به إلى باب رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فرجده يُصلي . فسمع رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم كلامَ عمر فسَلَّم وأدخله عليه . ودخل عمر باليهودي . فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم لليهودي : ما وراءك ومن أنت ^(١) ؟ فقال اليهودي : تُؤهني يا أبا القاسم وأصدقك ؟ فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : نعم . فقال اليهودي : خرجتُ من حصن النطاة من عند قوم ليس لهم نظام . تركتهم يتسلَّلون من الحصن في هذه الليلة . قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : فأين يذهبون ؟ قال : إلى أذلِّ ممَّا كانوا فيه ، إلى الشَّقِّ ، وقد رعبوا منك حتى إنَّ أفئدتهم لتخفق . وهذا حصن اليهود فيه السلاح والطعام والودك ، وفيه آلةُ حصونهم التي كانوا يقاتلون بها بعضهم بعضاً ، قد غيَّبوا ذلك في بيتٍ من حصونهم تحت الأرض . قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم :

(١) في الأصل : « وما أنت » .

وما هو ؟ قال : منجنيق مُفَكَّكَةٌ ودبَّابَتان وسلاح مِن دروع وَبَيْضٌ وسيوف ، فإذا دخلت الحصن غداً وَأَنْتَ تدخله . قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : إن شاء الله . قال اليهوديُّ : إن شاء الله أُوقِفُكَ عليه ، فَإِنَّهُ لا يعرفه أَحَدٌ من اليهود غيري . وأُخْرَى ! قيل : ما هي ؟ قال : تستخرجه ، ثم أَنْصِبَ المنجنيق على حصن الشَّقِّ ، وتدخل الرجال تحت الدبَّابَتين فيحضرون الحصن فتفتحه مِن يومك ، وكذلك تفعل بحصن الكَتِيبَةِ . فقال عمر : يا رسول الله ، إني أَحْسَبُهُ قد صَدَقَ . قال اليهوديُّ : يا أبا القاسم ، احقِنْ دمي . قال : أَنْتَ آمِنٌ . قال : ولي زوجة في حِصْنِ النَّزَارِ فَهَبْهَا لي . قال : هي لك . قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : ما لليهود حَوْلُوا ذُرَارِيَهُمْ مِنَ النَّطَاةِ ؟ قال : جَرَدُوهَا لِلْمُقَاتِلَةِ . وَحَوْلُوا الذَّرَارِيَّ إِلَى الشَّقِّ والكَتِيبَةِ .

قالوا : ثم دعاه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى الإسلام ، فقال : أَنْظِرْنِي أَيَّامًا ، فلما أَصْبَحَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم غداً بالمسلمين إلى النَّطَاةِ . ففتح الله الحصن ، واستخرج ما كان قال اليهوديُّ فيه ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسلَّم بالمنجنيق أَنْ تُصْلَحَ وتُنْصَبَ على الشَّقِّ على حصن النَّزَارِ . فهَيَّئُوا ، فما رموا عليها بحجرٍ حتى فتح الله عليهم حصن النَّزَارِ . وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم حين انتهى إليه حَصَبُ الحصن فساخ في الأرض حتى أَخَذَ أَهْلَهُ أَخْذًا ، وَأُخْرِجَتْ زَوْجَتُهُ ، يقال لها نُفَيْلَةُ ، فدَفَعَهَا إِلَيْهِ . فلما فتح رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم الوَطِيعَ وَسَلَالِمَ أَسْلَمَ اليهوديُّ ، ثم خرج من خَيْبَرٍ فلم يُسْمَعْ له بذكر ، وكان اسمه سِمَاك . وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم حين انتهى إلى حصن نَاعِمٍ في النَّطَاةِ وَصَفَّ أَصْحَابَهُ نَهَى عن

القتال حتى يأذن لهم ، فعمد رجلٌ من أشجع فحمل على يهودى ، وحمل عليه مَرَحِبَ فقتله . فقال الناس : يا رسول الله ، استشهد فلان ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبعد ما نهيتُ عن القتال ؟ فقالوا : نعم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنادياً فنَادَى : لا تَحِلُّ الجَنَّةُ لعاصٍ . ثم أذن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في القتال وحثَّ عليه ، ووطن المسلمون أنفسهم على القتال . وكان يسار الحبشي - عبدُ أسود^(١) لعامر اليهودي - في غنم مولاه ، فلما رأى أهلَ خَيْبَرَ يتحصنون ويقاتلون سألهم ، فقالوا : نقاتل هذا الذي يزعم أنه نبي . قال : فوقعت تلك الكلمة في نفسه ، فأقبل بغنمه يسوقها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، ما تقول ؟ ما تدعو إليه ؟ قال : أدعو إلى الإسلام ، فاشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله . قال : فما لي ؟ قال : الجنة إن ثبتَّ على ذلك . قال : فأسلم . وقال : إن غنمي هذه وديعة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أخرجها من العسكر ثم صبح بها وارمها بحصيات ، فإن الله عز وجل سيؤدِّي عنك أمانتك . ففعل العبد فخرجت الغنم إلى سيدها ، وعلم اليهودي أن عبده قد أسلم . ووعظ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس وفرق بينهم الرايات ، وكانت ثلاث رايات ، ولم تكن راية قبل يوم خيبر . إنما كانت الألوية ، وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم السوداء من بُرْدٍ لعائشة ، تدعى العقاب ، ولواؤه أبيض ، ودفع رايةً إلى عليٍّ عليه السلام ، ورايةً إلى الحُباب بن المُنْذِر ، ورايةً إلى سعد بن عُبادة ، فخرج عليٌّ عليه السلام بالراية وتبعه العبد الأسود فقاتل حتى قُتِل ، فاحتُمِل فأدخل خيباءً من أخبية العسكر ، فاطلع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليه

(١) في الأصل : « عبدُ أسوداً » .

وسلّم في الخباء فقال : لقد كرم الله هذا العبد الأسود وساقه إلى خيبر ، وكان الإسلام من نفسه حقاً . قد رأيتُ عند رأسه زوجتين من الحُور العين .

قالوا : وكان رجلٌ من بني مُرة يقال له أبو شَيْمٍ يقول : أنا في الجيش الذين كانوا مع عُيَيْنَةَ من غَطَفَان ؛ أَقْبَلَ مَدَدَ الْيَهُودِ . فنزلنا بَخَيْبَر ولم ندخل حصناً . فأرسل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلى عُيَيْنَةَ بنِ حِصْن وهو رأس غَطَفَان وقائدهم أَنْ ارجعْ بمن معك ولك نِصْفُ تَمَرِ خَيْبَر هذه السنة . إِنَّ الله قد وَعَدَنِي خَيْبَر . فقال عُيَيْنَةُ : لستُ بمُسلمٍ حُلَفَاؤُ وَجِيرَانِي . فأقمنا فبينما نحن على ذلك مع عُيَيْنَةَ إِذْ سَمِعْنَا صَائِحًا ، لا ندرى من السماء أَوْ من الأرض : أَهْلَكُمْ ، أَهْلَكُمْ بِحِفَاءٍ^(١) - صِيحَ ثَلَاثَةٌ - فَإِنْكُمْ قَدْ خُولِفْتُمْ إِلَيْهِمْ ! ويقال : إِنَّهُ لَمَّا سَارَ كِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ فِيهِمْ حَلَفُوا مَعَهُ . وَارْتَأَسَهُمْ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ وَهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ . فدخلوا مع اليهود في حصون النُّطَاة قبل قدوم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بثلاثة أَيَّامٍ . فلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُمْ فِي الْحِصْنِ ، فَلَمَّا انْتَهَى سَعْدُ إِلَى الْحِصْنِ نَادَاهُمْ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكَلِّمَ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ . فَأَرَادَ عُيَيْنَةُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْحِصْنَ فَقَالَ مَرْحَبٌ : لَا تُدْخِلْهُ فَيَرَى خَلَلَ حِصْنِنَا وَيَعْرِفَ نَوَاحِيهِ الَّتِي يُؤْتَى مِنْهَا ، وَلَكِنْ تَخْرُجْ إِلَيْهِ . فَقَالَ عُيَيْنَةُ : لَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ يَدْخُلَ فَيَرَى حِصَانَتَهُ وَيَرَى عَدَدًا كَثِيرًا . فَأَبَى رَحَبَ أَنْ يُدْخِلَهُ ، فَخَرَجَ عُيَيْنَةُ إِلَى بَابِ الْحِصْنِ . فَقَالَ سَعْدُ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ يَقُولُ : إِنَّ الله قد وَعَدَنِي خَيْبَرَ فَارْجِعُوا وَكُفُّوا . فَإِنْ ظَهَرْنَا عَلَيْهَا فَلَكُمْ تَمَرُ خَيْبَرِ سَنَةٍ . فَقَالَ عُيَيْنَةُ : إِنَّا وَاللَّهِ مَا كُنَّا لَنُؤَسِّلَ حُلَفَاءَنَا لَشَيْءٍ ، وَإِنَّا لَنَعْلَمُ مَا لَكَ

(١) ويقال . حِفَاءً ، كما ذكر السهوي ، وهو موضع قرب المدينة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٩٢) .

ولن معك بما ها هنا طاقة ، هؤلاء قوم أهل حصون منيعة ، ورجال عددهم كثير . وسلاح . إن أقمت هلكت ومن معك ، وإن أردت القتال عجلوا عليك بالرجال والسلاح . ولا والله ، ما هؤلاء كقريش ، قوم ساروا إليك ، إن أصابوا غرة منك فذاك الذي أرادوا وإلا انصرفوا ، هؤلاء يماكرونك الحرب ويطاولونك حتى تمكثهم . فقال سعد بن عبادة : أشهد ليحضرنك في حصنك هذا حتى تطلب الذي كنّا عرضنا عليك . فلا نعطيك إلا السيف . وقد رأيت يا عيينة من قد حللنا بساحته من يهودي شر ، كيف مرقوا كل مرق ! فرجع سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قال . وقال سعد : يا رسول الله ، إن الله منجز لك ما وعدك ومظهر دينه ، فلا تعط . هذا لأعرابي تمرّ واحدة . يا رسول الله ، لئن أخذته السيف لئسلمنهم وليهربن إلى بلاده كما فعل ذلك قبل اليوم في الخندق . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يوجهوا إلى حصنهم الذي فيه غطفان . وذلك عشية وهم في حصن ناعم ، فنادى مُنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أصبحوا على راياتكم عند حصن ناعم الذي فيه غطفان . قال : فرعبوا من ذلك يومهم وليلتهم ، فلمّا كان بعد هذه من تلك الليلة سمعوا صائحاً يصيح ، لا يدرون من السماء أو من الأرض : يا معشر غطفان ، أهلكم أهلكم ! الغوث ، الغوث بحيفاء - صيح ثلاثة - لا تربة ولا مال ! قال : فخرجت غطفان على الصعب والدلول ، وكان أمراً صنع الله عز وجل لنبيه . فلمّا أصبحوا أخبر كنانة بن أبي الحقيق وهو في الكتيبة بانصرافهم ، فسقط في يديه^(١) ، ودلّ وأيقن بالهلكة وقال : كنّا من هؤلاء الأعراب في باطل ، إنّا سرنا فيهم فوعدونا النصر وغرّونا ، ولعمري لولا ما وعدونا من نصرهم ما نابذنا محمداً بالحرب ،

(١) في الأصل : « في أيديه » .

ولم نحفظ. كلام سَلام بن أبي الحُقَيْق إِذ قال : لا تستنصروا بهؤلاء الأعراب أبداً فإننا قد بلوناهم. وجلبهم لنصر بني قُرَيْظَةَ ثم غرّوهم . فلم نَرَ عندهم وفاءً لنا ، وقد سار فيهم حُيَيّ بن أَخْطَب وجعلوا يطلبون الصلح من محمّد ، ثم زحف محمّد إلى بني قُرَيْظَةَ وانكشفت غُطَفَان راجعةً إلى أهلها .

قالوا : فلمّا انتهى الغُطَفَانِيّون إلى أهلهم بحيفاء وجدوا أهلهم على حالهم فقالوا : هل راعكم شيء ؟ قالوا : لا والله . فقالوا : لقد ظننا أنكم قد غَنِمْتُمْ ، فما نَرَى معكم غنيمَةً ولا خَيْرًا ! فقال عُيَيْنَةُ لأصحابه : هذا والله من مكائد محمّد وأصحابه ، خَدَعَنَا والله ! فقال له الحارث بن عَوْف : بأى شيء ؟ قال عُيَيْنَةُ : إِنَّا فِي حِصْنِ النَّطَاةِ بَعْدَ هَذِهِ^(١) إِذْ سَمِعْنَا صَائِحًا يَصِيحُ ، لَا نَدْرِي مِنَ السَّمَاءِ أَوْ مِنَ الْأَرْضِ : أَهْلَكُمْ أَهْلَكُمْ بِحِيفَاءٍ - صِيحَ ثَلَاثَةً - فَلَا تُرْبَةَ وَلَا مَالَ ! قال الحارث بن عَوْف : يَا عُيَيْنَةُ ، وَاللَّهِ لَقَدْ غَبَرْتُ^(٢) إِنْ انْتَفَعْتُ . وَاللَّهِ إِنَّ الَّذِي سَمِعْتُ لَمِنَ السَّمَاءِ ! وَاللَّهِ لَيُظْهِرَنَّ مُحَمَّدٌ عَلَيَّ مَنَ نَاوَاهُ ، حَتَّى لَوْ نَاوَأَتَهُ الْجِبَالُ لَأَدْرَكَ مِنْهَا مَا أَرَادَ . فَأَقَامَ عُيَيْنَةُ أَيَّامًا فِي أَهْلِهِ ثُمَّ دَعَا أَصْحَابَهُ الْمَخْرُوجَ إِلَى نَصْرِ الْيَهُودِ ، فَجَاءَهُ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ فَقَالَ : يَا عُيَيْنَةُ أَطْغَى وَأَقَمْتُ فِي مَنْزِلِكَ وَدَعْتُ نَصَرَ الْيَهُودِ ، مَعَ أَنِّي لَا أَرَاكَ تَرْجِعُ إِلَى خَيْبَرَ إِلَّا وَقَدْ فَتَحَهَا مُحَمَّدٌ وَلَا آمَنُ عَلَيْكَ . فَأَبَى عُيَيْنَةُ أَنْ يَقْبَلَ قَوْلَهُ وَقَالَ : لَا أَسْلَمُ حُلَفَائِي لشيءٍ . وَلَمَّا وَلَّى عُيَيْنَةُ إِلَى أَهْلِهِ هَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْحَصُونِ حِصْنًا حِصْنًا ، فَلَقَدْ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حِصْنٍ نَاعِمٍ وَمَعَهُ الْمُسْلِمُونَ ، وَحَصُونِ نَاعِمٍ عِدَّةٍ ، فَرَمَتْ الْيَهُودُ يَوْمَئِذٍ بِالنَّبْلِ ، وَتَرَسَّ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَسُولِ

(١) في الأصل : « بعد هذه » ، والتصحيح هو ما يقتضيه السياق . والهداة : أول الليل إلى ثلثة .

(القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٣٣) .

(٢) أى بقيت . (الصحاح ، ص ٧٦٥) .

الله [، وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ دِرْعَانٌ وَمَغْفَرٌ وَبَيْضَةٌ ، وهو على فرس يقال له الظَّرْبُ (١) ، في يده قَنَاةٌ وَتُرْسٌ ، وأصحابه مُحَدِّقُونَ به ، وقد كان دفع لواءه إلى رجلٍ من أصحابه من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً ، ثم دفعه إلى آخر فرجع ولم يصنع شيئاً ، ودفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لواءَ الأنصار إلى رجلٍ منهم . فخرج ورجع ولم يعمل شيئاً ، فحثَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ، وسالت كتائبُ اليهود ، أمامهم الحارثُ أبو زَيْنَبٍ يقدمُ اليهود يَهْدُ الْأَرْضَ هَدًّا ، فأقبل صاحبُ رايةِ الأنصار فلم يزل يسوقهم حتى انتهوا إلى الحصن فدخلوه ، وخرج أسير اليهودي يقدمُ أصحابه معه عاديته (٢) . وكشف رايةَ أصحابِ الأنصار حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في موقفه ، ووجد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في نفسه حِدَّةً شديدةً ، وقد ذكر لهم الذي وعدهم الله ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم مهموماً ، وقد كان سعدُ بنُ عُبَادَةَ رَجَعَ مجروحاً وجعل يستبطنُ أصحابه ، وجعل صاحبُ رايةِ المهاجرين يستبطنُ أصحابه ويقول : أنتم ، وأنتم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن اليهود جاءهم الشيطان فقال لهم : إنَّ مُحَمَّدًا يقاتلكم على أموالكم ! نادوهم : قولوا لا إله إلا الله ، ثم قد أحرزتم بذلك أموالكم ودماءكم ، وحسابُكم على الله . فنادوهم بذلك فنادت اليهود : إنا لا نفعل ولا نترك عهدَ موسى والتوراةَ بيننا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأُعطينَ الرايةَ غداً رجلاً يُحِبُّهُ اللهُ ورسوله ، يفتحُ الله على يديه ، ليس بفرارٍ ، أبشِرُ يا مُحَمَّدُ بنَ مَسْلَمَةَ غداً ، إن شاء الله يُقتلُ قاتلُ أخيك وتولى عادية اليهود .

(١) في الأصل : « الطرف » .

(٢) عاديته : أى الذين يعلون على أرجلهم . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٧٤) .

فلَمَّا أَصْبَحَ أَرْسَلَ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ أَرْمَدٌ . فَقَالَ :
مَا أَبْصِرُ سَهْلًا وَلَا جَبَلًا . قَالَ : فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ : افْتَحْ عَيْنَيْكَ . فَفَتَحَهُمَا
فَتَفَلَّ فِيهِمَا . قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَمَا رَمَدْتُ حَتَّى السَّاعَةِ . ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ
اللَّوَاءَ ، وَدَعَا لَهُ وَهَنَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالنَّصْرِ . فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ إِلَيْهِمُ
الْحَارِثُ أَخُو مَرْحَبٍ فِي عَادِيَّتِهِ . فَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ وَثَبَتَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَاضْطَرَبَا ضَرْبَاتٍ فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَرَجَعَ أَصْحَابُ الْحَارِثِ إِلَى
الْحِصْنِ فَدَخَلُوهُ وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ . فَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَوَاضِعِهِمْ . وَخَرَجَ مَرْحَبٌ
وَهُوَ يَقُولُ :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَنْتَى مَرْحَبُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطْلُ مُجَرَّبُ
أَضْرِبُ أَحْيَانًا وَحِينًا أَضْرِبُ

فَحَمَلَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَطَّرَهُ^(١) عَلَى الْبَابِ وَفَتَحَ الْبَابَ ، وَكَانَ
لِلْحِصْنِ بِلَابَانِ .

وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ رَبَاحٍ ، عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ
قَالُوا : قَتَلَ أَبُو دُجَانَةَ الْحَارِثُ أَبَا زَيْنَبٍ ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُعَلِّمًا بِعِمَامَةِ حُمْرَاءَ ،
وَالْحَارِثُ مُعَلِّمٌ فَوْقَ مَغْفَرِهِ ، وَيَاسِرٌ وَأَسِيرٌ وَعَامِرٌ مُعَلِّمِينَ .

وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو ، قَالَ : نَزَلْتُ بِأَرِيحَا
زَمَنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَإِذَا حَيٌّ مِنَ الْيَهُودِ ، وَإِذَا رَجُلٌ يَهْدِجُ مِنَ الْكِبَرِ .
فَقَالَ : مِمَّنْ أَنْتُمْ ؟ فَقُلْنَا : مِنَ الْحِجَازِ . فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : وَاشْوَاقَاهُ إِلَى
الْحِجَازِ ! أَنَا ابْنُ الْحَارِثِ الْيَهُودِيُّ فَارِسُ خِيَابِرٍ ، قَتَلْتَهُ يَوْمَ خَيْبَرِ رَجُلٌ
مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو دُجَانَةَ يَوْمَ نَزَلَ مُحَمَّدٌ خَيْبَرَ ، وَكُنَّا مِمَّنْ
أَجَلَى عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ . فَقُلْتُ : أَلَا تُسَلِّمُ ؟ قَالَ : أَمَا إِنَّهُ خَيْرٌ لِي

(١) قطره : أى ألقاه على أحد قطريه ، وهما جانباه . (الصحاح ، ص ٧٩٦) .

لو فَعَلْتُ ، وَاكُنْ أَعْيَرٌ ، تُعَيِّرُنِي الْيَهُودُ ، تَقُولُ : أَبُوكَ ابْنُ سَيِّدِ الْيَهُودِ لَمْ يَتْرَكِ الْيَهُودِيَّةَ ، قُتِلَ عَلَيْهَا أَبُوكَ وَتُخَالِفُهُ ؟

وَقَالَ أَبُو رَافِعٍ : كُنَّا مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ بَعَثَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّايَةِ . فَلَقِيَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا عَلَى بَابِ الْحَصَنِ . فَضْرَبَ عَلَيْهِ وَأَتَقَاهُ بِالْتُّرْسِ عَلِيٌّ . فَتَنَاوَلَ عَلِيٌّ أَبَاكَ كَانَ عِنْدَ الْحَصَنِ فَتَرَسَّ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ فِي يَدِهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحَصَنَ . وَبَعَثَ رَجُلًا يُبَشِّرُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَتْحِ الْحَصَنِ ؛ حَصَنَ مَرْحَبٍ وَدَخَلَهُمُ الْحَصَنَ . وَيُقَالُ : إِنَّ مَرْحَبَ بَرَزَ وَهُوَ كَالْفَحْلِ الصَّوُولِ يَرْتَجِزُ وَهُوَ يَقُولُ :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَنْيَ مَرْحَبُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطَلُ مُجَرَّبُ
أَضْرَبُ أَحْيَانًا وَحِينًا أَضْرَبُ

يَدْعُو لِلْبِرَازِ . فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا وَاللَّهِ الْمُتَوَرُّ الثَّائِرُ ، قُتِلَ أَخِي بِالْأَمْسِ فَائِذْنِي لِي فِي قِتَالِ مَرْحَبٍ وَهُوَ قَاتِلُ أَخِي . فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَبَارَزَتِهِ ، وَدَعَا لَهُ بِدَعَوَاتٍ ، وَأَعْطَاهُ سَيْفَهُ ، فَخَرَجَ مُحَمَّدُ فَصَاحَ : يَا مَرْحَبُ ، هَلْ لَكَ فِي الْبِرَازِ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . فَبَرَزَ إِلَيْهِ مَرْحَبٌ وَهُوَ يَرْتَجِزُ :

* قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَنْيَ مَرْحَبُ *

وَخَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَهُوَ يَقُولُ :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَنْيَ مَا ضِ حُلُوْ إِذَا شِئْتُ وَسَمُّ قَاضِ

وَيُقَالُ : إِنَّهُ جَعَلَ يَوْمَئِذٍ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ :

يَا نَفْسُ إِلَّا تُقَتِّلِي تَمَوِّي لَا صَبَرَ لِي بَعْدَ أَبِي النَّبِيِّ

وَكَانَ أَخُوهُ مَحْمُودٌ يُكْنَى بِأَبِي النَّبِيِّ . قَالَ : وَبَرَزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

إِلَى صَاحِبِهِ . قَالَ : فَحَالَ بَيْنَهُمَا عَشْرَاتُ^(١) أَصْلُهَا كِمِثْلُ أَصْلِ الْفَحْلِ مِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « عَشْرَاتُ » . وَالْعَشْرَاتُ : جَمْعُ عَشْرٍ ، وَهُوَ شَجَرُهُ صُغْفَرٌ . (الصَّحَاحُ ، ص ٧٤٧)

النخل وأفناناً مُنكَرَةً ، فكلّما ضرب أحدهما صاحبه استترَ بالعُشر حتى قَطَعَا كُلَّ سَاقٍ لَهَا ، وبقي أَصلُهَا قائماً^(١) ، كأنه الرَّجُلُ القَائِم . وَأَفْضَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ ، وَبَدَرَ مَرْحَبٌ مُحَمَّدًا ، فِيرْفَعُ السَّيْفَ لِيُضْرِبَهُ ، فَاتَّقَاهُ مُحَمَّدٌ بِالدَّرَقَةِ فَلَحِيجَ^(٢) سَيْفُهُ ، وَعَلَى مَرْحَبٍ دِرْعٌ مُشْمَرَةٌ ، فَيُضْرِبُ مُحَمَّدٌ سَاقِيَّ مَرْحَبٍ فَقَطَعَهُمَا . وَيَقَالُ : لَمَّا اتَّقَى مُحَمَّدٌ بِالدَّرَقَةِ وَشَمَرَتِ الدَّرْعُ عَنْهُ سَاقِيَّ مَرْحَبٍ حِينَ رَفَعَ يَدَيْهِ بِالسَّيْفِ ، فَطَاطَ مُحَمَّدٌ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَ رِجْلَيْهِ وَوَقَعَ مَرْحَبٌ ، فَقَالَ مَرْحَبٌ : أَجْهَزُ يَا مُحَمَّدُ ! قَالَ مُحَمَّدٌ : ذُقْ الْمَوْتَ كَمَا ذَاقَهُ أَخِي مُحَمَّدُ ! وَجَاوَزَهُ وَمَرَّ بِهِ عَلَى فَضْرِبِ عُنُقِهِ وَأَخَذَ سَلْبَهُ ، فَاخْتَصَمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَلْبِهِ ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ مَا قَطَعْتُ رِجْلَيْهِ ثُمَّ تَرَكْتُهُ إِلَّا لِيَذُوقَ مُرَّ السَّلَاحِ وَشِدَّةَ الْمَوْتِ كَمَا ذَاقَ أَخِي ؛ مَكَثَ ثَلَاثًا يَمُوتُ ، وَمَا مَنَعْنِي مِنَ الإِجْهَازِ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، قَدْ كُنْتُ قَادِرًا بَعْدَ أَنْ قَطَعْتُ رِجْلَيْهِ أَنْ أُجْهَزَ عَلَيْهِ . فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : صَدَقَ ، ضَرَبْتُ عُنُقَهُ بَعْدَ أَنْ قَطَعَ رِجْلَيْهِ . فَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ سَيْفَهُ وَدِرْعَهُ وَمِغْفَرَهُ وَبَيَّضَتَهُ ، فَكَانَ عِنْدَ آلِ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ سَيْفُهُ فِيهِ كِتَابٌ لَا يُدْرَى مَا هُوَ حَتَّى قَرَأَهُ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ تَيْمَاءَ فَإِذَا فِيهِ :

هَذَا سَيْفُ مَرْحَبٍ مَن يَذُقُهُ يَعْطَبُ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَابِرٍ ، وَحَدَّثَنِي زَكَرِيَّا بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ ، وَمُجَمِّعٍ

(١) فِي الْأَصْلِ : « قَائِم » .

(٢) لَحَجَ السَّيْفُ : أَيْ نَشَبَ فِي الْغَدَا فَلَا يُخْرَجُ . (الصَّحَاحُ ، ص ٣٣٨) .

ابن يعقوب ، عن أبيه ، عن مُجَمِّع بن حارثة ، قالوا جميعاً : مُحَمَّد بن مسلمة قَتَلَ مَرْحَبًا .

قالوا : وبرز أُسَيْر ، وكان رجلاً أَيْدًا ، وكان إلى القِصَر ، فجعل يصيح ؛ مَنْ يَبَارِز ؟ فبرز له مُحَمَّد بن مَسْلَمَة فاختلفا ضربات ، ثم قَتَلَهُ مُحَمَّد ابن مَسْلَمَة . ثم برز ياسر وكان مِنْ أَشَدَّائِهِمْ ، وكانت معه حربَة يُحَوِّشُ^(١) بها المسلمين حَوْشًا ، فبرز له عَلَى عليه السلام فقال الزُّبَيْر : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ أَلَّا خَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ . ففعل عَلَى وأقبل ياسر بحريته يسوق بها الناس ، فبرز له الزُّبَيْر ، فقالت صَفِيَّة : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاحْزَنِي ! ابْنِي يُقَتِّلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فقال : بَلْ ابْنُكَ يَقْتُلُهُ . قال : فاقْتَنَلَا فقتلَهُ الزُّبَيْر ، فقال له رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فذاك عَمٌّ وَخَالٌ ! وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَحَوَارِيُّ الزُّبَيْرِ وَابْنُ عَمَّتِي . فلما قُتِلَ مَرْحَبٌ وَيَاسِرٌ قال رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبْشِرُوا ، قَدْ تَرَحَّبْتُ خَيْرَ تَيْسَرَتٍ ! وَبَرَزَ عَامِرٌ وكان رجلاً طويلاً جسيماً ، فقال رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين طلع عامر : أَتَرُونَهُ خَمْسَةَ أَذْرُعٍ ؟ وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الْبِرَازِ ، يَخْطُرُ بِسَيْفِهِ وَعَلَيْهِ دِرْعَانٌ ، تُنْتَعِقُ فِي الْحَلِيدِ يَصِيحُ : مَنْ يَبَارِزُ ؟ فَأَحْجَمَ النَّاسُ عَنْهُ ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَضْرِبَهُ ضَرْبَاتٍ ، كُلُّ ذَلِكَ لَا يَصْنَعُ شَيْئًا ، حَتَّى ضَرَبَ سَاقَيْهِ فَبَرَكَ ، ثُمَّ ذَفَفَ^(٢) عَلَيْهِ فَأَخَذَ سِلَاحَهُ .

فلَمَّا قُتِلَ الْحَارِثُ ، وَمَرْحَبٌ ، وَأُسَيْرٌ ، وَيَاسِرٌ ، وَعَامِرٌ ، مَعَ نَاسٍ مِنَ الْيَهُودِ كَثِيرٍ

(١) أَيْ يَسُوقُهُمْ . (الصَّحَاحُ ، ص ١٠٠٣) .

(٢) تَذْفِيفُ الْجَرِيحِ : الْإِجْهَازُ عَلَيْهِ . (الْنَهَابَةُ ، ج ٢ ، ص ٤٦٠) .

— ولكن إنما سُمِّيَ هَوْلَاءِ المذكورون لأنهم كانوا أهل شجاعة ، وكان هَوْلَاءِ في حصن ناعم جميعاً . ولما رُمي محمود بن مَسْلَمَةَ وبن حصن ناعم حُيِّل إلى الرَّجِيع فمكث ثلاثة أَيَّام يموت ، وكان الذي دَلَّى عليه الرِّحَا مَرَحَب ، فجعل محمود يقول لِأَخِيهِ : يَا أَخِي ، بَنَاتُ أَخِيكَ لَا يَتَبَعْنَ الْأَفْيَاءَ^(١) ؛ يَسْأَلْنَ النَّاسَ . فيقول مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ : لو لم تَتْرِكْ مَا لَكَ الْكَانَ لِي مَا . ومحمود كان أَكْثَرَهُمَا مَالاً — ولم ينزل يومئذِ فرائضُ البنات — فلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدٌ وَهُوَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ ، وَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ مَرَحَب ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ رَجُلٌ يُبَشِّرُ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْزَلَ فَرَاثُضَ الْبَنَاتِ ، وَأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ قَدْ قَتَلَ قَاتِلَهُ ؟ فَخَرَجَ جُعَالُ بْنُ سُرَاقَةَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ فَسُرَّ بِذَلِكَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَرِّى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَامَ مِنْهُ . قَالَ : فَأَقْرَأْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ مُحَمَّدٌ : لَا أَرَاهُ يَذْكُرْنِي ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبِيتُ فِي مَوْضِعِهِ بِالرَّجِيعِ فَمَاتَ خَلَاْفَهُ ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَقَدْ جَرَحَ عَامِرُ بْنُ الْأَكْوَاعِ نَفْسَهُ ، حُمِلَ إِلَى الرَّجِيعِ فَمَاتَ ، فَقُبِرَ عَامِرُ بْنُ الْأَكْوَاعِ مَعَهُ فِي غَارٍ . فَقَالَ مُحَمَّدٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْطَعْ لِي عِنْدَ قَبْرِ أَخِي . قَالَ : لَكَ حُضْرُ^(٢) الْفَرَسِ فَإِنْ عَمِلْتَ فَلَكَ حُضْرُ فَرَسَيْنِ .

وكان حصن الصَّعْبِ بْنِ مُعَاذٍ فِي النَّطَاةِ ، وَكَانَ حِصْنُ الْيَهُودِ فِيهِ الطَّعَامُ وَالْوَدَّكَ وَالْمَاشِيَةُ وَالْمَتَاعُ ، وَكَانَ فِيهِ خَمْسُمِائَةِ مُقَاتِلٍ ، وَكَانَ النَّاسُ قَدْ أَقَامُوا أَيَّامًا يَقَاتِلُونَ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا الْعَلْفُ^(٣) . قَالَ مُعْتَبُ الْأَسْلَمِيِّ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « لَا فَيَا » ، وَلَعَلَّ مَا أَتَيْنَاهُ أَقْرَبُ إِلَى السِّيَاقِ . وَالْأَفْيَاءُ : جَمْعُ فَيْءٍ .

(٢) حُضْرُ الْفَرَسِ : عِلْدُهُ . (الْهَيْئَةُ ، ج ١ ، ص ٢٣٤) . أَيْ لَكَ بِأَرْضِ خَيْبَرَ هَذَا الْقَدَرُ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « الْغُلَى » .

أصابنا معشر أسلم خصاصة حين قدمنا خيبر ، وأقمنا عشرة أيام على حصن النطا لا نفتح شيئاً فيه طعام ، فأجمعت أسلم أن يرسلوا أسماء بن حارثة فقالوا : آيت محمد رسول الله فقل : إن أسلم يقرئك السلام ويقولون إننا قد جهدنا من الجوع والضعف . فقال بريدة بن الحصيب : والله إن رأيت كالיום قط . أمراً^(١) بين العرب يصنعون [فيه] هذا ! فقال هند بن حارثة : والله إننا لنرجو أن تكون البعثة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الخير . فجاءه أسماء بن حارثة فقال : يا رسول الله ، إن أسلم تقول : إننا قد جهدنا من الجوع والضعف فادع الله لنا . فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والله ما بيدي ما أقريهم^(٢) . ثم صاح بالناس فقال : اللهم افتح عليهم أعظم حصن فيه ، أكثره طعاماً وأكثره ودكاً . ودفعوا اللواء إلى الحباب بن المنذر بن الجموح ، وندب الناس ، فما رجعنا حتى فتح الله علينا الحصن - حصن الصعب بن معاذ . فقالت أم مطاع الأسلمية ، وكانت قد شهدت خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في نساء ، قالت : لقد رايت أسلم حين شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شكوا من شدة الحال ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فنهضوا ، فرأيت أسلم أول من انتهى إلى حصن الصعب بن معاذ ، وإن عليه لخمسائة مقاتل ، فما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فتحه الله ، وكان عليه قتال شديد . برز رجل من اليهود يقال له يوشع يدعو إلى البراز ، فبرز إليه الحباب بن المنذر فاختلفا ضربات فقتله الحباب . وبرز آخر يقال له الزيال ، فبرز له عمار بن عقبة الغفاري فبدره الغفاري فيضربه ضربة على هامته ، وهو يقول : خذها وأنا الغلام الغفاري ! فقال الناس : بطل جهاده . فبلغ رسول الله

(١) في الأصل : « أمر » .

(٢) في الأصل : « أقويهم » .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : مَا بَأْسُ بِهِ ، يُؤْجَرُ^(١) وَيُحَمَدُ .

وكان أبو اليسر يحدث أنهم حاصروا حصن الصَّعب بن مُعاذ ثلاثة أيام ، وكان حصنًا مَنيعًا ، وأقبلت غَنَمٌ لرجلٍ من اليهود ترتع وراء حصنهم ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : مَنْ رجلٌ يُطعمنا مِنْ هذه الغَنَمِ ؟ فقلتُ : أنا يا رسول الله ، فخرجتُ . أسعى مثل الظَّبْيِ ، فلمَّا نظر إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم مُولِّيًا قال : اللَّهُمَّ مَتَّعْنَا بِهِ ! فَأَدْرَكْتُ الغَنَمَ وقد دخل أولُها الحصن ، فَأَخَذْتُ شَاتَيْنِ مِنْ آخِرِهَا فَاحْتَضَنْتُهُمَا تَحْتَ يَدِي ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ أَعْدُو كَأَن لَيْسَ مَعِيَ شَيْءٌ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذُبَحَتَا ثُمَّ قَسَمَهُمَا ، فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعَسْكَرِ الَّذِينَ هُمْ مَعَهُ مُحَاصِرِينَ الْحَصْنَ إِلَّا أَكَلَ مِنْهَا . فَقِيلَ لِأَبِي الْيَسْرِ : وَكَمْ كَانُوا ؟ قَالَ : كَانُوا عَدَدًا كَثِيرًا . فَيَقَالُ : أَيْنَ بَقِيَّةُ النَّاسِ ؟ فَيَقُولُ : فِي الرَّجِيعِ بِالْعَسْكَرِ . فَسَمِعَ أَبُو الْيَسْرِ - وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ - وَهُوَ يَبْكِي فِي شَيْءٍ غَاضَهُ مِنْ بَعْضِ وَلَدِهِ ، فَقَالَ : لَعَمْرِي بَقِيَّةٌ بَعْدَ أَصْحَابِي وَمُتَّعُوا بِي وَمَا أُمْتُعَ بِهِمْ ! لَيَقُولَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ مَتَّعْنَا بِهِ ! فَبَقِيَ فَكَانَ مِنْ آخِرِهِمْ .

وكان أبو رُهم الغِفَارِيُّ يحدث قال : أَصَابَنَا جُوعٌ شَدِيدٌ ، وَنَزَلْنَا خَيْبَرَ زَمَانَ الْبَلْخِ ، وَهِيَ أَرْضٌ وَخِيمَةٌ حَارَّةٌ شَدِيدٌ حَرُّهَا . فَبَيْنَا نَحْنُ مُحَاصِرُونَ حَصْنَ الصَّعْبِ بْنِ مُعَازٍ فَخَرَجَ عَشْرُونَ حِمَارًا مِنْهُ أَوْ ثَلَاثُونَ ، فَلَمْ يَقْدِرِ الْيَهُودُ عَلَى إِدْخَالِهَا ، وَكَانَ حَصْنُهُمْ لَهُ مَتْعَةٌ ، فَأَخَذَهَا الْمُسْلِمُونَ فَانْتَحَرَوْهَا ،

(١) فِي الْأَصْلِ : « يَزْجِر » . وَمَا أَثْبَتْنَاهُ عَنْ السَّيْرَةِ الْحَلَبِيَّةِ . (ج ٢ ، ص ١٦٤) .

وأوقدوا النيران وطبخوا لحومها في القُدور والمسلمون جِياع ، ومَرَّ بهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وهم على تلك الحال فسأل فأخبر فأمر مُنادياً : إِنَّ رسولَ الله ينهاكم عن الحُمُرِ الإنسيَّة - قال : فكفُّوا القُدور - وعن مُتعة النساء ، وعن كلِّ ذى ناب ومِخْلَب .

وحدثني ابنُ أبي سبرة ، عن الفضيل بن مبشر . قال : كان جابر بن عبد الله يقول : أَطْعَمَنَا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم لحومَ الخيل ، فَذَبَحَ قَوْمٌ من المسلمين خَيْلاً من خيلهم قبل أن يُفْتَحَ حصنُ الصَّعب بن مُعاذ ؛ فقبل لجابر : أَرَأَيْتَ البِغَالَ . أَكُنْتُمْ تَأْكُلُونَهَا ؟ قال : لا .

وحدثني ابنُ أبي سبرة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صَعَصَعَةَ . عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أُمِّ عُمارة ، قالت : ذبحنا بَخَيْبَرَ لبني مازن بن النُّجَارِ فرسين ، فكنا نأْكُلُ منهما قبل أن يُفْتَحَ حصنُ الصَّعب بن مُعاذ .

وحدثني ثور بن يزيد . عن صالح بن يحيى بن المقدم ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : سمعتُ خالد بن الوليد يقول : حضرتُ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ببَخَيْبَرَ يقول : حَرَامٌ أَكْلُ الحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ والخيل والبغال . قالوا : وكلِّ ذى نابٍ من السباع ، ومِخْلَبٍ مِنَ الطير . قال الواقدي : الثبتُ عندنا أَنَّ خالدًا لم يشهد بَخَيْبَرَ ، وأسلم قبل الفتح هو وعمرو بن العاص وعُثمان بن طلحة بن أبي طلحة أولَ يومٍ من صفر سنة ثمان .

وكان ابنُ الْأَكْوَاعِ يقول : كنَّا على حصنِ الصَّعب بن مُعاذ ، أَسْلَمُ بَاجْمَعِهَا ، والمسلمون قد حَصَرُوا أَهْلَ الحصن ، فلقد رأيتُنا وصاحبَ رايَتِنَا سعد بن عُبادة ، فأنكشف المسلمون ، فَأَخَذَ الرَايَةَ فغَدُونَا معه . وغدا عامر ابن سِنَانٍ فلقى رجلاً من اليهود ، وبَدَّرَهُ الْيَهُودِيُّ فَيَضْرِبُ عَامراً ، قال عامر :

فاتَّقِيَّتُهُ بِدَرْقِي فَنَبَا سَيْفَ الْيَهُودِيِّ عَنْهُ . قَالَ عَامِرُ : فَأَضْرَبُ رَجُلَ الْيَهُودِيِّ فَأَقْطَعُهَا . وَرَجَعَ السَّيْفُ عَلَى عَامِرٍ فَأَصَابَهُ ذِبَابُهُ فَنَزَفَ فَمَاتَ . فَقَالَ أَسِيدُ ابْنِ حُضَيْرٍ : حَيْطَ . عَمَلُهُ . فَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ ! إِنْ لَهُ لِأَجْرَيْنِ . إِنَّهُ حَامِدٌ مُحَادِدٌ . وَإِنَّهُ لَيَعُومُ فِي الْجَنَّةِ عَوْماً الدُّعْمُوسُ (١) .

حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ إِلْيَاسَ . عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدٍ . عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ مَسْلَمَةَ قَالَ : كُنْتُ فِي مَن تَرَسُّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَبَجَعْتُ أَصْبَحَ بِأَصْحَابِهِ : تَرَامُوا بِالْحَحْفِ ! فَنَعَلُوا فَرَمُونَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَلَّا يُقْلَعُوا ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَى بِسَهْمٍ . فَمَا أَخْطَأَ رَجُلًا مِنْهُمْ ، وَتَبَسَّمَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَانْفَرَجُوا وَدَخَلُوا الْحَصْنَ .

حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ . عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قُرَّةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . عَنْ أَبِيهِ . قَالَ : لَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى حَصْنِ الصَّعْبِ بْنِ مَعَاذٍ . وَالْمُسْلِمُونَ جِيَاعٌ وَالْأَطْعِمَةُ فِيهِ كُلُّهَا ، وَغَزَا بَنُو الْحُبَابِ ابْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ وَمَعَهُ رَايْتَنَا وَتَبَعَهُ الْمُسْلِمُونَ . وَقَدْ أَقَمْنَا عَلَيْهِ يَوْمَيْنِ نَقَاتْلَهُمْ أَشَدَّ الْقِتَالِ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّالِثَ بَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ كَأَنَّهُ الدَّقْلُ (٢) فِي يَدِهِ حَرْبَةٌ لَهُ ، وَخَرَجَ وَعَادِيَتُهُ مَعَهُ فَرَمُوا بِالنَّبْلِ سَاعَةً سِرَاعًا ، وَتَرَسُّنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الدُّعْمُوسُ : الدِّخَالُ فِي الْأُمُورِ ، أَيْ إِنَّهُ سِيَّاحٌ فِي الْجَنَّةِ دَخَلَ فِي مَنَازِلِهَا لَا يَمْنَعُ مِنْ مَوْضِعٍ . (النهاية ،

ج ٢ ، ص ٢٥) .

(٢) الدَّقْلُ : خَشْبَةٌ يَدُ عَلَيْهَا شَرَّاعُ السَّفِينَةِ . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٨) .

وَأَمْطَرُوا عَلَيْنَا بِالنَّبْلِ ، فَكَانَ نَبْلُهُمْ مِثْلَ الْجَرَادِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَلَّا يُقْلَعُوا ،
ثُمَّ حَمَلُوا عَلَيْنَا حَمْلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَاذْكُشِفَ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ وَقِفٌ . قَدْ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَمِدَّعَمٌ^(١) يُمْسِكُ
فَرَسَهُ . وَثَبَتَ الْحُبَابُ بِرَايَتِنَا . وَاللَّهُ مَا يَزُولُ . يُرَامِيهِمْ عَلَى فَرَسِهِ . وَنَدَبَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ وَحَضَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ وَرَغَّبَهُمْ فِيهِ ،
وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَهُ خَيْرَ يُغْنِمُهُ إِيَّاهَا . قَالَ : فَأَقْبَلَ النَّاسُ جَمِيعًا
حَتَّى عَادُوا إِلَى صَاحِبِ رَايَتِهِمْ ، تَمَّ زَحَفَ بِهِمُ الْحُبَابُ فَلَمْ يَزَلْ يَأْدُو قَلِيلًا
فَلِيلًا ، وَتَرَجَعَ الْيَهُودُ عَلَى أَدْبَارِهَا حَتَّى لَحِمَهَا الشَّمْرُ فَاذْكُشِفُوا سِرَاعًا . وَدَخَلُوا
الْحَصْنَ وَغَلَّقُوا عَلَيْهِمْ . وَوَافُوا عَلَى جُلْدِهِ - وَلَهُ جُدْرٌ دُونَ جُدْرٍ - فَجَعَلُوا يَرْمُونَنَا
بِالْجَنْدَلِ^(٢) رَمِيًّا كَثِيرًا . وَنَحْنُ عَنْ حَصْنِهِمْ بِوُجْعِ الْحَجَارَةِ حَتَّى رَجَعْنَا إِلَى
مَوْضِعِ الْحُبَابِ الْأَوَّلِ . ثُمَّ إِنَّ الْيَهُودَ تَلَاوَمَتْ بَيْنَهَا وَقَالَتْ : مَا نَسْتَبْقِي
لَأَنْفُسِنَا ؟ قَدْ قُتِلَ أَهْلُ الْجِدِّ وَالْجَلْدِ فِي حَصْنٍ نَاعِمٍ . فَخَرَجُوا مُسْتَمِيتِينَ ،
وَرَجَعْنَا إِلَيْهِمْ فَاذْكُنَّا عَلَى بَابِ الْحَصْنِ أَشَدَّ الْقِتَالِ ، وَقُتِلَ يَوْهَنَّا عَلَى الْبَابِ
ثَلَاثَةً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَبُو صِيَّاحٍ . وَقَدْ شَهِدَ
بَدْرًا ، ضَرَبَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِالسَّيْفِ فَأَظَنَّ قِحْفَ رَأْسِهِ ؛ وَعَدِيٌّ بْنُ مُرَّةَ بْنِ
سُرَاقَةَ ، طَعَنَهُ أَحَدُهُمْ بِالْحَرْبَةِ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ فَمَاتَ ؛ وَالثَّالِثُ الْحَارِثُ بْنُ حَاطِبٍ
وَقَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ فَوْقِ الْحَصْنِ فَدَمَغَهُ . وَقَدْ قَتَلْنَا مِنْهُمْ عَلَى
الْحَصْنِ عِدَّةً . كُلَّمَا قَتَلْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا حَمَلُوهُ حَتَّى يُدْخِلُوهُ الْحَصْنَ . ثُمَّ حَمَلَ
صَاحِبُ رَايَتِنَا وَحَمَلْنَا مَعَهُ ، وَأَدْخَلْنَا الْيَهُودَ الْحَصْنَ وَتَبِعْنَاهُمْ فِي جَوْفِهِ ، فَلَمَّا
دَخَلْنَا عَلَيْهِمُ الْحَصْنَ فَكُنَّا نَهُمُ غَنَمٌ . فَقَتَلْنَا مَنْ أَشْرَفَ لَنَا ، وَأَسْرُنَا مِنْهُمْ .

(١) هُوَ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (الْإِسْبَاعُ . ص ١١٤٦٨) .

(٢) الْجَنْدَلُ . الْحَجَارَةُ . (لِسَانُ الْعَرَبِ ، ج ١٣ . ص ١١٣٦) .

وهربوا في كل وجه يركبون الحرّة يريدون حصن قلعة الزبير ، وجعلنا ندعهم يهربون . وصعد المسلمون على جُدُرِه فكَبَرُوا عليه تكبيراً كثيراً ، ففتتتنا أَعْضَادُ اليهود بالتكبير ، لقد رأيتُ فتياناً أسلم وغفار فوق الحصن يكبرون . فوجدنا والله من الأَطعمة ما لم نَظُنْ أَنه هناك ؛ من الشعير ، والتمر ، والسمن ، والعسل ، والزيت . والودك . ونادى مُنادى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : كُلُوا واعلفوا ولا تحتملوا . يقول : لا تخرجوا به إلى بلادكم . فكان المسلمون يأخذون من ذلك الحصن مُقامهم طعامهم وعَلَفَ دوابهم ، لا يُمنع أحد أن يأخذ حاجته ولا يُخمس الطعام . ووجدوا فيه من البزّ والآنية ، ووجدوا خَوابي ، السَّكَّر . فأمروا فكسروها . فكانوا يكسرونها حتى سال السَّكَّر في الحصن ، والخوابي كبار لا يُطاق حَمْلُها . وكان أبو ثعلبة الخُشَنِي يقول : وجدنا فيه آنية من نحاسٍ وفَخَّارٍ كانت اليهود تأكل فيها وتشرب . فسألنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فقال : اغسلوها واطبخوها وكُلُوا فيها واشربوا . وقال : أسخنوا فيها الماء ثم ااطبخوها بعد ، وكُلُوا واشربوا . وأخرجنا منه غنماً كثيراً وبقرًا وحُمراً . وأخرجنا منه آله كثيرة للحرب ، ومنجنيقاً^(١) ودبابات وعدة . فنعلم أنهم قد كانوا يظنون أن الحصار يكون دهرًا ، فعجل الله خزيهم .

فحدثني عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، قال : لقد خرج من أُطَمٍ من حصن الصَّعب بن مُعَاذٍ من البزّ عشرون عِكْماً^(٢) ، محزومة من غليظ . متاع اليمَن ، وألف وخمسمائة قطيفة ؛ يقال : قديم كل رجل بقטיפته على أهله . ووجدوا عشرة أحمال خشب ، فأمر به فأخرج من الحصن ثم أحرق ،

(١) في الأصل : « منجنيق » .

(٢) العِكم : نوب يسط ويحمل فيه المتاع ونشد . (تاج العروس ، ج ٨ ، ص ٤٠٤)

فمكث أياماً يحترق . ونحو أبي سكرٍ كُسرت ، وزقاق خمر فأهريقَتْ
وَعَمَد يومئذٍ رجل من المسلمين فشرب من الخمر ، فرفع إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فكره حين رُفِع إليه فخفقَه بنعليه ؛ وَمَن حضره ، فخفقوه
بنعالهم . وكان يُقال له عبد الله الخمار . وكان رجلاً لا يصبر عن الشراب
قد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مراراً . فقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه : اللهم العنه ! ما أَكْثَرَ ما يُضمرَب ! فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : لا تفعل يا عمر . فإنه يُحبُّ الله ورسوله . قال : ثم راح
عبد الله فجلس معهم كأنه أحدهم .

حدثني ابن أبي سبرة . عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة ، عن
الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أمِّ عُمارة قالت : لقد وجدنا في حصن
الصَّعب بن مُعاذ من الطعام ما كنتُ أَظُنُّ أنه لا يكون بخيبر ،
جعل المسلمون يأكلون مُقامهم شهراً وأكثرَ من ذلك الحصن ، فيعلمون
دوابهم ، ما يُمنع أحدهم ولم يكن فيه خُمس ؛ وأُخرج من البُزوز شيءٌ
كثيرٌ يُباع في المقسم ، ووُجد فيه خرز من خرز اليهود . فقيل لها :
فَمَن الذي يشتري ذلك في المقسم ؟ قالت : المسلمون ، واليهود الذين كانوا
في الكتيبة فآمنوا . ومن حضر من الأعراب ، فكل هؤلاء يشتري ، فأما
من يشتري من المسلمين فإنما يُحاسب به مما يُصيبه من الغنم .

قال الواقدي : وحدثني ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله ،
قال : لما نظر عُيَيْنَة بن حِصن إلى حصن الصَّعب بن مُعاذ والمسلمون
ينقلون منه الطعام والعَلَف والبز قال : ما أَحَدٌ يَعْلِف لنا دوابنا ويُطعمنا
من هذا الطعام الضائع ، فقد كان أهله عليه كراماً ! فشتمه المسلمون وقالوا :

لك الذى جعل لك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ذو الرُّقَيْبَةِ^(١) ، فاسكُتْ !
وبينما المسلمون يجولون فى حصن الصَّعب بن مُعَاذ ، وله مداخل ،
فأخرجوا رجلاً من اليهود فضربوا عُنُقَهُ فتعجبوا لسوادِ دَمِهِ ، ويقول قائلهم :
ما رأينا مثلَ سوادِ هذا الدم قطُّ - قال : يقول متكلِّمٌ : فى رَفٍّ من تلك
الرِّفافِ الثوم والثريد - وأنزلَ فقدموه فضربوا عُنُقَهُ .

قال : وتحولت اليهودُ من حصن ناعم كلُّها ، ومن حصن الصَّعب
ابن مُعَاذ ، ومن كلِّ حصون النُّطَاة ، إلى حصنٍ يقال له قلعة الزُّبَيْر ،
فزحف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليهم والمسلمون ، فحاصروهم وغلَّقوا
عليهم حصنَهم وهو حصن مَنيع ، وإنما هو فى راس قلعة لا تقدِر عليه
الخيْلُ ولا الرجال لصعوبته وامتناعه ، وبقيت بقايا لا ذكْرُ لهم فى بعض
حصون النُّطَاة ، الرجل والرجلان . فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
بإِزائهم رجالاً^(٢) يحرسونهم ، لا يُطْلَعُ أَحَدٌ عليهم إلَّا قتلوه . وأقام رسولُ
الله صلى الله عليه وآله على مُحاصرة الذين فى قلعة الزُّبَيْر ثلاثة أيام ،
فجاء رجلٌ من اليهود يقال له غَزَال فقال : أبا القاسم ، تُؤدِّنى على أَن
أدلك على ما تستريح به من أهل النُّطَاة وتخرج إلى أهل الشَّقِّ ، فإنَّ أهل
الشَّقِّ قد هلكوا رُعباً منك ؟ قال : فأَمَّنَّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على
أَهله وماله . فقال اليهودى : إنك لو أقمتَ شهراً ما بالوا ، لهم دُبُولٌ^(٣)
تحت الأرض - يخرجون بالليل فيشربون بها ثم يرجعون إلى فلعتهم فيمتنعون

(١) ذو الرُّقَيْبَةِ : جبل مطل على خبر . (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٧٤) .

(٢) فى الأصل : « رجال » .

(٣) فى الأصل : « دُبُول » ، وما أثبتناه عن ابن كسر . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ١٩٨) .

والدبُول : جمع دبيل وهو الجدول . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٧٣) .

منك ، وإن قطعت مَشَرَبَهُمْ عليهم ضَجُّوا . فسار رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى دُبُولِهِمْ فقطعها ، فلما قطع عليهم مشاربَهُمْ لم يُطِيقُوا المُقَامَ على العطش ، فخرجوا فقاتلوا أشدَّ القتال ، وقُتِلَ من المسلمين يومئذٍ نفرٌ ، وأُصيب من اليهود ذلك اليوم عشرةٌ ، وافتتحه رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم فكان آخرَ حصون النِّطاة . فلما فرغ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم مِنَ النِّطاة أمر بالانتقال ، والعسكر أن يُحوَّلَ مِنْ منزله بالرجيع إلى مكانه الأوَّل بالمنزلة ، وأَمِنَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم من البيات ومن حرب اليهود وما يخافُ منهم ، لأنَّ أهل النِّطاة كانوا أحدَّ اليهود وأهل النِّجدة منهم . ثم تحوَّل رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى أهل الشَّقِّ .

فحدَّثني موسى بن عمر الحارثي ، عن أبي عُفَيْرٍ مُحَمَّد بن سَهْل بن أَبِي حَشمَةَ قال : لما تحوَّل رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى الشَّقِّ وبه حصونٌ ذات عدد ، كان أوَّل حصنٍ بدأ منها حصنُ أُبَيٍّ ، فقام رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم على قلعةٍ يقال لها سُمران ^(١) ، فقاتل عليها أهل الحصن قتالاً شديداً . وخرج رجلٌ مِنَ اليهود يقال له غَزَال ^(٢) فدعا إلى البراز ، فبرز له الحُبَاب بن المُنْذِر فاختلعا ضربات ، ثم حمل عليه الحُبَاب فقطع يده اليمنى من نصف الذراع ، فوقع السيف من يد غَزَال فكان أبْعَز ، ورجع مُبارِراً مُنهزِماً إلى الحصن ، وتبعه الحُبَاب فقطع عُرقوبه ، فوقع فذَفَف عليه . وخرج آخر فصاح : مَنْ يبارز ؟ فبرز إليه رجلٌ من المسلمين من آل جَحْش فقتل الجَحْشِيَّ . وقام مكانه يدعو إلى

(١) هكذا في الأصل . وفي ابن كثير يروى عن الواقدي : « سموان » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ،

ص ١٩٨) .

(٢) في ابن كثير يروى عن الواقدي : « غزول » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ١٩٨) .

البراز ويبرز له أبو دُجانة قد عصب رأسه بعصاة حمراء فوق المغفر يخال في مشيته ، فبدره أبو دُجانة فضربه فقطع رجله ، ثم ذَفَف عليه وأخذ سلبه ، درعه وسيفه ، فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلته رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك . وأحجموا عن البراز ، فكبر المسلمون ثم تحاهلوا على الحصن فدخلوه ، يقدّمهم أبو دُجانة ، فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعاً وغنماً وطعاً ، وهرب من كان فيه من المقاتلة ، وتقحموا الجدر كأنهم الظباء^(١) حتى صاروا إلى حصن النزار^(٢) بالشَّق ، وجعل يأتى من بقى من قُلل^(٣) النطا إلى حصن النزار فعلقوه وامتنعوا فيه أشد الامتناع . وزحف رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم في أصحابه فقاتلوهم ، فكانوا أشد أهل الشِّ قتالاً ، رموا المسلمين بالنبل والحجارة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ، حتى أصابت النبل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلقت به ، فأخذ النبل فجمعها ثم أخذ لهم كفاً من حصا فحصب به حصنهم ، فرجف بهم ثم ساخ في الأرض .

قال إبراهيم بن جعفر : استوى بالأرض حتى جاء المسلمون ، فأخذوا أهله أخذاً^(٤) . وكانت فيه صفية بنت حيى وابنة عمها . فكان عسير مولى أبى اللحَم يقول : شهدت صفية أخرجت وابنة عمها وصبيات من

(١) هكذا في الأصل . وفي ابن كثير يروى عن الواقدي : « الضباب » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ١٩٨) .

(٢) هكذا في الأصل . وفي ابن كثير يروى عن الواقدي : « البراة » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ١٩٨) .

(٣) قلل : جمع قلة ، وقلة كل شيء أعلاه . (الصحاح ، ص ١٨٠٤) .

(٤) هكذا في الأصل . وفي ابن كثير يروى عن الواقدي : « وأخذهم المسلمون أخذاً باليد » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ١٩٨) .

حصن النّزار ، فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم حصن النّزار بقيت حصون في الشّق ، فهرب أهلها منها حتى انتهوا إلى أهل الكتيبة والوطيح وسلايم . وكان محمد بن مسلمة يقول : ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حصن النّزار فقال : هذا آخر حصون خيبر كان فيه قتال ؛ لما فتحنا هذا الحصن لم يكن بعده قتال حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر .

فحدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر قال ، قلت لجعفر بن محمود : كيف صارت صفية في حصن النّزار في الشّق وحصن آل أبي الحقيق بسلايم ، ولم يُسب في حصون النّطاة من النساء والذرية أحد ولا بالشّق ، إلا في حصن النّزار ، فإنه قد كان فيه ذرية ونساء ؟ فقال : إن يهود خيبر أخرجوا النساء والذرية إلى الكتيبة وفرّغوا حصن النّطاة للمقاتلة فلم يُسب أحد منهم إلا من كان في حصن النّزار ، صفية وابنة عمها ونسيات معها . وكان كنانة قد رأى أن حصن النّزار أحصن ما هنالك ، فأخرجها في الليلة التي تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم في صبيحتها إلى الشّق حتى أسرت وبنت عمها ومن كان معها من ذراري اليهود ، وبالكتيبة من اليهود ومن نسائهم وذراريهم أكثر من ألفين ؛ فلما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الكتيبة آمن الرجال والذرية ، ودفعوا إليه الأموال ، والبيضاء والصفراء ، والحلقة ، والثياب ، إلا ثوباً^(١) على إنسان . فلقد كان من اليهود حين آمنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبِلون ويُدبرون ، ويبيعون ويشترون ، لقد أنفقوا عامة المغنم مما يشترون من الثياب من

(١) في الأصل : « ثوب » .

التياب والمتاع ، وكانوا قد غيَّبوا نُقُودَهُمْ وَعَيْنَ مَالِهِمْ .
 قالوا : ثم تَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْكَتِيبَةِ وَالْوَطِيحِ
 وَسَلَالِيمَ ، حصن ابن أَبِي الْحَقِيقِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ ، فَتَحَصَّنُوا أَشَدَّ التَّحَصُّنِ ،
 وَجَاءَهُمْ كُلٌّ فَلَّ^(١) كَانَ قَدْ انْهَزَمَ مِنَ النَّطَاةِ وَالشَّقِّ ، فَتَحَصَّنُوا مَعَهُمْ فِي
 الْقَمُوصِ وَهُوَ فِي الْكَتِيبَةِ ، وَكَانَ حَصْنًا مَنِيعًا ، وَفِي الْوَطِيحِ وَسَلَالِيمَ . وَجَعَلُوا
 لَا يَطْلَعُونَ مِنْ حَصُونِهِمْ مُغْلَقِينَ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى هَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ أَنْ يَنْصَبَ الْمَنْجَنِيْقَ عَلَيْهِمْ لِمَا رَأَى مِنْ تَغْلِيْقِهِمْ ، وَأَنَّهُ لَا يَبْرُزُ مِنْهُمْ بَارِزٌ .
 فَلَمَّا أُيْقِنُوا بِالْهَلَكَةِ وَقَدْ حَصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ
 يَوْمًا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصُّلْحَ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، قُلْتُ
 لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ جَعْفَرٍ : وَجَدَ فِي الْكَتِيبَةِ خَمْسَمِائَةَ قَوْسٍ عَرَبِيَّةٍ . وَقَالَ : أَخْبَرَنِي
 أَبِي عَمِّنَ رَأَى كِنَانَةَ بْنَ أَبِي الْحَقِيقِ يَرَى بِثَلَاثَةِ أَسْهُمٍ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ - يَعْنِي
 ذِرَاعٌ - فَيُدْخِلُهَا فِي هَدَفٍ شِبْرًا فِي شِبْرٍ ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ قِيلَ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَقْبَلَ مِنَ الشَّقِّ فِي أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ تَهَيَّأَ أَهْلُ الْقَمُوصِ
 وَقَامُوا عَلَى بَابِ الْحَصَنِ بِالنَّبِيلِ ، فَنَهَضَ كِنَانَةُ إِلَى قَوْسِهِ فَمَا قَدَّرَ أَنْ يُوْتِرَهَا
 مِنَ الرُّعْدَةِ ، وَأَوْمَأَ إِلَى أَهْلِ الْحَصُونِ : لَا تَرْمُوا ! وَانْقَمَعَ فِي حَصْنِهِ ، فَمَا رُئِيَ
 مِنْهُمْ أَحَدٌ ، حَتَّى أَجْهَدَهُمُ الْحَصَارُ وَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ . فَأَرْسَلَ كِنَانَةُ
 رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ يَقَالُ لَهُ شِمَّاخُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : أَنْزِلْ
 إِلَيْكَ أَكْلَمَكَ ! فَلَمَّا نَزَلَ شِمَّاخُ أَخَذَهُ الْمُسْلِمُونَ فَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِرِسَالَةِ كِنَانَةَ . فَأَنْعَمَ لَهُ ، فَنَزَلَ كِنَانَةُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ ، فَصَالَحَهُ
 عَلَى مَا صَالَحَهُ ، فَأَخْلَفَهُ عَلَى مَا أَخْلَفَهُ عَلَيْهِ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ : تِلْكَ الْقِيسَى
 وَالسَّلَاحُ إِنَّمَا كَانَ لَا آلَ أَبِي الْحَقِيقِ جَمَاعَةٌ يُعِيرُونَهُ الْعَرَبُ ، وَالْحَلِي يُعِيرُونَهُ
 (١) قُلُوبُ الْقَوْمِ : أَيْ مِنْهُمْ ، يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ ؛ يَقَالُ رَجُلٌ فُلٌ وَقَوْمٌ فُلٌ . (الصَّحَاحُ ،
 ص ١٧٩٣) .

العرب . ثم يقول : كانوا شرَّ يهود يثرب .

قالوا : وأرسل كِنَانَةُ بن أَبِي الْحَقِيقِ إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم :
 أَنزِلْ فَأُكَلِّمَكَ ؟ فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : نعم . قال : فنزل ابنُ أَبِي
 الْحَقِيقِ فصالح رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم على حَقْنِ دماءٍ مَن فِي حُصُونِهِمْ
 مِنَ الْمُقَاتِلَةِ ، وترك الذَّرِيَّةَ لَهُمْ ، ويخرجون مِن خَيْبَرَ وأَرْضِهَا بِذَرَارِيِّهِمْ ،
 وَيُخْلَوْنَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ مَالٍ أَوْ
 أَرْضٍ ، وعلى الصَّفراءِ والبيضاءِ والكُرَاعِ والحَلَقَةِ ، وعلى الْبَزِّ ، إِلَّا ثَوْبًا
 عَلَى ظَهْرِ إِنْسَانٍ . فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : وَبَرِئْتُ مِنْكُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ
 وَذِمَّةُ رَسُولِهِ إِنْ كَتَمْتُمُونِي شَيْئًا . فصالحه على ذلك ، وأرسل رسولُ الله
 صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى الْأَمْوَالِ فَقَبِضَهَا ، الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ ، وبعث إلى المتاعِ
 وَالْحَلَقَةِ فَقَبِضَهَا ، فوجد من الدروع مائةِ دِرْعٍ ، ومن السيوف أربع مائةِ سيفٍ ،
 وألفَ رمحٍ ، وخمسمائةِ قوسٍ عَرَبِيَّةٍ بِجِجَاعِهَا . فسأل رسولُ الله صَلَّى الله عليه
 وسلَّم كِنَانَةَ بنَ أَبِي الْحَقِيقِ عن كنز آلِ أَبِي الْحَقِيقِ وَحَلِيٍّ مِنْ حَلِيهِمْ ، كان
 يكون في مَسَكٍ^(١) الجملي ، كان أسراهم^(٢) يُعْرِفُ بِهِ ، وكان العُرْسُ
 يكون بمَكَّةَ فيُقَدَّمُ عَلَيْهِمْ ، فيُسْتَعَارُ ذَلِكَ الْحَلِيَّ الشَّهْرَ فيكون فيهم : وكان
 ذلك الحلي يكون عند الأكابر فالأكابر من آلِ أَبِي الْحَقِيقِ . فقال : يا أبا
 الْقَاسِمِ ، أنفقناه في حربنا فلم يبقَ منه شيءٌ ، وكُنَّا نرفعه لمثل هذا اليوم ،
 فلم تُبْقَ الحربُ واسْتَنْدِمَارُ الرِّجَالِ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا . وَحَلَفًا عَلَى ذَلِكَ
 فَوَكَّدَا الْإِيمَانَ وَاجْتَهَدَا ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم لهما^(٣) :

(١) المسك : الجلد . (الصحاح ، ص ١٦٠٨) .

(٢) في الأصل : « لسرهم » ؛ وأمرهم : أشرفهم . (لسان العرب ، ج ١٩ ، ص ٩٨) .

(٣) هكذا في الأصل بصيغة المثني .

بَرِثْتُ مِنْكُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ إِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ قَالَا : نَعَمْ . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَكُلُّ مَا أَخَذْتُ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَأَصَبْتُ مِنْ دِمَائِكُمْ فَهُوَ حِلٌّ لِي وَلَا ذِمَّةَ لَكُمْ ! قَالَا : نَعَمْ . وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعَلِيٌّ ، وَالزُّبَيْرُ رَضَوَانِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَعَشْرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ . فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى كِنَانَةَ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ فَقَالَ : إِنْ كَانَ عِنْدَكَ مَا يَطْلُبُ مِنْكَ مُحَمَّدٌ أَوْ تَعْلَمُ عِلْمَهُ فَأَعْلِمْنِي فَإِنَّكَ تَأْمَنُ عَلَى دِمَاكَ ، وَإِلَّا فَوَاللَّهِ لَيُظْهَرَنَّ عَلَيْهِ ، قَدْ اطَّلَعَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ بِمَا لَمْ نَعْلَمْهُ . فزَبَرَ ابْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ فَتَنَحَّى الْيَهُودِيَّ فَقَعَدَ . ثُمَّ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَعْلَبَةَ بْنَ سَلَامٍ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ - وَكَانَ رَجُلًا ضَعِيفًا - عَنْ كَنْزِهِمَا ، فَقَالَ : لَيْسَ لِي عِلْمٌ غَيْرَ أَنِّي قَدْ كُنْتُ أَرَى كِنَانَةَ كُلَّ غَدَاةٍ يَطُوفُ بِهَذِهِ الْخَرْبَةِ - قَالَ : وَأَشَارَ إِلَى خَرْبَةٍ - فَإِنْ كَانَ شَيْءٌ^(١) دَفَنَهُ فَهُوَ فِيهَا . وَكَانَ كِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ لَمَّا ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّطَاةِ أَيْقَنَ بِالْهَلَكَةِ - وَكَانَ أَهْلُ النَّطَاةِ أَخَذَهُمْ [الرَّعْب] - فَذَهَبَ بِمَسْكَ الْجَمَلِ ، فِيهِ حَلِيهِمْ ، فَحَفَرَ لَهُ فِي خَرْبَةٍ لَيْلًا وَلَا يَرَاهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ سَوَّى عَلَيْهِ التُّرَابَ بِالْكَتِيبَةِ ، وَهِيَ الْخَرْبَةُ الَّتِي رَأَى ثَعْلَبَةُ يَدُورُ بِهَا كُلَّ غَدَاةٍ . فَأَرْسَلَ مَعَ ثَعْلَبَةَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَنَفَرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى تَبْلُكِ الْخَرْبَةِ ، فَحَفَرَ حَيْثُ أَرَاهُ ثَعْلَبَةَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذَلِكَ الْكَنْزَ . وَيُقَالُ : إِنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ دَلَّ رَسُولَهُ عَلَى ذَلِكَ الْكَنْزِ . فَلَمَّا أُخْرِجَ الْكَنْزُ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزُّبَيْرَ أَنْ يُعَذِّبَ كِنَانَةَ بْنَ أَبِي الْحُقَيْقِ حَتَّى يَسْتَخْرِجَ كُلَّ مَا عِنْدَهُ . فَعَذَّبَهُ الزُّبَيْرُ حَتَّى جَاءَهُ بَزَنْدٌ^(٢) يَقْدَحُهُ فِي صَدْرِهِ ، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « شَيْئًا » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « يَرِيد » . وَمَا أُثْبِتْنَاهُ مِنَ السِّيرَةِ الْحَلِيَّةِ . (ج ٢ ، ص ١٦٧) .

يقتله بأخيه ، فقتله محمد بن مسلمة . وأمر بابن أبي الحقيق الآخر ، فعُذِبَ ثم دُفِعَ إلى ولاةِ بَشر بن البراء فقتل به ، ويُقال : ضُربَ عنقه . واستحلَّ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بذلك أموالهما وسبى ذراريهما :

فحدثني خالد بن الربيعه بن أبي هلال ، عن هلال بن أسامة ، عمن نَظَرَ إلى ما في مَسْكِ الجمل بين يدي رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم حين أتى به ، فإذا جُلَّهُ أسورة الذهب ، ودمالج الذهب ، وخلائل الذهب ، وقِرْطَة الذهب ، ونَظْمٌ من جوهر وزُمرّد ، وخواتم ذهب ، وفَتَخَ^(١) بجَزَعِ ظَمار مُجَزَّعٍ بالذهب . ورأى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم نظاماً من جوهر فأعطاه بعض أهله ، إما عائشة أو إحدى بناته ، فانصرفت فلم تمكث إلا ساعة من نهارٍ حتى فرَّقته في أهل الحاجة والأرامل ، فاشتري أبو الشَّحم ذرةً منها . فلما أمسى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وصار إلى فراشه لم يَم ، فغدا في السَّحر حتى أتى عائشة ، ولم تكن ليلتها ، أو بنته ، فقال : رُدِّي على النظام فإنه ليس لي ، ولا لك فيه حق . فخبِرتُه كيف صنعت به ، فحمد الله وانصرف .

وكانت صفيّة بنت حُيَيٍّ تقول : كان ذلك النظام لبنت كِنانة . وكانت صفيّة تحت كِنانة بن أبي الحقيق ، وقد كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم سبأها قبل أن ينتهي إلى الكَتِيبَة ، وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قد أرسل بها مع بلال إلى رَحْلِهِ . فمرَّ بها وبابنة عمِّها على القَتلى ، فصاحت ابنة عمِّها صياحاً شديداً ، فكره رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ما صنع بلال فقال : أذهب منك الرحمة ؟ تمرُّ بجارية حديثة السن على

(١) فتح : جمع فتحة ، وهي خاتم كبير يلبس في الأيدي ، وربما وضع في أصابع الأرجل . (النهاية ،

القتلى ! ، فقال بلال : يا رسول الله ما ظننتُ أنك تكره ذلك ، وأُحِبُّتُ
أن ترى مَصَارِعَ قومها . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم لابنة عمِّ صَفِيَّةَ :
ما هذا إلَّا شيطان . وكان دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ قد نظر إلى صَفِيَّةَ فسأَلَهَا رسولُ الله
صَلَّى الله عليه وسلَّم ، ويقال إنه وعده جاريةً مِنْ سَبْيِ خَيْبَرَ ، فَأَعْطَاهُ ابْنَةَ
عَمِّهَا .

وحدَّثني ابنُ أَبِي سَبْرَةَ ، عن أَبِي حَرَمَةَ ، عن أُخْتِهِ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ ، عن
ابنة أَبِي الْقَيْنِ الْمُزَنِيِّ ، قالت : كنتُ آلفُ صَفِيَّةَ مِنْ بَيْنِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ
صَلَّى الله عليه وسلَّم ، وكانت تحدِّثني عن قومها وما كانت تسمع منهم
قالت : خرجنا من المدينة حيث أَجَلَانَا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فَأَقَمْنَا
بِخَيْبَرَ ، فتزوَّجني كِنَانَةُ بنُ أَبِي الْحَقِيقِ فَأَعْرَسَ بِي قَبْلَ قُدُومِ رسولِ الله صَلَّي
الله عليه وسلَّم بِأَيَّامٍ ، وذبح جُزْرًا ودعا باليهود ، وحولني في حصنه بِسُلَالِمٍ ،
فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنِّي قَمَرًا أَقْبَلَ مِنْ يَثْرِبٍ يَسِيرُ حَتَّى وَقَعَ فِي جِجْرِي . فذكرتُ
ذلك لِكِنَانَةَ زَوْجِي فَلَطَمَ عَيْنِي فَأَخْضَرَّتْ ، فنظر إليها رسولُ الله صَلَّي الله
عليه وسلَّم حين دخلتُ عليه فسألني فَأَخْبَرْتُهُ . قالت : وجعلت اليهود ذراريَّها
في الكَتِيبَةِ ، وَجَرَّدُوا حِصْنَ النَّطَاةِ لِلْمَقَاتِلَةِ ، فلما نزل رسولُ الله صَلَّي الله عليه
وسلَّم خَيْبَرَ وافتتح حصون النَّطَاةِ ، ودخل على كِنَانَةَ فَقَالَ : قد فرغ
محمَّدٌ مِنَ النَّطَاةِ ، وليس ها هنا أَحَدٌ يُقَاتِلُ ، قد قُتِلَتِ الْيَهُودُ حيثُ قُتِلَ
أَهْلُ النَّطَاةِ وكذبتنا العربُ . فحولني إلى حصن النَّزَارِ بِالشَّقِّ ، - قال :
وهو أَحْصَنُ مِمَّا عِنْدَنَا - فخرج حتى أَدْخَلَنِي وابْنَةَ عَمِّي وَنُسَيَّاتٍ مَعَنَا .
فسار رسولُ الله صَلَّي الله عليه وسلَّم إلينا قَبْلَ الْكَتِيبَةِ فُسَيِّبَتْ فِي النَّزَارِ قَبْلَ أَنْ

ينتهي النبي صَلَّى الله عليه وسلم إلى الكتيبة ، فأرسل بي إلى رَحْلِهِ ، ثم جاءنا حين أمسى فدعاني ، فجلستُ وأنا مُقْنَعَةٌ حَيَّةٌ ، فجلستُ بين يديه فقال : إن أقمتِ على دينك لم أُكْرِهْكِ ، ، وإن اخترتِ اللهَ ورسولَهُ فهو خيرٌ لك . قالت : أختارُ اللهَ ورسولَهُ والإسلام . فأعتقني رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم وتزوَّجني وجعل عَتَقِي مَهْرِي ، فلما أراد أن يخرج إلى المدينة قال أصحابُهُ : اليومَ نعلمُ أزوجةً أم سُرِّيَّةً ، فإن كانت امرأته فسيحبُّها وإلا فهي سُرِّيَّةٌ . فلما خرج أمر بستر فُسِّرَتْ به فُعرفَ أني زوجة ، ثم قدَّم إلى البعير وقدَّم فَحْنَدَهُ لِأَضْمَعَ رَجُلِي عَلَيْهَا ، فأعظمتُ ذلك ووضعتُ فَحْنَدِي عَلَى فَحْنَدِهِ ، ثم ركبْتُ . وكنت أَلْقَى مِنْ أَزْوَاجِهِ ، يفخرن على يقرن : يا بنت اليهودي . وكنتُ أَرَى رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم يَلْطُفُ بِي وَيُكْرِمُنِي ، فدخل على يَوْمًا وأنا أبكي فقال : مالك ؟ فقلتُ : أزواجُك يفخرن على يقرن : يا بنت اليهودي . قالت : فرأيت رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم قد غضب ثم قال : إذا قالوا لك أو فاحرك فقول : أبي هرون وعمي موسى .

قالوا : وكان أبو شَيْمٍ الْمُزَنِيّ - قد أسلم فحسُنَ إسلامُهُ - يُحَدِّثُ يقول : لما نفرنا أهلها بحِيفَاءٍ مع عُيَيْنَةَ - قدمنا عليهم وهم قارون هادئون لم يهجمهم هائج - رجع بنا عُيَيْنَةَ ، فلما كان دون خَيْبَرَ بمكانٍ يقال له الحَطَامَ عَرَّسْنَا مِنَ اللَّيْلِ ففزعنا ، فقال عُيَيْنَةَ : أبشروا إني أَرَى اللَّيْلَةَ فِي النُّومِ أَنِّي أُعْطِيتُ ذَا الرُّقِيبَةِ - جَبَلًا بِخَيْبَرَ - قد والله قد أخذتُ بِرَقَبَةِ مُحَمَّدٍ . قال : فلما قدمنا خَيْبَرَ قدم عُيَيْنَةَ فوجد رسولَ الله صَلَّى الله عليه

وسلّم قد فتح خيبر وغنمه الله ما فيها ، فقال عُيَيْنَةُ : أَعْطِنِي يَا مُحَمَّد
مِمَّا غَنِمْتَ مِنْ حُلَفَائِي فَإِنِّي انصرفتُ عنك وعن قتالك وخذلتُ حلفائي ولم
أكثر عليك ، ورجعتُ عنك بأربعة آلاف مقاتل . فقال رسول الله صَلَّى الله
عليه وسلّم : كَذَبْتَ ، ولكنّ الصيَّاح الذي سمعتُ أنفركُ إلى أَهْلِكَ .
قال : أَجِزْنِي يَا مُحَمَّد . قال : لك ذو الرُّقَيْبَةِ . قال عُيَيْنَةُ : وما ذو
الرُّقَيْبَةِ ؟ قال : الجبل الذي رأيتُ في النوم أنك أخذته . فانصرف عُيَيْنَةُ
فجعل يتدسّس إلى اليهود ويقول : ما رأيتُ كالיום أمراً ؛ والله ما كنتُ أرى
أحداً يُصيب محمّداً غيركم . قلت : أهل الحصون والعُدَّة والثَّرَوَةُ ، أعطيتكم
بأيديكم وأنتم في هذه الحصون المنيعة ، وهذا الطعام الكثير ما يُوجد له
آكل ، والماء الواتن . قالوا : ند أردنا الامتناع في قلعة الزُّبَيْر ولكن الدُّبُول^(١)
قُطعت عنا ، وكان الحرُّ ، فلم يكن لنا بقاء على العطش . قال : قد وليتم
من حصون ناعم مُنهزمين حتى صرتم إلى حصن قلعة الزُّبَيْر . وجعل يسأل
عمن قُتل منهم فيُخبر ، قال : قُتل والله أَهْلُ الجِدِّ والجَلَدِ ، لا نظام لليهود
بالحجاز أبداً . ويسمع كلامه ثعلبةُ بن سَلَام بن أَبِي الحُقَيْق ، وكانوا يقولون
إنه ضعيف العقل مُختلِط . فقال : يا عُيَيْنَةُ ، أنت غررتهم وخذلتهم
وتركتهم وقتالَ محمّد ، وقبل ذلك ما صنعتُ ببني قُرَيْظَةَ ! فقال عُيَيْنَةُ :
إنَّ محمّداً كادنا في أَهْلنا ، فنفرنا إليهم حيث سمعنا الصرِيخ ونحن نظنُّ
أنَّ محمّداً قد خالف إليهم ، فلم نَرِ شيئاً فكررنا إليكم لننصركم . قال
ثعلبة : وَمَنْ بَقِيَ تَنْصُرُهُ ؟ قد قُتل مَنْ قُتل وبقي من بقي فصار عبداً لمحمّد ، وسبانا ،

(١) في الأصل : « الدُّبُول » .

وَقَبَضَ الْأَمْوَالَ! قَالَ : يَقُولُ رَجُلٌ مِنْ عَطَفَانَ لُعَيْنَةَ : لَا أَنْتَ نَصَرْتَ حَلَفَاءَكَ فَلَمْ يَعِدُوا عَلَيْكَ حِلْفَنَا ! وَلَا أَنْتَ حَيْثُ وَلَّيْتَ - كُنْتَ أَخَذْتَ تَمَرَ خَيْبَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ سَنَةً ! وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ أَمْرًا ظَاهِرًا ، لِيُظْهَرَ عَلَى مَنْ نَاوَاهُ . فَاَنْصَرَفَ عُيَيْنَةُ إِلَى أَهْلِهِ يَفْتِلُ يَدِيهِ ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ جَاءَهُ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ ، قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ تُوضِعُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ ؟ وَاللَّهِ لَيُظْهَرَنَّ مُحَمَّدٌ عَلَى مَنْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، الْيَهُودُ كَانُوا يُخْبِرُونَنَا هَذَا . أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ أَبَا رَافِعٍ سَلَامَ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ يَقُولُ : إِنَّا نَحْسَدُ مُحَمَّدًا عَلَى النَّبُوَّةِ حَيْثُ خَرَجْتَ مِنْ بَنِي هَارُونَ ، وَهُوَ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ وَالْيَهُودُ لَا تُطَاوَعُنِي عَلَى هَذَا ، وَلَنَا مِنْهُ ذُبْحَانٌ ، وَاحِدٌ يَبْثُرُ بٍ وَآخَرُ يَخْيَبِرُ . قَالَ الْحَارِثُ ، قُلْتَ لِسَلَامٍ : يَمْلِكُ الْأَرْضَ جَمِيعًا ؟ قَالَ : نَعَمْ وَالتَّوْرَةَ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ تَعْلَمَ الْيَهُودُ بِقَوْلِي فِيهِ !

قَالُوا : لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ وَاطْمَأَنَّ جَعَلَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ تَسْأَلُ : أَيُّ الشَّيْءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مُحَمَّدٌ ؟ فَيَقُولُونَ : الذَّرَاعُ وَالْكَتِفُ . فَعَمِدَتْ إِلَى عَنَزٍ لَهَا فَذَبَحَتْهَا ، ثُمَّ عَمِدَتْ إِلَى سَمٍّ لَابِطِيٍّ^(١) ، قَدْ شَاوَرَتِ الْيَهُودَ فِي سُموْمٍ فَأَجْمَعُوا لَهَا عَلَى هَذَا السَّمِّ بَعِينَهُ ، فَسَمَّتِ الشَّاةَ وَأَكْثَرَتْ فِي الذَّرَاعَيْنِ وَالْكَتِفَيْنِ . فَلَمَّا غَابَتْ انْشَمَسَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَغْرِبَ وَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَيَجِدُ زَيْنَبَ جَالِسَةً عِنْدَ رَحْلِهِ فَيَسْأَلُ عَنْهَا فَقَالَتْ : أَبَا الْقَاسِمِ ، هَدِيَّةٌ أَهْدَيْتُهَا لَكَ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْهَدِيَّةِ فَقُبِضَتْ مِنْهَا وَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) لَبَطُ بِلَانٍ : إِذَا صَرَخَ مِنْ عَيْنِ أَوْحَى . (لسان العرب ، ج ٩ ، ص ٢٦٣) .

لأصحابه وهم حُضور ، أو مَنْ حضر منهم : ادنوا فتعشوا ! فدنوا فمدوا أيديهم ، وتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع . وتناول بِشْرُ بن البراء عَظْمًا ، وأنهش رسول الله صلى الله عليه وسلم منها نَهْشًا وأنهش بِشْرُ . فلما ازدرد رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلته ازدرد بِشْرُ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كُفُّوا أيديكم فإن هذه الذراع تُخبرني أنها مسحومة . فقال بِشْرُ بن البراء : قد والله يا رسول الله وجدت ذلك من أكلتي التي أكلتها ، فما معنى أن أَلْفِظَهَا إِلَّا كراهية أَنْغَضُ إليك طعامك ، فلما تسوَّغت ، في يدك لم أرغب بنفسى عن نفسك . ورجوت ألا تكون ازدردتها وفيها نَعْيٌ^(١) . فلم يَرِم بِشْرُ من مكانه حتى عاد لونه كالطليسان . ومطلده وجعه سنة لا يتحول إِلَّا ما حُول ، ثم مات منه . ويقال لم يَقُمْ من مكانه حتى مات ، وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ثلاث سنين . ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بزَيْنَب فقال : سممت الذراع ؟ فقالت : مَنْ أَخْبِرَكَ ؟ قال : الذراع . قالت : نعم . قال : وما حملك على ذلك ؟ قالت : قتلَت أبي وعمي وزوجي ، ونِلْتُ من قومي ما نِلْتُ ، فقلت : إن كان نبيًّا فسُخِّبره الشاةُ ما صنعتُ ، وإن كان مَلِكًا استرحنا منه . فاختلِف علينا فيها ، فقال قائلُ رواية : أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلت ثم صُلبت . وقال قائلُ رواية : عفا عنها . وكان نفرٌ ثلاثة قد وضعوا أيديهم في الطعام ولم يُسيغوا منه شيئًا . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فاحتجموا أوساطَ رُءوسهم من الشاة ، واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت كتفه اليُسرى . ويقال : احتجم على كاهله ، حجمه أبو هند بالقرن والشفرة .

(١) في الأصل : « بنى » .

وقالوا : وكانت أمّ بَشْر بن البراء تقول : دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه وهو محموم فمستته فقلت : ما وجدت مثل [ما] وعك^(١) عليك على أحد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كما يُضَاعَف لنا الأجر كذلك يُضَاعَف لنا البلاء ؛ زعم الناس أنّ برسول الله ذاتَ الجَنْب ! ما كان الله لِيُسَلِّطَهَا عَلَيَّ . إنما هي هُمَزَةٌ من الشيطان ، ولكنه من الأَكَلَةِ التي أَكَلْتُ أَنَا وابْنُكَ يومَ خَيْبَر . ما زال يُصِيبُنِي منها عِدَادٌ^(٢) حتى كان هذا أَوَانُ انْقِطَاعِ^(٣) أَبْهَرِي^(٤) . فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً . ويُقال : إنّ الذي مات في الشاة مُبَشَّر بن البراء . وبَشْر أثبت عندنا ، وهو المجتمع عليه .

قال عبد الله : سألت إبراهيم بن جعفر عن قول زينب ابنة الحارث « قُتِلَت أُمِّي » قال : قُتِلَ يومَ خَيْبَر أبوها الحارث وعمُّها يَسَار ، وكان أخبرَ الناس ، هو الذي أنزل من السَّمِّ ، وكان الحارث أشجعَ اليهود ، وأخوه زَبِير قُتِلَ يومئذٍ ، فكان زوجها سيدهم وأشجعهم سَلام بن مِشْكَم ، كان مريضاً وكان في حصون النُّطَاة فقليل له : إنه لا قتالَ فيكم فكنُ في الكَتِيبَةِ . قال : لا أفعل أبداً . فقتل وهو مريض ، وهو أبو الحَكَم الذي يقول فيه الرَّبِيع بن أبي الحُقَيْق :

ولمّا تَدَاعَوْا بِأَسْيَافِهِمْ فكان الطَّعَانُ دَعَوْنَا سَلَامًا

(١) الوعل : الحمى . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٢١) .

(٢) العِدَاد : اهتاج ومع اللدغ ، وذلك إذا تمت له سنة من يوم لدغ هاج به الأُم . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٧١) .

(٣) في الأصل : « انقطع » ، وما أثبتاه من السيرة الحلبية . (ج ٢ ، ص ١٨١) .

(٤) الأَهر : العرق المنعنى بالقلب . (السيرة الحلبية ، ج ٢ ، ص ١٨١) .

وَكُنَّا إِذَا مَا دَعَوْنَا بِهِ سَقَيْنَا سَرَاةَ الْعَدُوِّ السَّمَامَ
وهو كان صاحب حربهم ولكن الله شغله بالمرض .

قالوا : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الغنائم يوم خيبر
فرؤة بن عمرو البياضى ، وكان قد جمع ما غنم المسلمون فى حصون النطاة
وحصون الشق وحصون الكتيبة ، لم يترك على أحد من أهل الكتيبة إلا
ثوباً على ظهره من الرجال والنساء والصبيان ، وجمعوا أثاثاً كثيراً وبزاً
وقطائف وسلاحاً كثيراً ، وغنماً وبقرًا ، وطعاماً وأدماً كثيراً . فأما الطعام
والأدم والعلف فلم يُخمس ، يأخذ منه الناس حاجتهم ، وكان من احتاج
إلى سلاحٍ يقاتل به أخذَه من صاحب المغنم ، حتى فتح الله عليهم فردّ
ذلك فى المغنم . فلما اجتمع ذلك كله أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجزى خمسة أجزاء ، وكتب فى سهمٍ منها « الله » وسائر السهمان أغفال .
فكان أول ما خرج سهم النبى صلى الله عليه وسلم لم يُتخير فى الأخماس ،
ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيع الأربعة الأخماس^(١) فيمن يريد ،
فجعل فرؤة يبيعها فيمن يريد ، فدعا فيها النبى صلى الله عليه وسلم
بالبركة وقال : اللهم ألق عليها النفاق ! قال فرؤة بن عمرو : فلقد رأيتُ
الناس يتداركون على ويتواثبون حتى نفق فى يومين ، ولقد كنت أرى أننا
لا نتخلص منه حيناً لكثرتِه . وكان الخمس الذى صار إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من المغنم يُعطى منه على ما أراد الله من السلاح والكسوة ، فأعطى منه
أهل بيته من الثياب والخرز والأثاث ، وأعطى رجالاً من بنى عبد المطلب
ونساءً ، وأعطى اليتيم والسائل . وجمعت يومئذٍ مصاحفُ فيها التوراة من
المغنم ، فجاءت اليهود تطلبها وتكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) فى الأصل : « أخماس » .

أَن تُرَدَّ عَلَيْهِمْ . ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَدُوا الْخَيْطَ .
وَالْمِخِيطَ . ، فَإِنَّ الْغُلُولَ عَارٌ وَشَنَارٌ وَنَارٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فباع يومئذٍ فَرَوَةَ
المتاع ، فَأَخَذَ عِصَابَةً فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ لِيَسْتَظِلَّ بِهَا مِنَ الشَّمْسِ ، ثُمَّ رَجَعَ
إِلَى مَنْزِلِهِ وَهِيَ عَلَيْهِ فَذَكَرَ فَخَرَجَ فَطَرَحَهَا . وَأَخْبَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : عِصَابَةٌ مِنْ نَارٍ عَصَبْتَ بِهَا رَأْسَكَ . وَسَأَلَ
رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمئِذٍ مِنَ الْفَيءِ شَيْئًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا يَجِلُّ لِي مِنَ الْفَيءِ خَيْطٌ . وَلَا مِخِيطٌ ، لَا أَخْذُ وَلَا أُعْطَى .
فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عِقَالًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَتَّى نَقْسِمَ الْغَنَائِمَ ثُمَّ
أُعْطِيكَ عِقَالًا ، وَإِنْ شِئْتَ مِرَارًا^(١) . وَكَانَ رَجُلٌ أَسْوَدُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُمَسِّكُ دَابَّتَهُ عِنْدَ الْقِتَالِ يَقَالُ لَهُ كَرَّكَرَةً ، فَقُتِلَ يَوْمئِذٍ ، فَقِيلَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَشْهِدْ كَرَّكَرَةً ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ
الْآنَ لِيُحْرَقَ فِي النَّارِ عَلَى شِمْلَةٍ غَلَّهَا . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمَالِقَوْمِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
أَخَذْتُ شِرَاكَيْنِ يَوْمئِذٍ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
شِرَاكَاكَ مِنْ نَارٍ . وَتَوَفَّى يَوْمئِذٍ رَجُلٌ مِنْ أَشْجَعٍ ، وَإِنَّهُمْ ذَكَرُوهُ لِرَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : صَلُّوا عَلَى صِبَاحِكُمْ . فَتَغَيَّرَتْ وَجُوهُ النَّاسِ لِذَلِكَ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ صِبَاحَكُمْ غَلٌّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . قَالَ زَيْدُ بْنُ
خَالِدٍ الْجُهَنِيُّ : فَفَتَشَّنَا مَتَاعَهُ فَوَجَدْنَا خَرَزًا مِنْ خَرَزِ الْيَهُودِ لَا يَسْوَى دَرَهْمَيْنِ .
وَكَانَ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَصَابُوا خَرَزًا مِنْ خَرَزِ الْيَهُودِ وَكَانُوا رَفَقَاءَ ؛ فَتَنَالِ
الْمَحْدَثَ لِهَذَا الْحَدِيثِ : لَوْ كَانَ الْخَرَزُ عِنْدَكُمْ الْيَوْمَ لَمْ يَسْوِ دَرَهْمَيْنِ .
فَأَتَيْتِ بِذَلِكَ الْخَرَزَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا فَرَّغَ مِنَ الْمَقَسَمِ .

(١) المِرَارُ : الْحَبْلُ . (الْهَيْتَةُ ، ج ٤ ، ص ٨٨) .

فقالوا : يا رسول الله ، نسينا ! هذا الخرز عندنا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلُّكم يحلف بالله أنه نسيه ؟ قالوا : نعم . فحلفوا بالله جميعاً أنهم نسوه ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرير الموتى فسجن عليهم بالرباط . ، ثم صلى عليهم صلاة الموتى . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد الغلول في رَحْل الرجل فلا يعاقبه ، ولم يُسمع أنه أحرق رَحْل أحدٍ وُجد في رَحله ، ولكنه يُعنف ويؤنَّب ويؤدَّى ويُعرف الناس به .

قالوا : واشترى يوم خَيْبَر تَبْرًا^(١) بذهبٍ جُزْأً ، فلهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان فضالة بن عُبيد يحدث يقول : أصبتُ يومئذٍ قلادةً فبعْتُها بثمانية دنانير ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : بع الذهب وزنًا بوزن . وكان في القلادة ذهبٌ وغيره فرجعتُ فيها . واشترى السعدان تَبْرًا بذهب أحدهما أكثر وزنًا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أربيتما فردًا ! ووجد رجلٌ يومئذٍ في خربةٍ مائتي درهم ، فأخذ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس ودفعها إليه .

وسَمِع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ يقول : مَنْ كان يُؤْمَن بالله واليوم الآخر فلا يسقِ^(٢) ماءه زَرْعَ غيره ، ولا يبيع^(٣) شيئًا من المَغْنَم حتى يُعَلِّم ، ولا يركب دابةً من المَغْنَم حتى إذا بَرَّاهَا^(٤) رَدَّهَا ، ولا يلبس ثوبًا من المَغْنَم حتى إذا أَخْلَقَهُ رَدَّهُ ، ولا يَأْتِ من السَّبْيِ حتى تستبرئ وتَحِيضَ حَيْضَتُهُ ، وإن كانت جُبلى حتى تضع حملها . وهرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) التبر : الذهب والفضة أو فتاتهما قبل أن بصاغا ، فإذا صيغا فهما ذهب وفضة . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٣٧٩) .

(٢) في الأصل : « فلا يسق » .

(٣) في الأصل : « ولا يبيع » .

(٤) في الأصل : « إذ يراها » . وبرَّاه : عزَّاه (القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٣٠٢) .

وسلّم يومئذٍ على امرأةٍ مُجِحٍّ^(١) فقال : لمن هذه؟ فقيل : لفلان . قال : فلعلّه يطوّها؟ قالوا : نعم . قال : كيف بولدها يرثه وليس بابنه ، أو يسترقّه وهو يعدو في سمعه وبصره؟ لقد هممتُ أن ألعنه لعنةً تتبعه في قبره .

قالوا : وقدم أهل السفينتين^(٢) من عند النجاشي بعد أن فُتحت خيبر ، فلما نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى جعفر قال : ما أدرى بأيّهما أنا أسرّ ، بقدم جعفر أو فتح خيبر! ثم ضمّه رسول الله وقبّل بين عينيه . وقدم الدوسيون فيهم أبو هريرة والطّفل بن عمرو وأصحابهم ونفرٌ من الأشجعيّين ، فكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فيهم أن يشركوهم في الغنيمة . قالوا : نعم يا رسول الله . ونظر أبان بن سعيد^(٣) ابن العاص إلى أبي هريرة فقال : أمّا أنت فلا . فقال أبو هريرة : يا رسول الله ، هذا قاتل ابن قوقل . قال أبان بن سعيد : يا عَجَباه ليوبر^(٤) تكلّى علينا من قدوم ضأن^(٥)! ينحى على قتل امرئٍ مسلمٍ أكرمه الله على يدي ولم يهنّ على يده .

قالوا : وكان الخمس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلّ مَغْنَم غنمه المسلمون ، شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غاب عنه . وكان لا يقسم لغائبٍ في مَغْنَمٍ لم يشهده ، إلّا أنه في بدرٍ ضرب لثمانية لم يشهدوا ، كلّهم

- (١) المصحح : الحامل المقرب التي دنا ولادها . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٤٤) .
- (٢) في الأصل : « السقيفتين » ، والتصحيح عن ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٣) .
- (٣) في الأصل : « أبان بن سعد » ، والتصحيح عن ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ٦٢) .
- (٤) الوبر : دوبة على قدر السنور ، غبراء أو بيضاء حسنة العينين شديدة الحباء حجازية ، وإنما شبهه بالوبر تحقيراً له . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٩٠) .
- (٥) في الأصل : « من قدم صاد » . والنصويب عن ابن الأثير : حدث قال : هي ثنية أوجبيل السراة من أرض دوس . وقيل : القدوم ما تقدم في الشاة وهو رأسها ، وإنما أراد احتقاره وصغر قدره . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٢٣٥) .

مستحقٌّ فيها . وكانت خَيْبَرُ لأهل الحُدَيْبِيَّةِ ، مَنْ شهدها منهم أَوْ غاب عنها . قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ﴾ ^(١) يَعْنِي خَيْبَرَ . وقد تَخَلَّفَ عنها رجال : مُرَيُّ بْنُ سِنَانٍ ، وَأَيُّمَنُ بْنُ عُبَيْدٍ ، وَسِبَاعُ بْنُ عُرْفُطَةَ الْغِفَارِيُّ ، خَلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَغَيْرُهُمْ . ومات منهم رَجُلَانِ ، فَأَسْهَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ تَخَلَّفَ مِنْهُمْ وَمَنْ مَاتَ ، وَأَسْهَمَ لِمَنْ شَهِدَ خَيْبَرَ مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ لَمْ يَشْهَدْ الْحُدَيْبِيَّةَ . وَأَسْهَمَ لِرُسُلٍ كَانُوا يَخْتَلِفُونَ إِلَى أَهْلِ فَدَكَ ، مُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الْحَارِثِيُّ وَغَيْرِهِ ، فَأَسْهَمَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَحْضُرُوا . وَأَسْهَمَ لثَلَاثَةِ مَرْضَى لَمْ يَحْضُرُوا الْقِتَالَ : سُوَيْدُ بْنُ النُّعْمَانِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي خُطَامَةَ ، وَأَسْهَمَ لِلْقَتْلَى الَّذِينَ قُتِلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ ذَلِكَ . وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّمَا كَانَتْ خَيْبَرُ لِأَهْلِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، لَمْ يَشْهَدَهَا غَيْرُهُمْ وَلَمْ يُسْهِمَ فِيهَا لِغَيْرِهِمْ . وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَثْبَتَ عِنْدَنَا أَنَّ قَوْمًا شَهِدُوا خَيْبَرَ فَأَسْهَمَ لَهُمْ وَلَمْ يَكُونُوا شَهِدُوا الْحُدَيْبِيَّةَ .

حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، عَنْ قُطَيْبِ الْحَارِثِيِّ ، عَنْ حِزَامِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مُحَيِّصَةَ قَالَ : فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَشْرَةٍ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ غَزَا بِهِمْ إِلَى خَيْبَرَ ، فَأَسْهَمَ لَهُمْ كُسُهُمَانِ الْمُسْلِمِينَ . وَيُقَالُ : أَحْذَاهُمْ وَلَمْ يُسْهِمَ لَهُمْ ، وَكَانَ مَعَهُمْ مَمْلُوكُونَ ، مِنْهُمْ عُمَيْرُ مَوْلَى أَبِي اللَّحْمِ . قَالَ عُمَيْرُ : وَلَمْ يُسْهِمَ لِي وَأَعْطَانِي خُرْتُ ^(٢) مَتَاعًا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) سورة الفتح ٤٨

(٢) الخُرْتُ : أَنَاثُ الْبَيْتِ . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٨٦) .

مُحْذِيهِمْ^(١) . وخرج مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من المدينة عشرون امرأة : أُمّ سَلَمَة زوجته ، وَصَفِيَّة بنت عبد المطلب ، وَأُمّ أَيْمَن ، وَسَلْمَى امرأة أَبِي رَافِع مولاة النَبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلَّم ، وامرأة عاصم بن عَدَى ولدت سَهْلَةَ بنت عاصم بِخَيْبَر ، وَأُمّ عُمارة نُسَيْبَةَ بنت كعب ، وَأُمّ مَنِيع وهى أُمّ شُبَّاث ، وَكُعَيْبَةَ بنت سعد الأَسْلَمِيَّة ، وَأُمّ مُتَاع الأَسْلَمِيَّة ، وَأُمّ سُلَيْم بنت مِلْحان ، وَأُمّ الصُّحَّاح بنت مَسْعُود الحارثِيَّة ، وهند بنت عمرو ابن جِزَام ، وَأُمّ العلاء الأَنْصَارِيَّة ، وَأُمّ عامر الأشْهَلِيَّة ، وَأُمّ عَطِيَّة الأَنْصَارِيَّة ، وَأُمّ سَلِيط .

وحدثني ابن أَبِي سَبْرَةَ ، عن سُلَيْمَانَ بن سُهَيْم ، عن أُمّ عَلِيّ بنت الْحَكَم ، عن أُمِّيَّة بنت قيس بن أَبِي الصَّلْت الغِفَارِيَّة ، قالت : جئت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في نسوة من بنى غِفَار فقلنا : إِنَّا نُريد يا رسول الله أَنْ نخرج معك في وجهك هذا فنداوى الجرحى ونُعِين المسلمين بما استطعنا . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : على بركة الله ! قالت : فخرجنا معه وكنت جارية حديثة السن ، فَأَرَدَنِي رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم على حَقِيبة رحله ، فنزل الضَّيْح فَأَنَاخ وإذا أنا بالحَقِيبة عليها دَمٌ مَنِيٌّ ؛ وكانت أَوَّل حِيضَةٍ حِضَّتْهَا ، فتَقَبَّضْتُ إلى الناقَة واستحييت . فلَمَّا رَأَى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ما بِي ورَأَى الدَّم قال : لَعَلَّكَ تُنْفَسْت ! فلت : نعم . قال : فَأَصْلَحِي من نفسك ، ثم خذِي إِنَاءً من ماء ، ثم اطرَحِي فيه ملحًا واغسلي ما أَصَاب الحَقِيبة من الدَّم ثم عودي . ففعلت ،

(١) في الأصل : « مجزيهم » .

فلما فتح الله خيبر رَضَخَ لنا من اللقيء ولم يُسهم ، وأخذ هذه القلادة التي تَرَيْنِ في عنقي فأعطانيها وعلَّقها بيده في عنقي ، فوالله لا تفارقني أبداً . وكانت في عنقها حتى ماتت وأوصت أن تُدفن معها ، وكانت لا تطهر إلا وجعلت في طهورها ملحاً ، وأوصت أن يُجعلَ في غُسلها ملحٌ^(١) حين غُسلت .

حدَّثني عبد السلام بن موسى بن جُبَيْر ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عبد الله بن أنيس ، قال : خرجتُ مع النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم إلى خَيْبَر ومعي زوجتي حبل ، فنُفِست بالطريق فأخبرتُ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم فقال : انقع لها تمرًا فإذا أنعم بَلُّهُ فامرئُته^(٢) ثم تشربه . ففعلتُ فما رأت شيئاً تكرهه . فلما فتحنا خَيْبَر أخذى النساء ولم يُسهم لهنّ ، فأخذى زوجتي وولدى الذي وُلد . قال عبد السلام : لست أدرى غلام أم جارية .

وحدَّثني ابن أبي سَبْرَةَ ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن عمر بن الحَكَم ، عن أمّ العلاء الأنصاريّة قالت : فأصابني ثلاثُ خرزات ، وكذلك أصاب صواحبى ، وأتى يومئذٍ برِعات^(٣) من ذهب ، فقال : هذا لبنات أخي سعد بن زُرارة ، فقدم بها عليهنّ فرأيت ذلك الرِّعات عليهنّ ، وذلك من خُمسه يوم خَيْبَر .

حدَّثني عبد الله بن أبي يحيى ، عن ثُبَيْتة بنت حَنْظَلَةَ الأسلميّة ، عن أمّها أمّ سِنان قالت : لما أراد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم الخروج

(١) في الأصل : « ملحاً » .

(٢) في ابن كثير عن الواقدي : « فإذا انعمر فأمر به لتشربه » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٠٥)

(٣) الرعات : القرطة ؛ وهي من حلى الأذن . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٨٧) .

جثته فقلت : يا رسول الله ، أخرجُ معك في وجهك هذا ، أخرز^(١) السقاء ، وأداوى المرضى والجريح إن كانت جراح - ولا يكون - وأنظر الرجل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجى على بركة الله فإن لك صواب قد كلمننى وأذنتُ لهنَّ من قومك ومن غيرهم ، فإن شئت فمع قومك وإن شئت فمعنا . قلت : معك ! قال : فكونى مع أم سلمة زوجتى . قالت : فكنت معها ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغدو من الرجيع كل يومٍ عليه الدرع ، فإذا أمسى رجع إلينا ، فمكث على ذلك سبعة أيام حتى فتح الله النطا ، فلما فتحها تحول إلى الشقّ وحولنا إلى المنزلة ، فلما فتح خيبر رضخ لنا من الفء ، فأعطانى خرزاً وأوضاحاً^(٢) من فضة أصيبت في المغنم ، وأعطانى قطيفةً فدكيةً ، وبُرْدًا يمانياً ، وخمائل^(٣) ، وقِدْرًا من صُفَر^(٤) . وكان رجالٌ من أصحابه قد جرحوا فكنت أداويهم بدواي كان عند أهلى فيبرأون ، فرجعتُ مع أم سلمة فقالت لى حين أردنا ندخل المدينة ، وكنت على بعيرٍ من إبل النبى صلى الله عليه وسلم منحه لى ، فقالت : بعيرك الذى تحتك لك رقبته أعطاكيه رسول الله . قالت : فحمدتُ الله وقدمت بالبعير فبعته بسبعة دنانير . قالت : فجعل الله فى وجهى ذلك خيراً .

قالوا : فأسهم للنساء ، وأسهم لسهلة بنت عاصم ، ولدت بخيبر ، وولد لعبد الله بن أنيس بخيبر ، فأسهم للنساء والصبيان . ويقال : رضخ للنساء والصبيان ولم يجعلهم كأهل الجهاد .

(١) فى الأصل : « فخرز » .

(٢) الأوضاح : جمع وضح ، وهو الحل من فضة . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢٥٥) .

(٣) الخمائل : جمع الخملة ، وهى الثوب المخل كالكماء . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٧١) .

(٤) الصفر : من النحاس . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٧١) .

وحدثني يعقوب بن محمد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي
صَعْصَعَةَ ، عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، قال : رأيت في رَقَبَةِ أُمِّ
عُمارة خَرَزًا حُمْرًا فسألتُها عن الخَرَز فقالت : أصاب المسلمون خَرَزًا في
حصن الصَّعْب بن مُعاذ دُفِن في الأرض ، فأُتِيَ به إلى رسول الله صَلَّى الله عليه
وسلَّم فأمر به بمن معه من النساء فأُحصين ، فكُنَّا عشرين امرأة ، فقسم ذلك
الخَرَز بيننا هذا وأرضخ لنا من النوى ، قَطِيفَةً وبُرْدًا يَمَانِيًا ودينارين ،
وكذلك أعطى صواحبى . قلت : فكم كانت سُهمان الرجال ؟ قالت :
ابتاع زوجى غَزِيَّة بن عمرو متاعًا بأحد عشر دينارًا ونصف ، فلم يطالب
بشيء ، فظننا أنَّ هذه سُهمان الفرسان - وكان فارسًا - وباع ثلاثة أسهم
في الشَّق زمنَ عُثمان بثلاثين دينارًا . وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قد
قاد في خَيْبَر ثلاثة أفراس ، ليزاز والظَّرب والسَّكَب (١) ، وكان الزُّبَيْر بن
العَوَّام قد قاد أفراسًا ، وكان خِرَاش بن الصِّمَّة قد قاد فرسين ، وكان البراء
ابن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف - أبو إبراهيم (٢) ابن النبی صَلَّى
الله عليه وسلَّم الذى أرضعه - قد قاد فرسين ؛ وكان أبو عمرو الأنصارى قد
قاد فرسين . قال : فأسهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم لكلِّ مَنْ كان
له فرسان خمسة أسهم ، أربعة لفرسيه وسهمًا له ، وما كان أكثر من
فرسين لم يُسهم له . ويقال إنه لم يُسهم إِلَّا لفرس واحد ، وأثبت ذلك
أنه أسهم لفرس واحد . ويقال : إنه عَرَّب العربى يوم خَيْبَر وهَجَّن الهجين ،
فأسهم للعربى وآلَى الهجين . وقال بعضهم : لم يكن الهجين على عهد
رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، إنما كانت العِراب حتى كان زمن عمر بن

(١) في الأصل : « السكت » ؛ وما أثبتناه من كتب السيرة الأخرى .

(٢) إنما قيل له أبو إبراهيم لأن زوجته أم بردة أرضعته بلبنه . (الاستيعاب ، ص ١٥٣) .

الخطّاب وفتح العراق والشّام ، ولم يُسمَع أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ضرب لمن كان معه من الخيل لنفسه إلّا لفرس واحد ، هو معروف ، سهم الفرس . وسهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في النّطاة ثلاثة أسهم ، لفرسه سهمان وله سهم ، كان مع عاصم بن عدّى .

وحدّثنى ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن حزام بن سعد بن محيصة ، قال : خرج سُويّد بن النّعمان على فرس ، فلمّا نظر إلى بيوت خيبر في الليل وقع به الفرس ، فعطب الفرس وكسرت يد سُويّد ، فلم يخرج من منزله حتى فتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خيبر ، فأسهم له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سهم فارس .

قالوا : وكانت الخيل مائتي فرس . ويقال : ثلاثمائة ، ومائتان أثبت عندنا . وكان الذي ولي إحصاء المسلمين زيد بن ثابت ، فقسم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بينهم الذي غنموا من المتاع الذي بيع ، ثم أحصاهم ألفاً وأربعمائة ، والخيل مائتي فرس . فكانت السّهمان على ثمانية عشر سهمًا ، وهم الذين ضرب لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالسّهمان ، واخيّلهم أربع عشرة مائة ، والخيل مائتي فرس لها أربعمائة سهم . فكانت سهمان المسلمين التي أسهمها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في النّطاة أو في الشّقّ ثلاثة أسهمٍ فوضي لم تُعرف على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولم تُحدّ ولم تُقسّم ، إنّما لها رؤساء مُسمّون ، لكلّ مائة رأس يُعرف يُقسّم على أصحابه ما خرج من غلّتها ، فكان رؤساؤهم في الشّقّ والنّطاة : عاصم بن عدّى ، وعلى بن أبي طالب عليه السلام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله رضوان الله عليهم . وسهم بنى ساعدة ، وسهم بنى النّجّار لهم رأس ، وسهم

حارثة بن الحارث ، وسهم أسلم وغفار ، وسهم بنى سَلِمة - وكانوا أكثر ورأسهم مُعاذ بن جَبَل - وسهم عُبيدة رجل من اليهود ، وسهم أوس ، وسهم بنى الزُّبَيْر ، وسهم أُسيد بن حُضَيْر ، وسهم بلحارث بن الخزرج ، رأسه عبدالله بن رَواحة ، وسهم بَياضة ، رأسه فَرَوَة بن عمرو ، وسهم ناعم . فهذه ثمانية عشر سهماً في الشَّقِّ والنَّطَاة فوضي يقبض رؤسائهم الغلّة منه ، ثم يُفَضُّ عليهم ، ويبيع الرجل سهمه فيجوز ذلك . وإنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم اشترى من رجلٍ من بنى غِفَار سهمه بخَيْبَر ببيعيرين ثم قال له النبيُّ صَلَّى الله عليه وسلّم : أَعْلَمُ أَنَّ الذي آخذ منك خير من الذي أُعطيك ، والذي أُعطيك دون الذي آخذ منك ، وإن شئت فخذُ وإن شئت فأَمْسِك ! فأخذ الغِفَارِيَّ . وكان عمر بن الخطَّاب يشتري من رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم في سهم ، وأخذ من أصحابه وهم مائة ، وهو سهم أوس كان يُسمَّى سهم اللّفيف حتى صار لعمر بن الخطَّاب رضى الله عنه ، وابتاع محمّد بن مَسْلَمَة من سهم أسلم سُهماناً ، ويقال : إنَّ أسلم كانوا بضعة وسبعين ، وغِفَار بضعة وعشرين فكانوا مائة ، ويقال : كانت أسلم مائة وسبعين ، وغِفَار بضعة وعشرين ، وهذا مائتا سهم ، والقول [الأوّل] أثبت عندنا .

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم لما فتح خَيْبَر سأله اليهود فقالوا : يا محمّد ، نحن أرباب النخل وأهل المعرفة بها . فساقاهم ^(١) رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم خَيْبَر على شَطْرِ من التمر والزرع ، وكان يُزْرَع تحت النخل ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : أقرّكم على ما أقرّكم الله .

(١) ساق فلان فلانا نخله أو كرمه إذا دفعه إليه واستعمله فيه على أن يعمره ويسقيه ويقوم بمصلحته من الإibar وغيره ، فأخرج الله منه فللعامل سهم من كذا وكذا سهماً تغله والباقي لمالك النخل . (لسان العرب ،

فكانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تُوَفِّي ، وأبى بكر ، وصدير من خلافة عمر ، وكان يبعث عبد الله بن رَوَاحَةَ يَخْرُصُ عليهم النخل ، فكان يخرصها فإذا خرص قال : إن شئتم فلکم وتضمنون نصف ما خرصت ، وإن شئتم فلنا ونضمن لکم ما خرصت . وإنه خرص عليهم أربعين ألف وسقي ، فجمعوا له حُلِيًّا من حُلَى نسائهم فقالوا : هذا لك ، وتجاوز في القسم . فقال : يا معشر اليهود ، والله إنکم لمن أبغض خلق الله إليّ ، وما ذاك يحملني أن أحيفَ عليكم . قالوا : بهذا قامت السموات والأرض ! فكان عبد الله بن رَوَاحَةَ يَخْرُصُ عليهم ، فلمَّا قُتِلَ يوم مُؤْتَةَ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا الهيثم بن التَّيَّهَانِ يَخْرُصُ عليهم ، ويقال : جَبَّار بن صَخْر ، فكان يصنع بهم مثل ما كان يصنع عبد الله بن رَوَاحَةَ ، ويقال : الذي خرص بعد ابن رَوَاحَةَ عليهم فَرَوَةَ بن عمرو . قالوا : وجعل المسلمون يَقَعُونَ في حرثهم وبَقْلِهِمْ بعد المُسَاقَاةِ وبعد أن صار لليهود نصفه ، فشَكَتِ اليهود ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ، ويقال : عبد الرحمن بن عَوْف ، فنَادَى : إنَّ الصلاة جامعة ، ولا يدخل الجَزَّةَ إِلَّا مُسْلِمٌ . فاجتمع الناس ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنَّ اليهود شَكَّوْا إليَّ أنكم وقَعتم في حظائِهم ، وقد أمَّناهم على دمانهم وعلى أموالهم والذي في أيديهم من أراضيهم ، وعاملناهم ، وإنه لا تحلُّ أموال المعاهدين إِلَّا بحَقِّها . وكان المسلمون لا يأخذون من بقولهم شيئًا إِلَّا بثمن ، فربما قال اليهودي للمُسلم : أنا أُعْطِيكَه باطلاً^(١) ! فيأبى المُسلم إِلَّا بثمن .

قال ابن واقد : وقد اختلف علينا في الكَتِيبَةِ ، فقال قائل : كانت

(١) في الأصل : « أنا أُعْطِيكَه باطل » .

للنبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم خالصةً ولم يُوجف^(١) عليها المسلمون ، إنما كانت لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم .

وحدّثني عبد الله بن نوح ، عن ابن غُفَيْر ، وموسى بن عمرو بن عبد الله ابن رافع ، عن بشير بن يسار . وحدّثني إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، أنهم كانوا يقولون ذلك . وقال قائل : هي خُمُس رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم من خيبر ، من الشَّقِّ والنَّطَاة . وحدّثني قدامة بن موسى ، عن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزام ، قال : كتب إلى عمر بن عبد العزيز في خلافته أن افحص لي عن الكَتِيبَةِ . قال أبو بكر : فسألتُ عمرة بنت عبد الرحمن فقالت : إن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم لما صالح بني أبي الحُقَيْق جزاً النّطاة والشَّقِّ والكَتِيبَةِ خمسة أجزاء ، وكانت الكَتِيبَةُ جزءاً منها ، ثم جعل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم خمس بَعَرَاتٍ ، وأعلم في بَعَرَةٍ منها ، فجعلها لله ، ثم قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : اللهم اجعل سهمك في الكَتِيبَةِ . فكان أوّل ما خرج منها الذي فيه مكتوبٌ على الكَتِيبَةِ ، فكانت الكَتِيبَةُ خُمُس النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم ، وكانت السُّهُمان أغفالا ليس عليها علامات ، وكانت قَوْضَى للمسلمين على ثمانية عشر سهماً . قال أبو بكر : فكتبتُ إلى عمر بن عبد العزيز بذلك .

وحدّثني أبو بكر بن أبي سَبْرَةَ ، عن أبي مالك ، عن حِزام بن سعد بن مُحَيَّصَةَ ، قال : لما خرج سهم النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم وكان الشَّقِّ والنّطاة أربعة الأخماس للمسلمين قَوْضَى .

وحدّثني عبد الله بن عَوْن ، عن أبي مالك الجَمِيرِيّ ، عن سَعِيد بن

(١) أوجف دابته : حثا . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٩٦) .

المُسَيَّب ، وحدثني محمد^(١) ، عن الزُّهْرِيِّ ، قال : الكَتِيبَةُ خُمُسُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال : فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطْعِمُ مَنْ أَطْعَمَ فِي الكَتِيبَةِ وَيُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ مِنْهَا . قال ابن واقد : والثابت عندنا أنها خُمُسُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَيْبَرَ ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُطْعَمْ مِنَ الشُّقِّ وَالنَّطَاطَةِ أَحَدًا وَاجْعَلْهَا سُهِمَانًا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَتْ^(٢) الْكَتِيبَةُ الَّتِي أَطْعَمَ فِيهَا . كَانَتْ الْكَتِيبَةُ تُخْرَصُ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ وَسَقِّ تَمْر ، فَكَانَ^(٣) لِلْيَهُودِ نَصْفُهَا أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، وَكَانَ يُزْرَعُ فِي الْكَتِيبَةِ شَعِيرٌ ، فَكَانَ يُحْصَدُ مِنْهَا ثَلَاثَةُ آلَافٍ صَاع ، فَكَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصْفُهُ ؛ أَلْفٌ وَخَمْسَمِائَةِ صَاعٍ شَعِيرٍ ، وَكَانَ يَكُونُ فِيهَا نَوَى فَرَبَّمَا اجْتَمَعَ أَلْفٌ صَاعٍ فَيَكُونُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصْفُهُ ، فَكُلَّ هَذَا قَدْ أُعْطِيَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ وَالنَّوَى .

تسمية سُهِمَانِ الْكَتِيبَةِ

خُمُسُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحْدَهُ ، وَسُلَالِمٌ ، وَالْجَاسِمِينَ ، وَسُهِمَاتُ النِّسَاءِ ، وَسُهِمَاتُ مَقْسَمٍ - وَكَانَ يَهُودِيًّا - وَسُهِمَاتُ عَوَانٍ ، وَسُهِمَاتُ غَرِثٍ ، وَسُهِمَاتُ نَعِيمٍ ، وَهُوَ اثْنَا عَشَرَ سُهْمًا .

ذَكَرَ طَعْمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكَتِيبَةِ أَزْوَاجَهُ وَغَيْرَهُمْ

أَطْعَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ ثَمَانِينَ وَسَقًّا تَمْرًا وَعِشْرِينَ وَسَقًّا شَعِيرًا . وَلِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَائَتِي وَسَقِّ ، وَلِفَاطِمَةَ وَعَلِيَّ

(١) أبى محمد بن عبد الله . (٢) في الأصل : « وكان » .

(٣) في الأصل : « فكانت » .

عليهما السلام من الشعير والتمر ثلاثمائة وسق ، والشعير من ذلك خمسة وثمانين وسقاً ، لفاطمة من ذلك مائتا وسق . ولأسامة بن زيد مائة وخمسون ، منها أربعون شعيراً وخمسون وسقاً نوى ، ولأم رُمثة بنت عمر بن هاشم بن المطلب خمسة أوساق شعير ، وللمقداد بن عمرو خمسة عشر وسقاً شعيراً .

وحدثني موسى بن يعقوب ، عن عمته ، عن أمها ، قالت : بعنا طعمة المقداد بن عمرو من خيبر خمسة عشر وسقاً شعيراً من معاوية بن أبي سفيان بمائة ألف درهم .

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى محمد رسول الله لأبي بكر بن أبي قحافة مائة وسق . ولعقيل بن أبي طالب مائة وأربعين ، ولبنى جعفر بن أبي طالب خمسين وسقاً ، ولربيعه بن الحارث مائة وسق ، ولأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب مائة وسق ، وللصلت بن مخرمة بن المطلب ثلاثين وسقاً ، ولأبي نُبَكة خمسين وسقاً ، ولركانة بن عبد يزيد خمسين وسقاً ، وللقاسم بن مخرمة بن المطلب خمسين وسقاً ، ولمسطح بن أثانة بن عباد وأخته هند ثلاثين وسقاً ، ولصفية بنت عبد المطلب أربعين وسقاً ، ولُبَينة بنت الحارث^(١) بن المطلب ثلاثين وسقاً ، ولزُباعة بنت الزبير بن عبد المطلب أربعين وسقاً ، وللحُصين ، وخديجة ، وهند بن عُبيدة بن الحارث مائة وسق ، ولأم الحَكَم بنت الزبير بن عبد المطلب ثلاثين وسقاً ، ولأم هانئ بنت أبي طالب أربعين وسقاً ، ولجُمانة بنت أبي طالب ثلاثين وسقاً ، ولأم طالب بنت أبي طالب ثلاثين وسقاً ، ولقيس بن

(١) في الأصل : « لبينة بنت الأثر » . والتصحيح عن ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ١٧٩٣) .

مُخْرَمَةَ بن المطلب خمسين وَسَقًا ، ولأبي أَرْقَم خمسين وَسَقًا ، ولعبد الرحمن ابن أبي بكر أربعين وَسَقًا ، ولأبي بَصْرَةَ أربعين وَسَقًا ، ولابن أبي حُبَيْش ثلاثين وَسَقًا ، ولعبد الله بن وهب وابنيه خمسين وَسَقًا ، لابنيه أربعين وَسَقًا ، ولنُمَيْلَةَ الكلبي من بني لَيْث خمسين وَسَقًا ، ولأُمّ حَبِيبَةَ بنت جَحْش ثلاثين وَسَقًا ، ولَمَلَكَانَ بن عَبْدَةَ ثلاثين وَسَقًا ، ولَمُحَيِّصَةَ بن مسعود ثلاثين وَسَقًا ، وأوصى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم للرّهاويين ^(١) بطُعْمَةٍ من خُمُسِ خَيْبَرٍ بِجَادٍ ^(٢) مائة وَسَقٍ ، وللداريّين بِجَادٍ مائة وَسَقٍ ، وهم عشرة من الداريين قدموا من الشام إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فأوصى لهم بطُعْمَةٍ مائة وَسَقٍ : هَانِيٌّ بن حبيب ، والفاكه بن النُّعْمَان ، وَجَبَلَةُ بن مالك ، وأبو هِنْد بن بَرٍّ وأخوه الطَّيِّب بن بَرٍّ ، سَمَاه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم عبد الله ، وَتَمِيم بن أَوْس ، وَنُعَيْم بن أَوْس ، ويزيد بن قيس ، وعَزِيز بن مالك ، سَمَاه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم عبد الرحمن ، وأخوه مُرَّة بن مالك ، وأوصى للآشعريين بِجَادٍ مائة وَسَقٍ .

أخبرنا عبد الوهاب بن أبي حَيَّة قال : حدّثنا ابن اللُّججيّ قال : حدّثنا الواقديّ قال : حدّثني مَعْمَر ، عن الزُّهْرِيّ ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَةَ ، قال : لم يوص رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلا بثلاثة أَسْيَاءَ ، للداريّين بِجَادٍ مائة وَسَقٍ ، وللآشعريين بِجَادٍ مائة وَسَقٍ ، وللرّهاويين بِجَادٍ مائة وَسَقٍ ، وأن يُنْفَذ جيش أسامة بن زيد ، وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم عقد له

(١) الرهاويين : نسبة إلى رهاوة وهي قبيلة من اليمن ، ويقال فيها : رهاه بالهمز أيضاً وهو الأصح . قال بعض أهل النسب : رهاوة بفتح الراء قبيلة ينسب إليها رهاوي ، والرّهاة نفر بالجزيرة ينسب إليها رهاوي بضم الراء (شرح أبي ذر ، ص ٣٥٠) .

(٢) في الأصل : « نخاد » . والتصحيح عن ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٣٦٧) . وبجَادٍ مائة وَسَقٍ : أي ما يجذ منه مائة وَسَقٍ ، أي يقطع . (شرح أبي ذر ، ص ٣٥١) .

إلى دقتل أبيه ، وألاً يُترك بجزيرة العرب دينان .

قالوا : ثم استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في قسم خمس خبير فأشار عليه أن يقسمه في بني هاشم وبني المطلب وبني عبد يغوث .

وحدثني معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال : قال جبير ابن نعلوم : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوى القربى بخيبر من بني هاشم وبني المطلب مشيت أنا وعثمان بن عفان حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : يا رسول الله ، هؤلاء إخواننا من بني المطلب لا ننكر فضلهم لمكانك الذى وضعك الله به منهم ، أفرأيت إخواننا من بني المطلب ، إنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة ، أعطيتهم وتركتنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن بني المطلب لم يفارقوني في الجاهلية والإسلام ؛ دخلوا معنا في الشعب ، إنما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد ! وشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصابعه .

قالوا : وكان عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث يحدث قال : اجتمع العباس بن عبد المطلب وربيع بن الحارث فقالا : لو بعثنا هذين الغلامين - لى والفضل بن عباس - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّماه فأمرهما على هذه الصدقات ، فأديا ما يؤدى الناس ، وأصابا ما يُصيبون من المنفعة . فبعث بي والفضل فخرجنا حتى جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقناه ، وانصرف إلينا من الظهر وقد وقفنا له عند حجرة زينب ، فأخذ بمنابكهما فقال : أخرجنا ما تُسرّان^(١) ! فلما دخل دخلا عليه فكلّماه فقالا : يا رسول الله جئناك أتؤمّن على هذه الصدقات فتؤدى ما يؤدى الناس ، ونصيب ما يُصيبون من

(١) في الإعراب "عران" . لعل ما أثبتناه أقرب الاحتمالات .

المنفعة . فسهكت ورفع رأسه إلى سقف البيت ثم أقبل علينا فقال :
 إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِمَحَمَّدٍ وَلَا لآلِ مُحَمَّدٍ ، إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ .
 ادْعُ لِي مَحْمِيَّةَ بَنِ جَزْءِ الزُّبَيْدِيِّ وَأَبَا سُفْيَانَ بَنِ الْحَارِثِ بَنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .
 فَقَالَ لِمَحْمِيَّةَ : زَوْجُ هَذَا ابْنَتِكَ - لِلْفَضْلِ . وَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ : زَوْجُ هَذَا
 ابْنَتِكَ - لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ بَنِ رَبِيعَةَ بَنِ الْحَارِثِ . وَقَالَ لِمَحْمِيَّةَ : أَصْدَقُ عَنْهُمَا
 مِمَّا عِنْدَكَ مِنَ الْخُمْسِ ! وَكَانَ يَكُونُ عَلَى الْخُمْسِ . فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ :
 قَدْ دَعَانَا عَمْرٌ إِلَى أَنْ يُنْكَحَ فِيهِ أَيَامَانَا وَيُخْدَمَ مِنْهُ عَائِلَتُنَا ، وَيَقْضَى مِنْهُ
 غَارِمُنَا ، فَأَبَيْنَا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يُسَلِّمَهُ كُلَّهُ ، وَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْنَا .

حَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ ، عَنْ عُروَةَ بِنِ الزُّبَيْرِ
 أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرٌ وَعَلِيًّا^(١) عَلَيْهِمُ السَّلَامُ جَعَلُوا هَذَيْنِ السَّهْمَيْنِ عَلَى الْيَتَامَى
 وَالْمَسَاكِينِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : فِي السَّلَاحِ وَالْعُدَّةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَكَانَتْ تِلْكَ
 الطُّعْمَةُ تُتَوَخَّذُ بِصَاعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَيَاتِهِ وَفِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ،
 وَعَمْرٌ ، وَعُثْمَانُ ، وَمُعَاوِيَةُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، حَتَّى كَانَ يَحْيَى بْنُ الْحَكَمِ
 فَزَادَ فِي الصَّاعِ سُدُسَ الْمُدِّ ، فَأَعْطَى لِلنَّاسِ بِالصَّاعِ الَّذِي زَادَ ، ثُمَّ كَانَ أَبَانُ
 ابْنِ عُثْمَانَ فَزَادَ فِيهِ فَأَعْطَاهُمْ بِذَلِكَ ، وَكَانَ مِنْ مَاتَ مِنَ الْمُطْعَمِينَ أَوْ قُتِلَ
 فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَى بَكْرٍ فَإِنَّهُ يَرِثُهُ تِلْكَ الطُّعْمَةُ مِنْ
 وَرَثِ مَالِهِ . فَلَمَّا وَلِيَ عَمْرٌ بَنَ الْخَطَّابِ قَبْضَ طُعْمَةٍ كُلِّ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَوْرَثْهُ ،
 فَقَبْضُ ذُو : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَقَبْضُ طُعْمَةِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَكَلَّمَهُ فِيهِ

عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَأَبَى ؛ وَقَبَضَ طُعْمَةَ صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَكَلَّمَهُ الزُّبَيْرُ فِي ذَلِكَ حَتَّى غَالِظَهُ فَأَبَى عَلَيْهِ بَرْدَهُ ، فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْهِ قَالَ : أُعْطِيكَ بَعْضَهُ . قَالَ الزُّبَيْرُ : لَا وَاللَّهِ ، لَا تَخْلِفْ تَمْرَةً وَاحِدَةً تَحْبِسُهَا عَنِّي ! فَأَبَى عَمْرُ تَسْلِيمَهُ كُلَّهُ إِلَيْهِ . قَالَ الزُّبَيْرُ : لَا آخِذْهُ إِلَّا جَمِيعًا ! فَأَبَى عَمْرُ وَأَبَى أَنْ يَرُدَّ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ . وَقَبَضَ طُعْمَةَ فَاطِمَةَ ، فَكَلَّمُ فِيهَا فَأَبَى أَنْ يَفْعَلَ . وَكَانَ يُعْجِزُ لَأَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا صَنَعْنَ ، فَمَاتَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فِي خِلَافَتِهِ فَخَلَّى بَيْنَ وَرَثَتِهَا وَبَيْنَ تِلْكَ الطُّعْمَةِ ، وَأَجَازَ مَا صَنَعْنَ فِيهِ مِنْ بَيْعٍ أَوْ هَبَةٍ ، وَوَرِثَ ذَلِكَ كُلُّ مَنْ وَرَثَهُنَّ وَلَمْ يَفْعَلْ بغيرهنَّ . وَأَبَى أَنْ يُعْجِزَ بَيْعَ مَنْ بَاعَ تِلْكَ الطُّعْمَةَ ، وَقَالَ : هَذَا شَيْءٌ لَا يُعْرَفُ ، إِذَا مَاتَ الْمُطْعَمُ بَطَلَ حَقُّهُ فَكَيْفَ يَجُوزُ بَيْعُهُ ؟ إِلَّا أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ أَجَازَ مَا صَنَعْنَ ، فَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ كُلَّكُمْ فِي تِلْكَ الطُّعْمَةِ ^(١) فَرَدَّ عَلَى أُسَامَةَ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَى غَيْرِهِ . فَكَلَّمَهُ الزُّبَيْرُ فِي طُعْمَةِ صَفِيَّةَ أُمِّهِ فَأَبَى يَرُدَّهُ . وَقَالَ : أَنَا حَاضِرُكَ حِينَ تَكَلَّمُ عَمْرُ ، وَعَمْرُ يَأْبَى عَلَيْكَ يَقُولُ « خُذْ بَعْضَهُ » ، فَأَنَا أُعْطِيكَ بَعْضَهُ الَّذِي عَرَضَ عَلَيْكَ عَمْرُ ، أَنَا أُعْطِيكَ الثُّلُثَيْنِ وَأَحْتَبِسُ الثَّلَاثَ . فَقَالَ الزُّبَيْرُ : لَا وَاللَّهِ ، لَا تَمْرَةً وَاحِدَةً حَتَّى تَسْلُمَهُ كُلَّهُ أَوْ تَحْتَبِسَهُ .

حَدَّثَنِي شُعَيْبُ بْنُ طَلْحَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ وَلَدُهُ وَرَثَتُهُ يَأْخُذُونَ طُعْمَتَهُ مِنْ خَيْبَرٍ ؛ مِائَةً وَسَقًى فِي خِلَافَةِ عَمْرِو عُثْمَانَ ، وَوَرِثَتْ أُمُّ رُومَانَ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ عُوَيْرٍ الْكِنَانِيَّةَ ^(٢) ، وَحَبِيبَةُ بِنْتُ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : « فِي تِلْكَ الْمُطْعَمِ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْكِنَانِيَّةُ » . وَالتَّصْحِيحُ مِنْ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ . (الاستيعاب ، ص ١٩٣٥) .

فلم يزل جارياً عليهنّ حتى كان زمن عبد الملك أو بعده فقطع .
 قال أبو عبد الله : سألت إبراهيم بن جعفر عمّن أعطى رسول الله
 صلّى الله عليه وسلّم من خُمُس خَيْبَر فقال : لا تسأل عنه أحداً أبداً أعلم
 منّي ؛ كان مَنْ أُعْطِيَ منه طُعمَةٌ جرت عليه حتى يموت ، ثم يرثه من
 ورثته ، يبيعون ويطعمون ويهبون ؛ كان هذا على عهد أبي بكر وعمر
 وعثمان . قلت : ممّن سمعتَ ذلك ؟ قال : من أبي وغيره من قومي . قال
 أبو عبد الله : فذكرتُ لعبد الرحمن بن عبد العزيز هذا الحديث فقال :
 أخبرني من أثق به أنّ عمر كان يقبض تلك الطُعمَة إذا مات الميت في
 حياة أزواج النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم وغيرهنّ . ثم يقول : تُوفيت زينب
 بنت جَحش في سنة عشرين في خلافة عمر فقبض طُعمتها ، فكُلّم
 فأبى أن يُعطيهما الورثة . قال : إنّما كانت من النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم
 طُعمَةٌ ما كان المرءُ حيّاً ، فإذا مات فلا حقّ لورثته . قال : فكان الأمر على
 ذلك في خلافة عمر حتى تُوفّي ، ثم ولي عثمان . وكان النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم
 أطعم زيد بن حارثة طُعمَةٌ من خَيْبَر لم يكن له بها كتاب ، فلما تُوفّي زيد
 جعلها النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم لأُسامة بن زيد . قلت : فإنّ بعض من
 يروى يقول : كلّم أُسامة بن زيد عمر وعثمان في طُعمَة أبيه فأبى ، قال :
 ما كان إلّا كما أخبرتك . قال أبو عبد الله : هذا الأمر .

تسمية من استشهد بخيبر مع رسول الله
 صلّى الله عليه وسلّم

من بنى أُميّة من حلفائهم : ربيعة بن أكرم ، قُتل بالنّطاة ، قتله الحارث
 اليهوديّ ؛ وثقف بن عمرو بن سُميط . قتله أُسَير اليهوديّ ؛ ورفاعة بن

مَسْرُوح ، قتله الحارث اليهودي . ومن بني أسد بن عبد العزى : عبد الله بن أبي أمية بن وهب حليف لهم وهو ابن أختهم ، قُتل بالنطاة . ومن الأنصار محمود بن مسلمة دلى عليه مَرَحَب رَحَى من حصن ناعم بالنطاة . ومن بني عمرو بن عوف : أبو الضيَّاح^(١) بن النعمان ، شهد بدرًا ؛ والحارث بن حاطب قد شهد بدرًا ، وعدي بن مرة بن سراقه ؛ وأوس بن حبيب ، قُتل على حصن ناعم ؛ وأنيف بن وائلة^(٢) ، قُتل على حصن ناعم . ومن بني زريق : مسعود بن سعد ، قتله مَرَحَب . ومن بني سلمة : بشر بن البراء بن معرور ، مات من الشاة المسمومة ؛ وفَضِيل بن النعمان ، وهو من العرب ، من أسلم ؛ وعامر بن الأكوع ، أصاب نفسه على حصن ناعم فدفن هو ومحمود بن مسلمة في غارٍ واحدٍ بالرجيع . ومن بني غفار : عُمارة بن عُقبة بن عَبَاد بن مُلَيْل ، ويسار ، العبد الأسود ، ورجلٌ من أشجع ؛ فجَمِيع من استشهد خمسة عشر رجلًا . وقد اختُلف في الصلاة عليهم فقال قائلٌ : صَلَّى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عليهم ، وقال قائلٌ : لم يصلَّ عليهم . وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون رجلًا . وأعطى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم جبلة بن جَوال الثعلبي كلَّ داجن بخيبر ، ويقال : أعطاه كلَّ داجن في النطاة ، ولم يُعطه من الكتيبة ولا من الشق شيئًا .

(١) في الأصل: «أبو صباح بن النعمان» . والتصحيح عن ابن سعد . (الطبقات، ج ٢، ص ٧٧) .

(٢) في الأصل: «أنيف بن وائل» . والتصحيح من ابن عبد البر يروى عن الواقدي . (الاستيعاب ،

ذكر ما قيل من الشعر في خيبر

قال ناجية بن جُنْدَب الأسلمي :

يا عِبَادَ اللَّهِ فِيمَا نَزَعَبُ مَا هُوَ إِلَّا مَأْكَلٌ وَمَشْرَبٌ
وَجَنَّةٌ فِيهَا نَعِيمٌ مُعْجَبٌ

وقال أيضًا :

أَنَا لِمَنْ أَبْصُرُنِي ابْنُ جُنْدَبُ يَا رَبِّ قِرْنِ^(١) قَدْ تَرَكْتُ أَنْكَبُ^(٢)

طاح عليه^(٣) أَنْسُرٌ وَتَغْلَبُ

أنشدني هذا عبدُ الملك بن وهب من ولد ناجية قال : ما زلت أرويهما
لأبي وأنا غلام .

حدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن أبي بكر بر
حزم ، أنه سُئِلَ عن الرّهان التي كانت بين قُرَيْش حين سار رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خَيْبَرَ فقال : كَانَ حُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى يَقُولُ :
انصرفت من صَلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ وَأَنَا مُسْتَيْقِنٌ أَنَّ مُحَمَّدًا سَيُظْهِرُ عَلَى الْخَلْقِ ،
وَتَأْتِي حَمِيَّةُ الشَّيْطَانِ إِلَّا لَزُومَ دِينِي ، فَقَدِمَ عَلَيْنَا عَبَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ
فَخَبَّرَنَا أَنَّ مُحَمَّدًا سَارَ إِلَى خَيْبَرَ ، وَأَنَّ خَيْبَرَ قَدْ جُمِعَتْ الْجُمُوعُ فَمُحَمَّدٌ
لَا يُفْلَتُ ، إِلَى أَنْ قَالَ عَبَّاسُ : مَنْ شَاءَ بَايَعْتُهُ لَا يُفْلَتُ مُحَمَّدٌ . فَقُلْتُ :
أَنَا أَخَاطِرُكَ . فَقَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ : أَنَا مَعَكَ يَا عَبَّاسُ . وَقَالَ نَوْفَلُ بْنُ

(١) القرن : الذي يقاوم في قتال أو شدة . (شرح أبي ذر ، ص ٣٤٩) .

(٢) الأنكب : المائل إلى جهة . (شرح أبي ذر ، ص ٣٥٠) .

(٣) طاح : هلك . (الصحاح ، ص ٣٨٩) .

مُعاوية : أَنَا مَعَكَ يَا عَبَّاس . وَضَوَى ^(١) إِلَى نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَتَخَاطَبْنَا مِائَةَ بَعِيرٍ خُمَاسًا إِلَى مِائَةِ بَعِيرٍ ، أَقُولُ أَنَا وَحَيِّزِي ^(٢) «يُظْهِرُ مُحَمَّدٌ» . وَيَقُولُ عَبَّاسُ وَحَيِّزُهُ : «تُظْهِرُ غَطَفَانُ» . فَاضْطَرَبَ الصَّوْتُ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ : خَشِيتُ وَاللَّاتِ حَيِّزَ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ . فَغَضِبَ صَفْوَانُ وَقَالَ : أَدْرَكْتُكَ الْمَنَافِيَةَ ! فَأَسْكَتْ أَبُو سُفْيَانَ ، وَجَاءَهُ الْخَبَرُ بِظُهُورِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ حُوَيْطَبَ وَحَيِّزَهُ الرَّهْنَ .

قَالُوا : وَكَانَتْ الْإِيْمَنُ تُحْلَفُ ^(٣) عَنْ خَيْبَرَ ؛ وَكَانَ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خَيْبَرَ قَدْ تَبَايَعُوا بَيْنَهُمْ ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : يُظْهِرُ الْحَلِيفَانِ أَسَدٌ وَغِفَارٌ وَالْيَهُودُ بِخَيْبَرَ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ أَوْعَبَتْ فِي حَلْفَائِهَا ، فَاسْتَنْصَرُوهُمْ وَجَعَلُوا لَهُمْ تَمْرَ خَيْبَرَ سَنَةً ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ بَيْعٌ عَظَامٌ .

وَكَانَ الْحَجَّاجُ بْنُ عِلَاطٍ . السُّلَمِيُّ ثُمَّ الْبَهْزِيُّ قَدْ خَرَجَ يُغَيِّرُ فِي بَعْضِ غَارَاتِهِ ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرَ فَأَسْلَمَ وَحَضَرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ ، وَكَانَتْ أُمُّ شَيْبَةَ بِنْتُ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمٍ أُخْتُ مُصْعَبِ الْعَبْدِيِّ امْرَأَتَهُ ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ مُكْثَرًا ، لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ ، مَعَادِنُ الذَّهَبِ الَّتِي بِأَرْضِ بَنِي سُلَيْمٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَذْنُ لِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَتَّخِذَ مَا لِي عِنْدَ امْرَأَتِي ، فَإِنْ عَلِمْتُ بِإِسْلَامِي لَمْ آتُكَ مِنْهُ شَيْئًا ، فَأَذْنُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : لَا بَدَّ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ [أَنْ] أَقُولَ . فَأَذْنُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ يَقُولَ مَا شَاءَ . قَالَ الْحَجَّاجُ :

(١) ضَوَى : مَالٌ . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٢٨) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : «حَيِّزِي» . وَالْحَيِّزُ : النَّاحِيَةُ . (لسان العرب ، ج ٧ ، ص ٢٠٨) .

(٣) فِي الْأَصْلِ : «وَكَانَ أَيْمَنُ يَحْلَفُ» .

فخرجتُ فلما انتهيت إلى الحَرَمِ هبطت فوجدتهم بالثنية البيضاء ، وإذا بهم رجالٌ من قُرَيْشٍ يتسمعون الأخبار ، قد بلغهم أَنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قد سار إلى خَيْبَرَ ، وعرفوا أَنَّها قرية الحجاز ريفاً ومنعةً ورجالاً وسلاحاً ، فهم يتحسبون الأخبار مع ما كان بينهم من الرّهان ، فلما رأوني قالوا : الحجّاج ابن عِلاط. عنده والله الخبر ! يا حجّاج ، إنه قد بلغنا أَنَّ القاطع^(١) قد سار إلى خَيْبَرَ بلد اليهود وريف الحجاز . فقلت : بلغني أَنه قد سار إليها وعندى من الخبر ما يسرّركم . فالتبطوا^(٢) بجانبى راحلتى يقولون : يا حجّاج أخبرنا . فقلت : لم يلق محمدٌ وأصحابه قوماً يُحسنون القتال غير أهل خَيْبَرَ . كانوا قد ساروا في العرب يجمعون له الجموع وجمعوا له عشرة آلاف ، فهزم هزيمة لم يُسمع قطّ . بمثلها ، وأسر محمدٌ أسراً ، فقالوا : لن نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكّة فنقتله بين أظهرهم بمن قتل منا ومنهم ! ولهذا فإنهم يرجعون إليكم يطلبون الأمان في عشائرهم ويرجعون إلى ما كانوا عليه ، فلا تقبلوا منهم وقد صنعوا بكم ما صنعوا . قال : فصاحوا بمكّة وقالوا : قد جاءكم الخبر ، هذا محمدٌ إنما يُنتظر أَن يُقدّم به عليكم . وقلت : أعينوني على جمع مالى على غُرْمائى فأنا أريد أَن أقدم فأصيب من محمد وأصحابه قبل أَن تسبقنى التجار إلى ما هناك . فقاموا فجمعوا إلى مالى كأحثّ جمعٍ سمعتُ به ، وجئتُ صاحبتى وكان لى عندها مال فقلت لها : مالى ، ملى الحقُّ بخَيْبَرَ فأصيب من البيع قبل أَن يسبقنى التجار إلى من انكسر هناك من المسلمين^(٣) . وسمع ذلك العباس فقام ، فانخذل ظهره فلم يستقيم

(١) يعنون قاطع الأرحام ، أى رسول الله .

(٢) التبط القوم به : أى أطافوا به ولزموه . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٣٨٢) .

(٣) فى الأصل : « قبل أن يسبقنى التجار وانكسر من هنا » .

القيام ، فأشفق أن يدخل داره فيؤذَى ، وعلم أن سيؤذَى عند ذلك ، فأمر بباب داره يُفتح وهو مستلق ، فلما بابنه قُشِمَ وكان يُشبهه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل يرتجز ويرفع صوته ألا يسمت به الأعداء . وحضر باب العباس بين مغيظ . محزون ، وبين شامت ، وبين مسلم ومسلمة ، مقهورين بظهور الكفر والبغى ، فلما رأى المسلمون العباس طيبة نفسه طابت أنفسهم واشتدت مُنتهم^(١) ، ودعا غلاماً له يقال له أبو زُبَيْنة فقال له : اذهب إلى الحجاج فقل ، يقول العباس : « الله أعلى وأجلُّ من أن يكون الذى تُخبر حقاً » . فجاءه فقال الحجاج : قل لأبي الفضل : أحلّنى فى بعض بيوتك حتى آتيك ظهراً ببعض ما تحب ، فاكرم عني . فأقبل أبو زُبَيْنة يبشّر العباس « أبشر بالذى يسرك » فكانه لم يمسه شيء ، ودخل عليه أبو زُبَيْنة فاعتنقه العباس وأعتقه وأخبره بالذى قال ، فقال العباس : لله على عتق عشر رقاب ! فلما كان ظهراً جاءه الحجاج فناشده الله : لتكتمن على ثلاثة أيام . فوائقه العباس على ذلك ، قال : فإنى قد أسلمتُ ولى مال عند امرأتى ودين على الناس ، ولو علموا بإسلامي لم يدفعوا إلى ؛ تركتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر ، وجرّت سهامُ الله ورسوله فيها وانتثل^(٢) ما فيها ، وتركته عروساً بابنة حُيَيِّ بن أخطب ، وقتل ابن أبي الحقيق . قال : فلما أمسى الحجاج من يومه خرج ، وطال على العباس تلك الليالى ، ويقال : إنما استنظر العباس يوماً وليلة ، وجعل العباس يقول : يا حجاج ، انظر ما تقول فإنى عارف بخيبر ؛ هى ريف الحجاز أجمع ، وأهل المنعة والعُدّة فى الرجال . أحقّ ما تقول ؟ قال : إى والله ، فاكرم عني يوماً وليلة . حتى إذا مضى الأجل والناس

(١) المنة بالضم : القوة . (الصحاح ، ص ٢٢٠٧) .

(٢) أى استخرج وأخذ . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٢٥) .

يموجون في شأن ما تبايعوا عليه ، عمّد (١) العباس إلى حُلّةٍ فلبسها ، وتخلّق الخَلوق وأخذ في يده قضيباً ، ثم أقبل يخطر حتى وقف على باب الحجاج بن علاط ، فقرعه فقالت زوجته : لا تدخل ، أبا الفضل ! قال : فأين الحجاج ؟ قالت : انطلق إلى غنائم محمد ليشتري منها التي أصابت اليهود منهم قبل أن تسبقه التجار إليها . فقال لها العباس : فإنّ الرجل ليس لك بزواجٍ إلّا أن تتبعى دينه ؛ إنه قد أسلم وحضر الفتح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما ذهب بماله هارباً منك ومن أهلك أن يأخذه . قالت : أحقّاً يا أبا الفضل ؟ قال : إى والله ! قالت : والثواقب إنك لصادق . ثم قامت تُخبر أهلها ، وانصرف العباس إلى المسجد وقُرِش يتحدّثون بما كان من حديث الحجاج ، فلما نظروا إليه وإلى حاله تغامزوا وعجبوا من تجلّده ، ثم دخل في الطواف بالبيت^{نبي} ، فقالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التجلّد لحرّ المُصيبة ! أين كنت منذ ثلاث لا تطلع ؟ قال العباس : كلّا والذي حلفتم به ، لقد فتح خيبر وترك عروساً على ابنة ملكهم حَيٍّ بن أخطب ، وضرب أعناق بنى أبي الحقيق البيض الجعاد الذين رأيتهم سادة النّصير من يثرب ، وهرب الحجاج بماله النّبي عند امرأته . قالوا : من خبرك بهذا ؟ قال العباس : الصادق في نفسى ، الثقة في صدرى ، فابعثوا إلى أهله ! فبعثوا فوجدوا الحجاج قد انطلق بماله واستكنم أهله حتى يُصبح ، فسألوا عن ذلك كلّهُ فوجدوه حقّاً ، فكُبت المشركون وفرح بذلك المسلمون ، ولم تلبث قُرِش خمسة أيّام حتى جاءهم الخبر بذلك .

(١) في الأصل : « وعمد » .

باب شأن فدك^(١)

قالوا : لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فدنا منها ، بعث مُحَيِّصَةً بن مسعود إلى فدك يدعوهم إلى الإسلام ويخوفهم أن يغزوهم كما غزا أهل خيبر ويحلّ بساحتهم . قال مُحَيِّصَةٌ : جئتهم فأقامت عندهم يومين ، وجعلوا يتربصون ويقولون : بالنطاة عامر ، وياسر ، وأسير ، والحارث وسيّد اليهود مَرَحَب ، ما نرى محمداً يقرب حراهم^(٢) ، إن بها عشرة آلاف مقاتل . قال مُحَيِّصَةٌ : فلما رأيت خبثهم أردت أرحل راجعاً ، فقالوا : نحن نرسل معك رجالاً يأخذون لنا الصلح - ويظنون أن اليهود تمتنع . فلم يزالوا كذلك حتى جاءهم قتل أهل حصن ناعم وأهل النجدة منهم ، ففت ذلك أعضادهم وقالوا لمُحَيِّصَةٌ : اكتم عنا ما قلنا لك ولك هذا الحلى ! ليحلى نسائهم ، جمعه كثيرًا . فقال مُحَيِّصَةٌ : بل أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي سمعتُ منكم . فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما قالوا . [قال مُحَيِّصَةٌ] : وقدم معي رجلٌ من رؤسائهم يقال له ذون بن يوشع في نفرٍ من اليهود ، صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقن دماءهم ويُجلبهم ويُخلّوا بينه وبين الأموال . ففعل ، ويقال : عرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا من بلادهم ولا يكون للنبي صلى الله عليه وسلم عليهم من الأموال شيء ، وإذا كان جُذاذاً جاءوا فجذّوها ، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم

(١) بينها وبين المدينة يومان . (معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٣٤٢) .

(٢) الحرا : جناب الرجل ، يقال : اذهب فلا أراك بجراى . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٢٢) .

أَن يَقْبَلْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهُمْ مُحَيِّصَةٌ : مَا لَكُمْ مَنَعَةً وَلَا رِجَالًا وَلَا حَصُونًا ، لَوْ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْكُمْ مِائَةَ رَجُلٍ لَسَاقَوْكُمْ إِلَيْهِ . فَوَقَعَ الصُّلْحُ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَهُمْ نِصْفَ الْأَرْضِ بِتَرْبَتِهَا لَهُمْ ، وَلِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِصْفُهَا ، فَقَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ . وَهَذَا أَثْبَتَ الْقَوْلَيْنِ .

فَأَقْرَبَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَبْلُغْهُمْ ، فَلَمَّا كَانَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ وَأَجْلَى يَهُودَ خَيْبَرَ ، بَعَثَ عُمَرَ إِلَيْهِمْ مِنْ يَقَوْمِ أَرْضِهِمْ ، فَبَعَثَ أَبَا الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيَّهَانِ وَفَرَوَةَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ حَيَّانَ بْنَ صَخْرَ ، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، فَقَوَّمُوا لَهُمْ ؛ النُّخْلَ وَالْأَرْضَ ، فَأَخَذَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَدَفَعَ إِلَيْهِمْ نِصْفَ قِيَمَةِ النُّخْلِ بِتَرْبَتِهَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ أَوْ يَزِيدُ - كَانَ ذَلِكَ الْمَالُ جَاءَهُ مِنَ الْعِرَاقِ - وَأَجْلَاهُمْ عُمَرَ إِلَى الشَّامِ . وَيُقَالُ : بَعَثَ أَبَا خَيْثَمَةَ الْحَارِثِيُّ فَقَوَّمَهَا .

انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى المدينة

قال أنس : انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر وهو يُريد وادي القرى ، ومعه أم سلمة بنت ملحان ، وكان بعض القوم يُريد أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيّة حتى مرّ بها فالتقى عليها ردائه ، ثم عرض عليها الإسلام فقال : إن تكوني على دينك لم نُكرهك ، فإن اخترت الله ورسوله اتخذتُك لنفسى . قالت : بل أختار الله ورسوله . قال : فأعتقها فتزوّجها وجعل عتقها مهرها . فلما كان بالصُّهْبَاءِ قَالَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ : انظري صاحبك هذه فامشطيه ! وأراد أن يُعرّس بها هناك ، فقامت أم سليم - قال أنس : وليس معنا فساطيط - ولا سُراِدِقَات - فأخذت كسائين

وعبأتين فسترت بهما عليها^(١) إلى شجرة فمشطتها وعطرتها ، وأعرس بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من خيبر ، وقرب بغيرها وقد سترها النبي صلى الله عليه وسلم بشوبه ، أدنى فخذَه لتضع رجلها عليه ، فأبَت ووضع ركبتها على فخذَه ، فلما بلغ ثباراً أراد أن يُعرِّس بها هناك ، فأبَت عليه حتى وجد في نفسه ، حتى بلغ الصُّهباء فمال إلى دومة هناك فطاوعته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حملك على ما صنعت حين أردت أن أنزل بثبار - وثبار على ستة أميال والصُّهباء على اثني عشر ميلاً - قالت : يا رسول الله خفتُ عليك قرب اليهود ، فلما بعدت أمنتُ . فزادها عند النبي صلى الله عليه وسلم خيراً وعلم أنها قد صدقته ، ودخلت عليه مساء تلك الليلة ، وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عليها بالحيس^(٢) والسويق والتمر ، وكان قصاعهم الأنطاع^(٣) قد بُسطت ، فرئى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل معهم على تلك الأنطاع . قالوا : وبات أبو أيوب الأنصاري قريباً من قُبته آخذاً بقائم المسيف حتى أصبح ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بُكرةً فكبر أبو أيوب فقال : مالك يا أبا أيوب ؟ فقال : يا رسول الله ، دخلت بهذه الجارية وكنت قد قتلت أباها وإخوتها وعمومتها وزوجها وعامة عشيرتها ، فخفت أن تغتالك . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له معروفًا .

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل صَفِيَّة في منزل الحارثة بن النعمان ، وانتقل حارثة عنها . وكانت عائشة وحَفْصَة يدًا واحدة

(١) في الأصل : « عليها » .

(٢) الحيس : الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٧٤) .

(٣) الأنطاع : جمع نطع [بكسر النون] وهو بساط من الأديم . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٨٩) .

فَأَرْسَلَتْ عَائِشَةُ بَرِيرَةَ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ تَسَلِّمٌ عَلَيْهَا - وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ - وَتَسَالَّلَهَا عَنْ صَفِيَّةَ أَظْرِيفَةُ هِيَ؟ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: مَنْ أَرْسَلَتْكَ . عَائِشَةُ؟ فَسَكَتَتْ فَعَرَفَتْ أُمُّ سَلَمَةَ أَنَّهَا أَرْسَلَتْهَا . فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: لَعَمْرِي إِنَّهَا لَظَرِيفَةُ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا لُمُحِبُّ . فَجَاءَتْ بَرِيرَةَ فَأَخْبَرَتْ عَائِشَةَ خَبَرَهَا ، فَخَرَجَتْ عَائِشَةُ مُتَنَكِّرَةً حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى صَفِيَّةَ وَعِنْدَهَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهَا وَهِيَ مُنْتَقِبَةٌ . فَحَرَفَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَلَمَّا خَرَجَتْ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ كَيْفَ رَأَيْتِ صَفِيَّةَ؟ قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ طَائِلًا ، رَأَيْتُ يَهُودِيَّةً بَيْنَ يَهُودِيَّاتٍ - تَعْنِي عَمَّانَهَا وَخَالَاتَهَا - وَابْنِي قَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّكَ تُحِبُّهَا ، فَهَذَا خَيْرٌ لَهَا مِنْ لَوْ كَانَتْ ظَرِيفَةً . قَالَ : يَا عَائِشَةُ ، لَا تَقُولِي هَذَا فَإِنِّي عَرَضْتُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامَ فَأَسْرَعَتْ وَأَسْلَمَتْ وَحَسُنَ إِسْلَامُهَا . قَالَ : فَرَجَعْتُ عَائِشَةُ فَأَخْبَرَتْ حَفْصَةَ بِظَرْفِهَا ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهَا حَفْصَةُ فَنَظَرَتْ إِلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ : إِنَّهَا لَظَرِيفَةٌ وَمَا هِيَ كَمَا قُلْتِ .

فَلَمَّا أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّهْبَاءَ سَلَكَ عَلَى بَرْمَةٍ (١) حَتَّى انْتَهَى إِلَى وَادِي الْقُرَى يُرِيدُ مَنْ بَهَا مِنَ الْيَهُودِ . وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَحْدِثُ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَيْبَرَ إِلَى وَادِي الْقُرَى ، وَكَانَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ بَنٍ وَهَبِ الْجُدَايِّ قَدْ وَهَبَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدًا أَسْوَدًا يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ (٢) ، وَكَانَ يُرَحَّلُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرْمَةٍ : مِنْ أَعْرَاضِ الْمَدِينَةِ قَرَبَ « بَلَاكُث » بَيْنَ خَيْبَرَ وَوَادِي الْقُرَى ، بِهِ عَيْنٌ وَتُخَلِّ . (وَفَاءُ الْوَفَا، ج ٢، ص ٢٦٠) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مِدْعَمٌ » . وَالتَّصْحِيحُ عَنْ ابْنِ كَثِيرٍ يَرَوِي عَنْ الْوَاقِدِيِّ ، وَهَكَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ أَيْضًا . (الاسْتِيعَابُ ، ص ١٣٨٢) .

وسلم . فلما نزلوا بوادى القرى انتهينا إلى اليهود وقد ضوى إليها أناس من العرب ، فبينما مدعهم يحط . رخل النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد استقبلتنا اليهود بالرعى حيث نزلنا : ولم يكن على تعبئة وهم يصيحون^(١) في آطامهم ، فيقبل سهم عائر^(٢) فأصاب مدعماً فقتله ، فقال الناس : هنيئاً لك الجنة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلاً والذي نفسى بيده ، إن الشملة التى أخذها يوم خيبر من المغنم لم يصبها المقسم تشتعل عليه ناراً . فلما سمع بذلك الناس جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بشراك^(٣) أو بشراكين . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : شراك من نار ! أو شراكان من نار .

وعبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه للقتال وصفتهم ، ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة ، وراية إلى الحباب بن المُنذر ، وراية إلى سهل بن حنيف ، وراية إلى عباد بن بشر . ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وأخبرهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحققوا دماءهم وحسابهم على الله . فبرز رجل منهم وبرز إليه الزبير بن العوام فقتله ؛ ثم برز آخر فبرز إليه الزبير فقتله ؛ ثم برز آخر فبرز له على عليه السلام فقتله ؛ ثم برز آخر فبرز له أبو دجانة فقتله ، ثم برز آخر فبرز له أبو دجانة فقتله ؛ حتى قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أحد عشر رجلاً ، كلما قتل رجل دعا من بقى إلى الإسلام . ولقد كانت الصلاة تحضر يومئذ فيصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه ثم يعود فيدعوهم إلى الله ورسوله ،

(١) فى الأصل : «يفسجون» . وما أثبتناه عن ابن كثير يروى عن الواقدى . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٣١٨) .

(٢) العائر من السهام : ما لا يدري راميهِ . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٩٧) .

(٣) الشراك : أحد سيور النمل التى تكون على وجهها . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٢١٦) .

فقاتلهم حتى أَمَسُوا^(١) وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رُح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عَنوةً ، وغنمه^(٢) الله أموالهم وأصابوا أُنثًا ومَتاعًا كثيرًا . وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى القُرى أربعة أيام ، وقسم ما أصاب على أصحابه بوادى القُرى ، وترك النخل والأرض بأيدي اليهود وعاملهم عليها . فلما بلغ يهود تيماء^(٣) ما وطىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وفدك ووادى القُرى ، صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم . فلما كان زمن عمر رضى الله عنه أخرج يهود خيبر وفدك ، ولم يُخرج أهل تيماء ووادى القُرى ؛ لأنَّهما داخلتان في أرض الشام ، ويرى أنَّ ما دون وادى القُرى إلى المدينة حجازٌ ، وأنَّ ما وراء ذلك من الشام . وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وادى القُرى راجعًا بعد أن فرغ من خيبر ومن وادى القُرى وغنمه الله ، فلما كان قريبًا من المدينة سرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته ، حتى إذا كان قبيل الصبح بقليل نزل وعرس . وقال : ألا رجلٌ صالحٌ حافظٌ لعيني يحفظ لنا صلاة الصبح ؟ فقال بلال : أنا يا رسول الله ! قال : فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ووضع الناس رؤوسهم ، وجعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول لبلال : يا بلال احفظ عيني ! قال : فاحتبيت^(٤) بعبأتى واستقبلت الفجر ، فما أدري متى وضعت جنبى إلا أنى لم أستيقظ . إلا باسترجاع الناس وحَرَ الشمس ، وأخذتني الألسنة باللوم ؛ وكان أشدهم على أبو بكر . وفرغ

(١) في ابن كثير عن الواقدي : « أمسى » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢١٨ .)

(٢) في ابن كثير عن الواقدي : « فغنمهم » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢١٨ .)

(٣) تيماء : على ثمانى مراحل من المدينة بينها وبين الشام . (وفاة الوفا ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .)

(٤) الاحتباء : هو أن يضم الإنسان رجله إلى بطنه بثوب يجمعها به مع فئره ويشده بها . (النهاية ،

رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فكان أهون لائحةً من الناس ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : من كانت له حاجة فليقضها . ففتفرق الناس في أصول الشجر ، وقال صَلَّى الله عليه وسلَّم : أَذُنُ يا بلال بالأذان الأول . قال بلال : وكذلك كنت أفعل في أسفاره ، فأذنت فلما اجتمع الناس قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : اركعوا ركعتي الفجر . فركعوا ثم قال : أَقِم يا بلال ! قَاقَمْتُ فتقدم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فصلى بالناس . قال بلال : فما زال يصلي بنا حتى إِنَّ الرجلَ لَيَسْلُتُ^(١) العَرَقَ من جبينه من حرِّ الشمس ، ثم سلَّم فاقبل على القوم فقال : كانت أنفسنا بيد الله ، ولو شاء قبضها وكان أولى بها ، فلما ردّها إلينا صلّينا . ثم أقبل على بلال فقال : مَهْ يا بلال ! فقال : بأبي وأُمِّي ، قبض نفسي الذي قبض نفسك . فجعل النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم يتبسّم .

ولما نظر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى أُحُد قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : أُحُدُ جبيل يُحِبُّنا ونُحِبُّه ؛ اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ ما بين لابَتَيِ المدينة ! قال : وانتهى إلى الجُرْفِ ليلاً ، فنهى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أن يطرق الرجل أهله بعد صلاة العشاء .

فحدثني يعقوب بن محمّد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صَعْصَعَةَ ، عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أُمِّ عُمارة . قالت : سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يقول وهو بالجُرْفِ : لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء . قالت : فذهب رجلٌ من الحيّ فطرق أهله فوجد ما يكره فخلّى

(١) سلت : مسح . (النهاية ، ج ٢ ، ص ١٧٢) .

سبيله ولم يَهْجِهْ^(١) ، وضمن بزواجه أن يفارقها وكان له منها أولاد وكان يحبها ، فعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى ما يكره .

حدثني عبد الله بن نوح الحارثي ، عن محمد بن سهل بن أبي حنيفة ، عن سعد بن حزام بن مَحِيصَة ، عن أبيه ، قال : كنّا بالمدينة والمجاعة تُصيبنا ، فنخرج إلى خَيْبَر فنُقيم بها ما أقمنا ثم نرجع ، وربّما خرجنا إلى فَدَك وتيماء . وكانت اليهود قوماً^(٢) لهم ثمار لا يُصيبها قطعه^(٣) ، أما تيماء فعين جارية تخرج من أصل جبل لم يُصبها قطعه منذ كانت ، وأما خَيْبَر فماء واتن ، فهي مُغْفَرَة^(٤) في الماء ، وأما فَدَك فمثل ذلك . وذلك قبل الإسلام ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وفتح خَيْبَر قلت لأصحابي : هل لكم في خَيْبَر فإنّا قد جَهِدنا وقد أصابنا مجاعة ؟ فقال أصحابي : إنّ البلاد ليس كما كانت ، نحن قوم مسلمون وإنّا نَقْدَم على قوم أهل عداوةٍ وغشٍّ للإسلام وأهله ، وكنّا قبل ذلك لا نعبد شيئاً . قالوا : قد جَهِدنا ، فخرجنا حتى قدمنا خَيْبَر ، فقدمنا على قوم بأيديهم الأرض والنخل ليس كما كانت ؛ قد دفعها رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم على النصف ؛ فأما سرّاة اليهود وأهل السّعة منهم قد قُتلوا - بنو أبي الحُقَيْق وسَلّام بن مِشْكَم ، وابن الأشرف - وإنّا بقي قوم لا أموال لهم وإنّا هم عمال أيديهم . وكنّا نكون في الشّق يوماً وفي النّطاة يوماً وفي الكتيبة يوماً ، فرأينا الكتيبة خيراً لنا فآقمنا بها أياماً ، ثم إن صاحبني ذهب إلى الشّق فبات عنى وقد

(١) في ابن كثير عن الوافدي : « فخل سبيلها ولم يهجر وضمن » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢١٩) .

ولم يهجه : أي لم يزعجه ولم ينفره . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٦٠) .

(٢) في الأصل : « قوم » .

(٣) أي قطع الماء .

(٤) في الأصل : « مغفرة » . ولعل ما أثبتناه أقرب الاحتمالات . وغفره : أي غطاه . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٠٣) .

كنت أُنذره اليهود ، فغدوت في أثره أسأل عنه حتى انتهيتُ إلى الشَّقِّ فقال لي أهل أبيات منهم : مرّ بنا حين غابت الشمس يُريد النّطاة . قال : فعمدْتُ إلى النّطاة ، إلى أن قال لي غلام منهم : تعال أدلك على صاحبك ! فانتهي بي إلى منهر فأقامني عليه ، فإذا الذُّباب يطلع من المنهر . قال : فتبدلت في المنهر فإذا صاحبي قتيل ، فقلت لأهل الشَّقِّ : أنتم قتلتموه ! قالوا : لا والله ، ما لنا به علم ! قال : فاستعنتُ عليه بنفر من اليهود حتى أخرجته وكفنته ودفنته ، ثم خرجت سريعا حتى قدمت على قومي بالمدينة فأخبرتهم الخبر . ونجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عمرة القصيبة ، فخرج معي من قومي ثلاثون رجلا ، أكبرنا أخى حويصة ، فخرج معنا عبد الرحمن ابن سهل أخو المقتول - والمقتول عبد الله بن سهل - وكان عبد الرحمن ابن سهل أحدث مني ، فهو مستعبرٌ على أخيه رقيقٌ عليه ، فبرك بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله ، وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم الخبر . فقال عبد الرحمن : يا رسول الله إن أخى قُتل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كَبُرَ ، كَبُرَ ، كَبُرَ ! فتكلّمتُ فقال : كَبُرَ ، كَبُرَ ! فسكت . وتكلّم أخى حريصة فتكلّم بكلمات وذكر أنّ اليهود تُهمّتنا وظنّتنا ثم سكت ، فتكلّمت وأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إما أن يَدُوا صاحبكم وإما أن يَأْذَنُوا بحربٍ من الله ورسوله ، وكتب النبي صلى الله عليه وسلم إليهم في ذلك فكتبوا إليه : « ما قتلناه » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعن حريصة ومحيصة وعبد الرحمن ولِمَن معهم : تحلفون بدينكم يميناً وتصدقون دم صاحبكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، لم نحضر ولم نشهد . قال : فتدفع لکم اليهود ؟ قالوا : يا رسول الله ، ليسوا بمسلمين . فوداه

رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده مائة ناقة ، خمسة وعشرين جذعة ، وخمسة وعشرين حقة ، وخمسة وعشرين بنت لبون ، وخمسة وعشرين بنت مخاض . قال سهل بن أبي حنمة : رأيتها أدخلت عليهم مائة ناقة ، فركضتني منها ناقة حمراء وأنا يومئذ غلام .

حدثني ابن أبي ذئب ، ومعمّر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيّب قال : كانت القسامة في الجاهلية ثم أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام ، وقضى بها في الأنصار الذي وجد بخيبر قتيلاً^(١) في جُبٍّ من جباب اليهود . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار : تحلف لكم اليهود خمسين رجلاً خمسين يميناً بالله ما قتلنا ؟ قالوا : يا رسول الله ، كيف تقبل أيمان قوم كفّار ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فتحلفون خمسين رجلاً خمسين يميناً بالله أنهم قتلوا صاحبكم وتستحقّوا الدم ؟ قالوا : يا رسول الله لم نحضر ولم نشهد . قال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديتة على اليهود لأنّه قُتل بحضرتهم :

حدثني مخزّمة بن بكير ، عن خالد بن يزيد ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بديتة على اليهود ، فإن لم يُعطوا فليأذنوا بحرب من الله ورسوله . وأعانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببضعة وثلاثين بغيراً - فهي أوّل ما كانت القسامة . وكان الناس يطلعون إلى أموالهم بخيبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر ، وعمر ، وعثمان .

وحدثني عبد الرحمن بن الحارث ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه ،

(١) في الأصل : « قتيل » .

قال : خرجت أنا والزبير ، والمقداد بن عمرو ، وسعيد بن زيد بن عمر بن نَفِيل إلى أموالنا بخيبر فطلعنا نتعاهدنا ، وكان أبو بكر يبعث من يطلعها وينظر إليها ، وكان عمر يفعل ذلك أيضاً ، فلما قدمنا خيبر تفرقنا في أموالنا . فعُدَى علينا من جوف الليل وأنا نائم على فراشي فصرعت يدأى فسألوني : من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدري ، فأصلحوا أمر يدي ! وقال غير سالم ، عن ابن عمر ، قال : سحروه بالليل وهو نائم على فراشه فكُوع حتى أصبح كأنه كان في وثاق ، وجاء أصحابه فأصلحوا من يديه ، فقدم ابن عمر المدينة فأخبر أباه بما صنع به .

حدثني محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حَثمَة ، عن أبيه ، قال : أقبل مُظَهَّر بن رافع الحارثي بأعلاج من الشام يعملون له بأرضه وهم عشرة ، فأقبل حتى نزل بهم خيبر فأقام بها ثلاثة أيام ، فدخل بهم رجل من اليهود فقال : أنتم نصارى ونحن يهود وهؤلاء قوم قد قهرونا بالسيف ، وأنتم عشرة رجال أقبل رجل واحد منهم يسوقكم من أرض الخمر والخير إلى الجهد والبؤس ، وتكونون في رِقٍّ شديد ، فإذا خرجتم من قريتنا فاقتلوه . قالوا : ليس معنا سلاح . فدسوا إليهم سكينين أو ثلاثة . قال : فخرجوا فلما كانوا بثبار قال لأحدهم ، وكان الذي يخدمه منهم : ناو لي كذا وكذا . فأقبلوا إليه جميعاً قد شهروا سكاكينهم ، فخرج مُظَهَّر يعدو إلى سيفه وكان في قراب راحلته ، فلما انتهى إلى القراب لم يفتححه حتى بَعَجوا بطنه ، ثم انصرفوا سراعاً حتى قدموا خيبر على اليهود فأوهم وزودهم وأعطوهم قُوَّة فلحقوا بالشام . وجاء عمر الخبر بمقتل مُظَهَّر بن رافع وما صنعت اليهود ، فقام عمر خطيباً بالناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إن

اليهود فعلوا بعبد الله ما فعلوا ، وفعلوا بمُظَهَّر بن رافع مع عَدُوَّتِهِمْ عَلَى عبد الله بن سَهْل في عهد رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَا أَشْكُ أَنَّهُمْ أَصْحَابُهُ لَيْسَ لَنَا عَدُوٌّ هُنَاكَ غَيْرُهُمْ ؛ فَمَنْ كَانَ لَهُ بِهَا مَالٌ فَلْيُخْرِجْ فَإِنَّا خَارِجٌ ، فَقَاسِمٌ مَا كَانَ بِهَا مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَحَادٌّ حَدُودَهَا ، وَمُورِّفٌ أَرْفَهَا^(١) وَمُجْلِي الْيَهُودِ مِنْهَا ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُمْ : « أَقْرَكُمْ مَا أَقْرَكُمْ اللَّهُ » وَقَدْ أَذِنَ اللَّهُ فِي جَلَاثِهِمْ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِعَهْدٍ أَوْ بَيِّنَةٍ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَقْرَهُ فَأَقْرَهُ . فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ فَقَالَ : قَدْ وَاللَّهِ أَصَبْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَوَفَّقْتَ ! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَقْرَكُمْ مَا أَقْرَكُمْ اللَّهُ » ، وَقَدْ فَعَلُوا مَا فَعَلُوا بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَهْلٍ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا حَرَّضُوا عَلَى مُظَهَّرٍ بَنِ رَافِعٍ حَتَّى قَتَلَهُ أَعْبُدُهُ ، وَمَا فَعَلُوا بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ ، فَهَمْ أَهْلُ تَهْمَتِنَا وَظَنَّتِنَا^(٢) . فَقَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هَنْ مَعَكَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِكَ ؟ قَالَ : الْمُهَاجِرُونَ جَمِيعًا وَالْأَنْصَارُ . فَسُرَّ بِذَلِكَ عَمْرُ .

حَدَّثَنِي مَعْمَرٌ ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ، قَالَ : بَلَغَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوَفِّي فِيهِ : « لَا يَجْتَمِعُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانٌ » . فَفَحَصَ عَنْ ذَلِكَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَتَّى وَجَدَ عَلَيْهِ الثَّبْتَ مَنْ لَا يُتَّهَمُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى يَهُودِ الْحِجَازِ فَقَالَ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنِّي مُجْلِيهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذِنَ فِي جَلَاثِهِمْ . فَأَجْلَى عَمْرُ يَهُودَ الْحِجَازِ .

(١) أَرَفَ : جَمَعَ أَرْقَةً ، وَهِيَ الْحُدُودُ وَالْمَعَالِمُ . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٦) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « سَرَكُنَّا وَظَنَّا » ، وَمَا أَثْبَتْنَاهُ مِنَ السَّيْرِ الْحَلِيَّةِ . (ج ٢ ، ص ١٨٢) .

وَانْظُرْ مَا سَبَقَ ، ص ٧١٤ .

قالوا : فخرج عمر بأربعة قُسام : فرّوة بن عمرو البياضى ، قد شهد بدرًا ، وحُباب بن صخر السُلَمى ، قد شهد بدرًا ، وأبو الهيثم بن التيهان ، قد شهد بدرًا ، وزيد بن ثابت ؛ فقسموا خيبر على ثمانية عشر سهمًا ، على الرؤوس التى سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه سمى ثمانية عشر سهمًا وسمى رؤساءها . ويقال : إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمى الرؤساء ثم جزأوا الشُّقَّ والنُّطاة ، فجزأوها على ثمانية عشر سهمًا ، جعلوا ثمانية عشر بكرة فألقين فى العين^(١) جميعًا ، ولكل رأس علامة فى بعرته ، فإذا خرجت أول بكرة قيل سهم فلان وسهم فلان . وكان فى الشُّقِّ ثلاثة عشر سهمًا ، وفى النُّطاة خمسة أسهم . حدثنى بذلك حكيم بن محمد من آل مخزومة ، عن أبيه . فكان أول سهم خرج فى النُّطاة سهم الزُّبَيْر بن العوّام ؛ ثم سهم بياضة ، يقال : إن رأسه فرّوة بن عمرو ؛ ثم سهم أسيد بن حضير ؛ ثم سهم بلحارث بن الخزرج ، يقال : رأسه عبد الله بن رواحة ؛ ثم سهم ناعم ؛ يهودى . ثم ضربوا فى الشُّقِّ ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا عاصم بن عدى ، إنك رجلٌ محدود ، فسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سهمك . فخرج سهم عاصم أول سهم فى الشُّقِّ ، ويقال : إنه سهم النبىِّ صلى الله عليه وسلم كان فى بنى بياضة ، والثبّت أنه كان مع عاصم بن عدى . ثم خرج سهم على عليه السلام على أثر سهم عاصم ؛ ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ؛ ثم سهم طلحة بن عبيد الله ؛ ثم سهم بنى ساعدة ، يقال : رأسهم سعد ابن عباد ؛ ثم سهم بنى النُّجَّار ؛ ثم سهم بنى حارثة بن الحارث ؛ ثم سهم

(١) العين : المال الحاضر . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٤٥) .

أَسْلَمَ وَغِفَار ، يقال : رَأَسَهُمْ بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ ؛ ثُمَّ سَهْمًا سَلِيمَةً جَمِيعًا ؛
ثُمَّ سَهْمٌ عُبَيْدُ السَّهَامِ ؛ ثُمَّ سَهْمٌ عُبَيْدٌ ؛ ثُمَّ سَهْمٌ أَوْسٌ ، صارَ لِعَمْرِ بْنِ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . قَالَ ابْنُ وَاقِدٍ : فَسَأَلْتُ ابْنَ أَبِي حَبِيبَةَ : لِمَ سُمِّيَ
عُبَيْدُ السَّهَامِ ؟ قَالَ : أَخْبَرَنِي دَاوُدُ بْنُ الْحُصَيْنِ قَالَ : كَانَ اسْمُهُ عُبَيْدٌ ،
وَلَكِنَّهُ جَعَلَ يَشْتَرِي مِنَ السَّهَامِ بِخَيْبَرٍ فَسُمِّيَ عُبَيْدُ السَّهَامِ .

حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِبْنِ نَافِعٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ ، عَنْ يَحْيَى
ابْنِ شَبَلٍ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ : أَوَّلُ مَا ضُرِبَ فِي الشُّقِّ خَرَجَ سَهْمٌ عَاصِمِ
ابْنِ عَدَى فِيهِ سَهْمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ :
كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ يَخْرُجَ سَهْمِي مَعَ سَهْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا
أَخْطَأَنِي قُلْتُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ سَهْمِي فِي مَكَانٍ مُعْتَزَلٍ لَا يَكُونُ لِأَحَدٍ عَلَى طَرِيقٍ .
فَكَانَ سَهْمُهُ مُعْتَزَلًا وَكَانَ شُرَكَاءُهُ أَعْرَابًا ، فَكَانَ يَسْتَخْلَصُ^(١) مِنْهُمْ سَهَامَهُمْ ؛
يَأْخُذُ حَقَّ أَحَدِهِمْ بِالْفَرَسِ وَالشَّيْءِ الْيَسِيرِ حَتَّى خَلَصَ لَهُ سَهْمٌ أَوْسٍ
كُلُّهُ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عَمْرِو ، قَالَ : لَمَّا قَسَمَ^(٢) عَمْرُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَيْبَرَ خَيْرُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طُعْمِهِنَّ الَّذِي
أَطْعَمَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكَتِيبَةِ ، إِنْ أَحْبَبْنَ أَنْ يُقَطَّعَ
لَهُنَّ مِنَ الْأَرْضِ [و] الْمَاءِ مَكَانَ طُعْمِهِنَّ ، أَوْ بِمِضَى لَهُنَّ الْوُسُوقُ وَتَكُونُ
مُضْمُونَةً لَهُنَّ . فَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَحَفْصَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « يَتَخْلَصُ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « أَوْسَمَ » .

اختار الأرض والماء ، وكان سائرهنَّ أَخَذْنَ^(١) الوُسوق مضمونة .

حدَّثني أَفْلَحُ بن حُمَيْد قال : سمعت القاسم بن محمد يقول ، سمعت عائشة رضي الله عنها تقول يوماً : رحم الله ابن الخطَّاب ! قد خيرني فيما صنع ، خيرني في الأرض والماء وفي الطَّعْمة ، فاخترتُ الأرض والماء ، فهنَّ في يدي ، وأهل الطَّعم مرَّة ينقصهم مروان ، ومرَّة لا يُعطِيهم شيئاً ، ومرَّة يُعطِيهم . ويقال : إنما خير عمر رضي الله عنه أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط .

حدَّثني إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، قال : خير عمر رضي الله عنه الناس كلَّهم ؛ فمن شاء أخذ الطَّعْمة كيلاً ، ومن شاء أخذ الماء والتراب ، وأذن لمن شاء باع ، ومن أحبَّ أن يُمسك أمسك من الناس كلَّهم ، فكان من باع الأشعريين ، من عُثمان بن عفَّان مائة وسق بخمسة آلاف^(٢) دينار ، وباع الرُّهاويون من مُعاوية بن أبي سُفيان بمثل ذلك . قال أبو عبد الله : هذا الثَّبت عندنا والذي رأيتُ عليه أهل المدينة .

وحدَّثني أيُّوب بن النُّعْمان ، عن أبيه ، قال : خير عمر رضي الله عنه من كانت له طَّعْمة أن يُعطيه من الماء والأرض أو الطَّعْمة مضمونة ، فكان أسامة ابن زيد اختار الطَّعْمة مضمونة . ولما فرغ عمر رضي الله عنه من القسمة أخرج يهود خيابر ، ومضى عمر رضي الله عنه من خيبر في المهاجرين والأنصار إلى وادي القرى . وخرج معاوية بالقُسام الذين قسموا : جبَّار بن صخر ، وأبو الهيثم بن التَّيَّهان ، وفروة بن عمرو ، وزيد بن ثابت ، فقسموها على

(١) في الأصل : « أخذوا » .

(٢) في الأصل : « بخمسة ألف » .

أعداد السُّهُام ، وأَعْلَمُوا أَرْقَها ، وَحَدُّوا حُدُودها ، وَجَعَلُوها السُّهُامَ تَجْرى .
فَكَانَ ما قَسَمَ عَمْرٌ مِنْ وادى الْقُرَى لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ خَطَرَ ، وَلِعَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنِ عَوْفٍ خَطَرَ ، وَلِعَمْرِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ خَطَرَ - الْخَطَرُ هُوَ السُّهُمُ - وَلِعَامِرِ بْنِ
رَبِيعَةَ خَطَرَ ، وَلِعُمَيْقِبِ خَطَرَ ، وَلِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَرْقَمِ خَطَرَ ، وَلِبْنَى جَعْفَرَ
خَطَرَ ، وَلِعَمْرُو بْنِ سُراقَةَ خَطَرَ ، وَلِعَبْدِ اللَّهِ وَعُبَيْدِ اللَّهِ خَطَرانِ ، وَلِشَيْمٍ خَطَرَ ،
وَلابِنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ خَطَرَ ، وَلابِنِ أَبِي بَكْرٍ خَطَرَ ، وَلِعَمْرِ خَطَرَ ، وَلِزَيْدِ
ابْنِ ثَابِتٍ خَطَرَ ، وَلِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ خَطَرَ ، وَلِعُمَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ خَطَرَ ، وَلِأَبِي
طَلْحَةَ وَجُبَيْرِ خَطَرَ ، وَلِجَبَّارِ بْنِ صَخْرٍ خَطَرَ ، وَلِجَبَّارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَابٍ
خَطَرَ ، وَلِمالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ خَطَرَ ، وَلِسَلَمَةَ بْنِ
سَلَامَةَ خَطَرَ ، وَلِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثَابِتٍ وَابْنِ أَبِي شُرَيْقٍ خَطَرَ ، وَلِأَبِي عَبَّسٍ بْنِ
جَبْرِ خَطَرَ ، وَلِمُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ خَطَرَ ، وَلِعَبَّادِ بْنِ طَارِقٍ خَطَرَ ، وَلِجَبْرِ بْنِ
عَتِيكَ نَصِيفِ خَطَرَ ، وَلابِنِ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسِ نَصِيفِ خَطَرَ ، وَلابِنِ جَرَمَةَ
وَالضَّحَّاكَ خَطَرَ .

حَدَّثَنِى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ،
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مِكَئَلِ بْنِ الْحَارِثِ ، قَالَ : إِنَّمَا خَرَجَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
مِنَ الْقُسَّامِ بِرَجْلَيْنِ ، جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، هُمَا قَاسِمَا الْمَدِينَةِ
وَحَاسِبَاهَا ، فَقَسَمَا خَيْبَرَ وَأَقَامَا نَحْلَ فَدَكَ وَأَرْضَهَا ، وَدَفَعَ عَمْرٌ إِلَى يَهُودِ فَدَكَ
نَصِيفَ الْقِيَمَةِ ؛ وَقَسَمَا السُّهُمَانَ بِوَادَى الْقُرَى ، ثُمَّ أَجْلَى عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَهُودَ
الْحِجَازِ ، وَكَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ قَدْ تَصَدَّقَ بِالَّذِى صَارَ لَهُ مِنْ وادى الْقُرَى مَعَ غَيْرِهِ .

سريّة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه إلى تربة في شعبان سنة سبع

حدّثنا أسامة بن زيد بن أسلم ، عن أبي بكر بن عمر بن عبد الرحمن ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر رضي الله عنه في ثلاثين رجلاً إلى عَجَز^(١) هَوَازِنَ بِتُرْبَةٍ^(٢) ، فخرج عمر رضي الله عنه ومعه دليل من بني هلال ، فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار ، وأتى الخبر هَوَازِنَ فهربوا ، وجاء عمر محالّهم فلم يلق منهم أحداً . وانصرف راجعاً إلى المدينة حتى سلك النجدية ، فلما كان بالجدر قال الهلالي لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه : هل لك في جمع آخر تركته من خثعم ، جاءوا سائرين قد أجذببت بلادهم ؟ فقال عمر : لم يأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، إنما أمرني أصمد^(٣) لقتال هَوَازِنَ بِتُرْبَةٍ . فانصرف عمر راجعاً إلى المدينة .

سريّة أبي بكر رضي الله عنه إلى نجد في شعبان سنة سبع

حدّثني حمزة بن عبد الواحد ، عن عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه وأمره علينا ، فبيتنا ناساً من هَوَازِنَ ، فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات^(٤) ، وكان شعارنا : أَمِتْ ! أَمِتْ !

(١) عجز هوازن : بنو نصر بن معاوية ، وبنو جشم بن بكر . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٨١) .
(٢) تربة : موضع بناحية العبلاء على أربع ليال من مكة طريق صنعاء ونجران . (طبقات ابن سعد ، ج ٢ ، ص ٨٥) .

(٣) في الأصل : « أصمد » .

(٤) في الأصل : « سبعة أبيات » ، والتصحيح عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٨٥) .

سريّة بشير بن سعد إلى فذك في شعبان سنة سبع

حدّثنى عبد الله بن الحارث بن الفضيل ، عن أبيه ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير بن سعد في ثلاثين رجلاً إلى بني مرة بفذك . فخرج فلقى رعاء الشاء فسأل : أين الناس ؟ فقالوا : هم في بواديهم^(١) . والناس يومئذ شاتون لا يحضرون الماء ، فاستاق النعم والشاء وعاد مُنحدرًا إلى المدينة ، فخرج الصريخ فأخبرهم فأدركه الدُّمُّ منهم عند الليل ، فباتوا^(٢) يُرامونهم بالنبل حتى فنيَتْ نبلُ أصحاب بشير ، وأصبحوا وحمل المُرِّيُّون عليهم فأصابوا أصحاب بشير وولّى منهم من ولى . وقاتل بشير قتالًا شديدًا حتى ضرب كعبه ، وقيل : قد مات ، ورجعوا بنعمهم وشاءهم . وكان أوّل مَنْ قدم بخبر السريّة ومصابها عُلبَة بن زيد العارثي . وأمهل بشير بن سعد وهو في القتلى ، فلما أمسى تحامل حتى انتهى [إلى] فذك ، فأقام عند يهوديّ بفذك أيامًا حتى ارتفع من الجراح ، ثم رجع إلى المدينة .

وهيّا رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام فقال : سر حتى تنتهى إلى مُصاب أصحاب بشير ، فإن ظفرك الله بهم فلا تبقي فيهم . وهيّا معه مائتي رجلٍ وعقد له اللّواء ، فقدم غالب بن عبد الله من سريّة قد ظفر الله عليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام : اجلس ! وبعث غالب بن عبد الله في مائتي رجل ، فخرج أسامة بن زيد في

(١) هكذا في الأصل وابن سعد . وفي الزرقاني يروى عن الواقدي : « نواديهم » . (شرح على المواهب اللدنية ،

ج ٢ ، ص ٢٩٩) .

(٢) في ابن سعد : « فأتوا » . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٨٦) .

السريّة حتى انتهى إلى مُصاب بَشِير وأَصحابه ، وخرج معه عُلبَة بن زيد .

حدّثني أَفْلَح بن سَعِيد ، عن بَشِير بن مَجْمَد بن عبد الله بن زيد ، قال : كان مع غالب عُقْبَة بن عمرو أَبُو مَسْعُود ، وَكَعْب بن عُجْرَة ، وأُسامة بن زيد ، وعُلبَة بن زيد ؛ فلما دنا غالب منهم بعث الطلائع ، فبعث عُلبَة بن زيد في عشرة ينظر إلى جماعة محالّهم ، حتى أوفى على جماعة منهم ثم رجع إلى غالب فأخبره . فأقبل غالب يسير حتى إذا كان منهم بِمَنْظَر العين ليلاً ، وقد اجتلبوا وعَطَّنوا^(١) وهَدَأُوا ، قام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فإنّي أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له ، وأن تُطيعوني ولا تعصوني ولا تُخالفوا لي أمراً ، فإنه لا رأى لمن لا يُطاع . ثم أَلَف بينهم فقال : يا فلان أنت وفلان ، يا فلان أنت وفلان لا يفارق كلّ رجلٍ زميله - وإياكم أن يرجع إلى أحدكم فأقول : أين فلان صاحبك؟ فيقول : لا أدري ؛ وإذا كَبُرْتُ فكَبُرُوا . قال : فكَبُرُوا وكَبُرُوا ، وأخرجوا السيوف . قال : فأحطنا بالحاضر [وفي الحاضر]^(٢) نَعَمْ وقد عَطَّنوا مواشيهم ، فخرج إلينا الرجال فقاتلوا ساعة ، فوضعنا السيوف حيث شئنا منهم ونحن نصيح بِشعارنا : أَمِتْ ! أَمِتْ ! وخرج أُسامة بن زيد في إثر رجلٍ منهم يقال له نَهيك بن مِرْدَاس فأبعد ، وحَوِينَا على الحاضر وقتلنا مَنْ قتلنا ، ومعنا النساءُ والماشية ، فقال أميرنا : أين أُسامة بن زيد ؟ فجاء بعد ساعة من الليل ، فلامه أميرنا لائمةً شديدةً وقال : أَلَمْ تَرَ إلى ما عَهِدْتُ إِلَيْكَ ؟

(١) أى سَقُوا الإبلَ ثم أَنَاخُوهَا وجَبَسُوهَا عند الماء . (لسان العرب ، ج ١٧ ، ص ١٥٨) .

(٢) في الأصل : « وحاضر نَعَمْ » .

فقال : إني خرجتُ في إثر رجلٍ جعل يتهمكُم بي ، حتى إذا دنوت ولحمته بالسيف قال : لا إله إلا الله ! فقال أميرنا : أغمدت سيفك ؟ قال : لا والله ما فعلتُ حتى أوردته شعوباً . قال : قلنا : والله ببئس ما فعلت وما جئت به ، تقتل امرءاً يقول لا إله إلا الله ! فندم وسقط . في يديه . قال : واستقنا النعم والشاء والذرية ، وكانت سهامهم عشرة أبعرة كل رجلٍ ، أو عدلها من الغنم . وكان يُحسب الجزور بعشرة من الغنم .

وحدثني شبل بن العلاء ، عن إبراهيم بن حويصة ، عن أبيه ، عن أسامة بن زيد ، قال : كان أميرنا آخى بيني وبين أبي سعيد الخدري . قال أسامة : فلما أصبته وجدت في نفسي من ذلك موجدة شديدة حتى رأيته وما أقدر على أكل الطعام حتى قدمت المدينة ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلني واعتنقني واعتنقته ، ثم قال لي : يا أسامة ، خبرني عن غزاتك . قال : فجعل أسامة يُخبره الخبر حتى انتهى إلى صاحبه الذي قُتل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قتلته يا أسامة ، وقد قال لا إله إلا الله ؟ قال : فجعلت أقول : يا رسول الله ، إنما قالها تعوداً من القتل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا شققت قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب^(١) ؟ قال أسامة : لا أقتل أحداً يقول لا إله إلا الله . قال أسامة : وتمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ .

حدثني معمر بن راشد ، عن الزهري ، عن عطاء بن يزيد الليثي ، عن عبيد الله بن عدي بن الجبار ، عن المقداد بن عمرو قال : قلت : يا رسول الله ! أرايت رجلاً من الكفار يقاتلني ، وضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ،

(١) في الأصل : « فتعلم صادقاً هو أم كاذب » .

ثم لاذ منى بشجرة فقال « أَسَلَمْتُ لِلَّهِ » . أَقْتَلْهُ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا ؟ فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : لَا تَقْتُلْهُ ! قال : فَإِنِّي قَتَلْتُهُ فَمَاذَا ؟ قال : فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ الَّتِي كُنْتَ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَقْتُلْهُ . وَأَنْتَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ .

سَرِيَّةُ بَنِي عَبْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ عَلَيْهَا غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْمَيْفَعَةِ^(١) فِي رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَوْنٍ ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ الْكُذُرِ أَقَامَ أَيَّامًا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُقِيمَ ، فَقَالَ لَهُ يَسَارُ مَوْلَاهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ غِرَّةً مِنْ^(٢) بَنِي عَبْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ . فَأَرْسِلْ مَعِيَ إِلَيْهِمْ . فَأَرْسَلَ مَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي مِائَةِ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا ، خَرَجَ بِهِمْ يَسَارُ ، فَظَنُّوا بِهِمْ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ حَتَّى فَنَيْتِ أَزْوَادُهُمْ وَجَهَدُوا ، وَاقْتَسَمُوا التَّمْرَ عَدَدًا ، فَبَيْنَا الْقَوْمُ ذَاتَ لَيْلَةٍ بَعْدَ مَا سَاءَ ظَنُّهُمْ بِيَسَارٍ ، وَظَنَّ الْقَوْمُ أَنَّ إِسْلَامَهُ لَمْ يَصِحَّ ، وَقَدْ انْتَهَوْا إِلَى مَكَانٍ قَدْ فَحَصَهُ^(٣) السَّيْلُ ، فَلَمَّا رَأَى يَسَارٌ كِبْرًا قَالَ : وَاللَّهِ قَدْ ظَفِرْتُمْ بِحَاجَتِكُمْ ، اسْلُكُوا فِي هَذَا الْفَحْصِ حَتَّى يَنْقُطَعَ بِكُمْ . فَسَارَ الْقَوْمُ فِيهِ سَاعَةً بِحَسٍّ خَفِيَ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا هَمْسًا^(٤) حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى ضِرْسٍ^(٥)

(١) الميفعة : وراء بطن نخل إلى النقرة بناحية نجد ، بينها وبين المدينة ثمانية برد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٨٦) .

(٢) في الأصل : « إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ غَزْوَةَ بَنِي عَبْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ » ، والتصحيح من الزرقاني . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٠٠) .

(٣) فحس : أي حفر . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٨٥) .

(٤) في الأصل : « رَمَسًا » .

(٥) الضرس : الأكمة . (الصحاح ، ص ٩٣٩) .

من الحرّة ، فقال يسار لأصحابه : لو صاح رجلٌ شديد الصوت لَأَسْمَعَ القوم ، فارتأوا رأيكم ! قال غالب : انطلق بنا يا يسار أنا وأنت ، وندع القوم كمينًا ، ففعلنا ، فخرجنا حتى إذا كنّا^(١) من القوم بمنظر العين سمعنا جِسَّ الناس والرّعاء والحُلُب ، فرجعا سريعين فانتھيا إلى أصحابهما ، فأقبلوا جميعاً حتى إذا كانوا من الحيّ قريباً ، وقد وعظهم أميرهم غالب ورغبهم في الجهاد ، ونهاهم عن الإمعان في الطلب ، وألّف بينهم وقال : إذا كَبُرْتُ فَكَبِّرُوا . فكَبَّرَ وكَبَرُوا جميعاً معه ، ووقعوا وسطَ مَحَالِّهم فاستاقوا نَعَمًا وشاءً ، وقتلوا مَنْ أَشْرَفَ لهم ، وصادفوه تِلْكَ اللَّيْلَةَ على ماءٍ يقال له المَيْفَعَة . قال : واستاقوا النّعم فحُدروهُ إلى المدينة ، ولم يُسْمَعْ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِأَسْرَى .

سُرِّيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ إِلَى الْجَنْابِ^(٢) سَنَةَ سَبْعٍ

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنْ بَشِيرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ ، قَالَ : قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ أَشْجَعٍ يُقَالُ لَهُ حُسَيْلُ بْنُ نُؤَيْرَةَ ، وَقَدْ كَانَ دَلِيلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خَيْبَرَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ أَيْنَ يَا حُسَيْلُ ؟ قَالَ : قَدِمْتُ مِنَ الْجَنْابِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : تَرَكْتُ جَمْعًا مِنْ غَطَفَانٍ بِالْجَنْابِ ، قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْهِمْ عُيَيْنَةَ يَقُولُ لَهُمْ : إِمَّا تَسِيرُوا إِلَيْنَا وَإِمَّا نَسِيرُ إِلَيْكُمْ . فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ أَنْ سِرْ

(١) في الأصل : « إذا كان » .

(٢) في الأصل : « الجنان » ؛ والجناب من أرض غطفان ، وذكره أيضا الحازي وقال : من بلاد فزارة .

(عيون الأثر ، ج ٢ ، ص ١٤٨) .

إِلَيْنَا حَتَّى نَزَحَفَ إِلَى مُحَمَّدٍ جَمِيعًا ، وَهُمْ يُرِيدُونَكَ أَوْ تَبْعُضَ أَطْرَافِكَ . قَالَ :
 فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا بَكْرَ وَعَمَرَ رَضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِمَا ، فَذَكَرَ
 لَهُمَا ذَلِكَ ، فَقَالَا جَمِيعًا : ابْعَثْ بَشِيرَ بْنَ سَعْدٍ ! فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ بَشِيرًا فَعَقَدَ لَهُ لُؤَاءً ؛ وَبَعَثَ مَعَهُ ثَلَاثُمِائَةَ رَجُلٍ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسِيرُوا
 اللَّيْلَ وَيَكْمُنُوا النَّهَارَ ، وَخَرَجَ مَعَهُمْ حُسَيْلُ بْنُ نُؤَيْرَةَ دَلِيلًا ؛ فَسَارُوا
 اللَّيْلَ وَكَمَنُوا النَّهَارَ حَتَّى أَتَوْا أَسْفَلَ خَيْبَرَ فَنَزَلُوا بِسِلَاحٍ ^(١) ، ثُمَّ خَرَجُوا
 مِنْ سِلَاحٍ حَتَّى دَنَوْا مِنَ الْقَوْمِ ، فَقَالَ لَهُمُ الدَّلِيلُ : بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْقَوْمِ
 ثُلُثُنَا نَهَارٍ أَوْ نِصْفُهُ ، فَإِنْ أَحْبَبْتُمْ كَمَنْتُمْ وَخَرَجْتُمْ طَلِيعَةً لَكُمْ حَتَّى آتِيَكُمْ
 بِالْخَبَرِ ، وَإِنْ أَحْبَبْتُمْ سَرْنَا جَمِيعًا . قَالُوا : بَلْ نَقْدُمُكَ . فَقَدَّمُوهُ ، فَغَابَ
 عَنْهُمْ سَاعَةً ثُمَّ كَرَّ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : هَذَا أَوَائِلُ سَرِّحِهِمْ فَهَلْ لَكُمْ أَنْ تُغَيِّرُوا
 عَلَيْهِمْ ؟ فَاخْتَلَفَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنْ
 أَغْرَيْنَا الْآنَ حَذِرْنَا الرِّجَالَ وَالْعِطْنَ . وَقَالَ آخَرُونَ : نَغْنَمُ مَا ظَهَرَ لَنَا ثُمَّ نَطْلُبُ
 الْقَوْمَ . فَشَجَعُوا عَلَى النَّعْمِ ، فَأَصَابُوا نَعْمًا كَثِيرًا مَلَأُوا مِنْهُ أَيْدِيَهُمْ ، وَتَفَرَّقَ
 الرُّعَاءُ وَخَرَجُوا سَرْعًا ، ثُمَّ حَذِرُوا الْجَمْعَ فَتَفَرَّقَ الْجَمْعُ وَحَذَرُوا ، وَاحْتَقَوْا
 بِعُلْيَاءِ بِلَادِهِمْ . فَخَرَجَ بَشِيرٌ بِأَصْحَابِهِ حَتَّى أَتَى مُحَالَتَهُمْ فَيَجِدُهَا وَلَيْسَ بِهَا
 أَحَدٌ . فَرَجَعَ بِالنَّعْمِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِسِلَاحٍ رَاجِعِينَ لَقُوا عَيْنًا لُعَيْنَةً فَقَتَلُوهُ ،
 ثُمَّ لَقُوا جَمْعَ عُيَيْنَةٍ ، وَعُيَيْنَةٌ لَا يَشْعُرُ بِهِمْ فَنَاشَوْهُمْ ، ثُمَّ انْكَشَفَ جَمْعُ عُيَيْنَةٍ
 وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَصَابُوا مِنْهُمْ رَجُلًا أَوْ رَجُلَيْنِ
 فَأَسْرَوْهُمَا أَسْرًا ، فَقَدَمُوا بِهِمَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَا فَأَرْسَلَهُمَا
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) سِلَاحٌ : مَوْضِعُ أَسْفَلٍ مِنْ خَيْبَرَ . (مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ، ج ٥ ، ص ١٠١) . وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا : سِلَاحٌ ،
 بِالْجَمْعِ . (وَفَاءُ الْوَقْفِ ، ج ٢ ، ص ٣٢٣) .

قالوا : وكان الحارث بن عوف المرّي [حليفاً] ^(١) لُعَيْنَةَ ولقيه منهزماً على فرسٍ له عتيقٍ يعدو به عدواً سريعاً ، فاستوقفه الحارث فقال : لا ، ما أقدرُ ! الطلب خلني ! أصحاب محمد ! وهو يركض . قال الحارث بن عوف : أما لك بعدُ أن تبصر ما أنت عليه ؟ إنَّ محمداً قد وطىء البلاد وأنت موضعٌ في غير شيء . قال الحارث : فتنحيت عن سنن خيل محمد حتى أراهم ولا يروني ، فأنقمتُ من [حين] زالت الشمس إلى الليل ، ما أرى أحداً - وما طلبوه إلاَّ الرعب الذي دخله . قال : فلقيته بعد ذلك ، فقال الحارث : فلقد أقمتُ في موضعٍ حتى الليل ، ما رأييت من طلب . قال عُيْنَةُ : هو ذاك ، إني خفتُ الإِسار وكان أثرى عند محمد ما تعلم في غير موطن . قال الحارث : أيها الرجل ، قد رأييت ورأيينا معك أمراً بيّناً في بني النضير ، ويوم الخندق وفريضة ، وقبل ذلك قينقاع ، وفي خيبر ، إنهم كانوا أعزَّ يهود الحجاز كلّه ، يُقرّون لهم بالشجاعة والسخاء ، وهم أهل حصون منيعة وأهل نخل ؛ والله إن كانت العرب لتلجأ إليهم فيمتنعون بهم . لقد سارت حارثة بن الأوس حيث كان بينهم وبين قومه ما كان فامتنعوا بهم من الناس ، ثم قد رأييت حيث نزل بهم كيف ذهبت تلك النجدة وكيف أدبيل عليهم . فقال عُيْنَةُ : هو والله ذاك ، ولكن نفسي لا تُقرّني . قال الحارث : فادخل مع محمد . قال : أصير تابعاً ! قد سبق قوم إليه فهم يزرون بمن جاء بعدهم يقولون : شهدنا بدرًا وغيرها . قال الحارث : وإنما هو على ما ترى ، فلو تقدّمنا إليه لكنّا من عليّة أصحابه ، قد بقي قومه بعدهم منه في مؤادعة وهو موقعٌ بهم وقعةً ، ما وطىء ^(٢) له الأمر . قال عُيْنَةُ : أرى والله ! فاتعدا

(١) بياض في الأصل . لعل مكانه ما أثبتناه .

(٢) في الأصل : « بطى » .

يُريدان الهجرة والقدوم على النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن مرّ بهما فرّوة ابن هُبيرة القُشَيْرِيُّ يُريد العمرة وهما يتقاولان ، فأخبراه بما كانا فيه وما يُريدان . قال فرّوة : لو استأنيتم حتى تنظروا ^(١) ما يصنع قومه في هذه المدة التي هم فيها وآتيكم بخبرهم ! فأخروا القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومضى فرّوة حتى قدم مكة فتحسب من أخبارهم ، فإذا القوم على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يُريدون أن يدخلوا طائعين أبدًا ، فخبّرهم بما أوقع محمد بأهل خيابر . قال فرّوة : وقد تركت رؤساء الضاحية على مثل ما أنتم عليه من العداوة لمحمد . قالت قُرَيْش : فما الرأي ، فأنت سيّد أهل الوبر ؟ قال : نقضى هذه المدة التي بينكم وبينه ونستجلب العرب ^(٢) ، ثم نغزوه في عُقر داره . وأقام أليّامًا يعجول في مجالس قُرَيْش ، ويسمع به نوّفل بن مُعاوية الدِّيلِّي ، فنزل من باديته فأخبره بما قال لقُرَيْش ، فقال نوّفل : إذا لآجِدُ عندكم شيئًا ! قدمت الآن لمقدمك حيث بلغني ، ولنا عدوّ قريب داره ، وهم عَيْبَةَ نُصح محمد لا يُغيّبون عليه حرفًا من أهورنا . قال : مَنْ هم ؟ قال : خُزاعة . قال : قَبُحَتْ خُزاعة ؛ قعدت بها يمينها ! قال فرّوة : فماذا ؟ قال : استنصر قُرَيْشًا أن يُعينونا عليهم . قال فرّوة : فأنّا أكفّيكهم . فلقى رؤساءهم ، صفوان بن أمية ، وعبد الله بن أبي ربيعة ، وسُهَيْل بن عمرو ، فقال : ألا ترون ماذا نزل بكم ! إنكم رضيتُم أن تدافعوا محمدًا بالراح . قالوا : فما نصنع ؟ قال : تُعينون نوّفل بن مُعاوية على عدوّه وعدوّكم . قالوا : إذا يغزونا محمد في مالا قبِلَ لنا به فيُوطئنا غَلَبَةً ، وننزل

(١) في الأصل : « حتى تنظرون » .

(٢) في الأصل : « واستجلب العرب » .

على حكمه ، ونحن الآن في مدّة وعلى ديننا . فلقى نَوْفَل بن مُعاوية فقال : ليس عند القوم شيء . ورجع فلقى عُيَيْنَةَ والحارث فَأَخْبَرَهُمْ وقال : رأيت قومه قد أَيْقَنُوا عليه فقَارِبُوا الرجل وتَدَبَّرُوا الأمر . فَقَدَّمُوا رِجَالًا وَأَخْرَوْا أُخْرَى .

غزوة الْقَضِيَّة ^(١)

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ، وَابْنِ أَبِي حَبِيبَةَ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ ، وَمُعَاذِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حُبَابٍ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَابْنِ أَبِي سَبْرَةَ ، وَأَبُو مَوْشَرٍ ؛ فَكُلُّهُمْ قَدْ حَدَّثَنِي بِطَائِفَةٍ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ ، وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَمْ أَسْمُ ، فَكُتِبَتْ كُلُّ مَا حَدَّثُونِي قَالُوا : [لَمَّا] ^(٢) دَخَلَ هَلَالُ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سَبْعٍ ، أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَعْتَمِرُوا - قَضَاءَ عُمْرَتِهِمْ ^(٣) - وَأَلَّا يَتَخَلَّفَ أَحَدٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَّةَ . فَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ شَهِدَهَا إِلَّا رِجَالٌ اسْتَشْهَدُوا بِخَيْبَرَ وَرِجَالٌ مَاتُوا . وَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سِوَى أَهْلِ الْحُدَيْبِيَّةِ مِمَّنْ لَمْ يَشْهَدْ صَلَاحَ الْحُدَيْبِيَّةِ عُمَارًا ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي عِمْرَةِ الْقَضِيَّةِ أَلْفَيْنِ .

فَحَدَّثَنِي خَارِجَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سَبْعٍ ، بَعْدَ مَقْدَمِهِ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، وَهُوَ الشَّهْرُ الَّذِي صَدَّتْهُ الْمُشْرِكُونَ ، لِقَوْلِ اللَّهِ

(١) وتسمى أيضاً عمرة القضية ، وعمرة القضاء ، وعمرة القصاص ، وهذا الاسم أولى بها لقوله تعالى

(الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص) . (الروض الأنف ، ج ٢ ، ص ٢٥٤) .

(٢) الزيادة عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٨٧) .

(٣) في الأصل : « عمرته » ، والتصحيح عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٨٧) .

عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾^(١) يقول : كما صدّوكم عن البيت فاعتَمروا في قَابِلٍ . فقال رجال من حاضِر المدينة من العرب : والله يا رسول الله ، ما لنا من زادٍ وما لنا مَنْ يُطْعَمنا^(٢) . فأمر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم المسلمين أَنْ يُنْفِقُوا في سبيلِ الله . وَأَنْ يتصدقوا . وَأَلَّا يكفّوا أيديهم فَيَهْلِكُوا . قالوا : يا رسول الله . بِمَ نتصدق وأحدنا لا يجد شيئاً ؟ قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : بما كان ، ولو بِشِقِّ تَمْرَةٍ . ولو بِمِشْقَصٍ^(٣) يحمل به أحدُكم في سبيلِ الله . فأنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك : ﴿وَأَنْفِقُوا في سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٤) . قال : نزلت في تَرْكِ النفقة في سبيلِ الله .

حدَّثني الثَّورِيُّ ، عن مَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ . عن أَبِي صَالِحٍ . عن ابن عَبَّاسٍ ، قال : مَتَّعَ في سبيلِ الله ولو بِمِشْقَصٍ ، ولا تلق بيدك إلى التَّهْلُكَةِ . حدَّثني الثَّورِيُّ ، عن الْأَعْمَشِ ، عن أَبِي وَائِلٍ ، عن حُذَيْفَةَ ، قال : نزلت هذه الآية في تَرْكِ النفقة في سبيلِ الله .

وحدَّثني ابنُ مُوَهَّبٍ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ . قال : سَأَلَ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم في الْقَضِيَّةِ سَتَيْنِ بَدَنَةً .

حدَّثني غانمُ بْنُ أَبِي غانمٍ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَنَارٍ . قال : جعل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ناجيةَ بَنِ جُنْدُبِ الْأَسْلَمِيِّ على هَدْيِهِ ، يسير بالهَدْيِ أَمَامَهُ يطلب الرُّعَى في الشَّجَرِ ، معه أَرْبَعَةُ فِتْيَانٍ مِنْ أَسْلَمٍ .

(١) سورة ٢ البقرة ١٩٤

(٢) في الأصل : « من أحد يطعمك » ؛ والتصحيح من الزرقاني ، يروي عن الواقدي . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٠٤) .

(٣) المشقص : فصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٣٠) .

(٤) سورة ٢ البقرة ١٩٥

فحدثني عبد الرحمن بن الحارث ، عن عُبَيْد بن أَبِي رُهْم ، قال : أنا كنت ممن يسوق الهَدْيَ وأركب على البُذُن .

حدثني مُحَمَّد بن نُعَيْم ، عن أَبِيهِ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال : كنت ممن صَاحَبَ البُذُنَ أَسَوقُهَا .

حدثني يونس بن مُحَمَّد ، عن شُعْبَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاس ، قال : قُلِدَ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم هَدْيَهُ بيده هو بنفسه .

حدثني مُعَاذ بن مُحَمَّد ، عن عاصم بن عمر ، قال : حمل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم السُّلَاحَ والْبَيْضَ والدَّرُوعَ والرُّمَاحَ ، وقاد مائة فرس ، فلما انتهى إلى ذِي الْحُلَيْفَةِ قَدَّمَ الخَيْلَ أَمَامَهُ ، وهى مائة فرس عليها مُحَمَّد ابن مَسْلَمَةَ . وقَدَّمَ السُّلَاحَ واستعمل عليه بَشِير بن سعد ، فقيل : يا رسول الله ! حملتَ السُّلَاحَ وَقَدْ شَرَطُوا عَلَيْنَا أَلَّا نَدْخُلَ عَلَيْهِمْ إِلَّا بِسُلَاحِ الْمَسَافِرِ ؛ السِّیُوفِ فِي الْقُرْبِ ! فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : إِنَّا لَا نَدْخُلُهَا عَلَيْهِمُ الْحَرَمَ ، وَلَكِنْ تَكُونُ قَرِيبًا مِنَّا ، فَإِنْ هَاجَنَا هَيْجٌ مِنَ الْقَوْمِ كَانَ السُّلَاحُ قَرِيبًا مِنَّا . قيل : يا رسول الله ! تَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى ذَلِكَ ؟ فَأَسَكَتَ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وَقَدَّمَ البُذُنَ .

وحدثني ابن أَبِي سَبْرَةَ ، عن موسى بن مَيْسَرَةَ ، عن جَابِر بن عبد الله ، قال : أَحْرَمَ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ لِأَنَّهُ سَلَكَ إِلَى طَرِيقِ الْفُرْعِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَهْلٌ مِنَ الْبَيْدَاءِ .

وحدثني ابن أَبِي سَبْرَةَ ، عن موسى بن مَيْسَرَةَ ، عن عبد الله بن أَبِي قَتَادَةَ ، عن أَبِيهِ ، قال : سَلَكْنَا فِي عَمْرَةِ الْقَضِيَّةِ عَلَى الْفُرْعِ ، وَقَدْ أَحْرَمَ أَصْحَابِي غَيْرِي ، فَرَأَيْتُ حِمَارًا وَحْشِيًّا فَشَدَدْتُ عَلَيْهِ فَعَقَرْتُهُ ، فَاتَّيْتُ أَصْحَابِي ، فَمِنْهُمْ الْآكِلُ وَالتَّارِكُ ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وسلَّم فَقَالَ : كُلْ !

قال أبو قتادة : ثم حجَّ حَجَّةَ الوداع . فأحرم من البَيْدَاءِ ، وهذه العمرة من المسجد ؛ لأنَّ طريقه ليس على البَيْدَاءِ . قال ابن واقد : فسار رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يُلبِّي ، والمسلمون يُلبُّون ، ومضى محمد بن مَسْلَمَةَ بالخيـل إلى مَرِّ الظُّهْران ، فيجد بها نفراً من قُرَيْش فسألوا محمد بن مَسْلَمَةَ فقال : هذا رسول الله ، يُصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله . قرأوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد ، فخرجوا سراعاً حتى أتوا قُرَيْشاً فأخبروهم بالذي رأوا من الخيل والسلاح ، ففزعت قُرَيْش فقالوا : والله ما أحدثنا حَدَثاً ، ونحن على كتابنا ومدتنا ، ففيمَ يغزونا محمد في أصحابه ؟ ونزل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم مَرِّ الظُّهْران ، وقَدِمَ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم السلاح إلى بطن يَأْجَج حيث ينظر إلى أنصاب الحرم ، وبعثت قُرَيْش مِكَرَز بن خَفص بن الأحنف في نفرٍ من قُرَيْشٍ حتى لقوه ببطن يَأْجَج ، ورسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في أصحابه والهُدَى والسلاح ، قد تلاحقوا ، فقالوا : يا محمد ! والله ما عُرِفَ صغيراً ولا كبيراً بالغدر ! تدخل بالسلاح الحرم على قومك . وقد شرطت ألا تدخل إلا بسلاح المسافر ؛ السيوف في القُرْب ! فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : لا ندخلها إلا كذلك . ثم رجع سريعاً بأصحابه إلى مَكَّة فقال : إنَّ محمدًا لا يدخل بسلاح ، وهو على الشرط . الذي شرط . لكم . فلمَّا جاء مِكَرَز بخبر النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم خرجت قُرَيْش من مَكَّة إلى رُمُوس الجبال ، وخلوا مَكَّة ، وقالوا : ولا ننظر إليه ولا إلى أصحابه . وأمر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بالهُدَى أمامه حتى حُبس بذي طُوًى . وخرج رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه رحمهم الله . ورسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم

على راحلته القَصْواء ، وأصحابه مُحَدِّقُونَ^(١) برسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، متوشِّحو السيوف يُلبُّون ؛ فلَمَّا انتهى إلى ذى طُوًى وقف رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم على راحلته القَصْواء والمسلمون حولَه ، ثم دخل من الثَّنِيَّة التي تطلعه على الحَجَّون على راحلته القَصْواء ، وابن رَواحة آخِذٌ بِزِمَام راحلته .

فحدَّثني سَعِيد بن مُسْلِم ، عن زِيد بن قُسَيْط . ، عن عُبيد بن خَدِيج ، عن رجلٍ من أصحاب النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلَّم ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وسلَّم لم يقطع التلبية حتى جاءَ عُرُوشَ^(٢) مَكَّة .

حدَّثني أسامة بن زِيد ، عن عمرو بن شُعَيْب ، عن أبيه ، عن جدِّه ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وسلَّم لبَّى حتى استلم الرُّكن .
حدَّثني عائذ بن يَحْيَى ، عن أَبِي الحَوَيْث ، قال : وخَلَفَ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم مائتي رجل على السلاح ، عليهم أوس بن خَوَلِّ .

حدَّثني يعقوب بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أَبِي صَعْصَعَة ، عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أُمِّ عُمارة ، قالت : شهدتُ عمرة القضية مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وكُنت قد شهدتُ الحُدَيْبية ، فكأنِّي أنظر إلى النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلَّم حين انتهى إلى البيت ، وهو على راحلته وابن رَواحة آخِذٌ بِزِمَام راحلته - وقد صفَّ له المسلمون - حين دنا من الرُّكن حتى انتهى إليه ، فاستلم الرُّكن بِمِحْجَنِهِ مُضْطَبِعاً^(٣) بثوبه ، على راحلته ،

(١) في الأصل : « محققين » .

(٢) أى بيوتها ، وسُميت عُرُوشاً لأنها كانت عيداً تنصب ويظلل عليها ، واحداها عرش . (النهاية ،

ج ٣ ، ص ٨١) .

(٣) الاضطباع : هو أن يأخذ الإزار أو البرد فيجعل وسطه تحت إبطه الأيمن ويلقى طرفيه على كتفه

الأيسر . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٢) .

والمسلمون يطوفون معه قد اضطبعوا بثيابهم ، وعبد الله بن رَواحة يقول :
 خَلَوْا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ إِنِّي شَهِدْتُ أَنَّهُ رَسُولُهُ
 حَقًّا وَكُلَّ الْخَيْرِ فِي سَبِيلِهِ نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
 كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ (١)
 وَيُذْهِلُ (٢) الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فقال عمر بن الخطاب : يا ابن رَواحة ! فقال رسول الله صَلَّى الله عليه
 وسلَّم : يا عمر ، إني أسمع ! فأسكت عمر .

فحدثني إسماعيل بن عَبَّاس ، عن ثابت بن العجلان ، عن عطاء بن
 أَبِي رَبَاح ، قال : نزل جبريل عليه السلام على النبي صَلَّى الله عليه
 وسلَّم فقال : إِنَّ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْجَبَلِ وَهُمْ يَرُونَكُمْ ، آمَشُوا مَا بَيْنَ الْيَمَانِ
 وَالْأَسُودِ . ففعلوا .

وحدثني إبراهيم بن إسماعيل ، عن داود بن الحُصَيْن ، عن عِكْرِمَةَ ، عن
 ابن عَبَّاس ، قال : طاف رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بالبيت وبين الصفا
 والمروة على راحلته ، فلما كان الطواف السابع عند المروة عند فراغه ، وقد
 وقف الهدى عند المروة ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : هَذَا الْمَنْحَرُ ،
 وَكُلَّ فِجَاجٍ مَكَّةَ مَنْحَر ! فنحر عند المروة . وقال ابن واقد : وكان قد اعتمر
 مع النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم قوم لم يشهدوا الحُدَيْبِيَّةَ فلم ينحروا ، فأما
 مَنْ كَانَ شَهِدَ الحُدَيْبِيَّةَ وَخَرَجَ فِي الْقَضِيَّةِ فَإِنَّهُمْ شَرِكُوا فِي الْهَدْيِ .

حدثني يعقوب بن محمد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أَبِي

(١) الهام : جمع هامة وهو الرأس هنا . ومقيله : مستعار من موضع القائلة ، ويريد الأعناق .
 (شرح أبي ذر ، ص ٣٥٣) .

(٢) يذهل : أي يشغل . (شرح أبي ذر ، ص ٣٥٣) .

صُعْبَةَ ، عن الحارث بن عبد الله ، عن أم عُمارة ، قالت : لم يتخلف أحدٌ من أهل الحُدَيْبِيَّةِ إِلَّا اعتمر عمرة القضية ، إِلَّا من مات أو قُتِل ؛ فخرجتُ ونسوةٌ معي في الحُدَيْبِيَّةِ فلم نصل إلى البيت ، فقصرن من أشعارهن بالحُدَيْبِيَّةِ ثم اعتمرن^(١) مع النبي صَلَّى الله عليه وسلم ، قضاءً لعمرتهن ، ونحر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة . وكان ممن شهد الحُدَيْبِيَّةِ وقُتِل بَخَيْبَر ولم يشهد عمرة القضية : ربيعة بن أكثم ، ورفاعة بن مسروح^(٢) ، وثقف بن عمرو ، وعبد الله بن أبي أمية بن وهب الأسدي ، وأبو صيَّاح ، والمحارث بن حاطب ، وعدى بن مرة بن سُرَاقَة ، وأوس بن حبيب ، وأنيف ابن وائل ، ومسعود بن سعد الزُرَيْقِي ، وبِشْر بن البراء ، وعامر بن الأكوع . وكان ابن عباس رضي الله عنه يحدث أنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم أمرهم في القضية أَنْ يُهدوا ، فمن وجد بدنة من الإبل نحرها ، ومن لم يجد بدنة رخص لهم في البقرة ؛ فقدم فلان ببقرٍ اشتراه الناس منه .

حدثني حزام بن هشام ، عن أبيه ، أنَّ خراش بن أمية حلق رأس رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم عند المروة .

حدثني عبد الحميد بن جعفر ، عن محمد بن يحيى بن خبان ، أنَّ الذي حلقه معمر بن عبد الله العدوي .

حدثني علي بن عمر ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن سعيد ابن المسيَّب ، قال : لما قضى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم نسكه دخل البيت ، فلم يزل فيه حتى أذن بلالٌ بالظُّهر فوق ظُهر الكعبة ، كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم أمره بذلك . فقال عكرمة بن أبي جهل : لقد أكرم الله

(١) في الأصل : « اعتمرت » .

(٢) في الأصل : « مشروح » ، وما أثبتناه عن كل مراجع السيرة الأخرى .

أَبَا الْحَكَمِ حَيْثُ لَمْ يَسْمَعْ هَذَا الْعَبْدُ يَقُولُ مَا يَقُولُ ! وَقَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ أَبِي قَبْلَ أَنْ يَرَى هَذَا ! وَقَالَ خَالِدُ بْنُ أَسِيدَ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَاتَ أَبِي وَلَمْ يَشْهَدْ هَذَا الْيَوْمَ . حِينَ يَقُومُ بِلَالُ بْنُ أُمِّ
بِلَالٍ يَنْهَقُ فَوْقَ الْكَعْبَةِ ! وَأَمَّا سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَرِجَالٌ مَعَهُ . فَحِينَ سَمِعُوا ذَلِكَ
غَطُّوا وَجُوهَهُمْ .

حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ . قَالَ : لَمْ يَدْخُلْ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَعْبَةَ فِي الْقَضِيَّةِ . قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَبَوْا وَقَالُوا : لَمْ يَكُنْ فِي شَرْطِكَ . وَأَمْرٌ بِلَالًا فَاذْنُ فَوْقَ
الْكَعْبَةِ يَوْمَئِذٍ مَرَّةً وَلَمْ يَعُدْ بَعْدُ ، وَهُوَ الثَّبُتُ .

حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي حَبِيبَةَ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرَمٌ ، فَجَعَلَتْ
أَمْرَهَا إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَزَوَّجَهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ
مُحْرَمٌ .

حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ . عَنْ عَطَاءِ الْخُرَاسَانِيِّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ،
قَالَ : لَمَّا حَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا .

حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي حَبِيبَةَ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ . عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ ، قَالَ : إِنَّ عُمَارَةَ بِنْتَ حَمْزَةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأُمُّهَا سَلَمَى بِنْتُ
عُمَيْسٍ كَانَتْ بِمَكَّةَ ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ عَلَى
عَلَيْهِ السَّلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : عَلَامَ نَتْرَكُ بِنْتَ عَمَّنَا يَتِيمَةً بَيْنَ
ظَهْرِي الْمَشْرِكِينَ ؟ فَلَمْ يَنْهَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ إِخْرَاجِهَا ، فَخَرَجَ
بِهَا ؛ فَتَكَلَّمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَكَانَ وَصِيَّ حَمْزَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وسلّم أخى بينهما حين آتخى بين المهاجرين ، فقال : أنا أحقّ بها . ابنة أخى ! فلمّا سمع ذلك جَعَفَرُ قال : الخالة والدّة ، وأنا أحقّ بها لمكان خالتها عندي ، أسماء بنت عُمَيْس . فقال على عليه السلام : ألا أراكم في ابنة عمّي ^(١) . وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين . وليس لكم إليها نسبٌ دوني ، وأنا أحقّ بها منكم ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أنا أحكم بينكم ! أما أنت يا زيد فمولى الله ورسوله ، وأما أنت يا عليّ فأخى وصاحبى ، وأما أنت يا جعفر فتشبه خلقى وخلقى ، وأنت يا جعفر أحقّ بها ! تحتك خالتُها ، ولا تُنكح المرأة على خالتها ولا على عمّتها . ففضى بها لجعفر . قال ابن واقد : فلما قضى بها لجعفر قام جعفر فحجّل حول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ما هذا يا جعفر ؟ قال : يا رسول الله ، كان النّجاشيّ إذا أرضى أحداً قام فحجّل حوله . فقبل للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم : تزوّجها ! فقال : ابنة أخى من الرّضاة ! فزوجها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سَلَمَةَ بن أبي سَلَمَةَ . فكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول : هل جزيتُ ^(٢) سَلَمَةَ ؟

حدّثنى عبّيد الله بن محمد قال : فلما كان عند الظّهر يوم الرابع ، أتى سُهيل بن عمرو . وخوِيطب بن عبد العزّى - ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم في مجلس من مجالس الأنصار يتحدّث معه سعد بن عبادة - فقال : قد انقضى أجلك . فاخرجُ عنّا ! فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : وما عليكم لو تركتموني فأعرستُ بين أظهركم ^(٣) . فصنعتُ لكم طعاماً ؟ فقالوا : لا حاجة

(١) يريد ألا أراكم تختلفون في أمر ابنة عمي .

(٢) وذلك أنه هو الذي كان قد زوج أمه ، أم سلمة ، النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

(٣) يريد إعراسه بزواج ميمونة .

لنا في طعامك ، اخرجُ عنا ! ننشدك الله يا محمد والعهد الذي بيننا وبينك
إلا خرجت من أرضنا ، فهذه الثلاث قد مضت ! وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم ينزل بيتاً ، وضربت له قبة من الأدم بالابطح ، فكان هناك
حتى خرج منها ، لم يدخل تحت سقف بيت من بيوتها . فغضب سعد
ابن عباد لما رأى من غلظة كلامهم للنبي صلى الله عليه وسلم . فقال
لسهيل : كذبت لا أم لك ، ليست بأرضك ولا أرض أبيك ! والله لا يبرح
منها إلا طائعا راضيا . فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا سعد .
لا تؤذ قوما زارونا في رحالنا . قال : وأسكت الرجلان عن سعد . قال : ثم أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع بالرحيل . وقال : لا يُحسِن بها أحد من
المسلمين . وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل سرف ، وتنام
الناس ، وخلف أبا رافع ليحمل إليه زوجته ^(١) حين يُمسي ، وأقام أبو رافع
حتى أمسى ، فخرج بميمونة ومن معها ، فلقوا عناة ^(٢) من سفهاء المشركين ،
آذوا بالسنتهم ^(٣) النبي صلى الله عليه وسلم . وقال لها أبو رافع - وانتظر أن
يَبْطِش ^(٤) أحد ^(٥) منهم فيستخلى به ^(٦) . فلم يفعلوا - ألا إنى قد قلت لهم :
« ما شئتم ! هذه والله الخيل والسلاح ببطن ياجج ! » وإذا الخيل قد قربت
فوقفت لنا هنالك والسلاح ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر
مائتين من أصحابه حين طافوا بالبيت أن يذهبوا إلى أصحابهم ببطن ياجج
فيقيموا على السلاح ، ويأتى الآخرون فيقضوا نُسكهم ففعلوا ، فلما

(١) أى ميمونة .

(٢) فى الأصل : « عينا » ؛ والتصحيح من الزرقانى يروى عن الواقدى . (شرح على المواهب اللدنية ،

ج ٢ ، ص ٣١٤) .

(٣) فى الأصل : « أذى السنتهم للنبي صلى الله عليه وسلم » . وما أثبتناه يقتضيه السياق .

(٤) البطش : الأخذ القوى الشديد . (النهاية ، ج ١ ، ص ٨٣) .

(٥) فى الأصل : « أحدا » .

(٦) فى الأصل : « منه » .

انتهينا إلى بطن يَأْجَج ساروا معنا ، فلم نَأْتِ سِرْفَ حتى ذهب عامة الليل ،
ثم أَتَيْنَا سِرْفَ ، فبنى عليها رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم . ثم أدلج حتى
قدم المدينة .

سرية ابن أبي العوّجاء السُّلَميّ في ذى الحجة سنة سبع

حدّثنى محمد ، عن الزُّهري ، قال : لما رجع رسول الله صَلَّى الله عليه
وسلّم من عمرة القضاء سنة سبع - رجع في ذى الحجة سنة سبع - بعث
ابن أبي العوّجاء السُّلَميّ في خمسين رجلاً ، فخرج إلى بني سُليم . وكان عين
لبني سُليم معه ، فلما فصل من المدينة خرج العين إلى قومه فحدّثهم
وأخبرهم ، فجمعوا جمعاً كثيراً . وجاءهم ابن أبي العوّجاء والقوم مُعدّون له ،
فلَمَّا رآهم أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ورأوا جمعهم دعوهم إلى
الإسلام ، فرشقوهم بالنبل ولم يسمعوا قولهم . وقالوا : لا حاجة لنا إلى
ما دعوتهم إليه . فراموهم ساعة . وجعلت الأمداد تأتى حتى أّحدقوا بهم من
كل ناحية ، فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى قُتل عامّتهم . وأصيب صاحبُهم
ابن أبي العوّجاء جريحاً مع القتلى ، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صَلَّى الله
عليه وسلّم .

إسلام عمرو بن العاص

حدّثنا عبد الحميد بن جَعْفَر ، عن أبيه ، قال : قال عمرو بن العاص :
كنت للإسلام مُجانِباً مُعانِداً ، فحضرتُ بدرًا مع المشركين فنجوت ، ثم
حضرتُ أُحُدًا فنجوت ، ثم حضرت الخَنْدَقَ^(١) فقلت في نفسي : كم

(١) في ابن كثير عن الواقدي : « ثم حضرت الخندق ونجوت » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٦)

أَوْضِعَ^(١)؟ وَاللَّهِ لِيُظْهِرَنَّ مُحَمَّدٌ عَلَى قُرَيْشٍ! فَخَلَفْتُ^(٢) مَالِي بِالرَّهْطِ. وَأَفْلَتُ
يَعْنِي مِنَ النَّاسِ - فَلَمْ أَحْضِرِ الْحَدِيثِيَّةَ وَلَا صَلَحَهَا، وَانصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصُّلْحِ وَرَجَعْتُ قُرَيْشَ إِلَى مَكَّةَ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: يَدْخُلُ
مُحَمَّدٌ قَابِلًا مَكَّةَ بِأَصْحَابِهِ؛ مَا مَكَّةَ بِمَنْزِلٍ وَلَا الطَّائِفِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ خَيْرٍ
مِنَ الْخُرُوجِ. وَأَنَا بَعْدُ نَاتٍ^(٣) عَنِ الْإِسْلَامِ، أَرَى لَوْ أَسْلَمْتُ قُرَيْشَ كُلَّهَا
لَمْ أُسَلِّمْ. فَقَدِمْتُ مَكَّةَ فَجَمَعْتُ رِجَالًا مِنْ قَوْمِي كَانُوا يَرَوْنَ رَأْيِي وَيَسْمَعُونَ
مَنْنِي وَيُقَدِّمُونَنِي فِيمَا نَابَهُمْ. فَقُلْتُ لَهُمْ: كَيْفَ أَنَا فِيكُمْ؟ قَالُوا: ذُو رَأْيِنَا
وَمِدْرَهْنَا^(٤). مَعَ يَمْنٍ نَفْسٍ وَبِرَكَّةٍ أَمْرٍ^(٥). قَالَ: [قُلْتُ]: تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ
أَنِّي لَأَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ أَمْرًا يَعْلُو الْأُمُورَ عُلُوًّا مُنْكَرًا. وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا.
قَالُوا: مَا هُوَ؟ قَالَ: نَلْحَقُ بِالنَّجَاشِيِّ فَنَكُونُ عِنْدَهُ، فَإِنْ كَانَ يَظْهَرُ مُحَمَّدٌ
كَنَّا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، فَنَكُونُ تَحْتَ يَدِ النَّجَاشِيِّ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ
تَحْتَ يَدِ مُحَمَّدٍ؛ وَإِنْ تَظْهَرُ قُرَيْشُ فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عَرَفُوا. قَالُوا: هَذَا الرَّأْيُ!
قَالَ: فَاجْمَعُوا مَا تُهْدُونَهُ لَهُ. وَكَانَ أَحَبَّ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الْأَدَمِ.
قَالَ: فَجَمَعْنَا أَدَمًا كَثِيرًا، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى قَدَمْنَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، فَوَاللَّهِ إِنَّا
لَعِنْدَهُ إِذْ جَاءَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ بِكِتَابٍ كَتَبَهُ إِلَيْهِ يُزَوِّجُهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ. فَدَخَلَ

(١) أَوْضَعَ الْبَعِيرَ رَاكِبَهُ: إِذَا حَمَلَهُ عَلَى سُرْعَةِ السَّيْرِ. (النهاية، ج ٤، ص ٢١٦).

(٢) فِي ابْنِ كَثِيرٍ عَنِ الْوَاقِدِيِّ: «فَلَحَقْتُ بِمَالِي بِالرَّهْطِ وَأَقَلَّتْ مِنَ النَّاسِ». (البداية والنهاية،

ج ٤، ص ٢٣٦).

(٣) فِي ابْنِ كَثِيرٍ عَنِ الْوَاقِدِيِّ: «فَأَنَا نَاتٍ». (البداية والنهاية، ج ٤، ص ٢٣٦).

(٤) الْمَدْرَةُ: السَّيِّدُ الشَّرِيفُ، وَالْمَقْدَمُ فِي اللِّسَانِ وَالْيَدُ عِنْدَ الْخِصْمَةِ وَالْقِتَالِ. (القاموس المحيط،

ج ٤، ص ٢٨٣).

(٥) فِي الْأَصْلِ: «مَعَ يَمْنٍ بِفَيْتِهِ وَبِرَكَّةٍ». وَفِي ابْنِ كَثِيرٍ عَنِ الْوَاقِدِيِّ: «فِي يَمْنٍ نَفْسِهِ وَبِرَكَّةٍ أَمْرٍ».

(البداية والنهاية، ج ٤، ص ٢٣٦).

عليه ثم خرج من عنده ، فقلتُ لأصحابي : هذا عمرو بن أمية . ولو قد دخلتُ على النجاشيَّ وسألتهُ إيَّاه فأعطانيه فضربتُ عنقه ، فإذا فعلتُ ذلك سُرتُ قریش وكنْتُ قد أجزأتُ^(١) عنها حين قتلْتُ رسولَ محمد . قال : فدخلتُ على النجاشيَّ فسجدتُ له كما كنتُ أصنع . فقال : مرحباً بصديق ! أهديتَ لي مِن بلادك شيئاً ؟ قال : فقلتُ : نعم أيُّها الملك ، أهديتُ لك آدمًا كثيرًا . ثم قربته إليه ، فأعجبه . وفرَّق منه أشياء بين بطارفته ، وأمر بسائره فأدخل في موضع . وأمر أن يُكتب ويُحتفظ . به . فلما رأيت طيب نفسه قلت : أيُّها الملك ، إني قد رأيتُ رجلًا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا ؛ قد وتَرنا وقتلَ أشرافنا وخيارنا فأعطانيه فأقتله ! فرفع يده فضرب بها أنفي ضربةً ظننتُ أنه كسره . وابتدر مِنخاري ، فجعلتُ أتلقى الدم بثيابي ، وأصابني من الدُّلِّ ما لو انشقتُ بي الأرض دخلتُ فيها فرقًا منه . ثم قلتُ له : أيُّها الملك ، لو ظننتُ أنك تكره ما فعلتُ ما سألتك . قال : واستحيي وقال : يا عمرو ، تسألني أن أعطيك رسولَ رسولِ الله - من يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى . والذي كان يأتي عيسى بن مريم - لتقتله ؟

قال عمرو : وغيرَ الله قلبي عما كنتُ عليه ، وقلتُ في نفسي : عرف هذا الحقَّ العربُ والعجمُ وتُخالف أنت ؟ قلتُ : أتشهد أيُّها الملك بهذا ؟ قال : نعم . أشهدُ به عند الله يا عمرو فأطعني وأتبعه ؛ والله إنه لعلی الحقِّ ، وليظهروا على كلِّ^(٢) دينٍ خالفه . كما ظهر موسى على فرعون وجنوده . قلتُ : أفتبایعني على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبايعته على الإسلام ،

(١) أجزأت عنها : أي كفيها . (شرح أبي ذر ، ص ٣٢٧) .

(٢) في ابن كير عن الواقدي : « على من خالفه » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٧) .

ودعا لى بطَسْتِ فغسل عَنى الدم وكَسَانى ثياباً . وكانت ثيابى قد امتلأت من الدم فَالْقَيْتُهَا . ثم خرجت إلى أَصْحَابى فلما رَأَوْا كُسُوةَ الملك سُرُّوا بذلك وقالوا : هل أدركت من صاحبك ما أردت ؟ فقلت لهم : كرهتُ أن أَكَلِّمَهُ فى أَوَّلِ مرَّةٍ وقلت أَعُودُ إِلَيْهِ . قالوا : الرأى ما رَأَيْتَ ! وفارقتُهم كَأَنى أَعْمِدَ لحاجة فَعَمِدْتُ إلى موضع السُّفُن . فَأَجَدْتُ سَفِينَةً قد شُحِنَتْ بِرُقْعٍ^(١) ، فركبتُ معهم ودفعوها حتى انتهوا إلى الشُّعْبَةِ^(٢) ، وخرجتُ من الشُّعْبَةِ ومعى نَفَقَةٌ . فابتعتُ بَعِيرًا وخرجتُ أريدُ المدينة حتى خرجت على مَرِّ الظَّهْرَان . ثم مصيتُ حتى كنت بالهَدَّة . إذا رجلاَن قد سبقانى بغير كثير يُريدان منزلاً . وأحدهما داخلٌ فى خيمة ، والآخر قائمٌ يُمسكُ الراحلتين ، فنظرتُ وإذا خالد بن الوليد . فقلت : أبا سُلَيْمَانَ ؟ قال : نعم . قلت : أين تُريد ؟ قال : محمّداً . دخل الناس فى الإسلام فلم يبق أحد به طَمَعٌ^(٣) ؛ واللّٰهُ لو أَقَمْنَا لَأَخَذَ بِرِقَابِنَا كما يُؤْخَذُ بِرَقَبَةِ الضَّبُعِ فى مغارتها . قلت : وأنا واللّٰهُ قد أردت محمّداً وأردت الإسلام . وخرج عُثْمَانُ بن طَلْحَةَ فرحَّبَ بى فنزلنا جميعاً فى المنزل . ثم تراءفنا^(٤) حتى قدمنا المدينة ، فما أنسى قول رجل لقيناه ببئر أبى عَنَبَةَ يصيح : يا رَبّاح ! يا رَبّاح ! ففتفاءلنا بقوله وسرنا . ثم نظر إلينا فأسمعته يقول : قد أعطت مكَّةَ المَقَادَةَ بعد هذين ! فظننت أنه يعينى وخالد بن الوليد ، ثم ولى مُدَبِّراً إلى المسجد سريعاً

-
- (١) فى ابن كثير عن الواقلى : « قد شحنت تدفع » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٧) .
 ورقع : جمع رقعة ، كهزمة : شجرة عظيمة . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٣١) .
 (٢) فى ابن كثير عن الواقلى : « الشعبة » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٧) . والشعبة : على شاطئ البحر بطريق اليمن . (معجم ما استعجم ، ص ١٨٤) .
 (٣) فى ابن كثير عن الواقلى : « طعم » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٣٣٧) .
 (٤) فى ابن كثير عن الواقلى : « ثم اتفقتنا » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٨) .

فظننت أنه يُبشِّرُ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بقُدومنا ، فكان كما ظننتُ .
وَأَنَحْنَا بِالْحَرَّةِ فَلَبِسْنَا مِنْ صَالِحِ ثِيَابِنَا ، وَزُودَى بِالْعَصْرِ فَاَنْطَلَقْنَا جَمِيعاً
حَتَّى طَلَعْنَا عَلَيْهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ لَوَجْهَهُ تَهَلَّلًا ، وَالْمُسْلِمُونَ حَوْلَهُ قَدْ
سُرُّوا بِإِسْلَامِنَا . فَتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَايَعَ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ
فَبَايَعَ . ثُمَّ تَقَدَّمْتُ . فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنَّ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَمَا اسْتَطَعْتُ
أَنْ أَرْفَعَ طَرْفِي إِلَيْهِ حَيَاءً مِنْهُ ، فَبَايَعْتَهُ عَلَى أَنْ يُعْفَرَ لِي مَا تَقَدَّمُ مِنْ ذَنْبِي ،
وَلَمْ يَحْضُرْنِي مَا تَأَخَّرَ . فَقَالَ : إِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُوبُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَالْهَجْرَةَ
تَعْجُبُ مَا كَانَ قَبْلَهَا . [قَالَ] : فَوَاللَّهِ مَا عَدَلَ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَبِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي أَمْرِ حَزْبِهِ ^(١) مِنْذُ أَسْلَمْنَا ، وَلَقَدْ كُنَّا عِنْدَ
أَبِي بَكْرٍ بَتْلِكَ الْمَنْزِلَةِ . وَلَقَدْ كُنْتُ عِنْدَ عَمْرِو بْنِ تَلْحَةَ الْحَالَةَ ، وَكَانَ عَمْرٌ عَلَى
خَالِدٍ كَالْعَاتِبِ .

قال عبد الحميد : فذكرت هذا الحديث ليزيد بن أبي حبيب فقال :
أخبرني راشدٌ مولى حبيب بن أبي أُويس ، عن حبيب بن أُويس الثقفي ، عن
عمرو ، نحو ذلك . قال عبد الحميد : فقلت ليزيد : فلم يُوقِتْ لك ،
متى قدم عمرو وخالد ؟ قال : لا ، إِلَّا أَنَّهُ قُبِيلَ الْفَتْحِ ، قُلْتُ : وَإِنَّ أَبِي
أَخْبَرَنِي أَنَّ عَمْرًا ، وَخَالِدًا ، وَعُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ ، قَدِمُوا الْمَدِينَةَ لَهْلَالِ صَفَرٍ
سَنَةِ ثَمَانٍ .

وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ أَبِي حَبِيبَةَ ، قِرَاءَةً عَلَيْهِ ، حَدَّثَنَا
مُحَمَّدُ بْنُ شُجَاعٍ قَالَ . حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْوَاقِدِيُّ قَالَ ، فَحَدَّثَنِي
يَحْيَى بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ ، سَمِعْتُ أَبِي
(١) فِي الْأَصْلِ : « جَرَبَهُ » ؛ وَالتَّصْحِيحُ عَنْ ابْنِ كَثِيرٍ مِنَ الْوَاقِدِيِّ . (الْبَدَايَةُ وَالنَّهْيَةُ ، ج ٤ ،
ص ٢٣٨) .

يُحَدِّثُ يَقُولُ : قال خالد بن الوليد : لما أراد الله بي من الخير ما أراد قذف في قلبي حُبَّ الإسلام . وحضرتي رُشدي ، وقلت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد ، فليس موطنُ أشهدته إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أُنَى مُوضِعٍ في غير شيءٍ وَأَنَّ محمدًا سَيَظْهَرُ . فلما خرج رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى الحُدَيْبِيَّةِ خرجت في خيلٍ من المشركين فلقيت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في أصحابه بعُصْفَانَ ؛ فقمْتُ بإِزاءه وتعرَّضت له ، فصلَّى بأصحابه الظهر آمنًا منَّا . فهمنَّا^(١) أن نغير عليه ، ثم لم يُعْزَمَ لنا - وكانت فيه خَيْرَةٌ - فاطَّلَعَ على ما في أنفسنا من الهموم فصلَّى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك مني مَوْقَعًا وقلت : الرجل^(٢) مَمْنُوع ! وافترقنا^(٣) وعدل عن سَنَنِ^(٤) خيلنا وأخذ ذات اليمين ؛ فلما صالح قُرَيْشًا بالحُدَيْبِيَّةِ ودافعتهُ قُرَيْشٌ بِالرَّوَّاحِ^(٥) قلت في نفسي : أى شيء بقي ؟ أين المذهب إلى النجاشي ؟ فقد اتَّبَعَ محمدًا ، وأصحابه آمنون عنده ، فأخرجُ إلى هِرَقْلٍ ؟ فأخرجُ من ديني إلى نصرانيةٍ أو يهوديةٍ . فأقيم مع عَجْمٍ تابعًا ، أو أقيم في دارى فيمن بقى ؟ فأنا على ذلك إذ دخل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في عُمرَةِ الْقَضِيَّةِ . فتغيَّبت فلم أشهد دخوله ،

(١) في الأصل : « فهمنا » .

(٢) في الأصل : « الرجوع ممنوع » ؛ وما أثبتناه من ابن كثير عن الواقدي . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٩) .

(٣) في ابن كثير عن الواقدي : « فاعتزلنا » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٩) .

(٤) في ابن كثير عن الواقدي : « عن سير خيلنا » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٩) . وعن سائر الخيل : أى عن وجهه . (الصحاح ، ص ٢١٣٩) .

(٥) في الأصل : « بالراح » ؛ وما أثبتناه من ابن كثير عن الواقدي . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٩) . والراح : نقيض الصباح ، وهو اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل . (الصحاح ، ص ٢٦٧) .

وكان أخى الوليد بن الوليد قد دخل مع النبی صلی الله علیه وسلم فی عُمرة القَصِيَّة ، فطلبنی فلم یجدنی فکتب إلیّ کتاباً فإذا فیهِ : بسم الله الرحمن الرحیم ، أما بعد : فإنی لم أرَ أعجب من ذهاب رأیک عن الإسلام ، وعَقْلُک عَقْلُک ! ومثل الإسلام جَهِلَه أحدٌ ؟ وقد سألنی رسولُ الله صلی الله علیه وسلم عنک فقال : أين خالد ؟ فقلت : یأتی الله به . فقال : ما مثله جهل الإسلام ! ولو كان جعل نِکایته وجَدّه مع المسلمین علی المشرکین ، لکان خیراً له ، ولقد مُنّاه علی غیره . فاستدركُ یا أخی ما فاتک ، فقد فاتتک مَواطِنُ صالحة . قال : فلمّا جاءنی کتابه نشِطْتُ للخروج ، وزادنی رغبةً فی الإسلام وسرّنی مَقالةُ رسول الله صلی الله علیه وسلم . قال خالد : وأرى فی النوم کأَنی فی بلادٍ ضَبِيقَةٍ جَدِیبة ، فخرجت إلی بلدٍ أخضرٍ واسع ، فقلت إنّ هذه لَرُویا . فلمّا قدمتُ المَدينة قلت : لأذکرُنها لأبی بکر . قال : فذکرُتها فقال : هو مخرجک الذی هَدَاک الله للإسلام ، والضَّبِيقُ الذی کنتَ فیهِ من الشُّرک . فلمّا أَجمعتُ الخروج إلی رسول الله صلی الله علیه وسلم قلت : من أَصاحب إلی رسول الله ؟ فلقیتُ صَفْوان بن أُمیة فقلت : یا أبا وهب ، أما ترى ما نحن فیهِ ؟ إنما نحن أَکَلَةُ رَأْسٍ^(١) ، وقد ظهر مُحَمَّدٌ علی العرب والعجم ، فلو قدمنا علی مُحَمَّدٍ فاتَّبَعناه فإنَّ شَرَفَ مُحَمَّدٍ لنا شَرَفٌ . فبأی أَشدَّ الإِباءِ وقال : لو لم یبق غیری من قُرَیش ما اتَّبَعْتُهُ أَبَداً . فافترقنا وقلت : هذا رجلٌ مَوْتورٌ یطلب وتراً ، قد قُتل أبوه وأخوه ببدر . فلقیت عکْرِمةَ بن أبی جهل فقلت له مثل الذی قلت لصفوان ، فقال لی مثل ما

(١) فی ابن کثیر عن الواقدي : « إنما نحن کأضراس » . (البداية والنهاية، ج ٤، ص ٢٣٩) . وتولم هم أَکَلَةُ رَأْس ، أى هم قليل يشبههم رأس واحد ، وهو جمع آکل . (الصحاح ، ص ١٦٢٤) .

قال صفوان ، قلت : فاطو ما ذكرتُ لك . قال : لا أذكره . وخرجتُ إلى منزلي فأمّرت بِراحلي تُخرج إليّ ، فخرجتُ بها إلى أن ألقى عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا لِي لَصَدِيقٌ وَلَوْ ذَكَرْتُ لَهُ مَا أُرِيدُ ! ثُمَّ ذَكَرْتُ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِ فَكَرِهْتُ أَذْكُرَهُ ، ثُمَّ قُلْتُ : وَمَا عَلَيَّ وَأَنَا رَاحِلٌ مِنْ سَاعَتِي . فَذَكَرْتُ لَهُ مَا صَارَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : إِنَّمَا نَحْنُ بِمَنْزِلَةِ ثَعْلَبٍ فِي جُحْرٍ ، لَوْ صُبَّ عَلَيْهِ ذَنْوُبُ^(١) مَنْ مَاءٍ لَخَرَجَ . قَالَ : وَقُلْتُ لَهُ نَحْوًا مِمَّا قُلْتُ لَصَاحِبِيهِ ، فَأَسْرَعَ الْإِجَابَةَ وَقَالَ : لَقَدْ غَدَوْتَ الْيَوْمَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَغْدُو . وَهَذِهِ رَاحِلَتِي بِفَخْرٍ^(٢) مُنَاحَةٌ . قَالَ : فَاتَّعَدْتُ أَنَا وَهُوَ بِيَأْجَجٍ ، إِنْ سَبَقَنِي أَقَامَ وَإِنْ سَبَقْتُهُ أَقَمْتُ عَلَيْهِ . قَالَ : فَأَدْلَجْنَا سَحَرًا فَلَمْ يَطْلُعِ الْفَجْرُ حَتَّى التَقِينَا بِيَأْجَجَ ، فَغَدَوْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الْهَدَّةِ ، فَجَنَدَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِهَا فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ ! فَقُلْنَا : وَبِكَ ! قَالَ : أَبَيْنَ مَسِيرَكُمْ ؟ قُلْنَا : مَا أَخْرَجَكَ ؟ قَالَ : فَمَا الَّذِي أَخْرَجَكُمْ ؟ قُلْنَا : الدَّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ وَاتِّبَاعُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : وَذَلِكَ الَّذِي أَقْدَمَنِي . قَالَ : فَاصْطَحِبْنَا جَمِيعًا حَتَّى قَدَمْنَا الْمَدِينَةَ فَاتَّخَذْنَا بظَاهِرِ^(٣) الْحَرَّةِ رُكَابَنَا ، فَأَخْبَرَ بَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فُسْرٌ بَنَا ؛ فَلَبِستُ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِي ، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَقِينِي أَخِي فَقَالَ : اسْرِعْ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَخْبَرَ بِكَ فُسْرٌ بِقُدُومِكَ وَهُوَ يَنْتَظِرُكُمْ . فَأَسْرَعْتُ الْمَشْيَ فَطَلَعْتُ عَلَيْهِ ، فَمَا زَالَ يَتَبَسَّمُ إِلَيَّ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالنَّبَوَّةِ

(١) الذنوب : الدلو العظيمة . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٥١) .

(٢) في ابن كثير عن الواقدي : « بفج » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٩) . وفج : واد يمكنه .

(معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٣٤١) .

(٣) في ابن كثير عن الواقدي : « بظهر الحرة » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٩) .

فرد على السلام بوجهٍ طَلَّقَ ، فقلت : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله . فقال : الحمد لله الذي هدانا لهذا ! قد كنت أرى لك عقلاً رجيوت ألا يُسلمك إلا إلى الخير . قلت : يا رسول الله ، قد رأيت ما كنتُ أشهدُ من تلك المواطن عليك مُعَانِدًا عن الحق ، فادعُ الله أن يغفرها لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام يُجِبُّ ما كان قبله قلت : يا رسول الله ، على ذلك ؟ فقال : اللهم اغفر لخالد كل ما أوضع فيه من صدِّ عن سبيلك . قال خالد : وتقدّم عمرو ، وعثمان ، فبايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قدومنا في صفر سنة ثمان ، فوالله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم أسلمت يعدل بي أحداً من أصحابه فيما خَبره^(١) .

قال أبو عبد الله : سألت عبد الله بن عمرو بن زهير الكعبي : متى كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خُزاعة كتابه ؟ فقال : أخبرني أبي ، عن قبيصة بن ذؤيب أنه كتب لهم في جمادى الآخرة سنة ثمان . وذلك أنه أسلم قوم من العرب كثير ، ومنهم من هو بَعْدُ مُقيمٌ على شركه ، ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحُدَيْبِيَّة لم يبق من خُزاعة أحدٌ إلا مُسلمٌ مُصدقٌ بمحمد ، قد أتوا بالإسلام وهو فيمن حوله قليل ، حتى قدم علقمة بن علاثة وابنا هُوذة وهاجروا ، فذلك حيث كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خُزاعة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى بُدَيْل ، ويشر^(٢) ، وسروات بن عمرو ، سلامٌ عليكم ، فإني أحمدُ الله إليكم ، الله لا إله إلا هو ، أما بعد ؛ فإني لم آتكم بِإِلَهِكُمْ ، ولم أضع في

(١) في الأصل : « خبرته » .

(٢) هكذا في الأصل . وفي ابن سعد : « بسر » . (الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٥) .

جَنَّبَكُمْ ، وَإِنَّ أَكْرَمَ نِيْهَامَةٍ عَلَى أَنْتُمْ ، وَأَقْرَبَهُمْ ^(١) رَحِمًا أَنْتُمْ وَمَنْ تَبِعَكُمْ
 مِنَ الْمُطِيبِينَ . فَإِنِّي قَدْ أَخَذْتُ لِمَنْ قَدْ هَاجَرَ مِنْكُمْ مِثْلَ مَا أَخَذْتُ لِنَفْسِي -
 وَلَوْ هَاجَرَ بِأَرْضِهِ - غَيْرِ سَاكِنِ مَكَّةَ إِلَّا مُعْتَمِرًا أَوْ حَاجًّا ؛ وَإِنِّي لَمْ أَضِغْ
 فِيكُمْ إِذْ سَأَلْتُ ^(٢) ، وَإِنَّكُمْ غَيْرُ خَائِفِينَ مِنْ قِبَلِي وَلَا مَحْصُورِينَ . أَمَّا بَعْدُ :
 فَإِنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ عَلَقَمَةُ بْنُ عَلَاثَةَ وَابْنَاهُ ، وَتَابَعَا وَهَاجَرَا عَلَى مَنْ تَبِعَهُمَا مِنْ
 عِكْرِمَةَ ؛ أَخَذْتُ لِمَنْ تَبِعَنِي مِنْكُمْ مَا أَخَذْتُ لِنَفْسِي ، وَإِنَّ بَعْضَنَا مِنْ بَعْضٍ
 أَبَدًا فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُكُمْ وَلِيُحِبِّبَكُمْ رَبُّكُمْ .
 حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُدَيْلٍ . عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 مَسْلَمَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ بُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ مِثْلَ ذَلِكَ .

سُرِّيَّةُ أَمِيرِهَا غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِالْكَدِيدِ

فِي صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ

حَدَّثَنَا الْوَاقِدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَعَفَرٍ ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ
 أَبِي عَوْنٍ ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجُهَنِيِّ ، عَنْ جُنْدُبِ
 ابْنِ مَكِيثِ الْجُهَنِيِّ ، قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَالِبَ بْنَ
 عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيَّ أَحَدَ بَنِي كَلْبِ بْنِ عَوْفٍ ، فِي سُرِّيَّةٍ كُنْتُ فِيهِمْ ^(٣) . وَأَمْرُهُ أَنْ
 يَشُنَّ الْغَارَةَ عَلَى بَنِي الْمَلُوحِ بِالْكَدِيدِ ، وَهُمْ مِنْ بَنِي لَيْثٍ . فَمَخَّرَجْنَا حَتَّى
 إِذَا كُنَّا بِقُدَيْدٍ لَقِينَا الْحَارِثَ بْنَ مَالِكِ بْنِ الْبَرِّصَاءِ ، فَأَخَذَنَا فَقَالَ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَأَقْرَبُهُ » ؛ وَمَا أُثْبِتْنَاهُ عَنْ ابْنِ سَعْدٍ . (الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٥) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « إِذْ أَسْلَمْتُ » . وَمَا أُثْبِتْنَاهُ عَنْ ابْنِ سَعْدٍ . (الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٥) .

(٣) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَفِي الزُّرْقَانِي أَيْضًا . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣١٦) . وَفِي

ابْنِ سَعْدٍ : « كَتَبَ فِيهِمْ » . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٨٩) .

إنما جئتُ أريد الإسلام . فقلنا : لا يضرُّك رِبَاطُ . ليلةٍ إن كنت تريد الإسلام ، وإن يكن غير ذلك نَسْتَوْثِقُ منك . فشددناه وثاقاً ، وخذلنا عليه رجلاً مِنَّا يُقَالُ له سُويِدُ بنُ صَخْر ، وقلنا : إن نازَعَكَ فَاحْزَرْ رأسه . ثم سرنا حتى أَتَيْنَا الكَدِيدَ عند غروب الشمس ، فكمنَّا ناحية الوادي ، فبعثني أصحابي ربيثةً^(١) لهم ، فخرجتُ فَاتَّيْتُ تِلْكَ مُشْرِفاً على الحاضر^(٢) يُطْلَعُنِي عليهم ، حتى إذا أَسْنَدْتُ فيه وَعَدَوْتُ على رأسه انبطحتُ ، فوالله لَأَرَى على هذا التِّلْ سَوَادًا ما رأيته عليه صَدَرَ يَوْمِي هذا ، فانظري إلى أَوْعَيْتِكَ لا تكون الكلاب أَخَذَتْ منها شيئاً . فسظرت فقالت : والله ما أَفْقَدُ من أَوْعَيْتِي شيئاً . فقال : ناوليني قَوْسِي وَنَبْلِي ! فناولته قوسه وسهمين معها ، فَأَرْسَلَ سَهْمًا ، فوالله ما أَخْطَأَ به جَنْبِي ، فانتزعتُه فوضعتُه وثبتُ مكانِي . ثم رماني الآخرَ فخالَطَنِي به أيضاً ، فَأَخَذْتُهُ فوضعتُه وثبتُ مكانِي . فقال لامرأته : والله لو كان زائِلَةٌ^(٣) لَتَحْرَكَ بَعْدُ ، لقد خَالَطَهُ سَهْمَايَ ، لَا أَبَا لَكَ ! إِذَا أَصْبَحْتَ فَاتَّبِعِيهِمَا ، لَا تَمَضُّغِيهِمَا الْكِلَابُ . ثم دخل خِباءَهُ وراحت ماشيةً الْحَيَّ من إِبْلِهِمْ وَأَغْنَامِهِمْ ، فحلبوا وَعَطَّنُوا^(٤) ، فَلَمَّا أَطْمَأَنَّنُوا وَهَدَأُوا شَنَّاءَ عَلَيْهِمُ الْغَارَةُ ، فَقَتَلْنَا الْمُقَاتِلَةَ وَسَبَيْنَا الدُّرِّيَّةَ ، وَاسْتَقْنَا النَّعْمَ وَالشَّاءَ فَخَرَجْنَا نَحْذَرُهَا قَبْلَ الْمَدِينَةِ حَتَّى مَرَرْنَا بِأَبَى^(٥) الْبَرْصَاءِ

(١) الربيثة : الطليعة . (الصحاح ، ص ٥٢) .

(٢) الحاضر : القوم المقيمون بمحلهم . (السيرة الحلبية ، ج ٢ ، ص ٣١٢) .

(٣) هكذا في الأصل . وفي ابن سعد : « ربيثة » . (الطليقات ، ج ٢ ، ص ٩٠) . والزائلة : كل شيء من الحيوان يزول عن مكانه ولا يستقر . (النهاية ، ج ٢ ، ص ١٣٥) .

(٤) عطنت الإبل إذا سقيت وبركت عند الحياض لتعاد إلى الشرب مرة أخرى . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٠٧) .

(٥) في الأصل : « بابن » .

فاحتملناه واحتملنا صاحبنا . وخرج صريخُ القوم في قومهم فجاءنا ما لا قِبَل
لنا به ، ونظروا إلينا وبيننا وبينهم الوادى وهم موجّهون إلينا ، فجاء الله
الوادى من حيث شاء بما مَلَأَ جنبَيْهِ ؛ وَأَيُّمُ الله ما رأينا قبل ذلك سحاباً
ولا مطراً ، فجاء بما لا يستطيع أحد أن يجوزه ، فلقد رأيتهم وقوفاً ينظرون
إلينا وقد أسندنا في المُشَلَّل^(١) وفُتِنَاهُمْ ، فهم لا يقدرّون على طَلَبنا ، فما أنسى
رجز أميرنا غالب :

أَبَى أَبُو الْقَاسِمِ أَنْ تَعَزَّ بِي^(٢) وذاك قولُ صادقٍ لم يَكْذِبِ
فِي خَضِيلٍ^(٣) نَبَاتُهُ مُغْلُولِبٍ^(٤) صُفْرٍ أَعَالِيهِ كَلُونِ الْمُذْهَبِ
ثم قدمنا المدينة .

فحدّثنى عبد العزيز بن عُقبة ، عن محمد بن حمزة بن عمر الأسلمى ،
عن أبيه ، قال : كنت معهم وكُنَّا بِضِعَةِ عَشَرَ رَجُلًا ، شِعَارُنَا : أَمِتْ !
أَمِتْ !

سريّة كعب بن عُمَيْرٍ إلى ذات أطلّاح في شهر ربيع الأوّل سنة ثمان

قال الواقدي : حدّثنى محمد بن عبد الله ، عن الزُّهْرِيِّ ، قال : بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عُمَيْرَ الْغِفَارِيِّ في خمسةَ عَشَرَ رَجُلًا
حتى انتهوا إلى ذات أطلّاح من أرض الشام ، فوجدوا جمعاً من جمعهم

-
- (١) المشلل : ثنية مشرقة على قديد.. (معجم ما استعجم ، ص ٥٦٠) .
(٢) تعزّى : معناه تقيى ، يقال تعزبت الإبل في المرعى إذا أقامت فيه . (شرح أبي ذر ، ص ٤٥٠) .
(٣) الخضل : النبات الأخضر الميتل . (شرح أبي ذر ، ص ٤٥٠) .
(٤) المغلولب : الكثير الذى يغلب على الماشية حين ترعاه . (شرح أبي ذر ، ص ٤٥١) .

كثيراً ، فدعاهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل . فلما رأى ذلك أصحابُ النبي صلى الله عليه وسلم قاتلوهم أشدَّ القتال حتى قُتِلوا ، فأفلتَ منهم رجلٌ جريحٌ في القتلى ، فلما بردَ عليه الليلُ تحاملَ حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فشقَّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بالبعث إليهم ، فبلغه أنهم قد ساروا إلى موضع آخر فتركهم .

حدثني ابن أبي سبرة ، عن الحارث بن الفضيل ، قال : كان كعب يكمُن النهار ويسير الليل حتى دنا منهم ، فرآه عَيْنُ لهم فأخبرهم بقِلَّةِ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاءوا على الخيول فقتلوهم .

سريَّةُ شُجاع بن وهب إلى السِّيِّ من أرض بني عامر
من ناحية رُكبة ، في ربيع الأول سنة ثمان ؛
وسريَّة إلى خَشَعَمَ بَتَبَالَةَ^(١)

حدثني الواقدي قال : حدثني ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن عمر بن الحَكَم ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شُجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جَمْعٍ من هَوَازِن بالسِّيِّ ، وأمره أن يُغيّر عليهم ، فخرج ؛ فكان يسير الليل ويكمُن نهار حتى أصبحهم وهم غارون ، وقد أوعز إلى أصحابه قبل ذلك ألاَّ يُمعنوا ، الطَّلَب ، فأصابوا نَعْماً كثيراً وشاء ، فاستاقوا ذلك كله حتى قدموا المدينة [واقتمسوا الغنيمة]^(٢) ، وكانت سيّهم خمسة عشر بعيراً ؛

(١) تبالة : موضع بقرب الطائف ، وهي لبني مازن . (مجم ما استعجم ، ص ١٩١) .

(٢) الزيادة من ابن سعد ، عن الواقدي . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٩٢) .

كلّ رجلٍ ، وعدلوا البعير بعشرة من الغنم ، وغابت السريّة خمس عشرة ليلة .

قال ابن أبي سبرة : فحدثتُ هذا الحديثَ محمدَ بن عبد الله بن عمر بن عثمان فقال : كانوا قد أصابوا في الحاضر نسوةً فاستاقوهنَّ ، وكانت فيهنَّ جاريةٌ وضيئةٌ فقدموا بها المدينة . ثم قدم وفدُهم مُسلمين ، فلما قدموا كلّموا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في السببي ، فكلّم النبي صلى الله عليه وسلم سُجاعاً وأصحابه في ردّهنَّ ، فسلموهنَّ وردوهنَّ إلى أصحابهنَّ .

قال ابن أبي سبرة : فأخبرتُ شيخاً من الأنصار بذلك فقال : أمّا الجارية الوضيئة فكان سُجاع بن وهب قد أخذها لنفسه بثمنٍ فأصابها ، فلما قدم الوفد خيرها ، فاختارت المقام عند سُجاع بن وهب ، فلقد قُتِل يوم اليمامة وهي عنده ، ولم يكن له منها ولدٌ . فقلتُ لابن أبي سبرة : ما سمعت أحداً قط . يذكر هذه السريّة . فقال ابن أبي سبرة : ليس كل العلم سمعته . قال : أجل والله .

فقال ابن أبي سبرة : لقد حدثني إسحاق بن عبد الله سريّةً أخرى ، قال إسحاق : حدثني ابن كعب بن مالك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث قُطَبة بن عامر بن حديدة في عشرين رجلاً إلى حَيٍّ من خَثْعَم بناحية تَبَالَةَ ، وأمره أن يَشُنَّ الغارة عليهم ، وأن يسير الليل ويكُمّن النهار ، وأمره أن يُغذّي السير . فخرجوا على عشرة أبْعَرَةٍ يعتقبونها ، قد غيّبوا السلاح ، فأخذوا على الفَتَق^(١) حتى انتهوا إلى بطن مَسْجَب^(٢) ، فأخذوا رجلاً فسأله

(١) الفتق : من مخاليف الطائف . (معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٣٣٨) .^١

(٢) هكذا في الأصل . ولعله يريد « مسحاء » وهي من مخاليف الطائف . (معجم البلدان ، ج ٨ ، ص ٥١) .

فاستعجم عليهم ، فجعل يصيح بالحاضر ، فقدّمه قُطْبَة فُضِرَ عنقه .
ثم أقاموا حتى كان ساعة من الليل ، فخرج رجلٌ منهم طليعةً فيجد حاضر
نعم ، فيه النعم والشاء ؛ فرجع إلى أصحابه فأخبرهم ، فأقبل القوم
يدبّون ديبياً يخافون الحرّس ، حتى انتهوا إلى الحاضر وقد ناموا وهدأوا ؛
فكبروا وشنّوا الغارة ، فخرج إليهم رجال الحاضر ، فاقتتلوا قتالاً شديداً
حتى كثرت الجراح في الفريقين . وأصبحوا وجاء الخشعميون الدهم^(١) ،
فحال بينهم سيلٌ آتٍ ، فما قدر رجلٌ واحدٌ منهم يمضي حتى أتى قُطْبَة على
أهل الحاضر ، فأقبل بالنعم والشاء^(٢) والنساء إلى المدينة ، فكان سهامهم
أربعة أربعة ، والبغير بعشرة من الغنم بعد أن خرج الخمس . وكان في
صفر سنة تسع .

غزوة مُؤتة^(٣)

حدثنا الواقدي قال : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن عمر بن الحَكَم ،
قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن عُمَيْر^(٤) الأزدي
ثم أحد بنى لهب ، إلى ملك بُصرى بكتاب ، فلما نزل مُؤتة عرض له
شُرْحَبِيل بن عمرو الغساني فقال : أين تُريد ؟ قال : الشام . قال :
لعلك من رُسل محمد ؟ قال : نعم ، أنا رسول رسول الله . فأمر به فأوثق
رباطاً ، ثم قدّمه فُضِرَ عنقه صبراً . ولم يُقتل لرسول الله صلى الله عليه

(١) الدهم : العدد الكثير . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٣٨) .

(٢) في الأصل : « فأقبل من النعم والشاء » .

(٣) مؤتة : أدنى البلقاء ، والبلقاء دون دمشق . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٩٢) .

(٤) في الأصل : « الحارث بن عثمان الأزدي » ؛ وما أثبتناه عن ح ، وعن ابن سعد . (الطبقات ،

ج ٣ ، ص ٩٢) .

وسلّم رسول غيره ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلّم الخبر فاشتد عليه ،
ونادى الناس وأخبرهم بمقتل الحارث ومن قتله ، فأسرع الناس وخرجوا
فحسروا بالجزف ، ولم يبين رسول الله صلى الله عليه وسلّم الأمر ، فلما
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم الظهر جلس وجلس أصحابه ، وجاء
النعمان بن النخع^(١) اليهودي ، فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلّم
مع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : زيد بن حارثة أمير
الناس ، فإن قُتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب ، فإن أُصيب
جعفر فعبد الله بن رواحة ، فإن أُصيب عبد الله بن رواحة فليترضى المسلمون
بينهم رجلاً فليجعلوه عايهم . فقال النعمان بن النخع : أبا القاسم ،
إن كنت نبياً فسميت^(٢) من سميت قليلاً أو كثيراً أُصيبوا جميعاً ، إن
الأنبياء في بني إسرائيل إذا استعملوا^(٣) الرجل على القوم ثم قالوا إن
أُصيب فلان ، فلو سمى مائة أُصيبوا جميعاً . ثم جعل اليهودي يقول لزيد
ابن حارثة : اعهذ ، فلا ترجع إلى محمد أبداً إن كان نبياً ! فقال زيد :
فأشهد أنه نبي صادق بار . فلما أجمعوا المسير وقد عقد رسول الله صلى الله
عليه وسلّم لهم اللواء ودفعه إلى زيد بن حارثة - لواء أبيض - مشى الناس
إلى أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلّم يؤدّعونهم ويدعون لهم ، وجعل
المسلمون يؤدّعون بعضهم بعضاً ، والمسلمون ثلاثة آلاف ، فلما ساروا من
معسكرهم نادى المسلمون : دفع الله عنكم ، وردكم صالحين غانمين . قال ابن
رَوَاحَةَ عند ذلك :

(١) في الأصل : « النعمان بن مهز » ؛ وما أثبتناه من ابن كثير عن الواقدي . (البداية والنهاية ،

ج ٤ ، ص ٢٤١) .

(٢) في ح : « فيصاب من سميت » .

(٣) في ابن كثير عن الواقدي : « إذا سوا » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٤١) .

لكننى أسأل الرحمن مغفرةً وضربةً ذات^(١) فرعٍ تقذفُ الزبدا^(٢)
وهى أبياتٌ أنشدنيها شُعَيْبُ بْنُ عُبَادَةَ .

حدثني ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة . عن
رافع بن إسحاق ، عن زيد بن أرقم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : أوصيكم بتقوى الله وبمَن معكم من المسلمين خيراً . أو قال : اغزوا
بسم الله في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله . لا تغدروا ولا تغلّوا ولا تقتلوا
وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث ؛
فأيتهنَّ ما أجابوك إليها فاقبل منهم واكفُف عنهم ؛ ادعهم إلى الدخول
في الإسلام ، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفُف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول
من دارهم إلى دار المهاجرين . فإن فعلوا فأخبرهم أن لهم ما لنمهاجرين .
وعليهم ما على المهاجرين ؛ وإن دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم : فأخبرهم
أنهم يكونون كأعراب المسلمين : يجري عليهم حكم الله ، ولا يكون لهم
في الفئى ولا في القسمة^(٣) نسيءٌ إلا أن يُحاهدوا مع المسلمين ؛ فإن أبوا
فادعهم إلى إعطاء الجزية . فإن فعلوا فاقبل منهم واكفُف عنهم . فإن
أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ؛ وإن أنت حاصرت أهل حصنٍ أو مدينةً فأرادوك
أن تستنزلهم على حكم الله فلا تستنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم
على حكمك ؛ فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا . وإن حاصرت
أهل حصنٍ أو مدينةً فأرادوك على أن تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله ، فلا
تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة رسوله ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أبيك وذمة

(١) ذات فرع : أى ذات سعة . (شرح أبي ذر ، ص ٣٥٤) .

(٢) الزبد : رغو الدم . (شرح أبي ذر ، ص ٣٤٤) .

(٣) فى ح « الغنبة » .

أصحابك ، فإنكم إن تخفروا ذمتكم وذمم آبائكم خير لكم من أن تخفروا
ذمة الله وذمة رسوله .

حدثني أبو صفوان . عن خالد بن يزيد ، قال : خرج النبي صلى الله
عليه وسلم مُشِيعاً لأهل مُوتة حتى بلغ ثنية الوداع ، فوقف ووقفوا حوله
فقال : اغزوا بسم الله . فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام . واستجدون
فيها رجالاً في الصوامع ^(١) معتزلين للناس . فلا تعرضوا لهم ، واستجدون
آخرين للشيطان . في رؤوسهم مفاحص ^(٢) فاقلعوها بالسيوف . ولا تقتلن
امراً ولا صغيراً مُرضعاً ولا كبيراً فانياً ، لا تغرقن نخلاً ولا تقطعن شجراً ،
ولا تهديموا بيتاً .

حدثني أبو القاسم بن عمار بن غزيرة . عن أبيه ، عن عطاء بن أبي
مسلم . قال : لما ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة
قال ابن رواحة : يا رسول الله . مرني بشيء أحفظه عنك ! قال : إنك
قادمٌ غداً بلداً ، السجود به قليل ، فأكثر السجود . قال عبد الله : زدني
يا رسول الله ! قال : اذكر الله ، فإنه عون لك على ما تطلب . فقام من
عنده حتى إذا مضى ذاهباً رجع إليه فقال : يا رسول الله . إن الله وتر يحب
الوتر ! قال : يا ابن رواحة . ما عجزت فلا تعجزن إن أسأت عشرأ أن
تحسن واحدة . فقال ابن رواحة : لا أسألك عن شيء بعدها . قال

(١) الصوامع : جمع بئمة ، وهي بيت للنصارى . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٥٢) .

(٢) في الأصل : «مفاخر» ؛ وما أثبتناه عن ح . ومفاحص : جمع مفحص ، والمفحص مفعول من
الفحص ، ومفحص القطاة موضعها الذي تجثم فيه وتبيض ، أي أن الشيطان قد استوطن رؤوسهم فجعلها
له مفاحص كما استوطن القطاة مفاحصها . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٨٥) .

أبو عبد الله : وكان زيد بن أرقم يقول : كنت في حِجْر عبد الله بن رَواحة فلم أَرِ والى يَتِيمٍ كان خيراً منه ؛ خرجتُ معه في وجهه إلى مُوتَةٍ . وصَبَّ بي وصِيبَتُ به^(١) فكان يُردفني خلف رحله . فقال ذات ليلة وهو على راحلته بين شُعْبَتَيْ^(٢) الرَّحْلِ . وهو يتمثل أبيات شعر :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي سَافَةً أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحِسَاءِ^(٣)
فَزَادُكِ أَنْعَمُ وَخَلَائِكُ ذَمٌّ^(٤) وَلَا أَرْجِعُ^(٥) إِلَى أَهْلِي وَرَأْسِي
وَأَبَ الْمُسْلِمُونَ وَغَادِرُونِي^(٦) بِأَرْضِ الشَّامِ تُشْتَهَى الثَّوَاءُ^(٧)
هَذَا لَا أَبَالِي طَلَعَ نَخْلٌ وَلَا نَخْلٌ أَسَافِلُهَا رِوَاءُ^(٨)

فلَمَّا سمعت هذه الأبيات بكيتُ . فخفقتي بيد^(٩) . وقال : ما يضرك يا لُكْعُ أَنْ يرزقني الله الشهادةَ فاستريح من الدنيا ونصبتها وهمومها وأحزانها وأحداها . ويرجع بين شُعْبَتَيْ الرَّحْلِ . ثم نزل نزلة من الليل فصلَّى ركعتين وعاقبهما دعاءً طويلاً ثم قال لى : يا غلام ! فقلت : لَبَّيْكَ ! قال : هـيَ إِنْ شَاءَ اللهُ الشهادة .

ومضى المسلمون من المدينة . فسمع العدو بمسيرهم عليهم قبل أَنْ

(١) في الأصل : « وصيب وصيب به » ؛ وما أنبئناه عن ح .

(٢) شعبتا الرحل : أى طرفاه . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٨٨) .

(٣) في ح : « الحشاء » . والحساء : جمع حسي ، وهو ماء ينفور في الرمل وإذا بحت عنه وجد . (شرح أبي ذر ، ص ٣٥٥) .

(٤) في ح : « فشأنك فانعمي وخلاك ذم » .

(٥) هو مجزوم على الدعاء ، دعا على نفسه أن يستشهد ولا يرجع إلى أهله . (شرح أبي ذر ، ص ٣٥٥) .

(٦) في ح : « وخلفوني » .

(٧) ثوى بالمكان ثواء إذا أطال الإقامة به أو نزل فيه . (القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٣١٠) .

(٨) في ح : « رداء » .

(٩) في ح : « بالدره » .

ينتهوا إلى مَقْتَلِ الحارث بن عُمير ، فلَمَّا فَصَلَ المسلمون من المدينة سمع العدو بمسيرهم فجمعوا الجموع . وقام فيهم رجلٌ من الأزد يُقال له شُرَحْبِيل بالناس ، وقدم الطَّلَائعَ أَمَامَهُ . وقد نزل المسلمون وادى القُرَى وأقاموا أَيَّاماً . وبعث أخاه سَدُوسَ وَقُتِلَ سَلْهُوسَ وخاف شُرَحْبِيلُ بن عمرو فتحصَّن ، وبعث أَخاً له يُقال له وَبَرُ بن عمرو . فسار المسلمون حتى نزلوا أَرْضَ مَعَانَ من أَرْضِ الشَّامِ ، فبلغ النَّاسَ أَنَّ هِرَقلَ قد نزل مَآبَ من أَرْضِ الْبَلْقَاءِ فِي بَهْرَاءَ وَوَائِلَ وَبَكْرَ وَلَحْمَ وَجُدَامَ فِي مَائَةِ أَلْفٍ ، عليهم رجلٌ من بَلَى يُقال له مَالِكٌ . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا ليلتين لينظروا في أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فنُخْبِرُهُ الخبر ، فإِما يردُّنا وإِما يَزِيدُنَا رجلاً . فبينما الناس على ذلك من أمرهم جاءهم ابن رَوَاحَةَ فشجَّعَهُمْ ثم قال : والله ما كنَّا نُقاتِلُ النَّاسَ بِكَثْرَةِ عَدَدٍ ، ولا بِكَثْرَةِ سِلَاحٍ ، ولا بِكَثْرَةِ خِيُولٍ . إِلَّا بهذا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللهُ بِهِ . انطلقوا (١) والله لقد رأيتُنا يومَ بَدْرٍ ما معنا إِلَّا فَرَسَانِ ، ويومَ أُحُدٍ فرسٌ واحدٌ ؛ وإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ، إِمَّا ظُهُورٌ عَلَيْهِمُ فَذَلِكَ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَوَعَدْنَا نَبِيَّنَا . وليس لوعده خُلْفٌ . وإِما الشَّهَادَةُ فنُلَحِّقُ بِالْإِخْوَانِ نُرَافِقُهُمْ فِي الْجَنَانِ ! فَشَجَّعَ النَّاسُ عَلَى مِثْلِ قولِ ابنِ رَوَاحَةَ .

فحدَّثَنِي رَبِيعَةُ بنُ عُثْمَانَ . عن المَقْبُرِيِّ . عن أَبِي هُرَيْرَةَ . قال : شهدتُ مُوْتَةَ ، فلما رأينا المشركين رأينا ما لا قِبَلَ لَنَا بِهِ مِنَ الْعَدَدِ وَالسِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ وَالِدِّيْبَاجِ وَالْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ ، فَبَرِقَ بِصْرِي ، فَقَالَ لِي ثَابِتُ ابْنُ أَرْقَمَ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ . مَا لَكَ ؟ كَأَنكَ تَرَى جَمُوعاً كَثِيرَةً . قلتُ : نعم ، قال : تشهدنا ببدر ؟ إِنَّا لَمْ نُنْصَرَ بِالْكَثْرَةِ !

(١) في ح : « انطلقوا فقاتلوا » .

حدَّثني بُكَيْرُ بنِ مِسَارٍ ، عن ابنِ كعبِ القُرَظِيِّ ، وابنِ أَبِي سَبْرَةَ ، عن عُمارةِ بنِ غَزِيَّةٍ ؛ أَحدهما يزيدُ على الآخرِ في الحديثِ ، قال : لما التقى المسلمون والمُشركون ، وكان الأُمراءُ يَوْمِئِذٍ يُقاتِلونَ على أَرْجُلِهِمْ ، أخذَ الدَّوَاءُ زَيْدُ بنُ حارِثَةَ ، فقاتلَ الناسَ معه ، والمسلمونَ على صُفوفِهِمْ . فَقُتِلَ زَيْدُ بنُ حارِثَةَ . قال ابنُ كعبِ القُرَظِيُّ . أَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَ يَوْمِئِذٍ قال : لا ، ما قُتِلَ ^(١) إِلَّا طَعْنًا بِالرُّمَحِ . ثُمَّ أَخَذَهُ جَعْفَرُ . فَنَزَلَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شِقْرَاءُ فَعَرَّقَ بِهَا ^(٢) : ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

وحدَّثني عبدُ اللَّهِ بنُ مُحَمَّدٍ ، عن أَبِيهِ ، قال : ضَرَبَهُ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ فَقَطَعَهُ . نَصَفَيْنِ ، فَوَقَعَ أَحَدُ نَصَفَيْهِ فِي كَرَمٍ ، فَوُجِدَ فِي نَصْفِهِ ثَلَاثُونَ أَوْ بَضْعٌ وَثَلَاثُونَ جُرْحًا .

حدَّثني أَبُو مَعْشَرٍ ، عن نَافِعٍ ، عن ابنِ عَمْرِو ، قال : وَجِدَ مِمَّا قُتِلَ مِنْ بَدَنِ جَعْفَرٍ مَا بَيْنَ مَنَكَبَيْهِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ ضَرْبَةً بِسَيْفٍ أَوْ طَعْنَةٍ بِرُمَحٍ . حدَّثني يَحْيَى بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَبِي قَتَادَةَ . عن عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَبِي بَكْرٍ بنِ صَالِحٍ ، عن عَاصِمِ بنِ عَمْرِو ، قال : وَجِدَ فِي بَدَنِ جَعْفَرٍ أَكْثَرَ مِنْ سِتِّينَ جُرْحًا ، وَوُجِدَ بِهِ طَعْنَةٌ قَدْ أَنْفَذَتْهُ .

حدَّثني مُحَمَّدُ بنُ صَالِحٍ . عن عَاصِمِ بنِ عَمْرِو بنِ قَتَادَةَ ، وحدَّثني عبدُ الجَبَّارِ بنُ عُمارةِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَبِي بَكْرٍ ، زَادَ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ فِي الْحَدِيثِ قَالَا : لما التقى الناسُ بِمُؤْتَةِ جَلَسَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المنبرِ وَكُشِفَ لَهُ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّامِ ، فَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى مُعْتَرِكِهِمْ ، فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَخَذَ الرَّايةَ زَيْدُ بنُ حارِثَةَ ، فَجَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَحَبَّبَ

(١) في الأصل : « ما قُتِلَ إِلَّا طَعْنًا بِالرُّمَحِ » .

(٢) عَرَّقَهَا : قَطَعَ عَرَقَهَا ، وَعَرَّقَ الدَّابَّةَ فِي رِجْلِهَا بِمَنْزِلَةِ الرِّكْبَةِ فِي يَدِهَا . (الصَّحاحُ ، ص ١٨٠) .

إليه الحياة وكره إليه الموت وحُبَّ إليه الدنيا ! فقال : الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تُحبَّب إلى الدنيا ! فمضى قُدُمًا حتى استشهد ، فصلَّى عليه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وقال : استغفروا له ، فقد دخل الجنة وهو يسْعَى ! ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب . فجاءه الشيطان فمناه الحياة وكره إليه الموت ، ومناه الدنيا فقال : الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تُمنِّين الدنيا ! ثم مضى قُدُمًا حتى استشهد ، فصلَّى عليه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ودعا له ، ثم قال : استغفروا لأخيكم فإنه شهيد . دخل الجنة فهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث يشاء من الجنة . ثم أخذ الراية بعده عبدُ الله بن رَوَاحَة ، فاستشهد ودخل الجنة مُعترضاً . فشقَّ ذلك على الأنصار . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : أصابه الجراح . قيل : يا رسول الله ، ما اعتراضه ؟ قال : لما أصابته الجراح نكَل . فعاتب نفسه فشَجَّع ، فاستشهد فدخل الجنة . فسُرِّي عن قومه .

حدَّثني عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ ، عن أبيه : قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : رأيت جعفرًا ملكًا يطير في الجنة تدْمِي قادمته ، ورأيت زيدًا دون ذلك فقلت : ما كنت أظنُّ أن زيدًا دون جعفر . فأني جبريل عليه السلام فقال : إنَّ زيدًا ليس بدون جعفر . ولكننا فضلنا جعفرًا لقربته منك .

حدَّثني يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة ، عن المَقْبُرِيِّ ، عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : خير الفرسان أبو قتادة ، وخير الرِّجَالَةِ سَلَمَةُ بن الأَكْوَع .

حدَّثني نافع بن ثابت ، عن يحيى بن عباد ، عن أبيه ، أن رجلاً من

بنى مرة كان في الجيش ، قيل له : إِنَّ الناس يقولون إِنَّ خالداً انهزم من المشركين . فقال : لا والله ما كان ذلك ! لما قُتل ابن رَوَاحَةَ نظرتُ إلى اللواء قد سَقَطَ . واختلط المسلمون والمشركون ، فنظرت إلى اللواء في يد خالد مُنْهَزِماً ، واتَّبَعْنَاهُ فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ .

حدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمَّا قُتِلَ ابْنُ رَوَاحَةَ انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ أَسْوَأَ هَزِيمَةٍ رَأَيْتُهَا قَطُّ . فِي كُلِّ وَجْهِ . ثُمَّ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ تَرَاوَعُوا ، فَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ ثَابِتُ بْنُ أَرْقَمٍ . فَأَخَذَ اللَّوَاءَ وَجَعَلَ يَصِيحُ بِالْأَنْصَارِ . فَجَعَلَ النَّاسُ يَثُوبُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ وَهُمْ قَلِيلٌ وَهُوَ يَقُولُ : إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ ! فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ . قَالَ : فَنَظَرْتُ ثَابِتَ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَقَالَ : خُذِ اللَّوَاءَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ ! فَقَالَ : لَا آخُذُهُ ، أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ ، أَنْتَ رَجُلٌ لَكَ سِنَّ ، وَقَدْ شَهِدْتَ بَدْرًا . قَالَ ثَابِتٌ : خُذْهُ أَيُّهَا الرَّجُلُ ! فَوَاللَّهِ مَا أَخَذْتَهُ إِلَّا لَكَ ! فَأَخَذَهُ خَالِدٌ فَحَمَلَهُ سَاعَةً ، وَجَعَلَ الْمَشْرِكُونَ يَحْمِلُونَ عَلَيْهِ ، فَثَبَّتَ حَتَّى تَكَرَّرَ^(١) الْمَشْرِكُونَ ، وَحَمَلَ بِأَصْحَابِهِ فَفَضَّ جَمْعًا مِنْ جَمْعِهِمْ ، ثُمَّ دَهَمَهُ مِنْهُمْ بِشَرٍّ كَثِيرٌ ، فَانْحَاشَ الْمُسْلِمُونَ فَانْكَشَفُوا رَاجِعِينَ .

حدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ ابْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي نَقَرٌ مِنْ قَوْمِي حَضَرُوا يَوْمَئِذٍ قَالُوا : لَمَّا أَخَذَ اللَّوَاءَ انْكَشَفَ بِالنَّاسِ فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ ، وَقُتِلَ الْمُسْلِمُونَ ، وَاتَّبَعَهُمُ الْمَشْرِكُونَ ، فَجَعَلَ قُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ يَصِيحُ : يَا قَوْمَ ، يُقْتَلُ الرَّجُلُ مُقْبِلًا أَحْسَنَ أَنْ يُقْتَلَ مُدْبِرًا ! يَصِيحُ بِأَصْحَابِهِ فَمَا يَثُوبُ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، هِيَ الْهَزِيمَةُ ، وَيَتَبَعُونَ صَاحِبَ الرَّايَةِ مُنْهَزِمًا .

(١) تَكَرَّرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرِهِ ، أَيْ تَرَدَّدَ . (الصَّحَاحُ ، ص ٨٠٥) .

حدثني إسماعيل بن مُصعب ، عن إبراهيم بن يحيى بن زيد ، قال :
لما أخذ اللواء ثابت بن أرقم . فاصطالح الناس على خالد بن الوليد ، قال ثابت :
اصطالحتم على خالد ؟ قالوا : نعم . فأخذه خالد فانكشف بالناس .
حدثني عطاء بن خالد قال : لما قُتل ابن رَواحة مساءً بات خالد بن
الوليد ، فلما أصبح غداً ، وقد جعل مُقدمته ساقته . وساقته مُقدمته . وميمنته
ميسرته ، وميسرته ميمنته ، فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيأتهم ،
وقالوا : قد جاءهم مدد ! فرعبوا فانكشفوا مُنهزمين ، فقتلوا مُقتلة لم
يُقتلها قوم .

حدثني عبد الله بن الفضيل ، عن أبيه ، قال : لما أخذ خالد الراية قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : الآن حمي^(١) الوطيس ! قال أبو عبد الله :
والأول أثبت عندنا ؛ أن خالدًا انهزم بالناس . قال ابن أبي الزناد : بلغت
الدماء بين الخيل موضع الأشاعر^(٢) من الحافر^(٣) ؛ والوطيس أيضًا ذاك ، وإذا
حمي ذلك الموضع من الدابة كان أشدَّ لعدوها .

حدثني داود بن سنان قال : سمعت ثعلبة بن أبي مالك يقول : انكشف
خالد بن الوليد يومئذٍ حتى عُيروا بالفرار ، وتشاعم الناس به .

حدثني خالد بن إلياس ، عن صالح بن أبي حسان ، عن عُبَيد بن
حُنين ، عن أبي سعيد الخُدري ، قال : أقبل خالد بن الوليد بالناس

(١) أي الآن اشتدت الحرب . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٥٧) .

وقال ابن الأثير : الوطيس التنور ، وقيل هو الضراب في الحرب ، وقيل هو الوطاء الذي يطس
الناس ، أي يدهمهم . وقال الأصمعي : هو حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر أحد يطؤها . (النهاية ،

ج ٤ ، ص ٢٣٤) .

(٢) أشارع الناقة : جوانب حياتها . (الصحاح ، ص ٦٩٨) .

(٣) الحافر هنا : الدابة . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٣٩) .

مُنْهَزِمًا ، فَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِجَيْشِ مُؤْتَةِ قَادِمِينَ تَلْقَوُهُمْ بِالْجُرْفِ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَحْثُونَ فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ وَيَقُولُونَ : يَا فُرَّارَ ، أَفَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَيْسُوا بِفُرَّارٍ ، وَلَكِنْهُمْ كُرَّارٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ !

حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ، يَقُولُ : مَا لَقِيَ جَيْشٌ بُعِثُوا مَعَنَا مَا لَقِيَ أَصْحَابَ مُؤْتَةِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، لَقِيَهُمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِالشَّرِّ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ إِلَى بَيْتِهِ وَأَهْلِهِ ، فَيَدُقُّ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَيَسْأَلُونَ أَنْ يَفْتَحُوهُ لَهُ ، يَقُولُونَ : أَلَا تَقَدَّمْتَ مَعَ أَصْحَابِكَ ؟ فَأَمَّا مَنْ كَانَ كَبِيرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ اسْتِحْيَاءً حَتَّى جَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ رَجُلًا رَجُلًا ، يَقُولُ : أَنْتُمْ الْكُرَّارُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ !

حَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ : كَانَ فِي ذَلِكَ الْبَعْثِ سَلَمَةُ بْنُ هِشَامٍ مِنَ الْمُغِيرَةِ ، فَدَخَلَتْ امْرَأَتُهُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : مَا لِي لَا أَرَى سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ ؟ أَشْتَكِي شَيْئًا ؟ قَالَتْ امْرَأَتُهُ : لَا وَاللَّهِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ ، إِذَا خَرَجَ صَاحِبُوا بِهِ وَبِأَصْحَابِهِ «يَا فُرَّارَ ، أَفَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ » . حَتَّى قَعَدَ فِي الْبَيْتِ . فَذَكَرْتُ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَلْ ، هُمُ الْكُرَّارُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَلْيَخْرُجْ ! فَخَرَجَ .

حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : كُنَّا نَخْرُجُ وَنَسْمَعُ مَا نَكْرَهُ مِنَ النَّاسِ ، لَقَدْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ عَمٍّ لِي كَلَامٌ ، فَقَالَ : إِلَّا فِرَارَكَ يَوْمَ مُؤْتَةِ ! فَمَا دَرَيْتُ أَى شَيْءٍ أَقُولُ لَهُ .

حدَّثني مالك بن أبي الرجال ، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم ،
عن أم عيسى بن الحزّار ، عن أمّ جعفر بنت محمد بن جعفر ، عن جدّتها
أسماء بنت عميس ، قالت : أصبحت في اليوم الذي أصيب فيه جعفر
وأصحابه فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد هيأت أربعين منّا^(١)
من أدم^(٢) ، وعجنت عجيني ، وأخذت بتيّ فغسلت وجوههم ودهنتهم ؟
فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا أسماء ، أين بنو جعفر ؟
فجئت بهم إليه فضمّهم وشمّهم ، ثم ذرّفت عيناه فبكى ، فقلت : أي
رسول الله ، لعلك بلغك عن جعفر شيء ؟ فقال : نعم ، قُتل اليوم . قالت :
فقمّت أصيح ، واجتمع إلى النساء . قالت : فجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : يا أسماء ، لا تقول هُجراً^(٣) ولا تضربني صدراً ! قالت : فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل على ابنته فاطمة وهي تقول : وأعمّاه !
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : على مثل جعفر فلتبكي الباكية ! ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : اصنعوا لآل جعفر طعاماً ، فقد شغلوا عن
أنفسهم اليوم .

حدَّثني محمد بن مسلم ، عن يحيى بن أبي يعلى ، قال : سمعت عبد الله
ابن جعفر يقول : أنا^(٤) أحفظ . حين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على
أمي فنعى لها أبي ، فأنظّارُ إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي ، وعيناه

(١) المن : الذي يوزن به ، وهو الرطل . (شرح أبي ذر ، ص ٣٥٦) .

(٢) الأدم : ما يؤكل مع الخبز أي شيء كان . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢١) .

(٣) الهجر : الإفحاش في المنطق . (الصحاح ، ص ٨٥١) .

(٤) في الأصل : « إنما أحفظ » . وما أثبتناه عن ح .

تَهْرَاقَانِ الدُّمُوعَ حَتَّى تَقْطُرَ لَحِيَّتَهُ . ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ ، إِنَّ جَعْفَرًا قَدْ قَدِمَ إِلَى أَحْسَنِ الثَّوَابِ ، فَأَخْلَفَهُ فِي ذَرِيَّتِهِ بِأَحْسَنِ مَا خَلَفْتَ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ فِي ذَرِيَّتِهِ ! ثُمَّ قَالَ : يَا أَسْمَاءُ ، أَلَا أَبْشُرُكِ ؟ قَالَتْ : بَلَى ، يَا بَائِي أَنْتَ وَأُمِّي ! قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ لَجَعْفَرٍ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ ! قَالَتْ : يَا بَائِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَعْلِمِ النَّاسَ ذَلِكَ ! فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخَذَ بِيَدِي ، يَمْسَحُ بِيَدِهِ رَأْسِي حَتَّى رَقِيَ عَلَى الْمَنْبَرِ . وَأَجْلَسَنِي أَمَامَهُ عَلَى الدَّرَجَةِ السُّفْلَى ، وَالْحُزْنَ يُعْرِفُ عَلَيْهِ ، فَتَكَلَّمَ فَقَالَ : إِنَّ الْمَرْءَ كَثِيرُ بَأْسِيهِ وَابْنُ عَمِّهِ ، أَلَا إِنَّ جَعْفَرًا قَدْ اسْتَشْهِدَ ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ . ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ بَيْتَهُ وَأَدْخَلَنِي ، وَأَمَرَ بِطَعَامٍ فَصُنِعَ لِأَهْلِي ، وَأَرْسَلَ إِلَى أَخِي فَتَغَدَّيْنَا عِنْدَهُ وَاللَّهُ غَدَاءٌ طَيِّبًا مُبَارَكًا ؛ عَمَدَتِ سَلَمَى خَادِمَتُهُ إِلَى شَعِيرٍ فَضَحْنَتُهُ ، ثُمَّ نَسَفَتَهُ ، ثُمَّ أَنْضَجْتُهُ وَأَدَمَتَهُ بِزَيْتٍ ، وَجَعَلَتْ عَلَيْهِ فُلْفُلًا . فَتَغَدَّيْتُ أَنَا وَأَخِي مَعَهُ فَأَقَمْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي بَيْتِهِ . نَدُورُ مَعَهُ كُلَّمَا صَارَ فِي إِحْدَى بَيُوتِ نِسَائِهِ ، ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى بَيْتِنَا ، فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أُسَاوِمُ بِشَاةٍ أَخِي لِي ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي صَفْقَتِهِ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَمَا بَعْتَ شَيْئًا وَلَا اشْتَرَيْتَ إِلَّا بُورَكَ فِيهِ .

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي عَاتِكَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : لَمَّا قَدِمَ نَعِيُّ جَعْفَرٍ عَرَفْنَا فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحُزْنَ . قَالَتْ : قَدِيمًا مَا ضَرَّ النَّاسَ التَّكْلُفُ ^(١) ؛ فَأَتَادَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ النِّسَاءَ قَدْ عَنَيْنَا بِمَا يَبْكِينَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَارْجِعْ إِلَيْهِنَّ فَأَسْكِنْتَهُنَّ ، فَإِنْ أَبَيْنَ فَاحْشُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ

(١) التَّكْلُفُ : كَثْرَةُ السُّؤَالِ وَالْبَحْثُ عَنِ الْأَتْيَاءِ الْغَامِضَةِ الَّتِي لَا يَجِبُ الْبَحْثُ عَنْهَا . (النهاية ،

التراب . فقلت في نفسي : أبعدك الله ! ما تركت نفسك ، وما أنت بمطيع
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، عن عمرة ، عن
عائشة ، قالت : أنا أطلع من صير^(١) الباب فأسمعُ هذا .

حدثني عبد الله بن محمد ، عن ابن عقيل ، عن جابر بن عبد الله ،
قال : أصيب بها ناسٌ من المسلمين ، وغنم المسلمون بعضَ أمتعة المشركين ،
فكان مما غنموا خاتماً جاء به رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
قتلتُ صاحبه يومئذٍ ! فنقله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله .

وقال عوف بن مالك الأشجعي : لقيناهم في جماعة من قضاة وغيرهم
من نصارى العرب ، فصافونا فجعل رجلٌ من الروم يسأل على المسلمين
ويُغري بهم على فرسٍ أشقر ، عليه سلاحٌ مُذهَّبٌ ولجامٌ مُذهَّبٌ ، فجعلتُ
أقول في نفسي : مَنْ هذا ؟ وقد رافقني رجلٌ من أمداد^(٢) حمير ، فكان معنا
في مسيرنا ذلك ليس معه سيفٌ ، إذ نحر رجلٌ من القوم جزوراً
فسأله المددئ طائفةً من جلده ، وهبه له فبسطه في الشمس وأوتد على
أطرافه أوتاداً ، فلما جفَّ اتَّخذ منه مقبضاً وجعله دُرقةً . فلما رأى ذلك
المددئ ما يفعل ذلك الرومي بالمسلمين كَمَن له خلف صخرة ، فلما مرَّ به
خرج عليه فعرقب فرسه ، فقعد الفرسُ على رجله ونحرَّ عنه العِلج^(٣) ،
وشدَّ عليه فعلاه بسيفه فقتله .

(١) في الأصل : « صر الباب » . والصير : شق الباب . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٨) .

(٢) الأمداد : جمع مدد ، وهم الأعوان والأنصار الذين كانوا يمدون المسلمين في الجهاد . (النهاية ،

ج ٤ ، ص ٨٤) .

(٣) العِلج : الرجل من كفار العجم . (الصحاح ، ص ٣٣٠) .

حدثني بُكَيْرُ بنِ سَمَارٍ ، عن عُمَارَةَ بنِ غَزِيَّةٍ^(١) ، عن أَبِيهِ ، قال : حضرتُ مُوتَةَ ، فبارزتُ رجلاً يومئذٍ فَأَصَبْتُهُ ، وعليه يومئذٍ بِيضَةٌ لَهُ فيها ياقوتَةٌ ، فلم يكن همِّي إِلَّا الياقوتَةَ فَأَخَذْتُهَا ؛ فَلَمَّا انْكَشَفْنَا وانهزمنا رجعتُ بِهَا المدينةَ ، فَأَتَيْتُ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَقَلْنِيهَا فَبَعَثَهَا زَمَنَ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فاشتريتُ بِهَا حَديقَةَ نَخْلٍ بِبَنِي خَطْمَةَ .

ذكر من استشهد بموتة من بني هاشم وغيرهم

استشهد من بني هاشم : جَعْفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَزَيْدُ بنُ حَارِثَةَ . ومن بني عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ : مَسْعُودُ بنُ الْأَسْوَدِ بنِ حَارِثَةَ بنِ نَضْلَةَ . ومن بني عامرِ ابنِ لُؤَيٍّ ، ثم من بني مَالِكِ بنِ حُسَيْلٍ : وَهْبُ بنُ سَعْدِ بنِ أَبِي سَرْجٍ . وَقُتِلَ من الْأَنْصَارِ ، ثم من بني النَّجَّارِ من بني مَازِنٍ : سُرَاقَةُ بنُ عَمْرِو بنِ عَطِيَّةِ بنِ خَنْسَاءٍ . ومن بني النَّجَّارِ : الْحَارِثُ بنُ النُّعْمَانِ بنِ يَسَافِ بنِ نَضْلَةَ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ غَنَمِ بنِ مَالِكٍ . ومن بني الْحَارِثِ بنِ الْخَزْرَجِ : عَبْدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ ، وَعُبَادَةُ بنُ قَيْسٍ . ثم رجعوا إِلَى المدينة .

غزوة ذات السلاسل^(٢)

حدثني رَبِيعَةُ بنُ عُثْمَانَ ، عن ابنِ رُومَانَ ؛ وَحَدَّثَنِي أَفْلَحُ بنُ سَعْدٍ ، عن سَعِيدِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ رُقَيْشٍ ، عن أَبِي بَكْرٍ بنِ حَزْمٍ ؛ وَحَدَّثَنِي

(١) في الأصل : « عمار بن خزيمة » . وقد صححناه في أماكن أخرى من هذا الكتاب .

(٢) ذات السلاسل : وراء وادي القرس ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام . (الطبقات ، ج ٢ ،

عبد الحميد بن جعفر ؛ فكلُّ قد حدَّثني منه طائفةً ، وبعضهم أوعى للحديث
من بعض . فجمعتُ ما حدَّثوني . وغير هؤلاء المُسمَّين قد حدَّثني أيضًا .
قالوا : بلغ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أنَّ جَمْعًا من بَلِيٍّ وقُضاعة قد
تجمَّعوا يُريدون أن يَدنوا إلى أطراف رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم . فدعا
رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عمرو بن العاص فعقد له لِوَاءً أبيض . وجعل
معه رايةً سوداء . وبعثه في سَراة المهاجرين والأنصار - في ثلاثمائة - عامر بن
رَبِيعَة ، وضُحَيْب بن سِنان . وأبو الأَعُور سَعِيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل ،
وسعد بن أَبِي وقَّاص ؛ ومن الأنصار : أُسَيْد بن حُضَيْر ، وعَبَاد بن بَشْر .
وسَلَمَة بن سَلامة . وسعد بن عُبادة . وأمره أن يستعين بمن مرَّ به من العرب .
وهي بلاد بَلِيٍّ وعُدْرَة وبلَقِيْن . وذلك أن عمرو بن العاص كان ذا رَحِمٍ
بهم ؛ كانت أُمُّ العاص بن وائل بَلَوِيَّةً ، فأراد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم
يتألَّفهم بعمرو . فسار ، وكان يَكْمُن النهار ويسير الليل ، وكانت معه
ثلاثون فَرَسًا ، فلَمَّا دنا من القوم بلغه أن لهم جَمْعًا كثيرًا ، فنزل قريبًا
منهم عِشَاءً وهم شاتون . فجمع أصحابه الحَظْب يُريدون أن يَصْطَلُوا - وهي
أَرْضٌ باردةٌ - فمنعهم ؛ فشَقَّ ذلك عليهم حتى كَلَمَهُ في ذلك بعض المهاجرين
فغالظه ، فقال عمرو : أُمِرْتُ أن تسمع لي وتُطِيع ! قال : فافعل !

وبعث رافع بن مَكِيث الجُهَنِيَّ إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يُخبره
أنَّ لهم جَمْعًا كثيرًا ويستمدُّه بالرجال . فبعث أبا عُبَيْدة بن الجَرَّاح وعقد
له لواءً ، وبعث معه سَراة المهاجرين - أَبِي بكر وعمر رضي الله عنهما - والأنصار .
وأمره رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أن يلحق عمرو بن العاص . فخرج أبو
عُبَيْدة في مائتين ، وأمره أن يكونا جميعًا ولا يختلفا . فساروا حتى لحقوا

بعمر بن العاص . فأراد أبو عُبَيْدَةَ أَنْ يَوْمَ النَّاسِ وَيَتَقَدَّمَ عَمْرًا ، فقال له عمرو : إنما قدمت على مَدَدًا لى ، وليس لك أن تَوَمِّنَى ، وأنا الأَمِيرُ ؛ وإنما أرسلك النبىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَدَدًا . فقال المهاجرون : كَلَّا ، بل أنت أَمِيرُ أَصْحَابِكَ وهو أَمِيرُ أَصْحَابِهِ ! فقال عمرو : لا . بل أنتم مَدَدٌ لَنَا ! فلما رأى أَبُو عُبَيْدَةَ الاختلافَ - وكان حسنَ الخُلُقِ - لِبَيْنِ الشَّيْمَةِ - قال : لِيَتَطَمِئَنَّ يَا عَمْرُو ، وتعلمَنَّ أَنَّ آخرَ ما عَهِدَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ قال : « إِذَا قَدِمْتَ عَلَى صَاحِبِكَ فَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا » . وإنك والله إِنْ عَصَيْتَنِي لِأَطِيعَنَّكَ ! فَاطَّاعَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، فكان عمرو يُصَلِّيُ بِالنَّاسِ . فآبَ إِلَى عَمْرٍو جَمْعٌ - فصاروا خمسمائة - فسار الليل والنهار حتى وَطِئَ بِلَادَ بَلْيٍّ وَدَوَّخَهَا ^(١) . وكلَّمَا انتهَى إِلَى مَوْضِعٍ بلغه أَنَّهُ كان بهذا الموضع جَمْعٌ فلَمَّا سمعوا به تفرَّقوا . حتى انتهَى إِلَى أَقْصَى بِلَادِ بَلْيٍّ وَعُدَّةٍ وَبَلَقَيْنِ ، ولَقِيَ فِي آخِرِ ذَلِكَ جَمْعًا ليس بالكثير ، فقاتلوا ساعةً وتَرَامَوْا بِالنَّبْلِ ، ورُمِيَ يَوْمَئِذٍ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ ^(٢) بِسَهْمٍ فَأُصِيبَ ذِرَاعُهُ . وحمل المسلمون عليهم فهربوا . وأعجزوا هربًا فِي الْبِلَادِ وَتَفَرَّقُوا . ودَوَّخَ عَمْرُو مَا هُنَاكَ وَأَقَامَ أَيَّامًا لَا يَسْمَعُ لَهُمْ بِجَمْعٍ وَلَا بِمَكَانٍ صَارُوا فِيهِ . وكان يبعثُ أَصْحَابَ الْخَيْلِ فَيَأْتُونَ بِالشَّاءِ وَالنَّعَمِ ، وكانوا يَنْحَرُونَ وَيَذْبَحُونَ . لم يكن فِي ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ، ولم تكن غنائم تُقَسَّمُ إِلَّا مَا ذُكِرَ لَهُ .

وكان رافع بن أَبِي رَافِعٍ الطائِيُّ يقول : كنت فيمن نفر مع أَبِي عُبَيْدَةَ ابْنِ الْجَرَّاحِ ، وكنت رجلًا أُغِيرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ ، فكنت

(١) دَوَّخَ الْبِلَادَ : قَهَرَهَا وَاسْتَوْلَى عَلَى أَهْلِهَا . (الصحاح ، ص ٤٢١) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ » . وما أثبتناه مِنْ ابْنِ الْأَثِيرِ . (أسد الغابة ، ج ٣ ، ص ٨٠) .

أَجْمَعَ الْمَاءَ فِي الْبَيْضِ - بَيْضُ النَّعَامِ - فَأَجْعَلُهُ فِي أَمَاكِنَ أَعْرِفُهَا ، فَإِذَا مَرَرْتُ بِهَا وَقَدْ ظَمِئْتُ اسْتَخْرَجْتُهَا فَشَرِبْتُ مِنْهَا . فَلَمَّا نَفَرْتُ فِي ذَلِكَ الْبَعْثِ قُلْتُ : وَاللَّهِ لَاخْتَارَنْتُ لِنَفْسِي صَاحِبًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ . فَاخْتَرْتُ أَبَا بَكْرَ الصِّدِّيقَ فَصَحْبَتُهُ ، وَكَانَتْ لَهُ عِبَادَةٌ فَدَكِيَّةٌ ^(١) ، فَإِذَا رَكِبَ خَلَّهَا ^(٢) عَلَيْهِ بِخِلَالٍ ، وَإِذَا نَزَلْنَا بَسَطَهَا . فَلَمَّا قَفَلْنَا قُلْتُ : يَا أَبَا بَكْرَ ، رَحِمَكَ اللَّهُ ! عَلَّمَنِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ . قَالَ : قَدْ كُنْتُ فَاعِلًا وَلَوْ لَمْ تَسْأَلْنِي ؛ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ، وَآتِ الزَّكَاةَ ، وَصُمْ رَمَضَانَ ، وَحُجَّ الْبَيْتَ وَاعْتَمِرْ ، وَلَا تَتَأَمَّرْ ^(٣) عَلَى اثْنَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . قَالَ : قُلْتُ : أَمَا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصُّومِ وَالْحَجِّ فَأَنَا فَاعِلُهُ ، وَأَمَا الْإِمَارَةُ فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ لَا يُصِيبُونَ هَذَا الشَّرَفَ وَهَذَا الْغِنَى وَهَذِهِ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَ النَّاسِ إِلَّا بِهَا . قَالَ : إِنَّكَ اسْتَنْصَحْتَنِي فَجَهَدْتُ لَكَ نَفْسِي ؛ إِنَّ النَّاسَ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ طَوْعًا وَكَرْهًا فَأَجَارَهُمُ ^(٤) اللَّهُ مِنَ الظُّلْمِ ، وَهُمْ عَوَادُ اللَّهِ وَجِيرَانُ اللَّهِ ، وَفِي أَمَانَتِهِ ، فَمَنْ أَخْضَرَ فَإِنَّمَا يُخْضِرُ اللَّهُ فِي جِيرَانِهِ ؛ وَإِنَّ شَاةَ أَحَدِكُمْ أَوْ بَعِيرَهُ لَيَذْهَبُ فَيَظَلُّ نَاتِئًا ^(٥) عَضْلُهُ غَضَبًا لِحِجَارِهِ ، وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ جَارِهِ . قَالَ : فَلَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَبْخَلَفَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جِئْتُهُ فَقُلْتُ : يَا أَبَا بَكْرَ ، أَلَمْ تَنْهِنِي أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى اثْنَيْنِ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ ! قَالَ : فَمَا لَكَ تَأَمَّرْتَ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ؟ قَالَ : اخْتَلَفَ النَّاسُ وَخَشِيتُ

(١) لَهَا مَنسُوبَةٌ إِلَى فِدْكَ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ قَرِيبٌ مِنْ خَيْبَرَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سِتُّ لَيَالٍ . (وَفَاءُ الْوَفَا ، ج ٢ ، ص ٣٥٥) .

(٢) خَلَّهَا عَلَيْهِ : أَيْ جَمَعَ بَيْنَ طَرَفَيْهَا بِخِلَالٍ مِنْ عَوْدٍ أَوْ حَدِيدٍ . (الْهَيْكَلُ ، ج ١ ، ص ٣١٨) .

(٣) تَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ : تَسَلَّطَ . (الصَّحَاحُ ، ص ٥٨٢) .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « فَأَجَارَهُمْ » .

(٥) النَّاتِئُ : الْمَرْتَفِعُ الْمُنْتَفِخُ . وَالْعَضْلُ : جَمْعُ عَضْلَةٍ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ الشَّدِيدَةِ . (شرح أبي ذر ، ص ٤٥٤) .

عليهم الهلاك ، ودعوا إلى فلم أجد لذلك بُدًّا .

قال : وكان عَوْف بن مالك الأشجعي رقيقاً لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما معهما في رحلتهما ، فخرج عَوْف يوماً في العسكر فمرّ بقومٍ بأيديهم جزورٌ قد عجزوا عن عملها ، فكان عَوْف عالماً بالجزور فقال : أتعطوني عليها وأقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم نُعطيك عُشيراً منها . فنحرها ثم جزأها بينهم . وأعطوه منها جزءاً فأخذه فأتى به أصحابه . فطبخوه وأكلوا منه . فلما فرغوا قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما : من أين لك هذا اللحم ؟ فأخبرهما فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا . ثم قاما يتقيآن ، فلما فعل ذلك أبو بكر وعمر فعل ذلك الجيش ، وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لعَوْف : تعجّلت أجرك ! ثم أتى أبا عُبَيْدة فقال له مثل ذلك .

وكان عمرو بن العاص حين قفلنا احتلم في ليلة باردة كاشد ما يكون من البرد ، فقال لأصحابه : ما ترون ؟ قد والله احتلمت ، وإن اغتسلت مُت ! فدعا باء فتوضأ وغسل فرجه وتيمّم ، ثم قام فصلى بهم ، فكان أوّل من بعث عَوْف بن مالك بريداً . قال عَوْف بن مالك : فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السحر وهو يصلي في بيته ، فسلمت عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عَوْف بن مالك ؟ قلت : عَوْف بن مالك يا رسول الله ! قال : صاحب الجزور ؟ قلت : نعم . ولم يزد على هذا شيئاً ، ثم قال : أخبرني ! فأخبرته بما كان في مسيرنا وما كان بين أبي عُبَيْدة بن الجراح وبين عمرو بن العاص ومطاعة أبي عُبَيْدة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله أبا عُبَيْدة بن الجراح ! ثم أخبرته أنّ عمراً صلى بنا وهو

جُنُبٌ ومعه ماءٌ لم يزد على أن غسل فرجه بماءٍ وتيمّم . فسكت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم . فلمّا قدم عمرو على النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم سألّه عن صلاته فأخبره فقال : والذي بعثك بالحقّ لو اغتسلتُ لمُتُّ . أم أجد قط . برداء مثله . وقد قال الله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ . (١١) فضحك رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، ولم يبلغنا أنّه قال شيئاً

سريّة الخبَط (٢) أميرها أبو عُبَيْدَة

قال الواقديّ : حدّثنى داود بن قيس . ومالك بن أنس . وإبراهيم بن محمد الأنصاريّ من ولد ثابت بن قيس بن شماس . وخارجة بن الحارث ؛ وبعضهم قد زاد في الحديث . قالوا : بعث رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم أبا عُبَيْدَة بن الجرّاح في سريّة فيها المهاجرون والأنصار . وهم ثلثمائة رجل ، إلى ساحل البحر إلى حيٍّ من جُهينة ؛ فأصابهم جوعٌ شديدٌ . فأمر أبو عُبَيْدَة بالزاد فجُمع حتى إذا كانوا ليقتسمون التّمرة . فقليل لجابر : فما يُغني ثلث تمرّة ؟ قال : لقد وجدوا فقدها . قال : ولم تكن معهم حمولة (٣) . إنما كانوا على أقدامهم ، وأباعر يحملون عليها زادهم . فأكلوا الخبَط . وهو يومئذٍ ذو مشرة (٤) . حتى إن شِدق أحدهم بمنزلة مشفر البعير العَصّة . فمكثنا على ذلك حتى قال

(١) سورة النساء ٢٩

(٢) الخبَط : ورق ينفض بالخباط ويخفف ويطلحن ويتخلط بدقيق أو غيره وبوخف بالماء . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٣٥٦) .

(٣) الحمولة : ما يحمل عليه الناس من الدواب . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٦١) .

(٤) المشرة : شبه خوصة تخرج في العضاء وفي كثير من الشجر ، أو الأغصان الخضر الرطبة قبل أن تتلون بلون . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٣٣) .

قائلهم : لولقينا عدواً ما كان بنا حركةٌ إليه . لما بالناس من الجهد . فقال
قيس بن سعد : مَنْ يشتري منى تمرًا بعُجُز . يُوفيني العُجُزَ ها هنا وأوفيه التمر
بالمدينة ؟ فجعل عمر يقول : واعجباه لهذا الغلام ، لا مال له يدان في
مال غيره ! فوجد رجلاً من جهينة . فقال قيس بن سعد : بعني عُجُزًا وأوفيك
سِقَّةً^(١) من تمر بالمدينة . قال الجهني . والله ما أعرفك . ومن أنت ؟ قال :
أنا قيس بن سعد بن عبادة بن دُلَيْم^(٢) . قال الجهني : ما أعرفتني بنسبك !
أما إن بني وبين سعد خُلَّةً ، سيّد أهل يثرب . فابتاع منهم خمس عُجُز
كلّ جزور بوسقَيْن من تمرٍ . يشرط . عليه البدوي ، تمرٌ ذخيرةٌ مُصلبةٌ^(٣)
من تمر آل دُلَيْم . قال : يقول قيس : نعم . فقال الجهني : فأشهد لي .
فأشهد له نَفَرًا من الأنصار ومعهم نَفَرٌ من المهاجرين . قال قيس : أشهد من
تُحبّ . فكان فيمن أشهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فقال عمر :
لا أشهد ! هذا يدان ولا مال له ، إنما المال لأبيه . قال الجهني : والله ، ما كان
سعدٌ ليخني^(٤) . بابنه في سِقَّةٍ من تمر ! وأرى وجهًا حسنًا وفعالاً شريفًا .
فكان بين عمر وبين قيس كلام حتى أغلظ . له قيس الكلام ؛ وأخذ قيس العُجُز
فنحرها لهم في مواطن ثلاثة ، كلّ يوم جزورًا ، فلما كان اليوم الرابع نهاه
أميره وقال : تريد أن تُخفر^(٥) ذمتك ولا مال لك ؟

- حدثني محمد بن يحيى بن سهل ، عن أبيه ، عن رافع بن خديج ،
قال : أقبل أبو عبيدة بن الجراح ومعه عمر بن الخطاب رضى الله عنهم فقال :
(١) السقّة : جمع سق وهو الحمل ، وقدره الشرع بستين صاعاً . ويروى أيضاً بالتين المعجمة .
(النهاية ، ج ٢ ، ص ١٦٩) .
(٢) في الأصل : « دوليم » ؛ وما أثبتناه عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٨ ، ص ٢٣٠) .
(٣) صلب : أى ييس . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ١٩٢) .
(٤) أى يسلمه ويخفر ذمته ، هو من أخنى عليه . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٤) .
(٥) في الأصل : « أن تخرب » ؛ وما أثبتناه عن السيرة الحلبية . (ج ٢ ، ص ٣١٥) .

عزمت عليك ألا تنحر ؛ أترى أن تُخفر ذمتك ولا مال لك ؟ فقال فيس :
يا أبا عُبَيْدَة ، أترى أبا ثابت وهو يقضى دين الناس . ويحمل الكل^(١) ،
ويُطعم في المجاعة ، لا يقضى سِقَّةَ تمرٍ لقومٍ مُجاهدين في سبيل الله !
فكاد أبو عُبَيْدَة أن يَلين له ويتركه حتى جعل عمر يقول : اعزم عليه !
فعزم عليه فأبى عليه أن ينحر . فبقيت جُزوران معه حتى وجد القوم الحُوت ،
فقدم بهما قيس المدينة ظَهراً يتعاقبون عليها . وبلغ سعد ما كان أصاب
القوم من المجاعة فقال : إن يكن قيسٌ كما أعرفه فسوف ينحر للقوم .
فلما قدم قيس لقيه سعد فقال : ما صنعتَ في مجاعة القوم حيث أصابهم ؟
قال : نحرتُ . قال : أصبت ، انحر ! قال : ثم ماذا ؟ قال : نجرت . قال :
أصبت ! قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم نحرت . قال : أصبت ، انحر ! قال :
ثم ماذا ؟ قال : نُهيئتُ . قال : ومن نهاك ؟ قال : أبو عُبَيْدَة بن الجراح
أميرى . قال : ولم ؟ قال : زعم أنه لا مال لي وإنما المال لأبيك . فقلت :
أبى يقضى عن الأبعد . ويحمل الكل^(١) . ويُطعم في المجاعة ، ولا يصنع
هذا بي ! قال : فلك أربع حوائط^(٢) . قال : وكتب له بذلك كتاباً . قال :
وأنى بالكتاب إلى أبي عُبَيْدَة فشَهِد فيه . وأنى عمر فأبى أن يشهد فيه -
وأدنى حائطٍ منها يُجَدِّ خمسين وسُقّاً . وقدم البدويّ مع قيس فأوفاه سِقَّتَه
وحمله وكساه ، فبلغ النبيّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم فعلُ قيس فقال : إنه في
بيت جود .

حدثني مالك بن أنس ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله ،

(١) في الأصل : « ويحمل في الكل » .

(٢) الحوائط : البساتين . (السيرة الحلبية ، ج ٢ ، ص ٣١٦) .

فَأَلْقَى لَنَا الْبَحْرُ حَوْتًا مِثْلَ الظَّرْبِ^(١) ، فَأَكَلَ الْجَيْشُ مِنْهُ اثْنَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، ثُمَّ أَمَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِضَلْعٍ مِنْ أَضْلَاعِهِ فَنُصِبَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِرَاحِلَةٍ فَرُحِلَتْ ، ثُمَّ مَرَّ تَحْتَهَا فَلَمْ يُصِبْهَا .

حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي ذُئْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيَجْلِسَ فِي وَقَبٍ^(٢) عَيْنِهِ ، وَإِنْ كَانَ الرَّكَّابُ لِيَمُرَّ بَيْنَ ضِلْعَيْنِ مِنْ أَضْلَاعِهِ عَلَى رَاحِلَتِهِ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحِجَازِيِّ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ شُجَاعٍ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ الْأَعْرَابِيُّ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ قَالَ : يَا أَبَا ثَابِتٍ ! وَاللَّهِ ، مَا مِثْلُ ابْنِكَ صَنَعْتُ وَلَا تَرَكْتُ بَغِيرَ مَا ؛ فَايْنِكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَةِ قَوْمِهِ ، نَهَانِي الْأَمِيرُ أَنْ أَبِيعَهُ . قُلْتُ : لِمَ ؟ قَالَ : لَا مَالَ لَهُ ! فَلَمَّا انْتَسَبَ إِلَيْكَ عَرَفْتَهُ فَتَقَدَّمْتُ لِمَا عَرَفْتُ أَنَّكَ تَسْمُو عَلَى مَعَالَى الْأَخْلَاقِ وَجَسِيمِهَا ، وَأَنَّكَ غَيْرُ مُدْمٍ بِمَنْ لَا مَعْرِفَةَ لَهُ لَدَيْكَ . قَالَ : فَأَعْطَى ابْنَهُ يَوْمَئِذٍ أَمْوَالًا عِظَامًا .

سَرِيَّةُ خَضِرَةَ ، أَمِيرِهَا أَبُو قَتَادَةَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ

حَدَّثَنَا الْوَاقِدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ بْنُ أَبِي حَثْمَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَذْرَدٍ^(٣) الْأَسْلَمِيُّ : تَزَوَّجْتُ ابْنَةَ سُرَاقَةَ بْنِ حَارِثَةَ النَّجَّارِيِّ وَكَانَ قُتِلَ بِبَدْرٍ ، فَلَمْ أُصَبْ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ مَكَانِهَا . فَأَصْدَقْتُهَا مِائَتِي دِرْهَمٍ ، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَسْوَقُهُ إِلَيْهَا فَقُلْتُ :

(١) الظرب : الجبل الصغير . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٥٤) .

(٢) كلمة غامضة في الأصل ؛ وما أثبتناه عن السيرة الحلبية . (ج ٢ ، ص ٣١٥) . ووقب العين : نفرتها .

(الصحاح ، ص ٢٣٤) .

(٣) في الأصل : « عبد الله بن أبي سجد » ؛ وما أثبتناه عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٣٢ ، ص ١٠٨) .

على الله وعلى رسوله المَعُول . فجئْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فأخبرتهُ ، فقال :
 كم سُقْتُ إليها ! قلت : مائتي درهم . فقال : لو كنتم تغتربونه من ناحية
 بطحان^(١) ما زدتم . فقلت : يا رسول الله ، أعني في صداقها . فقال رسول الله
 صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : ما وافقتُ عندنا شيئاً أُعينك به ، ولكني قد أجمعتُ
 أن أبعث أبا قتادة في أربعة عشر رجلاً [في سرية] ، فهل لك أن تخرج فيها ؟
 فإني أرجو أن يُغنمك الله مهر امرأتك . فقلت : نعم . فخرجنا فكننا ستة عشر
 رجلاً . بآبي قتادة وهو أميرنا ، وبَعَثْنَا إلى غطفان نحو نجد فقال : سيروا
 الليل واكْمُنُوا النهارَ ، وشُنُّوا الغارةَ ، ولا تقتلوا النساء والصبيان . فخرجنا
 حتى جئنا ناحية غطفان ، فهجمنا على حاضرٍ منهم عظيمٍ . قال : وخطبنا
 أبو قتادة وأوصانا بتقوى الله عز وجل ، وألَّفَ بين كلِّ رجلين وقال : لا يُفارق
 كلُّ رجلٍ زميله حتى يُقتل أو يرجع إلى فيُخبرني خبره ، ولا يأتني رجلٌ
 فأسأل عن صاحبه فيقول ، لا علم لي به ! وإذا كبرتُ فكبروا ، وإذا
 حملت فاحملوا ، ولا تُمعنوا في الطلب . فأحطنا بالحاضر فسمعتُ رجلاً
 يصرخ : يا خَصْرَةَ ! فتفاءلتُ وقلت : لأصيبنَّ خيراً ولا أجمعن إلى امرأتى !
 وقد أتيناها ليلًا . قال : فجرّد أبو قتادة سيفه وجردنا سيوفنا ، وكبر
 وكبرنا معه ، فشددنا على الحاضر فقاتل رجالٌ ، وإذا برجلٍ طويلٍ قد
 جرد سيفه صلتاً ، وهو يمشي القهقري ويقول : يا مسلم ، هلم إلى الجنة !
 فاتبعته ثم قال : إنَّ صاحبكم لذو مكيدة ، وإنَّ أمره هو الأمر . وهو يقول :
 الجنة ! الجنة ! يتحكم بنا . فعرفتُ أنه مُستقبل فخرجت في أثره ، فيناديني
 صاحبي : لا تُبعد ، فقد نهانا أميرنا أن نُمعن في الطلب ! فأدركته فرميته على

(١) بطحان : اسم وادي المدينة . (النهاية ، ج ١ ، ص ٨٢) .

جُرَيْدَاءَ مَتْنَهُ^(١) ، ثم قال : ادنُ يا مسلم إلى الجنة ! فرميته حتى قتلتته بنَبْلَى ، ثم وقع ميتًا فأخذت سيفه . وجعل زميلِي يُنادى : أين تذهب ؟ إنني والله إن ذهبتُ إلى أبي قَتَادَةَ فسألني عنك أخبرته . قال : فلقيته قبل أبي قَتَادَةَ فقلت : أسألَ أميري عني ؟ فقال : نعم ، وقد تغَيَّظَ عليّ وعليك . وأخبرني أنهم جمعوا الغنائم - وقتلوا من أشرف لهم - فجئتُ أبا قَتَادَةَ فلامني فقلت : قتلْتُ رجلاً كان من أمره كذا وكذا ، فأخبرته بقوله كله . ثم استقنا النِّعَمَ ، وحملنا النساءَ ، وجُفِئَ السيوفُ معلَّقة بالآقْتَابِ^(٢) . فأصبحت - وبعيري مقطور^(٣) - بامرأة كأنها ظبيٌّ ، فجعلتُ تُكثر الالتفات خلفها وتبكي ، قلت : إلى أيِّ شيء تنظرين ؟ قالت : أنظر والله إلى رجلٍ لئن كان حيًّا ليستنقذنا منكم . فوقع في نفسي أنه الذي قتلتته فقلت : قد والله قتلتته ، وهذا سيفه مُعلَّقٌ بالْقَتَبِ إلى غِمدِهِ . فقالت : هذا والله غِمدُ سيفه ، فشيَّمهُ^(٤) إن كنت صادقًا . قال : فشيَّمته فطَبَقَ^(٥) . قال : فبككت ويثست . قال ابنُ أَبِي حَدَرَدٍ : فقدنا على النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بالنِّعَمِ والشَّاءِ .

فحدثني أَبُو مَرْدُودٍ ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أَبِي حَدَرَدٍ^(٦) ، عن أبيه ، قال : لما رجعت من غزوة خَضِرَةَ وقد أصبنا فيثًا ، سَهْمُ كُلِّ رجلٍ

(١) أي وسطه ، وهو موضع القفا المنجرد عن اللحم ؛ تصغير الجرداء . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٥٤)

(٢) الأَقْتَابُ : جمع قَتَب ، وهو الإكاف الصغير على قدر سنام البعير . (القاموس المحیط ، ج ١ ، ص ١١٤) .

(٣) قطرت البعير : طليته بالقطران . (الصحاح ، ص ٧٩٥) .

(٤) شمت السيف : أغمدته . وشمته : سللته ، وهو من الانسداد . (الصحاح ، ص ١٩٦٣) .

(٥) الطَبَق : يدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه . (مقاييس اللغة ، ج ٣ ، ص ٤٣٩) .

(٦) في الأصل : « عبد الله بن أبي جدر » .

اثنا عشر بغيراً ، دخلتُ بزوجتي فرزقني الله خيراً .

حدثني عبد الله بن جعفر ، عن جعفر بن عمرو ، قال : غابوا خمس عشرة ليلة ، وجاءوا بمائتي بغير وألف شاة ، وسبوا سبياً كثيراً . وكان الخمس معزولاً ، وكان سهمانهم اثني عشر بغيراً ، يعدل البعير بعشر من الغنم .

حدثني ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي حذر ، عن أبيه ، قال : أصبنا في وجهنا أربع نسوة ، فيهن فتاة كأنها ظبي ، من الحداثة والحلاوة شيء عجب ، وأطفال من غلمان وجوار ، فاقتسموا السبي وصارت تلك الجارية الوضيئة لأبي قتادة . فجاء محمية بن جزة الزبيدي فقال : يا رسول الله ، إن أبا قتادة قد أصاب في وجهه هذا جاريةً وضيئةً ، وقد كنت وعدتني جاريةً من أول فتي يفتي الله عليك . قال : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي قتادة فقال : ما جاريةً صارت في سهمك ؟ قال : جاريةً من السبي هي أوضأ ذلك السبي ، أخذتها لنفسى بعد أن أخرجنا الخمس من المعجم . قال : هبها لي . فقال : نعم ، يا رسول الله . فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفعها إلى محمية بن جزة الزبيدي .

شأن غزوة الفتح

حدثني محمد بن عبد الله ، وموسى بن محمد ، وعبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن يزيد ، وابن أبي حبيبة ، وابن أبي سبرة ، وعبد الحميد بن جعفر ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز ، ويونس بن محمد ، ومحمد بن يحيى بن سهل ،

وابن أبي حشمة ، ومحمد بن صالح بن دينار ، ونجيج ، وأسامة بن زيد ،
وحزام بن هشام ، ومعاذ بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة ،
ومعمر بن راشد ؛ فكلُّ قد حدثني من حديث الفتح بطائفة ، وبعضهم أوعى
له من بعض ، وغير هؤلاء قد حدثني أيضاً ، فكتبتُ كلَّ ما سمعت منهم ،
قالوا : كانت خُزاعة في الجاهلية قد أصابوا رجلاً من بني بكر أجدوا ٥٠ له ؛
فمر رجلٌ من خُزاعة على بني الدَّيل بعد ذلك فقتلوه ، ف وقعت الحرب بينهم ،
فمر بنو الأسود بن رزن - ذؤيب ، وسلمى ، وكُلثوم - على خُزاعة فقتلوه
بعرفة عند أنصاب الحرم . وكان قوم الأسود يُودِّون في الجاهلية ديتين
بفضلهم في بني بكر ، فتجاوزوا وكف بعضهم عن بعض من أجل الإسلام ،
وهم على ما هم عليه من العداوة في أنفسهم ، إلا أنه قد دخل الإسلام عليهم
جميعاً فأمسكوا ، فلما كان صلح الحديبية دخلت خُزاعة في عقد رسول الله
صلَّى الله عليه وسلَّم وعهده ، وكانت خُزاعة حلفاء لعبد المطلب ، وكان
رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عارفاً ، ولقد جاءته يومئذ خُزاعة بكتاب
عبد المطلب فقرأه . قال ابن واقد : وهو « باسمك اللهم ، هذا حلف
عبد المطلب بن هاشم لخُزاعة ، إذ قدم عليه سراتهم وأهل الرأي ، غائبهم
مُقرِّ بما قضى عليه شاهدُهم . إنَّ بيننا وبينكم عهودَ الله وعقودَه ،
مالا يُنسى ^(١) أبداً ، ولا يأتى بِلد ^(٢) ، اليد واحدة والنصر واحد ، ما أشرف
ثبير ، وثبت حراء ، وما بلَّ بحرٌ صوفة ^(٣) ، لا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا

(١) في الأصل : « لا تنسى » . وما أثبتناه عن الزرقاني . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٤٥) .

(٢) اللد : الحصينة الشديدة . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٥٨) .

(٣) في الأصل : « ما أسروه سر وثبت حراً وما تل بحر صونه » . والتصحيح من الزرقاني . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٤٥) . وثبير وحراء جبلان بمكة . (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٩) .

تَجَدَّدًا أَبَدًا أَبَدًا ، الدَّهْرَ سَرْمَدًا . فقَرَأَهُ عَلَيْهِ أَبِي بَن كَعْب فَقَالَ :
 مَا أَعْرِفُنِي بِحِلْفِكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا أَسْلَمْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحِلْفِ ! فَكُلَّ حِلْفٍ كَانَ
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَا يَزِيدُهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً ، وَلَا حِلْفٍ فِي الْإِسْلَامِ . وَجَاءَتْهُ
 أَسْلَمٌ وَهُوَ بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ .^(١) . جَاءَ بِهِمْ بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ فَقَالَ :
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذِهِ أَسْلَمٌ وَهَذِهِ مَحَالِّهَا ، وَقَدْ هَاجَرَ إِلَيْكَ مَنْ هَاجَرَ مِنْهَا
 وَبَقِيَ قَوْمٌ مِنْهُمْ فِي مَوَاشِيهِمْ وَمَعَاشِهِمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 أَنْتُمْ مُهَاجِرُونَ حَيْثُ كُنْتُمْ . وَدَعَا الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ فَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ
 كِتَابًا ، فَكَتَبَ : « هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لَا تُنْكِرُ . لِيَمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ
 بِاللَّهِ ، وَشَهِدَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ فَإِنَّهُ آمَنَ بِأَمَانِ اللَّهِ ،
 وَلَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ . وَإِنْ أَمَرْنَا وَأَمَرَكُمُ وَاحِدٌ عَلَى مَنْ دَهَمْنَا مِنَ النَّاسِ
 بِظُلْمٍ ، الْيَدُ وَاحِدَةٌ وَالنَّصْرُ وَاحِدٌ ، وَلِأَهْلِ بَادِيَتِهِمْ مِثْلُ مَا لِأَهْلِ قَرَارِهِمْ ،
 وَهُمْ مُهَاجِرُونَ حَيْثُ كَانُوا » . وَكَتَبَ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ
 الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نِعِمَّ الرَّجُلُ بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ
 لِقَوْمِهِ ، عَظِيمُ الْبَرَكَةِ عَلَيْهِمْ ؛ مَرَرْنَا بِهِ لَيْلَةً ، مَرَرْنَا وَنَحْنُ مُهَاجِرُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ ،
 فَأَسْلَمَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ أَسْلَمَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نِعِمَّ الرَّجُلُ
 بُرَيْدَةُ لِقَوْمِهِ وَغَيْرِ قَوْمِهِ يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنْ خَيْرَ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ مُدَافِعًا عَنْ قَوْمِهِ
 مَا لَمْ يَأْتُمْ ، فَإِنَّ الْإِثْمَ لَا خَيْرَ [فِيهِ] .

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ زَهْرٍ ، عَنْ مِخْجَنَ بْنِ وَهَبٍ^(٢) ، قَالَ :
 كَانَ آخِرُ مَا كَانَ بَيْنَ خُزَاعَةَ وَبَيْنَ كِنَانَةَ أَنَّ أَنَسَ بْنَ زُنَيْمٍ الدِّيَلِيَّ هَجَا رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَمِعَهُ غُلَامٌ مِنْ خُزَاعَةَ فَوَقَعَ بِهِ فَشَجَّهُ ، فَخَرَجَ

(١) غدير الأشطاط : على ثلاثة أميال من عسفان ما يلي مكة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٥٢) .

(٢) في الأصل : « محجر بن وهب » .

إلى قومه فأبْرأهم شُجَّتْهُ فثار الشُّرْعُ ما كان بينهم ، وما تطلب بنو بكر من خُزاعة من دمائها . فلمَّا دخل شعبان على رأس اثنين وعشرين شهرًا من صلح الحُدَيْبِيَّة تكلَّمت بنو نُفَاته من بنى بكر أشراف قُرَيْش - واعتزلت بنو مدْلِج فلم ينقضوا العَهْد - أنَّ يُعِينُوا بالرجال والسلاح على عدوهم من خُزاعة ؛ وذكرُوهم القَتلى الذين أصابت خُزاعة لهم ، وضربوهم بأرحامهم ، وأخبروهم بدخولهم معهم فى عَقْدِهِمْ وَعَهْدِهِمْ ، وذهب خُزاعة إلى محمدٍ فى عَقْدِهِ وَعَهْدِهِ ، فوجدوا القومَ إلى ذلك سراعًا إلَّا أبا سُفْيَانَ ، لم يُشاور فى ذلك ولم يَعْلَمْ ؛ ويُقال : إنهم ذاكروه فأتى عليهم . وجعلت بنو نُفَاته وبكر يقولون : إنما نحن ! فأعانوهم بالسلاح والكُرَاع والرجال ودسوا ذلك سرًّا لئلا تحذَر خُزاعة ، [فهم] آمَنون غارُون بحال المُوادعة وما حجز الإسلام بينهم . ثم اتَّعدت قُرَيْش الوَتِيرَ موضعًا بَمَنٍ معها ، فوافوا للميعاد ، فيهم رجالٌ من قُرَيْش من كبارهم مُتَنَكِّرون مُتَتَقِبون؛ صَفْوان بن أُمَيَّة ، ومِكْرَز بن حَفْص بن الأَخِيْف ، وحُوَيْطِب بن عبد العُزَّى ، وأَجْلَبوا معهم أَرِقاءَهُمْ ، ورأس بنى بكر نَوْفَل بن مُعاوية الدُّوْلَى ، فبَيَّتوا خُزاعة لَيْلاً وهم غارُون آمَنون من عدوِّهم ، ولو كانوا يخافون هذا لكانوا على حَذَرٍ وَعُدَّةٍ ، فلم يزالوا يقتلونهم حتى انتهوا بهم إلى أنصاب الحَرَم ، فقالوا : يا نَوْفَل ، إلهَكَ ، إلهَكَ ! قد دخلتَ الحَرَم ! قال : لا إله لى اليوم ، يا بنى بكر ! قد كنتم تسْرِقونَ الحاجَّ ، أفلا تُدركون ثأركم من عدوِّكم ؟ لا يُريد أحدكم يَنْزِلَ امرأته حتى يستأذنى ، لا يُؤخَّر أحدٌ منكم اليوم بعد يومه هذا من ثأره . فلما انتهت خُزاعة إلى الحَرَم ، دخلت دار بُدَيْل بن وَرْقَاء ودار رافع الخُزاعِيَّين وانتَهوا بهم فى عَمَاية السَّبِيح ، ودخلت رؤسا قُرَيْش فى منازلهم وهم

يُظَنُّونَ أَلَّا يُعْرِفُوا ، وَأَلَّا يَبْلُغَ هَذَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

حدَّثني عبد الله بن عامر الأسلمي ، عن عطاء بن أبي مَرْوان ، قال :
قتلوا منهم عشرين رجلاً ، وحضروا خُزاعة في دار رافع وبُذيل ، وأصبحت
خُزاعة مُقتَلين على باب بُذيل - ورافع مولى لخُزاعة . وتنحَّتْ^(١) قُرَيْش
ونَدِموا على ما صنعوا ، وعرفوا أَنَّ هذا الذي صنعوا نَقَضَ لِلْمُدَّةِ وَالْعَهْدِ الذي
بينهم وبين رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم .

حدَّثني عبد الله بن عمرو بن زُهَيْر ، عن عبد الله بن عِكْرِمَةَ بن
عبد الحارث بن هِشام ، قال : وجاء الحارث بن هِشام وابن أبي رَبِيعَةَ إلى
صَفْوَانَ بن أُمَيَّة ، وإلى سُهَيْل بن عمرو ، وعِكْرِمَةَ بن أبي جَهْل ، فلاموهم
فيما صنعوا من عونهم بني بكر ، وَأَنَّ بينكم وبين محمد مُدَّة ، وهذا نَقَضُ
لها . وانصرف ذلك القوم ودسُّوا إلى نُوْفَل بن مُعاوية ، وكان الذي ولي كلامه
سُهَيْل بن عمرو ، فقال : قد رأيت الذي صنعنا بك وأصحابك وما قتلنا
من القوم ، وَأَنْتَ قد حضرتهُم تُريد قَتْلَ مَنْ بقى منهم ، وهذا ما لا نُطَاوَعُكَ
عليه فَاتْرُكْهُمْ لَنَا . قال : نعم . فترُكْهم فخرجوا . فقال ابن قَيْس الرُّقِيَّاتِ
يذكر سُهَيْل بن عمرو :

خالط. ^(٢) أخواله خُزاعة لما كثرتهُم ^(٣) بمكة الأحياء
وقال في ذلك ابن لُعط. الدليل ^(٣) :

أَلَا هَلْ أَتَى قُصُوصُ^(٤) الْعَشِيرَةِ أَنَّنَا رَدَدْنَا بَنِي كَعْبِ سَافُوقٍ^(٥) نَاصِلِ

(١) في الأصل : « ونحَّتْ » ، ولعل ما أثبتناه أقرب الاحتمالات .

(٢) في ديوان ابن قيس الرقيات : « حاط » . (ص ٩٢) .

(٣) في الأصل : « كثر بهم » . والمثبت من ديوان ابن قيس الرقيات . (ص ٩٣) .

(٤) قصوى : أى أبعد . (شرح أبي ذر ، ص ٣٦٥) .

(٥) تقول العرب : رددته بأفوق ناصل إذا رددته خائباً . والأفوق : السهم الذى انكسر فوقه وهو طرفه
الذى يلى الوتر . والناصل : الذى زال نصله أى حديدته الذى يكون فيه . (شرح أبي ذر ، ص ٣٦٥) .

حَبَسْنَاهُمْ فِي دَارِقِ الْعَبْدِ رَافِعٍ وَعِنْدَ بُدَيْلٍ مَحْبِسًا غَيْرَ طَائِلٍ
حَبَسْنَاهُمْ حَتَّى إِذَا طَالَ يَوْمُهُمْ نَفَخْنَا لَهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْعٍ بِوَابِلٍ^(١)
ذَبَحْنَاهُمْ ذَبْحَ التَّيُوسِ كَأَنَّا أُسُودٌ تَبَارَى فِيهِمْ بِالْقَوَاصِلِ^(٢)

قال : ومشي الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة إلى ابني سُفيان
فقالا : هذا أمرٌ لا بد له من أن يُصلَح ؛ والله لئن لم يُصلَح هذا الأمر
لا يروءكم إلَّا محمَّد في أصحابه ! قال أبو سُفيان : قد رأت هند بنت
عُتبة رؤيا كرهتها وأفظعتها ونخت من شرها . فقال القوم : ما هي ؟ قال :
رأت دما أقبل من الحَجَّون يسيل حتى وقف بالخندمة^(٣) مَلِيًّا ، ثم كان
ذلك الدم لم يكن . فكره القوم هذا ، وقالوا : هذا شرٌّ .

فحدثني مجمَّع بن يعقوب ، عن أبيه ، قال : لما رأى أبو سُفيان
ما رأى من الشر قال : هذا والله أمرٌ لم أشهده ولم أعجب عنه ، لا حُمِل هذا
إِلَّا عَلَيَّ ؛ ولا والله ما سُئِرت ولا هويت حيث بلغني ! والله ليغزونا محمَّدٌ
إن صدقني ظنِّي وهو صادق ، ومالي بدُّ أن آتي محمَّدًا فأُكلِّمه أن يزيد في
الهدنة ويُجدد العهد قبل أن يبلغه هذا الأمر . فقالت قُرَيْش : قد والله
أصبحت الرأي ! ونلذمت قُرَيْش على ما صنعت من عون بني بكرٍ على خُزاعة ،
وعرفوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لن^(٤) يدعهم حتى يغزوهم . فخرج
أبو سُفيان ، وخرج معه موئى له على راحلتين ، فأسرع السير وهو يرى أنه أول

(١) الوابل : المطر الشديد ، وأراد به هنا دفعة الخيل . (شرح أبي ذر ، ص ٣٦٥) .

(٢) يجوز أن يريد هنا السيوف . وسيف قاصل وقصال ، أى قاطع . (أساس البلاغة ، ص ٧٧٢) .

(٣) الخندمة : جبل بمكة . (معجم ما استعجم ، ص ٣١٩) .

(٤) في الأصل : « لم يدعهم » .

من خرج من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبو عبد الله : وقد سمعنا وجهاً من أمر خُزاعة لم أرَ عليه الناس قبلنا ولا يعرفونه ، وقد رواه ثِقَّةٌ ، ومُخرجه الذي رُدَّ إليه ثِقَّةٌ مُقْبِنٌ ، فلم أرَ أحداً يعرف له وجهاً ! إلاَّ أنَّ الناس قبلنا ينفونه ويقولون : لم يكن ؛ وذكرته لابن جعفر ومحمد بن صالح ولأبي معشر وغيرهم ممن له علم بالسريَّة فكلُّهم يُنكره ولا يأتى له بوجه .

وكان أوَّل الحديث ، أنه حدَّثني الثِقَّةُ عندي ، أنه سمع عمرو بن دينار ، يُخبر عن ابن عمر ، أنه لما قدم رَكِبَ خُزاعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بمن قُتل منهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَمَنْ تُهَمَّتْكُمْ وَظَنَنْتُمْكُمْ ؟ قالوا : بنو بكر . قال : كلُّها ؟ قالوا : لا ، ولكن تُهَمَّتْنَا بنو نَفَاثَةَ قَصْرَةَ ، ورأس القوم نَوْفَل بن مُعَاوِيَةَ النُّفَائِي . قال : هذا بطنٌ من بنى بكر وأنا باعثُ إلى أهل مكة فسأئلهم عن هذا الأمر ومُخَيَّرهم في خِصَالٍ . فبعث إليهم ضَمْرَةَ يُخَيَّرهم بين إحدى ثلاث خِلال ، بين أن يَدُوا خُزاعة أو يبرأوا [من] حِلْفِ نَفَاثَةَ ، أو يَنْبِذَ إليهم على سَوَاءٍ . فاتَّاهم ضَمْرَةُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وخَبَّرهم بالذي أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخَيَّرهم بين [أن] يدوا قتلى خُزاعة ، أو يبرأوا [من] حِلْفِ نَفَاثَةَ ، أو يَنْبِذُوا إليهم على سَوَاءٍ . فقال قُرْطَةَ بن عبد عمرو الأعجمي : أَمَّا أَن نَدِي قَتْلَى خُزاعة ؛ فَإِنَّ نَفَاثَةَ قوم فيهم عُرَامٌ^(١) فلا نَدِيهم حتى لا يبق لنا سَبْدٌ ولا لَبَدٌ^(٢) ، وأَمَّا أَن نبرأ من حِلْفِ نَفَاثَةَ فإنه ليس قبيلة في العرب تحجّ

(١) العرام : الشدة والقوة والشراسة . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٨٩) .

(٢) في الأصل : « لا يبق لنا سيد ولا لبد » . والسبد : الشعر ؛ والبد : الصوف . أى لا يبق لنا شيء . (الصحيح ص ٥٣٠) .

هذا البيت أشد تعظيماً لهذا البيت من نِفْثَةِ ، وهم حلفاؤنا فلا نبرأ من حلفهم ، ما بقي لنا سَبَدٌ ولا لَبْدٌ^(١) ، ولكننا نَنِيذُ إليه على سواء . فرجع ضَمْرَةٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك من قولهم ، فبعثت قُرَيْشَ أبا سُفْيَانَ بن حَرْبٍ تَسْأَلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يُجَدِّدَ الْعَهْدَ ، وندمت قُرَيْشٌ على ردِّ الرسول بما رَدَّوه .

قال أبو عبد الله : فكلَّ أصحابنا أنكروا هذا الحديث . وقال : فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنقاب^(٢) وعمى عليهم الأخبار حتى دخلها فُجَاعَةٌ - حتى ذكرتُ هذا الحديث لحِزَامِ بن هِشَامِ الكَعْبِيِّ فقال : لم يُضَيِّعِ الذي حدثك شيئاً ، ولكن الأمر على ما أقول لك - ندمت قُرَيْشٌ على عون نِفْثَةِ وقالوا : محمدٌ غازينا !

قال عبد الله بن سعد بن أَبِي سَرْحٍ - وهو عندهم يومئذٍ كافرٌ مُرْتَدٌّ - إِنَّ عِنْدِي رَأْيَا ؛ أَنَّ مُحَمَّدًا لَيْسَ يَغْزُوكُمْ حَتَّى يُعْذَرَ إِلَيْكُمْ وَيُخَيَّرَكُمْ فِي خِصَالٍ كُلِّهَا أَهْوَنَ عَلَيْكُمْ مِنْ غَزْوِهِ . قالوا : ما هِىَ ؟ قال : يُرْسَلُ أَنْ أَذُوا قَتْلَى خُرَاعَةَ وَهُمْ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ قَتِيلًا ، أَوْ تَبْرَأُوا مِنْ حِلْفٍ عَنْ نَقْضِ الْعَهْدِ بَيْنَنَا - بَنُو نِفْثَةِ - أَوْ نَنِيذُ إِلَيْكُمْ الْحَرْبَ^(٣) ؛ فَمَا عِنْدَكُمْ فِي هَذِهِ الْخِصَالِ ؟ قال القوم : آخِرُ مَا قَالَ ابْنُ أَبِي السَّرْحِ ! وَقَدْ كَانَ بِهِ عَالِمًا . فقال سُهِيلُ بن عمرو : مَا خَصَمَلَةُ أَيْسَرُ عَلَيْنَا مِنَ التَّبَرُّؤِ مِنْ حِلْفِ بَنِي نِفْثَةِ . قال شَيْبَةُ ابْنُ عُثْمَانَ الْعَبْدَرِيُّ : حَفِظْتَ أَحْوَالَكَ وَغَضِبْتَ لَهُمْ ! قال سُهِيلُ : وَأَبُو قُرَيْشٍ لَمْ تَلِدْهُ خُرَاعَةَ . قال شَيْبَةُ : لَا ، وَلَكِنَّا نَلِدِي قَتْلَى خُرَاعَةَ ، فَهُوَ أَهْوَنُ

(١) في الأصل : « سبدا ولا لبدا » .

(٢) الأنقاب : طرق المدينة . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢١٨) .

(٣) في الزرقاني عن الواقدي : « أو ننبذ إليكم على سواء » . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ،

علينا . فقال قُرطَة بن عبد عمرو : لا والله ، لا يُودون^(١) ولا نبرأ من حلف
نُفَّاثَة ، ابن الغوث^(٢) بنا وأعمدة لشدتنا ، ولكن ننبد إليه على سواء !
فقال أبو سُفَيان : ما هذا بشيء ! وما الرأي لنا إلا جحد هذا الأمر ، أن تكون
قُرَيْش دخلت في نقض عَهْدٍ وقطع مُدَّة ، فإن قطعه قومٌ بغير هَوًى منَّا
ولا مشورة فما علينا . قالوا : هذا الرأي ، لا رأي غيره ؛ الجحد لكل ما كان
من ذلك ! [قال] : وإني لم أشهده ولم أوامره فيه ، وأنا في ذلك صادق ؛
لقد كرهت ما صنعتُم وعرفت أن سيكون له يومٌ عَماَس^(٣) . قالت قُرَيْش
لأبي سُفَيان : وأخرج أُنْتَ بذلك ! حتى خرج إلى النبي صلي الله
عليه وسلم .

قال أبو عبد الله : فذكرت حديث حِزام لابن جعفر وغيره من أصحابنا
فلم يُنكره ، وقالوا : هذا وجهه ! وكتبه مني عبد الله بن جعفر .

حدثني عبد الله بن عامر الأسلمي ، عن عطاء بن أبي مَرْوان ، قال : قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم لعائشة : قد حرت في أمر خُزاعة . قال ابن واقد :
فقال عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله أترى قُرَيْشًا تجترى^(٤) على
نقض العَهْد بينكم وبينهم وقد أفناهم السيف ؟ فقال رسول الله صلي الله
عليه وسلم : ينقضون العَهْد لأمرٍ يُريده الله تعالى بهم . قالت عائشة : خيرٌ
أو شرٌّ يا رسول الله ؟ قال : خيرٌ !

فحدثني حِزام بن هشام بن خالد الكعبي ، عن أبيه ، قال : وخرج عمرو

(١) في الزرقاني عن الواقدي : « لا ندَى » . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٤٦) .

(٢) هكذا في الأصل .

(٣) يوم عَماَس : أي مظلم . (المصباح ، ص ٩٤٩) .

(٤) في الأصل : « أن تجترى » .

ابن سالم الخُزاعي في أربعين ركباً من خُزاعة يستنصرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبرونه بالذي أصابهم وما ظهرت عليه قُريش - فأعانوهم^(١) بالرجال والسلاح والكرّاع ، وحضر ذلك صفوان بن أمية في رجال من قومهم مُتَنَكِّرين ، فقتلوا بأيديهم - ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد في أصحابه ؛ ورأس خُزاعة عمرو بن سالم ، وقام يُنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمع منه فقال :

اللَّهُمَّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا حَلَفَ آبِينَا^(٢) وَأَبِيكَ الْآتِلَدَا^(٣)
 قَدْ كُنْتُمْ وَلَدًا وَكُنَّا وَالِدًا ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا وَلَمْ نَنْزِعْ يَدًا
 إِنَّ قُورِيشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُوَكَّدَا
 فَانْصُرْ هَذَا اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا^(٤) وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا
 فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا فِي فَيْلَقٍ^(٥) كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا
 قَرْمٌ^(٦) لَقَرْمٌ مِنْ قُرُومٍ أَصِيدَا هُمْ بَيْتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجْدَا^(٧)
 نَتْلُو الْقُرْآنَ رُكْعًا وَسُجْدًا وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
 وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا

فلما فرغ الركب قالوا : يا رسول الله ، إِنَّ أَنَسَ بْنَ زُنَيْمٍ الدِّيلِيّ قد هجاك . فهتد رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه ، فبلغ أَنَسَ بْنَ زُنَيْمٍ ، فقدم

-
- (١) أى أعانت قريش بنى نفائة على خُزاعة . انظر ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٩٧) .
 (٢) فى الأصل : « حلفنا نيبا » ؛ وما أثبتناه عن ابن إسحق . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٣٦) .
 (٣) الآتلد : القديم . (شرح أبى ذر ، ص ٣٦٧) .
 (٤) فى الأصل : « مويدا » ؛ وما أثبتناه عن ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٣٦) .
 وأعتد : حاضر ، من المشى العتيد وهو الحاضر . (شرح أبى ذر ، ص ٣٦٧) .
 (٥) الفيلق : الجيش . (الصحاح ، ص ١٥٤٥) .
 (٦) القرم : السيد . (الصحاح ، ص ٢٠٠٩) .
 (٧) الهجد : النيام ، وقد يكون الهجد أيضا المستيقظين ، وهو من الأضداد . (شرح أبى ذر ، ص ٣٦٧) .

على رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذراً مما بلغه ، فقال :

أَأَنْتَ الَّذِي تُهْدِي مَعَدَّةً بِأَمْرِهِ بَلَى اللَّهُ يَهْدِيهِمْ وَقَالَ لَكَ أَشْهَدُ
فَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَبَرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ
أَحَثُّ عَلَى خَيْرٍ وَأَوْسَعُ نَائِلًا إِذَا رَاحَ يَهْتَزُّ اهْتَزَّازَ الْمُهَشَّدِ^(١)
وَأَكْسَى لِبَرْدِ الْخَالِ^(٢) قَبْلَ اجْتِنَابِهِ وَأَعْطَى بِرَأْسِ السَّابِقِ^(٣) الْمُتَجَرِّدِ
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللَّهِ أَتَاكَ مُدْرِكِي وَأَنْ وَعِيدًا مِنْكَ كَالْإِخْذِ بِالْيَدِ
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللَّهِ أَتَاكَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ سَكْنٍ^(٤) مِنْ تِهَامٍ وَمُنْجِدِ
وَنُبِّى رَسُولُ اللَّهِ أَنَّنِي هَجَوْتُهُ فَلَا رَفَعْتَ سَوَاطِي إِلَى إِذْنٍ يَدَى
سِوَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ يَا وَبِحَ فِتْنَةٍ أَصَابِيهِمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِإِدْمَائِهِمْ
ذُوئُوبٌ وَكُلْشُومٌ وَسَلَمَى تَتَابَعُوا كِفَاءً فَعَزْتَ عِبْرَتِي وَتَبَلَّدِي^(٥)
عَلَى أَنَّ سَلَمَى لَيْسَ فِيهِمْ كَمِثْلُهُ جَمِيعًا فَإِلَّا تَدَمَعِ الْعَيْنُ أَكْمَدِ
وَلِيْنِي لَا عِرْضًا خَرَقْتُ وَلَا دَمًا وَإِخْوَتِهِ أَوْ هَلْ مُلُوكٌ كَأَعْبُدِ
هَرَقْتُ فَفَكَرْتُ عَالِمَ الْحَقِّ وَاقْصِدِ

أَنشَدْنِيهَا حِزَام . وَبَلَغْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَصِيدَتَهُ
واعتذاره ، وكَلَّمَهُ نَوْفَلُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الدَّيْلِي فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْتَ أَوْلَى
النَّاسِ بِالْعَفْوِ ، وَمَنْ مَنَّا لَمْ يَعَادَكَ وَيُؤْذِكَ ، وَنَحْنُ فِي جَاهِلِيَّةٍ لَا نَدْرِي

(١) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . (الصحاح ، ص ٥٥٤) .

(٢) الخال : ضرب من برود اليمن . (شرح أبي ذر ، ص ٣٧٦) .

(٣) السابق : الفرس . والمتجرد : الذى يتجرد من الخيل فيسبقها . (شرح أبي ذر ، ص ٣٧٦) .

(٤) السكن : أهل الدار . (الصحاح ، ص ٢١٣٦) .

(٥) الطلق : اليوم السعيد ، يقال يوم طلق إذا لم يكن فيه حر ولا برد ولا شيء يؤذى . (شرح أبي ذر ، ص ٣٧٦) .

(٦) التبلى : التحير . (شرح أبي ذر ، ص ٣٧٦) .

ما نأخذ وما ندع حتى هدانا الله بك من الهلكة . وقد كذب عليه الركب وكثروا عندك . فقال : دع الركب ، فإننا لم نجد بتهامة أحداً من ذى رَحِمٍ ولا بعيد الرِّحِمِ كان أبرّ بنا من خِزاعة . فأسكت نوفل بن معاوية ، فلما سكت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد عفوت عنه . قال نوفل : فذاك أبي وأمي !

وحدثني عبد الحميد بن جعفر بن عمران بن أبي أنس ، عن ابن عباس رضى الله عنه ، قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجرّ طرف رِدائه ، وهو يقول : لا نصيرتُ إن لم أنصُر بني كعب ممّا أنصُر منه نفسى !

وحدثني حزام بن هشام ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكانكم بأبي سُفيان قد جاء يقول : « جدد العهد وزد في الهدنة » وهو راجع بسخطه . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن سالم وأصحابه : ارجعوا وتفرّقوا في الأودية ! وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على عائشة وهو مُغضب . فدعا بماء فدخل يغتسل . قالت عائشة : فأسمعه يقول وهو يصب الماء عليه : لا نصيرتُ إن لم أنصُر بني كعب ! وخرج أبو سُفيان من مكة وهو متخوّف الذى صنع عمرو بن سالم وأصحابه أن يكونوا جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان القوم لما أتوا الأبواء راجعين تفرّقوا ، وذهبت طائفة إلى الساحل تعارض الطريق ، ولزم بُديل بن أمّ أصرم في نفيّر معه الطريق ، فلقيه أبو سُفيان ، فأشفيق أبو سُفيان أن يكون بُديل جاء محمّداً ، بل كان اليقين عنده ، فقال للقوم : أخبروني عن يثرب ، منذ كم

عَهْدَكُمْ بِهَا ؟ فَقَالُوا : لَا عِلْمَ لَنَا بِهَا . فَعَرَفَ أَنَّهُمْ كَتَمُوهُ ، فَقَالَ : أَمَّا
مَعَكُمْ مِنْ تَمَرٍ يَشْرَبُ شَيْءٌ تُطْعَمُونَاهُ ؟ فَإِنَّ لِي تَمَرٍ يَشْرَبُ فَضْلاً عَلَى تَمَرِ
تِهَامَةَ . قَالُوا : لَا . قَالَ : ثُمَّ أَبَتَ نَفْسَهُ أَنْ تُقَرَّهَ ^(١) حَتَّى قَالَ : يَا بُدَيْلُ ،
هَلْ جِئْتَ مُحَمَّدًا ؟ قَالَ : لَا ! مَا فَعَلْتُ ، وَلَكِنِّي سَرْتُ فِي بِلَادِ كَعْبٍ وَخُزَاعَةَ
مِنْ هَذَا السَّاحِلِ فِي قَتِيلٍ كَانَ بَيْنَهُمْ ، فَأَصْلَحْتُ بَيْنَهُمْ . قَالَ : يَقُولُ أَبُو سَفْيَانَ :
إِنَّكَ وَاللَّهِ - مَا عَلِمْتُ - بَرٌّ وَاصِلٌ . ثُمَّ قَايَلَهُمْ أَبُو سَفْيَانَ حَتَّى رَاحَ بُدَيْلُ
وَأَصْحَابُهُ ، ثُمَّ جَاءَ مَنْزِلَهُمْ فَفَتَّ أَبْعَارَ أَبَاعِرِهِمْ فَوَجَدَ فِيهَا نَوًى ، وَوَجَدَ ^(٢)
فِي مَنْزِلِهِمْ نَوًى مِنْ تَمَرِ عَجْوَةٍ كَأَنَّهَا أَلْسِنَةُ الطَّيْرِ ، فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ :
أَحْلَفْتُ بِاللَّهِ لَقَدْ حَاءَ الْقَوْمُ مُحَمَّدًا ! وَكَانَ الْقَوْمُ لَمَّا كَانَتِ الْوَقْعَةُ خَرَجُوا مِنْ
صَبِيحِ ذَلِكَ الْيَوْمِ . فَسَارُوا إِلَى حَيْثُ لَقِيَهُمْ أَبُو سَفْيَانَ ثَلَاثًا .

وَكَانَتْ بَنُو بَكْرٍ قَدْ حَبَسَتْ خُزَاعَةَ فِي دَارِ بُدَيْلٍ وَرَافِعِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ
يُكَلِّمُوا فِيهِمْ ، وَاتَّخَذَتْ قُرَيْشٌ أَنْ يُخْرِجَ أَبُو سَفْيَانَ ، فَأَقَامَ يَوْمَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ ،
فَهَذَا خَمْسٌ بَعْدَ مَقْتَلِ خُزَاعَةَ . وَأَقْبَلَ أَبُو سَفْيَانَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَدَخَلَ عَلَى
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنِّي كُنْتُ غَائِبًا فِي صَلَاحِ الْحُدَيْبِيَّةِ ،
فَاشْدُدْ الْعَهْدَ وَزِدْنَا فِي الْمُدَّةِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ كَانَ قَبْلَكُمْ
حَدَّثٌ ؟ قَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَنَحْنُ عَلَى
مُدَّتِنَا وَصُلَحْنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، لَا نُغَيِّرُ وَلَا نُبَدِّلُ . ثُمَّ قَامَ مِنْ عِنْدِهِ فَدَخَلَ
عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ . فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ طَوَّعَتْهُ دُونَهُ ، فَقَالَ : أَرَغِبْتَ بِهَذَا الْفِرَاشِ عَنِّي أَوْبَى عَنْهُ ؟ قَالَتْ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « يَقْرَهُ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَوَجَدُوا » .

بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت امرؤ نجسٌ مُشرك !
 قال : يا بُنَيَّة ، لقد أصابك بعلمك شرٌّ ! قالت : هداى الله للإسلام ، وأنت
 يا أبت سيّد قُرَيْش وكبيرها ، كيف يسقط. عنك الدخول في الإسلام ،
 وأنت تعبّد حجراً لا يسمع ولا يبصر ؟ قال : يا عَجَبَاه. وهذا منك أيضاً ؟
 أأترك ما كان يعبد آباءى وأتبع دين محمد ؟ ثم قام من عندها فلقى أبا بكر
 الصّدّيق رضى الله عنه فكلّمه وقال : تُكلّمُ محمّداً وتُجير أنثى بين
 الناس ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : جوارى في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 ثم لقي عمر رضى الله عنه فكلّمه بمثل ما كلّم به أبو بكر . فقال عمر :
 والله ، لو وجدتُ الذرَّ (١) تُقاتلكم لأعنتُها عليكم ! قال أبو سفيان : جُزيتَ
 من ذى رَحِمٍ شراً . ثم دخل على عُثمان بن عفّان رضى الله عنه فقال :
 إنه ليس في القوم أحدٌ أقرب بي رَحِمًا منك ، فزِدْ في الهدنة وجَدَد العَهْد ؛
 فإنّ صاحبك لن (٢) يَرُدّه عليك أبداً ؛ والله ما رأيت رجلاً قط . أكثر إكراماً
 لصاحبٍ من محمّدٍ لأصحابه ! قال عُثمان رضى الله عنه : جوارى في جوار
 رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحدّثني عبد الله بن محمد ، عن أبيه ، قال : دخل على فاطمة بنت
 النّبىّ صلى الله عليه وسلم فكلّمها فقال : أجيرى بين الناس ! فقالت :
 إنما أنا امرأة . قال : إنّ جوارك جائزٌ ، قد أجازتُ أخذك أبا العاص بن
 الرّبيع ، فأجاز ذلك محمّد . قالت فاطمة : ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ! وأبت ذلك عليه . فقال : مَرى أحدَ بنيك يُجير بين الناس !

(١) الذرّ : النمل الأحمر الصغير . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٤٤) .

(٢) في الأصل : « لم يردّه » .

قالت : إنهما صبيّان ، وليس مثلهما يُجِير . فلما أبت عليه أتى عليّاً رضي الله عنه فقال : يا أبا الحسن ، أجزّ بين الناس وكلّم محمّداً يزيد في المدة ! قال عليٌّ : ويحك يا أبا سُفيان ! إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قد عزم ألا يفعل ، وليس أحدٌ يستطيع أن يُكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلّم في شيءٍ يكرهه . قال أبو سُفيان : فما الرأي ؟ يسّر لي أمرى ^(١) ، فإنه قد ضاق عليّ ، فمُر لي بأمرٍ ترى أنه نافعي ! فقال عليٌّ عليه السلام : ما أجد لك شيئاً [أمثلاً] من أن تقوم فتُجِير بين الناس ، فإنك سيّد كِنانة . قال : تُرى ذلك مُغْنِيّاً عني شيئاً ؟ قال عليٌّ عليه السلام : لا أظنّ ذلك والله ، ولكني لا أجد لك غيره . فقام بين ظهرَي الناس فصاح : ألا إني قد أجزتُ بين الناس ، ولا أظنّ محمّداً يُخفّرني ! ثم دخل على النبي صلى الله عليه وسلّم فقال : يا محمّد ، ما أظنّ أن تردّ جِواري ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : أنت تقول ذلك يا أبا سُفيان !

حدّثني ابن أبي حَبِيبَة ، عن واقد بن عمرو بن سعد بن مُعَاذ ، قال : جاء أبو سُفيان إلى سعد بن عُبادة فقال : يا أبا ثابت ، قد عرفت الذي كان بيني وبينك ، وأني قد كنت لك في حَرَمنا جاراً ، وكنت لي بيثرب مثل ذلك ، وأنت سيّد هذه البَحْرة ^(٢) ، فأجزّ بين الناس وزد في المدة . فقال سعد : يا أبا سُفيان ، جِواري في جِوار رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، يُجِير أحدٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلّم . ويُقال : خرج أبو سُفيان على أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلّم : أنت تقول ذلك يا أبا سُفيان !

(١) ن الأصل : « يسّر بأمرى » .

(٢) البقرة : البلدة . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٣٦٨) .

يُقال : لما صاح لم يَقْرَبِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وركب راحلته وانطلق إلى مكة ، وكان قد حُبِسَ وطالت غَيْبَتُهُ ، وكانت قُرَيْشٌ قد اتهمته حين أَبْطَأَ أَشَدَّ التَّهْمَةِ وقالوا : وَاللَّهِ إِنَّا نَرَاهُ قَدْ صَبَأَ ، وَاتَّبَعَ مُحَمَّدًا سِرًّا وَكَمَّ إِسْلَامَهُ ، فلما دخل على هِنْدٍ لَيْلًا قالت : لَقَدْ حُبِسْتَ حَتَّى اتَّهَمَكَ قَوْمُكَ ، فَإِنْ كُنْتَ مَعَ طَوْلِ الْإِقَامَةِ جِئْتَهُمْ بِنُجْجٍ فَأَنْتَ الرَّجُلُ ! ثُمَّ دَنَا مِنْهَا فَجَلَسَ مَجْلِسَ الرَّجُلِ مِنَ الْمَرْأَةِ ، فَجَعَلَتْ تَقُولُ : مَا صَنَعْتَ ؟ فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَقَالَ : لَمْ أَجِدْ إِلَّا مَا قَالَ لِي عَلِيٌّ . فَضْرِبْتَ بِرَجْلَيْهَا فِي صَدْرِهِ ، وَقَالَتْ : قُبِّحَتْ مِنْ رَسُولِ قَوْمٍ !

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : فَلَمَّا أَصْبَحَ حَلَقَ رَأْسَهُ عِنْدَ الصَّنَمَيْنِ ، إِسَافَ وَنَائِلَةَ ، وَذَبَحَ لِهَمَا ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ بِالْدَمِ رُءُوسَهُمَا ، وَيَقُولُ : لَا أَفَارِقُ عِبَادَتِكُمَا حَتَّى أَمُوتَ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ أَبِي ! أَكْبَرُ الْقُرَيْشِ مِمَّا اتَّهَمُوهُ .

وَحَدَّثَنِي حِزَامُ بْنُ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : وَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ : مَا وَرَاعَكَ ؟ هَلْ جِئْتَنَا بِكِتَابٍ مِنْ مُحَمَّدٍ ، أَوْ زِيَادَةٍ فِي مُدَّةٍ ؟ مَا نَأْمَنُ أَنْ يَغْزُونَا ! فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَبِي عَلَيٌّ ، وَلَقَدْ كَلَّمْتُ عَلَيْهِ أَصْحَابَهُ فَمَا قَدَرْتُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُمْ ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَرْمُونِي بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ إِلَّا أَنَّ عَلِيًّا قَدْ قَالَ لَمَّا ضَاقَتْ بِهِ الْأُمُورُ : أَنْتَ سَيِّدُ كِنَانَةٍ ، فَأَجِرْ بَيْنَ النَّاسِ ! فَنَادَيْتُ بِالْجَوَارِ ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْتُ : إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَا أَظُنُّ أَنْ تَرُدَّ جَوَارِي . فَقَالَ مُحَمَّدٌ : أَنْتَ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ! لَمْ يَزِدْنِي عَلَى ذَلِكَ . قَالُوا : مَا زَادَ عَلَى أَنْ تَلْعَبَ بِكَ تَلْعَبًا ! قَالَ : وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ غَيْرَ ذَلِكَ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ

مُطْعِم ، قال : لَمَّا وَلَّى أَبُو سُفْيَانٍ رَاجِعًا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ : جَهِّزِينَا وَأَخْفِي أَمْرَكَ ! وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ خُذْ عَلَى قُرَيْشٍ الْأَخْبَارَ وَالْعْيُونَ حَتَّى نَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً . وَيُقَالُ قَالَ : اللَّهُمَّ خُذْ عَلَى قُرَيْشٍ أَبْصَارَهُمْ فَلَا يَرُونِي إِلَّا بَغْتَةً ، وَلَا يَسْمَعُونَ بِي إِلَّا فَجْأَةً . قَالُوا : وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَنْقَابِ ، فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَطُوفُ عَلَى الْأَنْقَابِ قِيَمًا بِهِمْ فَيَقُولُ : لَا تَدْعُوا أَحَدًا يَمُرُّ بِكُمْ تُنْكِرُونَهُ إِلَّا رَدَدْتُمُوهُ - وَكَانَتْ الْأَنْقَابُ مُسْلَمَةً - إِلَّا مَنْ سَلَكَ إِلَى مَكَّةَ فَإِنَّهُ يُتَحَفَّظُ بِهِ وَيُسَالَى عَنْهُ ، أَوْ نَاحِيَةِ مَكَّةَ .

قَالُوا : فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ تُجَهِّزُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَعْمَلُ قَمِيحًا سَوِيْقًا وَدَقِيقًا وَتَمْرًا ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ ، أَهَمُّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِغَزْوٍ ؟ قَالَتْ : مَا أَدْرَى . قَالَ : إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ هَمٌّ بِسَفَرٍ فَأَذْنِبْنَا نَتَهَيَّأُ لَهُ . قَالَتْ : مَا أَدْرَى ، لَعَلَّهُ يُرِيدُ بَنِي سُلَيْمٍ ، لَعَلَّهُ يُرِيدُ ثَقِيفًا ، لَعَلَّهُ يُرِيدُ هَوَازِنَ ! فَاسْتَعَجَمْتُ عَلَيْهِ حَتَّى دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَدْتَ سَفَرًا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ . قَالَ : أَفَأَتَجَهِّزُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَأَيْنَ تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : قُرَيْشًا ، وَأَخْفِ ذَلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ! وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ [بِالْجَهَازِ] ، قَالَ : أَوْ لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مُدَّةٌ ؟ قَالَ : إِنَّهُمْ غَدَرُوا وَنَقَضُوا الْعَهْدَ ، فَأَنَا غَازِيَهُمْ . وَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ : أَطَوُّ مَا ذَكَرْتُ لَكَ ! فَظَانُّ يَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ الشَّامَ ، وَظَانُّ يَظُنُّ ثَقِيفًا ، وَظَانُّ يَظُنُّ هَوَازِنَ . وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا قَتَادَةَ بْنَ رِبْعَةَ فِي ثَمَانِيَةِ نَفَرٍ إِلَى بَطْنِ إِضْمٍ ^(١) لِيَظُنَّ ظَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

(١) إِضْمٌ : مَا يَطُوقُ الطَّرِيقَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْيَمَامَةِ عِنْدَ السَّمِينَةِ . (مَعْجَمُ الْبَلَدَانِ ، ج ١ ، ص ٢٨١) .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَجَّهَ إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَلَآنَ تَذْهَبُ بِذَلِكَ الْأَخْبَارُ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ قُسَيْطٍ . ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ أَبِي حَلَدٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَطْنِ إِضْمٍ ، أَمِيرَنَا أَبُو قَتَادَةَ فِي تِلْكَ السَّرِيَةِ وَفِيهَا مُحَلَّمُ بْنُ جَثَامَةَ اللَّيْثِيُّ وَأَنَا فِيهِمْ ، فَبَيْنَا نَحْنُ بَبْعُضِ وَادِي إِضْمٍ إِذْ مَرَّ بَنَا عَامِرُ بْنُ الْأَضْبَطِ . الْأَشْجَعِيُّ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ فَأَمَسَكْنَا عَنْهُ ، وَحَمَلْ عَلَيْهِ مُحَلَّمُ بْنُ جَثَامَةَ فَقَتَلَهُ ، وَسَلَبَهُ بَعِيرًا لَهُ وَمَتَاعًا وَوَطْبًا^(١) مِنْ لَبَنِ كَانَ مَعَهُ ، فَلَمَّا لَحَقْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ فِيْنَا الْقُرْآنُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ..﴾^(٢) الْآيَةِ . فَانصَرَفَ الْقَوْمُ وَلَمْ يَلْقُوا جَمْعًا حَتَّى انْتَهَوْا^(٣) إِلَى ذِي خُشْبٍ^(٤) فَبَلَّغَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ ، فَأَخَذُوا عَلَى بَيْنٍ حَتَّى لَحَقُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّقْيَا .

حَدَّثَنِي الْمُنْذِرُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ ، قَالَ : لَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسِيرَ إِلَى قُرَيْشٍ ، وَعَلِمَ بِذَلِكَ النَّاسُ ، كَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُم بِالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَأَعْطَى الْكِتَابَ امْرَأَةً مِنْ مُزَيْنَةَ ، وَجَعَلَ لَهَا جُعْلًا عَلَى أَنْ تُوصِلَهُ قُرَيْشًا ، فَجَعَلَتْهُ فِي رَأْسِهَا ثُمَّ فَتَلَتْ عَلَيْهِ قُرُونَهَا ، فَخَرَجَتْ . وَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا صَنَعَ حَاطِبُ ، فَبَعَثَ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ

(١) الْوَطْبُ : سِقَاءُ اللَّبَنِ خَاصَّةً . (الصَّحَاحُ ، ص ٢٣٢) .

(٢) سُورَةُ ٤ النِّسَاءِ ٩٤ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « حَتَّى انْتَهَى » .

(٤) ذِي خُشْبٍ : وَادٍ عَلَى لَيْلَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ . (وَفَاءُ الْوَفَاءِ ج ٢ ، ص ٢٩٩) .

فقال : أَدْرِكَا امرأةً من مُزينة ، قد كتب معها حاطب كتاباً يُحذِرُ قُرَيْشًا فخرجوا فأدركاها بالخليفة ، فاستنزلاها فالتمساه في رَحْلِها فلم يجدوا شيئاً . فقالوا لها : إِنَّا نحلف بالله ما كُذِبَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ولا كُذِبْنَا ولتُخرجن هذا الكتاب أو لنكشفنَّكِ ! فلَمَّا رَأَتْ منهما الجِدَّ قالت : أَعْرِضَا عني ! فأعرضا عنها ، فحلَّت قُرُونَ رَأْسِها فاستخرجت الكتاب فدفعته إليهما ، فجاءا به رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فدعا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم حاطباً فقال : ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، إني لمؤمنٌ بالله ورسوله ، ما غيَّرتُ ولا بدَّلْتُ ! ولكني كنت امرأةً ليس لي في القوم أصلٌ ولا عشيرةٌ ، وكان لي بين أظهرهم أهلٌ ووَلَدٌ فصانعتُهم . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : قاتلك الله ! ترى رسول الله يأخذ بالأنقاب وتكتب الكتب إلى قُرَيْشٍ تُحذِرهم ؟ دعني يا رسول الله أضربُ عنقه ، فإنه قد نافق ! فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : وما يُدريك يا عمر ؟ لعلَّ الله قد أطلع يوم بدرٍ على أهلٍ بدرٍ . فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرتُ لكم ! وأنزل الله عزَّ وجلَّ في حاطب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ . . . ﴾^(١) إلى آخر الآية .

وحدثني موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : كتب حاطب إلى ثلاثة نفر : صفوان بن أمية . وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل : « إِنَّ رسول الله قد أَدَّنَ في الناس بالغزو ، ولا أراه يُريد غيركم ، وقد أحبيبت أن تكون لي عندكم يدٌ بكتابي إليكم » . ودفع الكتاب إلى امرأةٍ من مُزينة من أهل العُرج^(٢) يقال لها كنود ، وجعل لها ديناراً على أن تُبلِّغ الكتاب ، وقال :

(١) سورة ٦٠ المتحنة ١

(٢) العرج : قرية جامعة على ثلاثة أميال من المدينة بطريق مكة . (سرح الزرقاني على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٦٠) .

أخفيه ما استطعت ، ولا تمرّ على الطريق فإنّ عليها محرّسا . فسلكت على غير نقب ، عن يسار المَحْجَة في الفُلُوق^(١) ، حتى لقيت الطريق بالعقيق . حدّثنى عُتْبَة بن جَبيرة ، عن الحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عَمْرَة بن سعد ، قال : هي سارة ؛ جعل لها عشرة دنانير .

قالوا : فلمّا أبان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الغزو ، أرسل إلى أهل البادية وإلى من حولّه من المسلمين ، يقول لهم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة . وبعث رسولا في كلّ ناحية حتى قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم - أسلم ، وغفار ، ومُزينة ، وجُهينة ، وأشجع . وبعث إلى بني سليم ، فأما بنو سليم فلقيته بقديد ؛ وأما سائر العرب فخرجوا من المدينة .

قال : وحدّثنى سعيد بن عطاء بن أبي مروان ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : أرسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أسماء بن حارثة ، وهند بن حارثة إلى أسلم يقولان لهم : إنّ رسول الله يأمركم أن تحضروا رمضان بالمدينة . وأرسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جُنْدُباً ورافعا ابني مكيث إلى جُهينة يأمرهم أن يحضروا رمضان بالمدينة ؛ وأرسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إيماء بن رَحْضَة وأبا رهم كلثوم بن الحُصَيْن إلى بني الحُصَيْن إلى بني غِفار وضمّرة ، وبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أشجع معقل بن سنان ، ونعيم بن مسعود ؛ وبعث إلى مُزينة بلال بن الحارث ، وعبد الله بن عمرو المُرَزِيّ ؛ وبعث إلى بني سليم الحجاج بن علاط . السلمي ، ثم البهزي^(٢) ،

(١) الفلوق : جمع فلق وهو الشق ، يقال : مرت بجرة فيها فلوق ، أى شقوق . (الصحيح ،

ص ١٥٤٤) .

(٢) في الأصل : «النهوى» ؛ وما أثبتناه عن ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ٣٢٥) .

وعرباض بن سارية ؛ وبعث إلى بني كعب بنى عمرة بشر بن سُفیان
وبُدَيْل بن ورقاء ، فلقية بنو كعب بقلْدِيد وخرج معه من بني كعب من كان
بالمدينة . وعسكر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ببئر أبي عَنَبَة ، وعقد الألوية
والرايات ؛ فكان في المهاجرين ثلاث رايات - راية مع الزُّبَيْر ، وراية مع
عَلِيٍّ عليه السلام ، وراية مع سعد بن أَبِي وقَّاص . وكان في الأوس بنى
عبد الأشَّهَل راية مع أَبِي نائلة ، وفي بنى ظَفَر راية مع قَتَادَة بن النعمان ، وفي
بنى حارثة راية مع أَبِي بُرْدَة بن نيار ، وفي بنى مُعاوية راية مع جَبْرِ بن عَتِيك ،
وفي بنى خَطَمَة راية مع أَبِي لُبَابَة بن عبد المُنْذِر ، وفي بنى أُمَيَّة راية مع
مُبَيْض - قال ابن حَيَّوَيْه : « نُبَيْض » في كتاب أَبِي حَيَّة ، فتركته أنا على
ما هناك « مُبَيْض » . وفي بنى ساعدة راية مع أَبِي أُسَيْد الساعدي ، وفي بنى
الحارث بن الخزرج راية مع عبد الله بن زيد ، وفي بنى سَلِمَة راية مع قُطَبَة
ابن عامر بن حَديدة ، وفي بنى مالك بن النَّجَّار راية مع عُمارة بن حَزَم ،
وفي بنى مازن راية مع سَلِيط . بن قيس ، وفي بنى دينار راية يحملها [١] .
وكان المهاجرون سبعمائة ، ومعهم من الخيل ثلثمائة فرس ؛ وكانت
الأنصار أربعة آلاف ، معهم من الخيل خمسمائة ؛ وكانت مُزِينَة ألفاً ،
فيها من الخيل مائة فرس ومائة دِرْع ، وفيها ثلاثة ألوية ؛ ولواء مع النُّعْمان بن
مُقَرَّن ، ولواء مع بلال بن الحارث ، ولواء مع عبد الله بن عمرو . وكانت أسلم
أربعمائة ، فيها ثلاثون فرساً ، ولواءان يحمل أحدهما بُرَيْدة بن الحُصَيْب
والآخر ناجية بن الأعجم . وكانت جُهَيْنَة ثمانمائة ، معها من الخيل
خمسون فرساً ، فيها أربعة ألوية ، ولواء مع سُؤَيْد بن صَخْر ، ولواء مع ابن
مَكِيث ، ولواء مع أَبِي زُرْعَة ، ولواء مع عبد الله بن بَدْر . وكانت بنو كعب

(١) بياض في الأصل .

ابن عمرو وخمسائة ، فيهم ثلاثة أُلوية ، لواءٌ مع بشر بن سُفْيَان ، ولواءٌ مع ابن شُرَيْح ، ولواءٌ مع عمرو بن سالم ، ولم يكن خرج معه من المدينة ، لقيه قومه بقدِيد .

قال : حدَّثني عتبة بن جَبيرة ، عن الحُصَيْن بن عبد الرحمن ، قال : لم يعقد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم الأُلوية والرايات حتى انتهى إلى قَدِيد ، ثم جعل رايات المهاجرين والأنصار على ما ذكرنا . وقال : كانت راية أشَجع مع عَوْف بن مالك . وخرج رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يوم الأربعاء لعشرٍ خَلَوْنَ من رمضان بعد العصر ، فما حلَّ عُقْدَةً حتى انتهى إلى الصُّلُصِل (١) . وخرج المسلمون وقادوا الخيل وامتطوا الإبل ، وكانوا عشرة آلاف . وقَدَّمَ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أمامه الزُّبَيْر بن العَوَّام ، في مائتين من المسلمين ، فلما كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بالبيداء - قال : فحدَّثني يحيى بن خالد بن دينار ، عن عبد الله بن عُمَيْر ، عن ابن عباس قال : وحدَّثني داود بن خالد ، عن المَقْبُرِيِّ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، قال - قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : إني لأَرَى السَّحَاب تستهلُّ بنصر بني كعب . وخرج رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من المدينة فنادى مُناديه : من أَحَبَّ أَنْ يصوم فليَصُمْ ، ومن أَحَبَّ أَنْ يُفطر فليُفطر ! وصام رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم .

قال : وحدَّثني مالك بن أَنَس ، عن سُمَيِّ مَوْلَى أَبِي بَكْر ، عن أَبِي بَكْر ابن عبد الرحمن بن الحارث ، عن رجل رأى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم

(١) صلصل : موضع على سبعة أميال من المدينة . (وفاء ابونا ، ج ٢ ، ص ٢٣٦) .

بالعَرَجِ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ مِنَ الْعَطَشِ .

.. قَالَ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حَكِيمٍ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : لَمَّا كُنَّا بِالْكَدِيدِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَاءً مِنْ مَاءٍ فِي يَدِهِ حَتَّى رَأَاهُ الْمُسْلِمُونَ : ثُمَّ أَفْطَرَ تِلْكَ السَّاعَةَ . وَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ قَوْمًا صَامُوا فَقَالَ : أَوْلَيْتُكُمْ الْغُصَاةَ ! وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّكُمْ مُصِيبٌ حَوْءٌ وَعِدْوٌ كُمْ ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ ! قَالَ ذَلِكَ بِمَرِّ الظُّهْرَانِ . فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَرَجَ ، وَالنَّاسُ لَا يَدْرُونَ أَيْنَ تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى قُرَيْشٍ ، أَوْ إِلَى هَوَازِنَ ، أَوْ إِلَى ثَقِيفٍ ! فَهَمُّ يُحِبُّونَ أَنْ يَعْلَمُوا ، فَجَلَسَ فِي أَصْحَابِهِ بِالْعَرَجِ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ ، فَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ : آتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْلَمُ لَكُمْ عِلْمَ وَجْهِهِ . فَجَاءَ كَعْبُ فَبَرَكَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ (١) :

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةٍ كُلِّ رَيْبٍ وَخَيَّرَ ثُمَّ أَجْمَعْنَا (٢) السُّيُوفَا
نُسَائِلُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُهُنَّ دُوسًا أَوْ ثَقِيفَا
فَلَسْتُ لِحَاضِرِهِ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنْهَا أَلُوفَا
فَمَنْتَزِعُ الْخِيَامِ بِبَطْنِ وَجٍّ (٣) وَنَتْرُكُ دُورَهُمْ مِنْهُمْ خُلُوفَا

أَنْشَدْنِيهَا أَيُّوبُ بْنُ النُّعْمَانِ ، عَنْ أَبِيهِ . قَالَ : فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ . فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ : وَاللَّهِ مَا بَيَّنَّ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ شَيْئًا ، مَا نَذَرِي مِنْ يُبْدَى بِقُرَيْشٍ أَوْ ثَقِيفٍ أَوْ هَوَازِنَ .

(١) ذكر ابن إسحاق أبيات كعب هذه في حديث الطائف . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ١٢١)

(٢) أجمنا : أرحنا . (شرح أبي ذر ، ص ٤٠٧) .

(٣) وَجٍّ : موضع بالطائف . (معجم ما استمع ، ص ٨٣٨) .

قال : حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُدَيْدٍ قِيلَ : هَلْ لَكَ فِي بَيْضِ النِّسَاءِ وَأَدَمِ الْإِبِلِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَهَا عَلَى بَيْضَةِ الرَّحِمِ وَوَكَّرَهُمْ فِي لَبَّاتٍ^(١) الْإِبِلِ .

قال : حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ مُوسَى ، عَنْ أَبِي الْخُوَيْرِثِ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمْ عَلَى بَيْرٍ الْوَالِدِ وَوَكَّرَهُمْ فِي لَبَّاتٍ^(٢) الْإِبِلِ .

قال : وَحَدَّثَنِي قُرْبَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَيْسَى بْنِ عُمَيْلَةَ الْفَزَارِيِّ ، قَالَ : كَانَ عُيَيْنَةُ فِي أَهْلِهِ بَنَجْدَ فَاتَاهُ الْخَبَرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ وَجْهًا ، وَقَدْ تَجَمَّعَتِ الْعَرَبُ إِلَيْهِ ، فَخَرَجَ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَيَجِدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ خَرَجَ قَبْلَهُ بِيَوْمَيْنِ ، فَسَلَّاهُ ، عَنْ رُكُوبِهِ فَسَبَقَ إِلَى الْعَرَجِ ، فَوَجَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعَرَجِ ، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَرَجَ أَتَاهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَلَّغْنِي خُرُوجَكَ وَمَنْ يَجْتَمِعُ إِلَيْكَ فَأَقْبَلْتُ سَرِيعًا وَلَمْ أَشْعُرْ فَأَجْمَعُ قَوْمِي فَيَكُونُ لَنَا جَلَبَةٌ كَثِيرَةٌ ، وَلَسْتُ أَرَى هَيَاةَ حَرْبٍ ، لَا أَرَى أَلْوِيَةً وَلَا رَايَاتٍ ! فَالْعَمْرَةَ تُرِيدُ ؟ فَلَا أَرَى هَيَاةَ الْإِحْرَامِ ! فَأَيْنَ وَجْهَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : حَيْثُ يَشَاءُ اللَّهُ . وَذَهَبَ وَسَارَ مَعَهُ ، وَوَجَدَ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ بِالسُّقْيَا ،

(١) فِي الْأَصْلِ : « لَبَاب » . وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : لَبَاتٌ جَمْعُ لَبَةٍ ، وَهِيَ الْهَيْزَةُ الَّتِي فَوْقَ الصَّدْرِ وَفِيهَا

تَنْحَرُ الْإِبِلُ . (النِّهَايَةُ ، ج ٤ ، ص ٤٤) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « لَبَاب » .

قد وافاها في عشرة نَفَرٍ من قومه ، فساروا معه ، فلمَّا نزل قُليد عقد الألوية وجعل الرايات . فلمَّا رأى عُيَيْنَةَ القبائل تأخذ الرايات والألوية عَصَّ على أنامله ، فقال أبو بكر : علامَ تندم ؟ قال : على قومي ألاَّ يكونوا نفروا مع محمَّد ، فأين يُريد محمَّد يا أبا بكر ؟ قال : حيث يشاء الله . فدخل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يومئذٍ مكة بين الأقرع وعُيَيْنَةَ .

قال : حدَّثني عبد الرحمن بن محمَّد ، عن عبد الله بن أبي بكر بن حَزَم ، قال : لمَّا سار رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من العُرج ، فكان فيما بين العُرج والطلُّوب^(١) ، نظر إلى كلبية تَهَرَّ على أولادها وهم حولها يرضعونها ، فأمر رجلًا من أصحابه يُقال له جُعيل بن سُراقَة أن يقوم حِذاءها ، لا يعرض لها أحدٌ من الجيش ولأولادها .

قال : حدَّثني مُعاذ بن محمَّد ، عن عبد الله بن سعد ، قال : لمَّا راح رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من العُرج تقدَّمت أمامه جريدة^(٢) من خيل طليعة ، تكون أمام المسلمين ، فلمَّا كانت بين العُرج والطلُّوب أتوا بعينٍ من هوازن إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فقالوا : يا رسول الله ، رأيناك حين طلعتنا عليه وهو على راحلته ، فتغيَّب عنا في وَهْدَةٍ^(٣) ، ثم جاء فأوفى على نَشَنٍ فقعد عليه ، فركضنا إليه فأراد يهْرُب مِنَّا ، وإذا بعيره قد عقله أسفل من النَشَن وهو يُغيِّبه ، فقلنا : ممن أنت ؟ قال : رجلٌ من بني غِفَار . فقلنا : هم أهل هذا البلد . فقلنا : من أيِّ بني غِفَار أنت ؟ فَعَبَّيْ^(٤) ولم

(١) الطلُّوب : ماء في الطريق بين المدينة ومكة . (معجم ما استعجم ، ص ٤٥٤) .

(٢) الجريدة من الخيل : هي التي جردت من معظم الخيل لوجه . (أساس البلاغة ، ص ١١٦) .

(٣) الوهدة : الأرض المنخفضة . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٣٤٧) .

(٤) في الأصل : « فعنى » . وعنى في منطقة ، من العى ، وهو خلاف البيان . (الصحاح ، ص ٢٤٤٣) .

ينفذ لنا نسباً ، فازددنا به ريباً وأسأنا به الظن : فقلنا : فأين أهلك ؟ قال : قريباً ! وأوماً بيده إلى ناحية . قلنا : على أى ماء : ومن معك هنالك ؟ فلم ينفذ لنا شيئاً ، فلما رأينا ما خلط . قلنا : لتصدقنا أو لنضربن عنقك ! قال : فإن صدقتكم ينفعني ذلك عندكم ؟ قلنا : نعم . قال : فإني رجلٌ من هَوازِن من بنى نَضَرَ ، بعثتني هَوازِن عينا . وقالوا : ائت المدينة حتى تلقى محمداً فتستخبر لنا ما يُريد في أمر حلفائه ، أيبعث إلى قُرَيْشٍ بعثاً أو يغزوهم بنفسه ، ولا نراه إلا يستغورهم ، فإن خرج سائراً أو بعث بعثاً فيسر معه حتى تنتهي إلى بطن سَرف ، فإن كان يُريدنا أولاً فيسلك^(١) في بطن سَرف حتى يخرج إلينا ، وإن كان يُريد قُرَيْشاً فسيلزم الطريق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأين هَوازِن ؟ قال : تركتهم ببَقعاء وقد جمعوا الجموع ، وأجلبوا في العرب ، وبعثوا إلى ثَقِيفٍ فأجابتهم ، فتركتُ ثَقِيفاً على ساقٍ قد جمعوا الجموع ، وبعثوا إلى الجَرَشِ^(٢) في عمل الدَّبَابَات والمنجنيق ، وهم سائرون إلى جَمْع هَوازِن فيكونون جَمْعاً . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وإلى من جعلوا أمرهم ؟ قال : إلى فتاهم مالك بن عَوف . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وكلّ هَوازِن قد أجاب إلى ما دعا إليه مالك ؟ قال : قد أبطأ من بنى عامر أهلُ الجَدِّ والجَلَد . قال : من ؟ قال : كعبٌ وكِلَابٌ . قال : ما فعلت هِلَال ؟ قال : ما أقلّ من ضَوى^(٣) إليه منهم ، وقد مررت بقومك أميس بمكة وقد قدم عليهم أبو سُفْيَان بن حرب فرأيتهم ساخطين لِمَا جاء به ، وهم خائفون وجِلون .

(١) في الأصل : « فاسلك » .

(٢) الجَرَش : من مخاليف اليمن من جهة مكة . (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٤) .

(٣) ضوى إليه : أوى إليه . (الصحاح ، ص ٢٤١٠) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَسْبُنَا اللهُ ونعم الوكيل ، ما أراه إِلَّا صدَقَنِي ! قال الرجل : فلينفعنِي ذلك ؟ فَأَمَرَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد أَنْ يَحْبِسَهُ ، وخافوا أَنْ يَتَقَدَّمَ وَيُحَذِّرَ النَّاسَ ، فَلَمَّا نَزَلَ الْعَسْكَرَ مَرَّ الظَّهْرَانِ أَفْلَتَ الرَّجُلُ ، فَطَلَبَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَخَذَهُ عِنْدَ الْأَرَاكِ (١) ، وقال : لَوْلَا وَلِيْتُ عَهْدًا لَكَ لَضَرَبْتُ عَنْقَكَ ، وَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَمَرَ به يُحْبَسَ حَتَّى يَدْخُلَ مَكَّةَ ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَكَّةَ وَفَتَحَهَا أُتِيَ به إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ ، ثُمَّ خَرَجَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى هَوَازِنَ فَقُتِلَ بِأَوْطَاسَ (٢) .

قال : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ قَمَادِينَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ . وَغَيْرِهِ ، قَالَ [كَانَ] أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَخَا رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الرِّضَاعَةِ ، أَرْضَعَتْهُ حَلِيمَةُ أَيَّامًا ، وَكَانَ يَأْتِلُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَكَانَ لَهُ تَرْبَا ، فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَادَاهُ عَدَاوَةٌ لَمْ يُعَادِ أَحَدٌ قَطُّ . وَلَمْ يَكُنْ دَخَلَ الشُّعْبَ ، وَهَجَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَهَجَا أَصْحَابَهُ ، وَهَجَا حَسَّانَ فَقَالَ :

أَلَا مُبْلَغُ حَسَّانَ عَنِّي رِسَالَةٌ فَخِلْتُكَ مِنْ شَرِّ الرِّجَالِ الصُّعَالِكِ
أَبُوكَ أَبُو سُوءٍ وَخَالَكَ مِثْلُهُ فَلَسْتَ بِخَيْرٍ مِنْ أَبِيكَ وَخَالَكَ

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ لِحَسَّانَ : اهْجُهِ ! قَالَ : لَا أَفْعَلُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : كَيْفَ آذَنُ لَكَ فِي ابْنِ عَمَّتِي أَخِي أَبِي ؟ قَالَ : أَسْأَلُكَ مِنْهُ كَمَا تُسَلِّ الشُّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ .

(١) الْأَرَاكِ : مَوْضِعٌ بِعُفَّةٍ . (مَعْجَمٌ مَا اسْتَعْجَمَ ، ص ٨٦) .

(٢) أَوْطَاسَ : وَادٍ فِي دِيَارِ هَوَازِنَ ، وَفِيهِ كَانَتْ وَقْعَةُ حَنْزَلٍ . (مَعْجَمٌ مَا اسْتَعْجَمَ ، ص ١٣١) .

فقال حسّان شعراً ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن يُذاكر أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعض ذلك ، فذاكره . قال : فمكث أبو سفيان عشرين سنة^(١) عدواً لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ، يهجو المسلمين ويهجوونه ، ولا يتخلف عن موضعٍ تسيّر فيه قُرَيْشٌ لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ثم إنَّ الله ألقى في قلبه الإسلام . قال أبو سفيان ، فقلت : مَنْ أَصْحَبُ وَمَعَ مَنْ أَكُونُ ؟ قد ضرب الإسلامُ بِجِرَانِهِ^(٢) ! فجنّث زوجتي وولدي ، فقلت : تهيّأوا للخروج فقد أظَلَّ قدومُ محمّدٍ عليكم . قالوا : قد آن لك تُبْصِرَ أَنَّ العرب والعجم قد تبعّت محمّداً وأنّت مُوضِعُ في عداوته ، وكنتِ أولى الناس بنصره ! فقلت لغلامي مذكور : عَجِّلْ بِأَبْعَرَةٍ وَفَرَسٍ . قال : ثم سرنا حتى نزلنا الأبواءَ ، وقد نزلت مُقَدِّمَتُهُ الأبواءَ ، فتنكّرتُ وخفتُ أن أُقْتَلَ ، وكان قد هدّر دمي ؛ فخرجت . وأجدُ ابني جَعْفَرَ على قدمي نحواً من ميل ، في الغداة التي صَبَّحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم فيها الأبواءَ ، فأقبل الناس رَسَلاً رَسَلاً^(٣) ، فتنحّيتُ فَرَقاً من أصحابه ؛ فلماً طلع مَرَكِبُهُ تصدّيت له تِلْقَاءَ وَجْهِهِ ، فلماً ملأَ عَيْنِيهِ مَنِيٌّ أَعْرَضَ عَنِّي بِوَجْهِهِ إِلَى الناحية الأُخْرَى ، فتحوّلتُ إلى ناحية وجهه الأُخْرَى ، وأعرضَ عَنِّي مراراً ، فَأَخْلَنِي مَا قُرْبُ وَمَا بَعْدُ ، وقلت : أَنَا مَقْتُولٌ قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَيْهِ . وَأَتَذَكَّرُ بِرَّهِ وَرَحْمَتِهِ وَقِرَابَتِي فَيُتَمَسِّكُ ذَلِكَ مِنِّي ، وقد كنتُ لَا أَشْكُ أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم وأصحابه سيفرحون بِإِسْلَامِي فِرْحَانًا شَدِيدًا ؛ لِقِرَابَتِي^(٤) [من] رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فلماً رأى المسلمون إِعْرَاضَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم عَنِّي

(١) هكذا في الأصل .

(٢) ضرب الإسلام بِجِرَانِهِ : قر فراره واستقام . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٥٨) .

(٣) رسلا : آبي فرّوا . (البداية ، ج ٢ ، ص ٨٠) .

(٤) في الأصل . « وقرابتي » .

أعرضوا عني جميعاً ، فلقيني ابن أبي قحافة مُعْرِضاً ، ونظرتُ إلى عمر ويُغري بن رجلاً من الأنصار ، فَأَلَزَّ^(١) بي رجلٌ يقول : يا عدو الله ، أنت الذي كنت تُؤذِي رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وتُؤذِي أصحابه ، قد بلغت مشارق الأرض ومغاربها في عداوته ! فرددتُ بعض الرد عن نفسي ، فاستطال عليّ ، ورفع صوته حتى جعلني في مثل الحرَجَة^(٢) من الناس يُسرّون بما يفعل بي . قال : فدخلت على عمي العباس فقلت : يا عباس ، قد كنت أرجو أن سيفرح رسول الله بإسلامي لقربتي وشرفي ، وقد كان منه ما كان رأيت ، فكلمته ليرضى عني ! قال : لا والله ، لا أكلمه كلمةً فيك أبداً بعد الذي رأيتُ منه إلا أن أرى وجهاً ، إني أُجلُّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وأهابه . فقلتُ : يا عمي إلى من تكلمني ؟ قال : هو ذاك . قال : فلقيت علياً رحمة الله عليه فكلمته فقال لي مثل ذلك ، فرجعت إلى العباس فقلت : يا عم فكُفَّ عني الرجل الذي يشتمني . قال : صفه لي . فقلت : هو رجلٌ آدم^(٣) شديد الأذّة ، قصير ، دَحْدَاح^(٤) ، بين عينيه شَجَّة . قال : ذاك نُعمان بن الحارث النَجَّارُ . فأرسل إليه ، فقال : يا نُعمان ، إنَّ أبا سُفيان ابن عم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وابن أخي ، وإن يكن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ساخطاً فسيرضى ، فكُفَّ عنه ، فبعد لأيٍ ما كف . وقال : لا أعرض عنه : قال أبو سُفيان : فخرجتُ فجلست على باب منزل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم حتى خرج إلى الجُحْفَة ، وهو لا يكلمني ولا أحد من المسلمين .

(١) ألز به : لصق به . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٩٠) .
(٢) في الأصل : « الحجر » . ولعل الصواب ما أثبتناه . والحرجة : الشجر الملتف . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢١٣) .
(٣) آدم من الناس : الأسر . (الصحاح ، ص ١٨٥٩) .
(٤) دحداح : قصير . (الصحاح ، ص ٣٦١) .

وجعلتُ لا ينزل منزلاً إلّا أنا على بابهِ ومعى ابني جعفر قائم ، فلا يراى إلّا أعرض عنى ، فخرجت على هذه الحال حتى شهدت معه فتح مكة وأنا على حيلة تلازمه حتى هبط من أذاخير^(١) حتى نزل الأبطح^(٢) ، فدنوتُ من باب قُبته فنظر إلى نظراً هو ألين من ذلك النظر الأول ، قد رجوت أن يتبسّم ، ودخل عليه نساء بني المطلب ، ودخلتُ معهنّ زوجتى فرَّقته علىّ. وخرج إلى المسجد وأنا بين يديه لا أفارقه على حالٍ حتى خرج إلى هوازن ، فخرجت معه ، وقد جمعت العربُ جَمْعاً لم يُجمع مثله قط . وخرجوا بالنساء والذرية والماشية ، فلما لقيتهم قلت : اليوم يُرى أثرى إن شاء الله : ولما لقيتهم حملوا الحملة^(٣) التي ذكر الله : ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾^(٤) . وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بَعْلته الشهباء وجرّد سيفه ، فأقّتحُم عن فرسى وبيدى السيف صلتاً ، قد كسرت جَفنه ، والله أعلم أنى أريد الموت دونه وهو ينظر إلىّ ، فأخذ العباس بن عبد المطلب بِلِجام البَعلة ، فأخذتُ بالجانب الآخر ، فقال : مَنْ هذا ؟ فذهبتُ أكشفُ المُعتمر ، فقال العباس : يا رسول الله ، أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث ! فارَض عنه ، أى رسول الله ! قال : قد فعلتُ ، فغفر الله كلَّ عداوةٍ عادانيها ! فأقبلَ رجله فى الرُّكاب ، ثم التفت إلىّ فقال : أخى لعمري ! ثم أمر العباس فقال : نادِ يا أصحاب البَقرة^(٥) ! يا أصحاب السُّمرة^(٦) ! يا لِمهاجرين ! يا لِلأنصار

(١) أذاخير : ثنية بين مكة والمدينة . (معجم ما استعجم . ص ٨٤) .

(٢) الأبطح : البطحاء ، أى وادى مكة . (معجم ما استعجم ، ص ٦٥) .

(٣) أى غزوة حنين . انظر تفسير الطبرى . (ج ٤ ، ص ١٧٨) .

(٤) سورة ٩ التوبة ٢٥ .

(٥) أى سورة البقرة .

(٦) السمرة : هى الشجرة التى كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية .

يا لَمَخْزِرَج ! فَأَجَابُوا : لَبَّيْكَ دَاعِيَ اللَّهِ ! وكروا كرة رجلٍ واحدٍ ، قد حَطَّمُوا الْجُفُونَ ، وشرعوا الرماح ، وخفضوا عوالي الأَمَنَّة ، وأرقلوا إِرْقَالَ الفحول ؛ فرَأَيْتَنِي وَإِنِّي لَأَخَافُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، شروع رماحهم حتى أَحَدَقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تقدم فضارب القوم ! فحملتُ حَمَلَةً أَزَلْتُهُمْ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ ، وتبعني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُدُمًا فِي نَحْوِ الْقَوْمِ ، مَا نَالُوا مَا تَقَدَّمَ ، فما قامت لهم قائمة حتى طَرَدْتُهُمْ قَدَرًا فَرَسَخَ ، وتفرَّقوا في كُلِّ وَجْهٍ ، وبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَى الطَّلَبِ ، فبعث خالد بن الوليد على وَجْهِهِ . وبعث عمرو بن العاص في وَجْهِهِ ، وبعث أبا عامر الْأَشْعَرِيَّ إِلَى عَسْكَرِ بَأَوْطَاسَ فُقُتِلَ ، وقُتِلَ أَبُو مُوسَى قَاتِلَهُ (١) .

قال أبو عبد الله : وقد سمعت في إِسْلَامِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ وَجْهًا آخَرَ ، قال : لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بَنِيكَ الْعُقَابِ (٢) ، فطلبنا الدخول على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَبَى يُدْخِلُهُمَا عَلَيهِ ، فَكَلَّمْتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجَتَهُ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ . صِبْهُكَ وَابْنَ عَمَّتِكَ وَابْنَ عَمِّكَ وَأَخَوَكَ مِنَ الرِّضَاعَةِ ! وقد جاء الله بهما مُسْلِمَيْنِ ، لَا يَكُونَانِ أَشَقَى النَّاسِ بِكَ . فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا جَاجَةَ لِي بِهِمَا ؛ أَمَّا أَخِي فَالْقَاتِلُ لِي بِمَكَّةَ مَا قَالَ ؛ لَنْ يَؤْمِنَ لِي حَتَّى أَرُقَ فِي السَّمَاءِ ! وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَوْ يَكُونْ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرِيقِكَ حَتَّى تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ ۖ ﴾ (٣) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ . فقالت :

(١) فِي الْأَصْلِ : « فُقُتِلَ أَبُو مُوسَى قَاتِلَهُ » . انظر الاستيعاب . (ص ١٧٠٤) .

(٢) نَبِيُّ الْعُقَابِ . مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ . (معجم ما استعجم ، ص ٥٩٥) .

(٣) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ٩٣

يا رسول الله ، إنما هو من قومك ما هو ، وقد تكلم وكَلَّ قُرَيْشٍ قد تكلم ونزل القرآن فيه بعينه ، وقد عَفَوْتَ عَمَّنْ هو أعظم جُزْأً منه ؛ وابن عمك بقرابته بك ، وأنت أحقَّ الناس عفوًا عن جُرمِهِ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو الذى هَتَكَ عِرْضِي ، فلا حاجة لى بهما ! فلمَّا خرج إليهما الخبر قال أبو سُفْيَان بن الحارث ، ومعه ابنه : والله ، لَيَقْبِلُنِي أو لَأَخْذَت بيد ابني هذا فَالَاذْهَبَنَّ في الأرض حتى أَهْلِكَ عطشًا وجوعًا ، وأنت أحلم الناس وأكرم الناس مع رحمتي بك . فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالتهُ فَرَقَّ له .

وقال عبد الله بن أُمَيَّة : إنما جِئْتُ لأُصَدِّقَكَ ، ولِى من القرابة ما لى والصَّهر بك . وجعلت أُم سلمة تُكَلِّمُهُ فيهما ، فَرَقَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما فَأَذَّنَ لهما ودخلا ، فَأَسْلَمَا وكانا جميعًا حَسَنَى الإسلام ؛ قُبِلَ عبد الله ابن أَبِي أُمَيَّة بالطائف ، ومات أبو سُفْيَان بن الحارث بالمدينة في خلافة عمر لم يُغَمَّصْ^(١) عليه في شَيْءٍ ، وكان أَهْدَر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه قبل أن يلقاه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأَبِي سُفْيَان بن الحارث يوم نِيَقَ الْعُقَاب : أنت الذى تقول : « طَرَدَتْنِي كُلَّ مَطَرَدٍ »^(٢) بل الله طردك كلَّ مَطَرَدٍ . قال أبو سُفْيَان : يا رسول الله ، هذا قول قلتهُ بِجَهَالَةٍ وَأَنْتَ أَوْلَى الناس بالعفو والحِلْم . وأما قوله : « وَأَدْعَى وَإِنْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدٍ »^(٣) فإنه هَرَب وقدم على قيصر ملك الروم ، فقال : ممن أنت ؟ فانتسب له أبو سُفْيَان ابن الحارث ابن عبد المطلب . قال قيصر : أنت ابن عمِّ محمد إن كنتَ صادقًا ، مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب ؟ قال : قلت : نعم ، أنا ابن

(١) في الأصل : « يَغْمَضُ » بالضماد المعجمة . وانظر النهاية . (ج ٣ ، ص ١٧١) .

(٢) انظر الزرقاني . (شرح على المذاهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٦٠) .

(٣) ذكر ابن اسحق هذه الأبيات . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٤٣) .

عمه . فقلت : لا أراى عند ملك الروم وقد هربت من الإسلام ، لا أعرف إلا بمحمد ! فدخلنى الإسلام وعرفتُ أنَّ ما كنت فيه باطلٌ من الشرك ، ولكنَّا كنَّا مع قومٍ أهل عُقولٍ باسقة^(١) ، وأرى فاضل الناس يعيش فى عقولهم ورأيهم ، فسلكوا فجًّا فسلكناه . ولمَّا جعل أهل الشرف والسِّن يقتحمون عن محمد ، وينصرون آلهتهم ، ويغضبون لآبائهم ، فاتبعناهم . ولقيه العباس بن عبد المطلب ومخرمة بن نوفل بالسُّقيا ، فدخل عليه العباس فلم يخرج حتى راح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ينزل معه فى كلِّ منزلٍ حتى دخل مكة . ولمَّا كانت الليلة التى نزل فيها بالجُحفة ، رأى أبو بكر الصديق رضى الله عنه أنَّ النَّبىَّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما دنوا من مكة ، خرجت عليهم كلبَةٌ تهرِّ ، فلما دنوا منها استلقت على ظهرها ، وإذا أطباؤها^(٢) تشخبُّ لبنًا . فذكرها أبو بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذهب كذبهم^(٣) وأقبل درهم ! سائلوكم بأرحامكم ، وأنتم لا قون بعضهم ، فإن لقيم أبى سفيان^(٤) فلا تقتلوه .

ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قُدَيْدًا لقيته سَلِيم ، وذلك أنَّهم نفروا من بلادهم فلقوه ، وهم تسعمائة على الخيول جميعًا ، مع كلِّ رَجُلٍ رمحه وسلاحه ، وقدم معهم الرسولان اللذان كان أرسلهما رسول الله صلى الله

(١) الباسق : المرتفع فى علوه . (النهاية ، ج ١ ، ص ٧٩) .

(٢) الأطباء : جمع طبي بالكسر والضم ، وهو حلقات الضرع التى من خف وظلف وحافر وسبع .

(القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٣٦) .

(٣) الكلب : داء يمرض للإنسان من عض الكلب الكلب [بكسر اللام] فيصبيه شبه الجنون .

(النهاية ، ج ٤ ، ص ٣٠) .

(٤) أى أبو سفيان بن الحارث .

عليه وسلّم إليهم ، فذكروا أنهم أسرعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم حيث نزلوا عليهم ، وحشدوا - ويُقال إنهم ألف - فقالت سُليمان : يا رسول الله ، إنك تُقصينا وتستغشينا ونحن أحوالك - أمّ هاشم بن عبد مناف عاتكة بنت مُرة بن هلال بن فالح بن ذكوان من بني سُليمان - فقدّمنا يا رسول الله حتى تنظر كيف بلاؤنا ، فإننا صُبِرُّ عند الحرب صُدُقٌ عند اللقاء ، فُرسانٌ على متون الخيل . قال : ومعهم لواءان وخمسة رايات ، والرايات سودٌ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : سيروا ! فجعلهم مُقدّمته ، وكان خالد بن الوليد على مُقدّمة النبیّ صلى الله عليه وآله وسلّم حين لقيته بنو سُليمان بقديد ، حتى نزلوا مر الظهران وبنو سُليمان معه .

قال : حدّثنی شُعيب بن طَلْحَة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن أبيه ، قال : خرجت بنو سُليمان تسعمائة على الخيول : والقنا والدروع الظاهرة ، قد طَوَّوْا ألويتهم وراياتهم ، وليس معهم لواء ولا راية معقودة ، فقالوا : يا رسول الله ، اعقِدْ لنا وَضْعَ رايتنا حيث رأيت . فقال : يحمل رايتكم اليوم مَنْ كان يحملها في الجاهلية ! ما فعل فتى كان قدم مع وفدكم عليّ ، حَسَنَ الوجه ، جيّد اللسان ؟ قالوا : توفّى (١) حديثاً .

قال : حدّثنی عِكْرِمَة بن فَرْوْخ ، عن مُعاوية بن جَاهِمَة بن عَبَّاس بن مُرداس السُّلَميّ ، قال : قال عَبَّاس : لقيته وهو يسير حتى هبط من المُشَلَّل في آلة الحرب ، والحديد ظاهرٌ علينا ، والخيول تُنازعنا الأعنة ، فصصفنا لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وإلى جنبه أبو بكر وعمر ، فنأى عَيْنَةً من خلفه فقال : أنا عَيْنَةٌ (٢) ! هذه بنو سُليمان ، قد حضرت بما ترى من العدة

(١) في الأصل : « توفى » .

(٢) في الأصل : « ياعينة » ؛ وما أثبتناه أكثر تمثيلاً مع السياق .

والعدد والسلاح : وإنَّهم لأَحْلَاسٌ^(١) الخيل ، ورجال الحرب ، ورُعاة الحَدَقِ^(٢) . فقال العباس بن مرداس : أَقْصِرْ أَيُّهَا الرَّجُلُ ! وَاللَّهِ إِنَّكَ لتعلم لنحن أَفْرَسَ على متون الخيل ، وَأَطْعَنَ بالقَنَا ، وَأَضْرَبَ بِالمَشْرِفِيَّةِ^(٣) منك ومن قومك . فقال عُيَيْنَةُ : كَذَبْتَ وَلُوْمَتَ^(٤) ! لَنَحْنُ أَوَّلَى بِمَا ذَكَرْتَ منك ، قد عرفته لنا العربُ قَاطِبَةً . فَأَوْمَأَ إِلَيْهِمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده حتى سَكْنَا .

واجتمع المسلمون بِمَرِّ الظَّهْرَانِ ، ولم يَبْلُغْ قُرَيْشًا حَرْفٌ واحدٌ من مسير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ . فقد اغْتَمَوْا وهم يخافون يَغْزُوهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فلما نزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ الظَّهْرَانِ عِشَاءً ، أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يُوقِدُوا النيران ، فَأَوْقَدُوا عشرة آلاف نار ، فَأَجْمَعَتْ قُرَيْشٌ بَعْثَةَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ يَتَحَسَّبُ الْأَخْبَارَ ، وقالوا : إِنْ لَقِيتَ مُحَمَّدًا فَخُذْ لَنَا مِنْهُ جِوَارًا إِلَّا أَنْ تَرَى رِقَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَذْنَهُ^(٥) بالحرب . فخرج أَبُو سُفْيَانَ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، فلقيا بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ فاستتبعا فخرج معهما ، فلما بلغوا الْأَرَاكَ مِنْ مَرِّ الظَّهْرَانِ رَأَوْا الْأَبْنِيَّةَ والعسكر والنيران ، وسمعوا صهيل الخيل ورُغَاءَ الْإِبِلِ ، فَأَفْزَعَهُمْ ذَلِكَ فزَعًا شَدِيدًا وقالوا : هُوَلَاءُ بَنُو كَعْبٍ حَاشَتْهَا^(٦) الحرب ! فقال بُدَيْلُ : هُوَلَاءُ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي كَعْبٍ ! قالوا : فَتَنَجَّعَتْ^(٧) هَوَازِنُ عَلَى أَرْضِنَا ! وَاللَّهِ مَا نَعْرِفُ هَذَا ! إِنَّ هَذَا الْعَسْكَرَ مِثْلُ حَاجِّ النَّاسِ !

(١) الأحلاس : جمع جلس ، وهو الكساء الذى يلى ظهر البعير تحت القتب . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٤٩) . ويريد : لزومهم لظهور الخيل .

(٢) الحدق : جمع حذقة وهى سواد العين . (الصحيح ، ص ١٤٥) . والمعنى هنا : أنهم يصيبون العين إذا رموا .

(٣) السيوف المشرفية : تنسب إلى مشارف الشام . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ١٥٨) .

(٤) فى الأصل : « فلمت » .

(٥) فى الأصل : « فيؤذونه » .

(٦) فى الأصل : « جاشتها » . وجاشتها الحرب : جمعتها وساقتها . (الصحيح ، ص ١٠٠٣) .

(٧) التنجع والانتجاع : طلب الكلاء وساقط الغيث . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٣٨) .

قالوا : وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحرس عمر بن الخطاب . وقد ركب العباس بن عبد المطلب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم . الدُّلْدُل ، عسى أن يُصيب رسولاً إلى قُرَيْش يُخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم داخلٌ عليهم مع عشرة آلاف ، فسمع صوت أبي سُفيان فقال : أبا حَنْظَلَة ! فقال أبو سُفيان : يا لَبِيك . أبو الفضل ! قال العباس : نعم ! قال أبو سُفيان : فما وراءك ؟ قال العباس : هذا رسول الله في عشرة آلاف من المسلمين ، فَأَسْلِمَ ، ثَكَلْتِكَ أُمُّكَ وعشيرتك ! ثم أقبل على حكيم بن حزام وبُذَيْل بن ورقاء فقال : أَسْلِمَا . فإني لكما جارٌ حتى تنتهوا إلى رسول الله ، فإني أَخَشَى أَنْ تُقَتِّطَعُوا دون النَبِيِّ صلى الله عليه وسلم ! قالوا : فنحن معك . قال : فخرج بهم العباس ^{فَخَفَى} أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل عليه فقال : يا رسول الله ، أبو سُفيان ، وحكيم بن حزام ، وبُذَيْل بن ورقاء . قد أَجَرْتُهُمْ وهم يدخلون عليك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَدْخِلْهُمْ . فدخلوا عليه ، فمكثوا عنده عامّة الليل يستخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الإسلام ، وقال : تشهدون أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ! فَأَمَّا حكيم وبُذَيْل فشهدا ، وأما أبو سُفيان فشهد أن لا إله إلا الله ، فلما قال « وأنى رسول الله » قال : والله يا محمد ، إنَّ في النفس من هذا لشيئاً يسيراً بَعْدُ ، فَأَرْجِئْهَا . ثم قال للعباس : قد أَجَرْنَاهُمْ ، اذهبُ بهم إلى منزلِك . فلما أَذَّن الصبح أَذَّن العسكر كلَّهم ، ففزع أبو سُفيان من أَذَانِهِمْ وقال : ما يصنعون ؟ قال العباس : فقلت . الصلاة . قال أبو سُفيان : كم يُصَلُّون في اليوم والليلة ؟ قال : العباس : يُصَلُّون خمس صلوات . قال أبو سُفيان : كثيرٌ والله ! قال : ثم

رَأَهُمْ يَبْتَهِدُونَ وَصَوَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ يَا أَبَا الْفَضْلِ
مُلْكًا هَكَذَا قَطُّ . ، لَا مُلْكَ كَسَرَى ، وَلَا مُلْكَ بَنِي الْأَصْفَرِ ! فَقَالَ الْعَبَّاسُ :
وَيَحْكُ ، آمِنْ ! قَالَ : أَذْخِلْنِي عَلَيْهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ ! فَأَدْخَلَهُ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ وَقَالَ :
يَا مُحَمَّدُ اسْتَنْصَرْتُ إِلَهِي وَاسْتَنْصَرْتُ إِلَهَكَ ، فَلَا وَاللَّهِ مَا لَقَيْتُكَ مِنْ
مَرَّةٍ إِلَّا ظَفِرْتَ عَلَيَّ ، فَلَوْ كَانَ إِلَهِي مُحِقًّا وَإِلَهَكَ مُبْطِلًا غَلَبْتُكَ ! فَتَشْهَدُ
أَبُوسُفْيَانُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانٍ : يَا مُحَمَّدُ ، جِئْتَ بِأَوْبَاشٍ (١)
النَّاسُ ، مَنْ يُعْرِفُ وَمَنْ لَا يُعْرِفُ ، إِلَى عَشِيرَتِكَ وَأَصْلِكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْتَ أَظْلَمُ وَأَفْجَرُ ، غَدَرْتُمْ بَعْدَ الْحُدُوبِ وَظَاهَرْتُمْ عَلَيَّ بَنِي
كَعْبٍ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ فِي حَرَمِ اللَّهِ وَأَمْنِهِ ! فَقَالَ أَبُو سُفْيَانٍ : وَحَيْكُمُ (٢)
يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لَوْ كُنْتَ جَعَلْتَ حِدَّتَكَ وَمَكِيدَتَكَ بِهَوَازِنَ ، فَهَمَّ أَبْعَدَ رَحِمًا
وَأَشَدَّ لَكَ عَدَاوَةً ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي لَأَرْجُو مِنْ رَبِّي
أَنْ يَجْمَعَ ذَلِكَ لِي كُلَّهُ بِفَتْحِ مَكَّةَ ، وَإِعْزَازِ الْإِسْلَامِ بِهَا ، وَهَزِيمَةِ هَوَازِنَ !
وَأَنْ يُغْنِمَنِي اللَّهُ أَمْوَالَهُمْ وَذُرَارِيَهُمْ ، فَإِنِّي رَاغِبٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ !

قَالَ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ يَعْقُوبَ بْنَ عُثْبَةَ
يُخْبِرُ عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَرِّ الظُّهْرَانِ ، قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ : وَاصْبَحَ
قُرَيْشٌ ! وَاللَّهِ لَئِنْ دَخَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْوَةً إِنَّهُ لَهْلَاكُ قُرَيْشٍ
آخِرَ الدَّهْرِ . قَالَ : فَتَأَخَذْتُ بِغَلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّهْبَاءَ
فَرَكِبْتُهَا ، وَقُلْتُ : أَلْتَمَسُ إِنْسَانًا أَبْعَثُهُ إِلَى قُرَيْشٍ ؛ فَيَلْقَوْنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنْوَةً . قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَنِي الْأَرَاكَ أَبْتَغِي

(١) الْأَوْبَاشُ مِنَ النَّاسِ : الْأَخْلَاطُ . (الصَّحَاحُ ، ص ١٠٢٥) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَحَيْكُمُ » ؛ وَلَعَلَّ مَا أَثْبَتَاهُ أَقْرَبُ الْإِحْتِمَالَاتِ .

إنساناً إذ سمعت كلاماً يقول: والله إن رأيت كالليلة من^(١) النيران. قال: يقول بُدَيْل بن وَرْقَاء: هذه والله خُزَاعَة حاشتها الحرب! قال أبو سُفْيَان: خُزَاعَة أَقْلٌ وَأَذَلٌّ من أن تكون هذه نيرانهم وعسكرهم. قال: وإذا بآبِ سُفْيَان فقلت: أبا حَنْظَلَةَ! فقال: يا لَبِيك، أبا الفضل - وعرف صوتي - مالك، فذاك أبي وأُمِّي؟ فقلت: ويلك، هذا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في عشرة آلاف. فقال: بآبِ وأُمِّي! ما تأمرني، هل من حيلة؟ قلت: نعم، تركب عَجْز هذه البغلة فأذهبُ بك إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم، فإنه والله إن ظُفِر بك دون رسول الله، لتُقْتَلَنَّ. قال أبو سُفْيَان: وأنا والله أرى ذلك. قال: ورجع بُدَيْل وحكيم، ثم ركب خلفي، ثم وجهتُ به، كلما مررت بنارٍ من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوني قالوا: عمُّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما رآني قام فقال: من هذا؟ فقلت: العباس. قال: فذهب ينظر، فرأى أبا سُفْيَان خلفي فقال: أبو سُفْيَان، عدو الله! الحمد لله الذي أمكن منك بلا عَهْدٍ ولا عَقْدٍ! ثم خرج نحو رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يشدد، وركضتُ البغلة حتى اجتمعنا جميعاً على باب قُبَّة النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم. قال: فدخلت على النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم ودخل عمر على إدرى، فقال عمر: يا رسول الله، هذا أبو سُفْيَان عدو الله، قد أمكن الله منه بلا عَهْدٍ ولا عَقْدٍ، فدعني أضرب عنقه. قال: قلت: يا رسول الله إني قد أجرتُه! قال: ثم التزمتُ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فقلت: والله لا يُنَاجِ، الليلة أحدٌ غيري - أو دوني. فلما أكثر عمر فيه قلت: مهلاً، يا عمر! فإنه لو كان رجلٌ من بني عَدِيّ بن كعب ما قلت هذا، ولكنه أحد بني عبد مناف. فقال عمر: مهلاً، يا أبا الفضل! فوالله لا سلامك كان

(١) في الأصل: «في النيران».

أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ رَجُلٍ مِنْ آلِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اذْهَبْ بِهِ ، فَقَدْ أَجْرَتْهُ لَكَ فَلْيَبِيتْ عِنْدَكَ حَتَّى تَغْدُو بِهِ عَلَيْنَا إِذَا أَصْبَحْتَ . فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ بِهِ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : وَيَحْكُ ، يَا أَبَا سُفْيَانَ ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ قَالَ : بَأْبِي أَنْتَ ، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَعْظَمَ عَفْوَكَ ! قَدْ كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا بَعْدُ . قَالَ : يَا أَبَا سُفْيَانَ ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَأْبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَعْظَمَ عَفْوَكَ ! أَمَّا هَذِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنَّ فِي النَّفْسِ مِنْهَا لَشَيْئًا بَعْدُ . فَقَالَ الْعَبَّاسُ : فَقُلْتُ : وَيَحْكُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قَبْلَ - وَاللَّهِ - أَنْ تُقْتَلَ ! فَقَالَ : فَشَهِدْ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . فَقَالَ الْعَبَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ عَرَفْتَ أَبَا سُفْيَانَ وَحِبَّهُ الشَّرَفَ وَالْفَخْرَ ، اجْعَلْ لَهُ شَيْئًا ! قَالَ : نَعَمْ ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ بَعْدَ مَا خَرَجَ : احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي إِلَى خَطْمِ^(١) الْجَبَلِ حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللَّهِ فَيَرَاهَا . قَالَ الْعَبَّاسُ : فَعَدَلْتُ بِهِ فِي مَضِيقِ الْوَادِي إِلَى خَطْمِ الْجَبَلِ ، فَلَمَّا حَبَسْتُ أَبَا سُفْيَانَ قَالَ : غَدْرًا بَنِي هَاشِمٍ ؟ فَقَالَ الْعَبَّاسُ : إِنَّ أَهْلَ النَّبُوءَةِ لَا يَغْدِرُونَ ، وَلَكِنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ . فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : فَهَلَّا بَدَأْتَ بِهَا أَوَّلًا ! فَقُلْتُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ فَكَانَ أَفْرَحَ لِرَوْعِي . قَالَ الْعَبَّاسُ : لَمْ أَكُنْ أَرَاكَ تَذْهَبُ هَذَا الْمَذْهَبَ . وَعَبَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ ، وَمَرَّتِ الْقِبَائِلُ عَلَى قَادَتِهَا وَالْكَتَائِبُ عَلَى رَايَاتِهَا ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) خطم الجبل : أنفه . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٢٦٣) .

خالد بن الوليد في بني سليم ، وهم ألف ، فيهم لواء يحملهم عباس بن مرداس
السلمي ، ولواء يحملهم خفاف^(١) بن نُدْبَة ، وراية يحملها [الحجاج بن
علاط]^(٢) .

قال أبو سفيان : مَنْ هؤلاء ؟ قال العباس : خالد بن الوليد . قال :
الغلام ؟ قال : نعم . فلما حاذى خالد العباس ، وإلى جنبه أبو سفيان ،
كبر ثلاثاً ، ثم مضوا . ثم مرّ على إثره الزبير بن العوام في خمسمائة - منهم
مهاجرون وأفناء^(٣) العرب - ومعه راية سوداء ، فلما حاذى أبا سفيان كبر
ثلاثاً وكبر أصحابه ، فقال : مَنْ هذا ؟ قال : الزبير بن العوام . قال :
ابن أختك ؟ قال : نعم . ومرّ بنو غفار في ثلاثمائة ، يحمل رايتهم أبو ذرّ
الغفاري - ويُقال إيماء بن رَحْضَة - فلما حاذوه كبروا ثلاثاً . قال :
يا أبا الفضل ، مَنْ هؤلاء ؟ قال : بنو غفار . قال : مالي ووليتي غفار ! ثم
مضت أسلم في أربعمائة ، فيها لواءان يحمل أحدهما بُريدة بن الحُصَيْب ،
والآخر ناجية بن الأعجم ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً . قال : مَنْ هؤلاء ؟ قال :
أسلم . قال : يا أبا الفضل ، مالي ولأسلم ! ما كان بيننا وبينها مرة قط .
قال العباس : هم قوم مسلمون دخلوا في الإسلام . ثم مرّت بنو عمرو بن
كعب في خمسمائة ، يحمل رايتهم بُسر^(٤) بن سفيان . قال : مَنْ هؤلاء ؟
قال : بنو كعب بن عمرو . قال : نعم ، هؤلاء حلفاء محمد ! فلما حاذوه

(١) في الأصل : « خفاف بن بدده » ؛ وما أثبتناه عن الزرقاني ، عن الواقدي . (شرح على المواهب
الدنيّة ، ج ٢ ، ص ٣٦٤) . وعن ابن عبد البر أيضاً . (الاستيعاب ، ص ٤٥٠) .
(٢) الزيادة من الزرقاني ، عن الواقدي . (شرح على المواهب الدنيّة ، ج ٢ ، ص ٣٦٤) .
(٣) يقال : هو من أفناء الناس إذا لم يعلم من هو . (الصحاح ، ص ٢٤٥٧) .
(٤) في الأصل : « بسير » على صيغة التصغير . وما أثبتناه من الزرقاني ، عن الواقدي . (شرح على
المواهب الدنيّة ، ج ٢ ، ص ٣٦٤) . ومن ابن عبد البر أيضاً . (الاستيعاب ، ص ١٦٦) .

كَبُرُوا ثَلَاثًا . ثُمَّ مَرَّتْ مُزَيْنَةُ فِي أَلْفٍ ، فِيهَا ثَلَاثَةُ أَلْوِيَةٍ وَفِيهَا مِائَةُ فَرَسٍ ،
يَحْمِلُ أَلْوِيَتِهَا النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرَّنٍ ، وَبِلَالُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو ؛
فَلَمَّا حَازُوهُ كَبُرُوا ، فَقَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : مُزَيْنَةُ . قَالَ : يَا أَبَا الْفَضْلِ
مَالِي وَلَمْزَيْنَةُ ! قَدْ جَاءَتْنِي تُقَعِّعُ مِنْ شَوَاهِقِهَا ^(١) . ثُمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ فِي ثَمَانِمِائَةٍ
مَعَ قَادَتِهَا ، فِيهَا أَرْبَعَةُ أَلْوِيَةٍ ، لَوَاءٌ مَعَ أَبِي رَوْعَةَ مَعْبِدُ بْنُ خَالِدٍ ، وَلَوَاءٌ مَعَ
سُوَيْدِ بْنِ صَخْرٍ ، وَلَوَاءٌ مَعَ رَافِعِ بْنِ مَكِيثٍ ، وَلَوَاءٌ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَدْرٍ ^(٢) . قَالَ :
فَلَمَّا حَازُوهُ كَبُرُوا ثَلَاثًا . ثُمَّ مَرَّتْ كِنَانَةُ ، بَنُو لَيْثٍ ، وَضَمْرَةُ ، وَسَعْدُ بْنُ بَكْرٍ
فِي مَائَتَيْنِ ، يَحْمِلُ لَوَاءَهُمْ أَبُو وَقْدٍ اللَّيْثِيُّ : فَلَمَّا حَازُوهُ كَبُرُوا ثَلَاثًا ، فَقَالَ :
مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : بَنُو بَكْرٍ . قَالَ : نَعَمْ ، أَهْلُ سُؤْمٍ وَاللَّهِ ! الَّذِينَ غَزَانَا
مُحَمَّدٌ بِسَبَبِهِمْ ، أَمَا وَاللَّهِ مَا سُوِّرَتْ فِيهِ وَلَا عَلِمْتُه ، وَلَقَدْ كُنْتُ لَهُ كَارِهًا
حَيْثُ بَلَّغَنِي ، وَلَكِنَّهُ أَمَرُ حُمٍّ ! قَالَ الْعَبَّاسُ : قَدْ خَارَ اللَّهُ لَكَ فِي غَزْوِ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَخَلْتُمْ فِي الْإِسْلَامِ كَافَّةً .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ ، عَنْ أَبِي عَمْرَةَ بْنِ حِمَّاسٍ قَالَ : مَرَّتْ
بَنُو لَيْثٍ وَحَدَهَا ، وَهَمَّ مَائَتَانِ وَخَمْسُونَ ، يَحْمِلُ لَوَاءَهَا الصُّعْبُ بْنُ جَثَّامَةَ ،
فَلَمَّا مَرَّ كَبُرُوا ثَلَاثًا فَقَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : بَنُو لَيْثٍ . ثُمَّ مَرَّتْ أَشْجَعُ
- وَهَمَّ آخَرُ مَنْ مَرَّ وَهَمَّ ثَلَاثُمِائَةٍ ، مَعَهُمْ لَوَاءَانِ ، لَوَاءٌ يَحْمِلُهُ مَعْقِلُ بْنُ
بِسْنَانَ ، وَلَوَاءٌ مَعَ نُعَيْمِ بْنِ مَسْعُودٍ . فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : هَؤُلَاءِ كَانُوا أَشَدَّ الْعَرَبِ
عَلَى مُحَمَّدٍ . فَقَالَ الْعَبَّاسُ : أَدْخَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَبَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ ! فَسَكَتَ ثُمَّ قَالَ : مَا مَضَى بَعْدُ مُحَمَّدٍ ! قَالَ الْعَبَّاسُ : لَمْ يَمُضْ

(١) الشواهد : جمع شاهد ، وهو الجبل المرتفع . (الصحاح ، ج ١٥٠٥) ؛

(٢) في الأصل : « عبد الله بن زيد » ؛ وما أثبتناه من الزرقاني ، عن الواقدي . (شرح على المواهب

اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٦٤) . ومن ابن عبد البر أيضاً . (الاستيعاب ، ص ٨٧١) .

بعدُ ، لو رأيت الكتيبة التي فيها محمدٌ صلى الله عليه وسلم رأيت الحديد والخيل والرجال ، وما ليس لأحدٍ به طاقة ، قال : أظن والله يا أبا الفضل ؛ ومن له بهؤلاء طاقة ؟ فلما طلعت كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخضراء طلع سوادٌ وغبرةٌ من سنابك الخيل ، وجعل الناس يَمْرُون ، كلٌّ ذلك يقول : ما مرَّ محمدٌ ! فيقول العباس : لا . حتى مرَّ يسير على ناقته القَصواء بين أبي بكر وأسيد بن حُصير وهو يُحدثهما ، فقال العباس : هذا رسول الله في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار ، فيها الرايات والألوية ، مع كلِّ بَطْنٍ من الأنصار رايةٌ ولواءٌ ، في الحديد لا يرى منهم إلَّا الحدق ، ولعمر بن الخطَّاب رضى الله عنه فيها زَجَلٌ - وعليه الحديد - بصوتٍ عالٍ وهو يُزعجها ، فقال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، من هذا المتكلم ؟ قال : عمر ابن الخطَّاب . قال : لقد أمرَ أمرُ بني عديٍّ بعد - والله - قِلَّةٍ وذِلَّةٍ ! فقال العباس : يا أبا سفيان ، إنَّ الله يرفع من يشاء^(١) بما يشاء ، وإنَّ عمرَ ممن رفعه الإسلام . ويُقال : كان في الكتيبة ألفُ دارعٍ . وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رايته سعد بن عبادة وهو أمام الكتيبة ، فلما مرَّ سعد براية النبي صلى الله عليه وسلم نادى : يا أبا سفيان ! اليوم يوم المَلحمة ! اليوم تُستحلُّ الحرمة ! اليوم أذلَّ الله قُرَيْشًا ! فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا حاذى أبا سفيان ناداه : يا رسول الله ، أمرتَ بقتل قومك ؟ زعم سعد ومن معه حين مرَّ بنا قال « يا أبا سفيان ، اليوم يوم المَلحمة ! اليوم تُستحلُّ الحرمة ! اليوم أذلَّ الله قُرَيْشًا ! » وإني أنشدك الله في قومك ، فأنت أبرُّ الناس ، وأرحم الناس ، وأوصل الناس . قال عبد الرحمن بن

(١) في الأصل : « ما يشاء » .

عَوْفٌ وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا نَبَأُ مَنْ سَعَدًا أَنْ يَكُونَ مِنْهُ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْيَوْمَ يَوْمَ الْمَرْحَمَةِ ! الْيَوْمَ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ قُرَيْشًا ! قَالَ : وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَعْدٍ فَعَزَلَهُ ، وَجَعَلَ اللِّوَاءَ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ ، وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللِّوَاءَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ سَعْدٍ حِينَ صَارَ لِابْنِهِ . فَأَبَى سَعْدٌ أَنْ يُسَلَّمَ اللِّوَاءَ إِلَّا بِأَمَارَةٍ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعِمَامَتِهِ ، فَعَرَفَهَا سَعْدٌ فَدَفَعَ اللِّوَاءَ إِلَى ابْنِهِ قَيْسٍ .

قال : فحدثني ابن أبي سَبْرَةَ ، عن سَعِيدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ شَرْحِبِيلٍ ، عن أهلِهِ ، قالوا : دخلَ واللَّهِ سَعْدٌ بِلِوَائِهِ حَتَّى غَرَزَهُ بِالْحَجُوجِ . وَقَالَ ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ الْفِهْرِيُّ : وَيُقَالُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخَذَ اللِّوَاءَ ، فَذَهَبَ عَلَىَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَا حَتَّى دَخَلَ بِهَا مَكَّةَ فَغَرَزَهَا عِنْدَ الرُّكْنِ . وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذِهِ الْكِتَابَةِ قَطُّ . ، وَلَا خَبْرَنِيهِ مُخَبَّرٌ ! سُبْحَانَ اللَّهِ ، مَا لِأَحَدٍ بِهَذِهِ طَاقَةٌ وَلَا يَدَانِ ! ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الْغَدَاةَ عَظِيمًا ! قَالَ ، قُلْتُ : وَيَحْكُ يَا أَبَا سُفْيَانَ ، لَيْسَ بِمُلْكٍ وَلَكِنَّهَا نُبُوَّةٌ . قَالَ : نَعَمْ !

قال : فحدثني عبد الله بن يزيد ، عن عبد الله بن ساعدة ، قال : قال له العباس : فَأَنْجُ وَيَحْكُ فَأَذْرِكُ قَوْمَكَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ . قَالَ : فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ فَتَقَدَّمَ النَّاسَ كُلَّهُمْ حَتَّى دَخَلَ مِنْ كَدَاءٍ ^(١) وَهُوَ يَقُولُ : مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ! حَتَّى انْتَهَى إِلَى هِنْدَ بِنْتِ عُثْبَةَ ، فَأَخَذَتْ بِرَأْسِهِ فَقَالَتْ : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : هَذَا مُحَمَّدٌ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ عَلَيْهِمُ الْحَدِيدُ ، وَقَدْ

(١) كداه : جبل بمكة . (معجم ما استعجم ، ص ٤٦٩) .

جعل لي : مَنْ دخل داري فهو آمين . ومن أغلق بابي فهو آمين . ومن طرح السلاح فهو آمين . قالت : قَبَّحَكَ اللَّهُ رسولَ قَوْمٍ . قال : وجعل يصرخ بمكة : يا معشر قُرَيْشٍ ، وَيَحْكُمُ ! إنه قد جاء ما لا قِبَلَ لكم به ! هذا محمد في عشرة آلاف عليهم الحديد ، فَأَسْلِمُوا ! قالوا : قَبَّحَكَ اللَّهُ وافِدَ قَوْمٍ ! وجعلت هند تقول : اقتلوا وافِدَكم هذا ، قَبَّحَكَ اللَّهُ وافِدَ قَوْمٍ . قال : يقول أبو سُفْيَانٍ : وَيَذَكُّكُمْ ، لا تَغْرَنَكُمْ هذه من أنفسكم ! رأييت ما لم تَرَوْا ! رأييت الرجال والكراع والسلاح ، فلا لأحدٍ بهذا طاقة !

قالوا : وانتهى المسلمون إلى ذى طُوًى : فوقفوا يَنْظُرُونَ إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم حتى تلاحق الناس . وقد كان صفوان بن أمية . وعكرمة ابن أبي جهل . وسُهَيْل بن عمرو قد دَعَوْا إلى قتال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، وضَمَوْا إليهم ناسٌ من قُرَيْشٍ وناسٌ من بني بكر وهذيل . وتلبَّسوا السلاح ، ويُقَسِّمُونَ بالله لا يدخلها محمدٌ عَنَوَةً أَبَدًا . فكان رجلٌ من بني الدَّيْلِ يُقال له : حِمَاس بن قيس بن خالد الدَّيْلِيُّ . لما سمع برسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم جلس يُصلِّح سلاحه ، فقالت له امرأته : لِمَنْ تُعِدُّ هذا ؟ قال : لمحمدٍ وأصحابه ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَخْدَمَكَ مِنْهُمْ خَادِمًا فَإِنَّكَ إِلَيْهِ محتاجة . قالت : وَيَحْكُك ، لا تفعل ولا تُقاتل محمدًا ! والله ليُضِلَّنَّ هذا عنك لو رأييت محمدًا وأصحابه . قال : سَتَرَيْن . قال : وأقبل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في كَتِيبَتِهِ الْخَضِرَاءُ ، وهو على ناقته القصواء . معجرجًا بِشُمُكَةِ بُرْصَةٍ^(١) حَبْرَةٍ :

قال : فحدثني محمد بن عبد الله . عن عباد بن أبي صالح . عن أبيه .

(١) الشقة : النفس . والحبرة : ضرب من ثياب اليمن . (شرح أبي ذر . ص ٣٦٩) .

عن أبي هريرة ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وعليه عمامة سوداء ، ورايته سوداء ، ولواؤه أسود ، حتى وقف بذى طوى وتوسط الناس وإن عُنْذُونَهُ^(١) لِيَمَسَّ واسطة الرجل أو يَقْرُب منه ، تواضعا لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله وكثرة المسلمين . ثم قال : العَيْشُ عَيْشُ الآخرة ! قال : وجعلت الخيل تَمَجَّج^(٢) بذى طوى في كل وجه ، ثم ثابت وسكنت حيث توسطهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : حدثني يعقوب بن يحيى بن عباد ، عن عيسى بن معمر ، عن عباد بن عبد الله ، عن أسماء بنت أبي بكر ، قالت : وصعد أبو قحافة يومئذ بصُغْرَى بناته ، قُرْبَى بنت أبي قحافة ، تقوده حتى ظهرت به إلى أبي قُبَيْس - وقد ذهب بصره - فلما أبشرفت به على أبي قُبَيْس قال : يا بُنَيَّة ، ماذا تَرَيْنَ ؟ قالت : أرى رجلا يسعى بين ذلك السواد مُقْبِلًا ومُدْبِرًا . قال : ذلك الوازع^(٣) يا بُنَيَّة ، انظري ما تَرَيْنَ ! قالت : تفرق السواد . قال : قد تفرقت الجيوش ! البيت ! البيت ! قالت : فنزلتُ به . قال : فجعلت الجارية تَرَعِبَ لِمَا ترى ، فيقول : يا بُنَيَّة ، لا تخافي ! فوالله إن أخاك عتيقًا^(٤) لَأَثُرُ أصحاب محمد عند محمد . قال : وعليها طوق من فضة ، فاختمه بعض من دخل .

قالوا : فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو بكر رضى الله عنه : أَنشُدْ بِاللَّهِ طَوْقَ أُخْتِي ! ثلاث مرّات . ثم قال : يا أُخَيَّة احتسبي طوقك . فَإِنَّ الْأَمَانَةَ فِي النَّاسِ قَلِيلٌ .

(١) المتنون : اللحية . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٦٩) .

(٢) معج : أى أسرع . (القاموس المحيط ، ص ٢٠٧) .

(٣) الوازع : يريد أنه صالح للتقدم على الجيش وتدريب أمرهم وترتيبهم في قتالهم . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٠٨) .

(٤) في الأصل : « عتيق » .

قالوا : ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجلٍ من الأنصار إلى جنبه ، فقال : كيف قال حسان بن ثابت ؟ فقال^(١) :

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُشِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَتِيفَى كَدَاءِ

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام أن يدخل من كُدَى^(٢) ، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من اللَّيْط^(٣) ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل من كَدَاءِ ، والراية مع ابنه قيس ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل من أذاخير . ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال ، وأمر بقتل ستة نفر وأربع نسوة : عِكْرِمَةَ بن أبي جهل ، وهَبَار بن الأسود ، وعبد الله ابن سعد بن أبي سرح ، ومقيس بن صُبابَة اللَّيْثِيّ ، والحويرث بن نُقيذ^(٤) . وعبد الله بن هلال بن خَطَل الأَدْرَمِيّ ، وهند بنت عُتَيْبَة بن ربيعة ، وسارة مولاة عمرو بن هاشم ، وقَيْنَتَيْنِ لَأَبِي خَطَل : قُرَيْنَا وقُرَيْبَة ، ويقال : قَرْنَنَا وأَرْذَبَة . فكلّ الجنود دخل فلم يَلْقَ جمعاً ، فلما دخل خالد بن الوليد وجد جمعاً من قُرَيْش وأَحَابِيشِهَا^(٥) قد جمعوا له . فيهم صَفْوَان بن أُمَيَّة ، وعِكْرِمَةَ بن أبي جهل ، وسُهَيْل بن عمرو ، فمنعوه الدخول ، وشهروا السلاح . ورموا بالنبل ، وقالوا : لا تدخلها عَنُوةً أبداً ! فصاح خالد بن الوليد في أصحابه وقتلهم . فقتل منهم أربعة وعشرين رجلاً من قُرَيْش ، وأربعة من

(١) ذكر ابن اسحاق هذا البيت ضمن قصيدة طويلة لحسان بن ثابت . (السيرة النبوية ، ج ٤ ،

ص ٦٤) . وانظر ديوان حسان . (ص ١) .

(٢) كُدَى : جبل قريب من كدَاء . (معجم ما استعجم ، ص ٤٦٩) .

(٣) اللَّيْط : موضع بأسفل مكة . (معجم ما استعجم ، ص ٤٩٩) .

(٤) في الأصل : « الحويرث بن نفيل » ، وما أثبتناه عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٩٨) .

وعن البلاذري أيضا . (أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ٣٥٧) .

(٥) في الأصل : « أجانيشها » .

هَذِيل ، وانهزموا أَقْبَحَ الانهزام حَتَّى قُتِلُوا بِالْحَزْوَرةِ ^(١) وَهُمْ مُؤَلَّونَ فِي كُلِّ وَجْهِ .
وانطلقت طائفةٌ منهم فوق رُمُوسِ الجبال ، واتبَعَهُمُ المسلمون ، فجعل أبو
سُفْيَانُ بنَ حَرْبٍ وَحَكِيمُ بنَ حِزَامٍ يَصِيحَانِ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، عَلَامَ تَقْتُلُونَ
أَنْفُسَكُمْ ؟ مَنْ دَخَلَ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ وَضَعَ السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ . فجعل
الناسُ يَتَحَمَّوْنَ الدُّورَ ، وَيُغْلِقُونَ عَلَيْهِمْ ، وَيَطْرَحُونَ السِّلَاحَ فِي الطَّرِيقِ حَتَّى
يَأْخُذَهَا الْمُسْلِمُونَ . وَلَمَّا ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ثَنِيَّةٍ أَذْأخِرِ
نَظَرَ إِلَى الْبَارِقَةِ ^(٢) فَقَالَ : مَا هَذِهِ الْبَارِقَةُ . أَلَمْ أَنَّهُ عَنِ الْقِتَالِ ؟ قِيلَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قُتِلَ ، وَلَوْ لَمْ يُقَاتِلْ مَا قَاتَلَ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَضَى اللَّهُ خَيْرًا ! قَالَ : وَجَعَلَ يَتِمَثَّلُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، وَهُوَ
يُقَاتِلُ خَارِجَةَ بْنَ خُوَيْلِدِ الْكَعْبِيِّ ، أَنَشِدْنِيهَا [^(٣)] عَنْ أَبِيهِ :

إِذَا مَا رَسُولُ اللَّهِ فِينَا رَأَيْنَا كُلُّجَّةٍ بِحَرٍّ نَالَ فِيهَا سَرِيرُهَا
إِذَا مَا ارْتَدَيْنَا الْفَارِسِيَّةَ فَوْقَهَا رُدِّيْنِيَّةٌ ^(٤) يَهْدِي الْأَصْمَّ . خَرِيرُهَا ^(٥)
[^(٦)] وَإِنْ مُحَمَّدًا لَهَا نَاصِرٌ عَزَّتْ وَعَزَّ نَصِيرُهَا

وَأَقْبَلَ ابْنُ خَطَلٍ جَائِيًا مِنْ مَكَّةَ ، مُدَجِّجًا فِي الْحَدِيدِ ، عَلَى فَرْسٍ
ذَنُوبٍ ^(٧) ، بِيَدِهِ قَنَاةٌ . وَبَنَاتُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ قَدْ ذُكِرَ لَهُنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

(١) الحزورة : سوق مكة وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه . (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٧١) .

(٢) بارقة السيوف : لمعانها ، يقال : برق بسيفه وأبرق إذا لمع به . (النهاية ، ج ١ ، ص ٧٤) .

(٣) كلمة عامضة ، رسمها في الأصل : « حرايد » .

(٤) القناة الردينية والرمح الرديني ، زعموا أنه منسوب إلى امرأة السهمري تسمى ردينة . وكانا بقومان
القناة بخط هجر . (الصحاح ، ص ٢١٢٢) .

(٥) في الأصل : « جريها » ؟ وما أثبتناه أقرب إلى السياق . والخرير : صوت الماء والريح .

(٦) القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٩ .

(٧) يباض بالأصل .

(٧) الذنوب : الفرس الطويل الذنب . (الصحاح ، ص ١٢٨) .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ دَخَلَ ، فَمَخْرَجْنِ قَدْ نَشَرْنَ رُءُوسَهُنَّ ، يَضْرِبْنَ بِخُمْرِهِنَّ
وَجُوهَ الْخَيْلِ ، فَضَرْبُهُنَّ ابْنُ خَطَلٍ جَائِيًّا مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ فَقَالَ لَهُنَّ : أَمَّا وَاللَّهِ
لَا يَدْخُلُهَا حَتَّى تَرَيْنَ ضَرْبًا كَأَفْوَاهِ الْمَزَادِ^(١) ! ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى
الْخَنْدَمَةِ ، فَرَأَى خَيْلَ الْمُسْلِمِينَ وَرَأَى الْقِتَالَ ، وَدَخَلَ الرُّعْبَ حَتَّى مَا يَسْتَمْسِكُ
مِنَ الرُّعْدَةِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْكَعْبَةِ فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ ، وَطَرَحَ سِلَاحَهُ ، فَأَتَى
الْبَيْتَ فَدَخَلَ بَيْنَ أَسْتَارِهِ .

قال : وَحَدَّثَنِي حِزَامُ بْنُ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : أَخَذَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
كَعْبٍ دِرْعَهُ ، وَصَفَفَهُ^(٢) ، وَمَغْفَرَهُ ، وَبَيْضَتَهُ ، وَسَيْفَهُ ، وَأَدْرَكَ فَرَسَهُ غَائِرًا
فَأَدْرَكَهُ فَاسْتَوَى عَلَيْهِ ، وَلَحِقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَجُّونَ . قَالُوا :
وَأَقْبَلَ حِمَاسُ بْنُ خَالِدٍ مُنْهَزِمًا حَتَّى أَتَى بَيْتَهُ ، فَدَقَّهُ فَفَتَحَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ
فَدَخَلَ ، وَقَدْ ذَهَبَتْ رُوحُهُ ، فَقَالَتْ : أَيْنَ الْخَادِمُ الَّذِي وَعَدْتَنِي ؟ مَا زِلْتُ
مَنْتَظِرَتِكَ مِنْذُ الْيَوْمِ تُسَخِّرُ بِهِ ! قَالَ : دَعَى عَنكَ ، أَغْلِقِي بَابِي ! فَإِنَّهُ مَنْ أَغْلَقَ
بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ! قَالَتْ : وَيَحْكُ ! أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ قِتَالِ مُحَمَّدٍ ؟ وَقُلْتَ لَكَ :
« مَا رَأَيْتَهُ يُقَاتِلُكُمْ مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا ظَهَرَ عَلَيْكُمْ » ، وَمَا بَابُنَا ؟ قَالَ : إِنَّهُ لَا يُفْتَحُ عَلَى
أَحَدٍ بَابُهُ . ثُمَّ قَالَ - أَنْشَدْنِيهَا ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ :

وَأَنْتِ لَوْ شَهِدْتِنَا بِالْخَنْدَمَةِ إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِكْرِمَةُ
وَأَبُو يَزِيدٍ^(٣) كَالْعَجُوزِ الْمُؤْتِمَةِ^(٤) لَمْ تَنْطَقِي فِي الدَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَةٍ

(١) المزاد : جمع المزادة ، وهي الراوية . قال أبو عبيد : لا تكون إلا من جلد بن ثغاء بجلد ثالث
بينهما لتتسع . (الصحاح ، ص ٤٧٩) .

(٢) في الأصل : « وصفافة » . والصفف : ما بلبس تحت الدرع . (القاموس المحيط ، ج ٣ ،
ص ١٦٣) .

(٣) هو سهيل بن عمرو خطيب فريش . (الروض الأنف ، ج ٢ ، ص ٢٧٢) .

(٤) المؤتممة : المرأة التي قتل زوجها فبقى لها أيتام . (شرح أبي ذر ، ص ٣٧٠) .

وضربتنا^(١) بالسيفِ المُسْلِمِ لهم زئير^(٢) خلفنا وغممة^(٣)
قال : وأقبل الزبير بن العوام بمن معه من المسلمين حتى انتهى بهم إلى
الحجّون ، فغرز الرّاية عند منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يقتل من
المسلمين أحداً إلا رجلاً من أصحابه ، أخطأ طريقه فسلكا غيرها
فقتلا ؛ كرز بن جابر الفهري ، فقام عليه خالد الأشقر وهو جدّ حزام بن
خالد حتى قتل ، وكان الذي قتل خالداً ابنُ أبي الجذع الجمحيّ .

قال : فحدثني قدامة بن موسى ، عن بشير مولى المازنيين ، عن جابر بن
عبد الله ، قال : كنت ممن لزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلت
معه يوم الفتح من أذخر ، فلما أشرف على أذخر نظر إلى بيوت مكة ،
ووقف عليها فحمد الله وأثنى عليه ، ونظر إلى موضع قبته فقال : هذا منزلنا
يا جابر ، حيث تقاسمت علينا قريش في كفرها . قال جابر : فذكرت
حديثاً كنت أسمعه منه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك بالمدينة : « نزلنا
غداً إن شاء الله إذا فتح الله علينا مكة في الخيف^(٤) حين تقاسمو على
الكفر » . وكنا بالأبطح وجاءه شعب أبي طالب حيث حصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبنو هاشم ثلاث سنين

قال : حدثني عبد الله بن زيد ، عن أبي جعفر ، قال : كان أبو رافع

(١) هكذا في الأصل والبلاذري . (أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ٣٥٧) . وفي ابن إسحاق :

« واستقبلتهم » . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٥١) .

(٢) في الأصل : « لهم زبير » ؛ وما أثبتناه عن البلاذري . (أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ٣٥٧) .

والزبير : صوت الأسد في صدره . (الصحاح ، ص ٦٦٦) .

(٣) النعمة : أصوات الأبطال في الحرب . (شرح أبي ذر ، ص ٣٧٠) .

(٤) الخيف : هو بطحاء مكة ، وقيل مبتدأ الأبطح ، وهو الحقيقة فيه ، لأن أصله ما انحدر من الجبل

وارتفع من المسيل . (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٠٠) .

قد ضرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قُبَّةً بِالْحَجُّونِ مِنْ أَدَمَ ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ
الله صلى الله عليه وسلم حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقُبَّةِ ، وَمَعَهُ أُمُّ سَلَمَةَ وَمَيْمُونَةُ .

قال : حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدٍ اللَّهِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ ،
قال : قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَا تَنْزِلُ مِنْزِلَكَ مِنَ الشَّعْبِ ؟ قال :
فَهَلْ تَرَكْتُ لَنَا عَقِيلًا^(١) مِنْزِلًا ؟ وَكَانَ عَقِيلٌ قَدْ بَاعَ مَنْزِلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْزِلَ إِخْوَتِهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ بِمَكَّةَ . فَقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَانْزِلْ فِي بَعْضِ بَيْوتِ مَكَّةَ فِي غَيْرِ مَنْزِلِكَ ! فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : لَا أَدْخُلُ الْبَيْوتَ . فَلَمْ يَزَلْ مُضْطَرِّبًا بِالْحَجُّونِ لَمْ يَدْخُلْ
بَيْتًا ، وَكَانَ يَأْتِي إِلَى الْمَسْجِدِ مِنَ الْحَجُّونِ .

قال : وَحَدَّثَنَا ابْنُ خَدِيجٍ ، عَنْ عَطَاءٍ ، قَالَ : لَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ لَمْ يَدْخُلْ بَيْوتَ مَكَّةَ ، فَاضْطَرَبَ بِالْأَبْطَاحِ فِي
عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ ، وَعَامَ الْفَتْحِ ، وَفِي حَجَّتِهِ .

قال : وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ،
عَنْ جَدِّهِ^(٢) قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَرِّبًا بِالْحَجُّونِ فِي
الْفَتْحِ ، وَيَأْتِي لِكُلِّ صَلَاةٍ .

قالوا : وَكَانَتْ أُمُّ هَانِءُ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ تَحْتَ هُبَيْرَةَ بْنِ أَبِي وَهَبٍ
الْمَخْزُومِيٍّ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ دَخَلَ عَلَيْهَا حَمَّوَانُ لَهَا - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ
الْمَخْزُومِيٍّ ، وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ - فَاسْتَجَارَا بِهَا وَقَالَا : نَحْنُ فِي جِوَارِكَ ! فَقَالَتْ :
نَعَمْ ، أَنْتُمَا فِي جِوَارِي . قَالَتْ أُمُّ هَانِءَ : فَهَمَّا عِنْدِي إِذْ دَخَلَ عَلَى فَارَسًا ،
مُدْجَجًا فِي الْحَدِيدِ ، وَلَا أَعْرِفُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا بِنْتُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) أَيُّ عَقِيلٍ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ .

(٢) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ . وَيُلَاحِظُ أَنَّ مُطْعِمَ بْنَ عَذَى جَدَّ مُحَمَّدٍ الْمَذْكُورِ مَا تَقَبَّلَ بِدَرِّ بَنُو سَبْعَةِ أَشْهُرٍ .
انْظُرْ أَسَدَ الْغَابَةِ . (ج ١ ، ص ٢٧١) . وَلَعَلَّ الْحَبْرَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ
مُطْعِمٍ كَمَا سَيَجِيءُ فِي ص ٨٥٨ .

عليه وسلّم . قالت : فكفّ عني وأسفر عن وجهه ، فإذا على عليه السلام ، فقلت : أخى ! فاعتنقته وسلّم عليه ، ونظر إليهما فشهر السيف عليهما . قلت : أخى من بين الناس يصنع بي هذا ! قالت : وألقيت عليهما ثوباً ، وقال : تُجيرين المشركين ؟ وحلّت دونهما فقلت : والله لتبدآن بي قبلهما ! قالت : فخرج ولم يكد ؛ فأغلقت عليهما بيتاً ، وقلت : لا تخافا !

قال : فحدثني ابن أبي ذئب ، عن المقبري ، عن أبي مرة مولى عقيل ، عن أم هانئ ، قالت : فذهبتُ إلى خباء رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالبطحاء فلم أجده ، ووجدت فيه فاطمة فقلت : ماذا لقيت من ابن أمي على ؟ أجرت حموين لي من المشركين فتفَلّت عليهما ليقتلهما ! قالت : فكانت أشدّ على من زوجها وقالت : تُجيرين المشركين ؟ قالت : إلى أن طلع رسول الله صلى الله عليه وسلّم وعليه رَهْجَة^(١) الغبار ، فقال : مرحباً بفاختة^(٢) أم هانئ ! وعليه ثوب واحد ، فقلت : ماذا لقيت من ابن أمي على ؟ ما كِدْتُ أنفَلِتُ منه ! أجرت حموين لي من المشركين فتفَلّت عليهما ليقتلهما ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : ما كان ذاك . قد آمنّا من أمانت ، وأجرنا من أجرت . ثم أمر فاطمة فسكّبت له غسلًا فاغتسل ، ثم صلى ثمان ركعات في ثوب واحد مُلتحفًا به ، وذلك ضحى في فتح مكة .

قالوا : قالت : فرجعتُ إليهما فأخبرتُهما وقلت لهما : إن شئتما فأقيما وإن شئتما فارجعا إلى منازلكما . قالت : فأقاما عندى يومين في منزلي ، ثم انصرفا إلى منازلهما . قالت : فكنت أكون مع النبي صلى الله عليه وسلّم في خبائه بالأبطح حتى خرج إلى حنين . قالت : فأتى آتٍ إلى رسول الله صلى

(١) الرهجة : آثار الغبار . (الفاموس المحيط ، ح ١ ، ص ١٩١) .

(٢) في الأصل . « بناجية أم هانئ » ؛ وما أنبأه عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٨ ، ص ٣٢) .

الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، الحارث بن هشام وابن أبي ربيعة جالسان في ناديهما متفضلان^(١) في الملاء المزعفر^(٢) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا سبيل إليهما ، قد أمتناهما ! قال : ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزله ساعة من النهار واطمأن واغتسل ، ثم دعا براحلته القمصاء فأذنيته إلى باب قبته ، ودعا ليلبس السلاح ، والمغفر على رأسه ، وقد صنف له الناس ، فركب براحلته والخيال تمعج بين الخندمة إلى الحجون ، ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه إلى جنبه يسير يحدثه ، فمر ببناات أبي أحيحة بالبطحاء حذاء منزل أبي أحيحة وقد نشرن رؤوسهن ، يلطمن وجوة الخيل بالخمر ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر فتبسم ، وذكر بيت حسان بن ثابت فأنشده أبو بكر رضى الله عنه^(٣) :

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ^(٤) يُلَطْمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة فرآها ، ومعه المسلمون ، تقدم على راحلته فاستلم الركن بمحجنه ، وكبر فكبر المسلمون لتكبيره ، فرجعوا التكبير حتى ارتجت مكة تكبيراً حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إليهم : اسكنوا ! والمشركون فوق الجبال ينظرون . ثم طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيت على راحلته ، أخذ بزمامها

(١) التفصيل : التوشع وأن يخالف اللابس بين أطراف ثوبه على عاتقه . (لسان العرب، ج ١٤ ، ص ٤١) .

(٢) الملاء : جمع ملاءة وهي الربطة ، أى الثوب اللين . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢٩ ؛ ج ٢ ، ص ٣٦٢) .

(٣) ذكر ابن إسحاق القصيدة كلها . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٦٥) .

(٤) متمطرات : أى مصوبات بالمطر ؛ ويقال : متمطرات أى يسبق بعضها بعضاً . (شرح أبي ذر ، ص ٢٧٥) .

محمّد بن مَسْلَمَة ، وحول الكعبة ثلاثمائة صنم ، وستون صنماً مُرَصَّصَةً بالرصاص وكان هُبَلٌ أعظمها ، وهو وُجَاهُ الكعبة على بابها ، وإِسَافٌ ونائلةٌ حيث ينحرون ويدبحون الذبائح ، فجعل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم كلّما مرَّ بصنمٍ منها يُشير بقضيبٍ في يده [ويقول] : ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١) . فيقع الصنم لوجهه .

قال : حدّثنى ابن أبي سَبْرَةَ ، عن حُسَيْن بن عبد الله ، عن عِكْرَمَةَ ، عن ابن عباس رضی الله عنه ، قال : ما يزيد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم أن يُشير بالقضيب إلى الصنم فيقع لوجهه ، فطاف رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم سبعةً على راحلته يستلم الركن الأسود بِمِخْجَنِهِ في كلّ طَوَافٍ ، فلما فرغ من سبعة نزل عن راحلته ، وجاء مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلَةَ فَأَخْرَجَ راحلته ؛ ثم انتهى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلى المقام ، وهو يومئذٍ لاصقٌ بالكعبة ، والدُّرْعُ عليه والمِغْفَرُ ، وعمامته بين كَتِفَيْهِ ، فصلّى ركعتين ثم انصرف إلى زَمْرَم فاطَّلَعَ فيها ، وقال : لولا أن يُغَلَّبَ بنو عبد المطلب لنزعتُ منها دَلْوًا . فنزع له العباس بن عبد المطلب دَلْوًا فشرب منه . ويقال : الذي نزع الدَلْوَ أبو سُفْيَان بن الحارث بن عبد المطلب . وأمر بهُبَلٌ فكُسِر وهو واقفٌ عليه . فقال الزُّبَيْر بن العَوَّام لأبي سُفْيَان بن حَرْب : يا أبا سُفْيَان ، قد كُسِرَ هُبَلٌ ! أما إنك قد كنت منه يوم أُحُدٍ في غُرُورٍ ، حين تزعم أنه قد أنعم ! فقال أبو سُفْيَان : دَعُ هذا عنك يا ابن العَوَّام ، فقد أرى لو كان مع إله محمد غيرُهُ لكان غير ما كان !

قالوا : ثم انصرف رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فجلس ناحيةً من

المسجد والناس حوله ، ثم أرسل بلالاً إلى عثمان بن طلحة يأتيه بمفتاح الكعبة ، فجاء بلال إلى عثمان فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تأتي بمفتاح الكعبة . قال عثمان : نعم . فخرج عثمان إلى أمه وهي بنت شيبه ، ورجع بلال إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه قال نعم ، ثم جلس بلال مع الناس . فقال عثمان لأمه ، والمفتاح يومئذ عندها : يا أمه ، أعطني المفتاح فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل إلى وأمرني أن آتي به إليه . فقالت أمه : أعيدك بالله أن تكون الذي تذهب مأثرة^(١) قومه على يديه . قال : فوالله لتدفعنه إلى أو ليأتينك غيري فيأخذه منك . فأدخلته في حُجرتها^(٢) وقالت : أي رجل يُدخل يده ها هنا ؟ فبيناهم على ذلك وهو يُكلمها إذ سمعت صوت أبي بكر وعمر في الدار ، وعمر رافع صوته حين رأى إبطاء عثمان : يا عثمان ، اخرج إلى ! فقالت أمه : يا بني ، خذ المفتاح فإن تأخذه أنت أحب [إلى] من [أن] يأخذه تيم وعدي . قال : فأخذه عثمان فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فناوله إياه ، فلما ناوله بسط العباس بن عبد المطلب يده فقال : يا نبي الله ، بأبي أنت اجمع لنا الحجابة والسقاية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيكُم ما تُرْزَعُون فيه ، ولا أُعطيكم ما تُرْزَعُون^(٣) منه . وقد سمعت أيضاً في قبض المفتاح بوجه آخر .

قال : حدثني إسماعيل بن إبراهيم بن عتبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ،

(١) الأصل : « أن يكون الذي يذهب » . والمأثرة : الخصلة المحمودة التي تتوارث ويتحدث بها . (شرح أبي ذر ، ص ٣٧١) .

(٢) حجة السراويل : التي فيها التكة . (الصحاح ، ص ٨٦٩) .

(٣) قال أبو عل : إنما معناه إنما أعطيتكم ما تمنون كالسقاية التي تحتاج إلى مؤن ، فأما السدانة فيروا لها الناس بالبعث إليها ، يعني كسوة البيت . (شرح أبي ذر ، ص ٣٧١) .

قال : أقبل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يوم الفتح على بعيرٍ لأُسامة بن زيد ، وأُسامة رَدِيف رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، ومعه بلال وعُثمان بن طَلْحَة ، فلما بلغ رأس الثنية أرسل عُثمان فجاءه بالمِفْتَاح فاستقبله به . قالوا : وكان عُثمان قدم على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم مع خالد بن الوليد وعمر بن العاص مُسلمًا قبل الفتح ، فخرج معنا من المدينة . قال أبو عبد الله : وهذا أثبت الوجوه .

وقالوا : إنَّ عمر بن الخطَّاب بعثه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من البَطْحَاءِ ومعه عُثمان بن طَلْحَة^(١) ، وأمره أن يتقدَّم فيفتح البيت ، فلا يدع فيه صورة إلَّا محاها ، ولا تمثالًا ، إلَّا صورة إبراهيم . فلما دخل الكعبة رأى صورة إبراهيم شيخًا كبيرًا يستقسم بالأزلام . ويقال : أمره إلَّا يدع صورة إلَّا محاها ، فترك عمر صورة إبراهيم ، فلما دخل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم رأى صورة إبراهيم عليه السلام ، فقال : يا عمر ، ألم آمرك إلَّا تدع فيها صورة إلَّا محوتها ؟ فقال عمر : كانت صورة إبراهيم . قال : فامحُها . فكان الزُّهري يقول : لمَّا دخل النبيُّ صَلَّى الله عليه وسلَّم فرأى فيها صورة الملائكة وغيرها ، ورأى صورة إبراهيم عليه السلام ، قال : قاتلهم الله ، جعلوه شيخًا يستقسم بالأزلام ! ثم رأى صورة مرثَم ، فوضع يده عليها ثم قال : امسحوا ما فيها من الصور إلَّا صورة إبراهيم .

قال : وحدثني ابن أبي ذئب ، عن عبد الرحمن بن مهران ، عن عُمير مولى ابن عباس ، عن أُسامة بن زيد ، قال : دخلت مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم الكعبة فرأى فيها صُورًا ، فأمرني أن آتيه في الدلو بماء ، فيبَلِّ الثوب ويضرب به الصور ، ويقول : قاتل الله قومًا يُصوِّرون ما لا يخلقون !

(١) في السيرة الحلبية ، عن الواقدي : « عثمان بن عفان » . (ج ٢ ، ص ٢١١) .

قالوا : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة فغلقت عليه . ومعه أسامة بن زيد - وبلال بن رباح ، وعثمان بن طلحة ، فمكث فيها ما شاء الله ؛ وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة . قال ابن عمر : فسألت بلالاً كيف صنع النبي صلى الله عليه وسلم حين دخل البيت ؟ قال : جعل عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره وثلاثة وراءه ، ثم صلى ركعتين . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمفتاح في يده ، ووقف على الباب خالد بن الوليد يذنب الناس عن الباب حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فحدثني علي بن محمد بن عبيد الله . عن منصور الحنظلي ، عن أمه صفية بنت شيبة . عن برة بنت أبي تجرة^(١) . قالت : أنا أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من البيت ، فوقف على الباب وأخذ بعضادتي^(٢) الباب ، فأشرف على الناس وببده المفتاح ، ثم جعله في كفه .

قالوا : فلما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، وقد ليط بهم حول الكعبة فهم جلوس ، قال : الحمد لله الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ! إذا تقولون وماذا تظنون ؟ قالوا : نقول خيراً ونظن خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، وقد قدرت ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإني أقول كما قال أخي يوسف : ﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾^(٣) . ألا إن كل رباً في الجاهلية ، أو دم ،

(١) في الأصل : « بجرة » ؛ وما أثبتناه عن ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ١٧٩٣) . وعن ابن

الأثير أيضاً . (أسد الغابة ، ج ٥ ، ص ٤٠٩) .

(٢) عضادات الباب : هما خشبتاه من جانبيه . (الصحاح ، ص ٥٠٦) .

(٣) سورة ١٢ يوسف ٩٢

أَومالٍ ، أو مأثَرَةٍ ، فهو تحت قدمي هاتين لِإِسْدَانَةِ البيتِ وَسِقَايَةِ الحاج ؛
 أَلَا وفي قَتِيلِ العَصَا والسوطِ - الخطأُ شِبْهُ العمدِ ، الدِّيَّةُ مُغْلَظَةٌ مائة ناقة ، منها
 أربعون في بَطُونِهَا أَوْلَادُهَا . إِنَّ اللَّهَ قد أَذْهَبَ نَخْوَةَ الجاهليَّةِ وتكبرُهَا بِآبَائِهَا ،
 كُلُّكُمْ مِن آدَمَ وَآدَمٌ مِن تُرابٍ ، وأَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ . أَلَا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ
 مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَهِيَ حَرَامٌ بِحَرَمَةِ اللَّهِ ، لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ
 قَبْلِي ، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَائِنْ بِعَدَى ، وَلَمْ تَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ
 - يُقَصِّرُهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ هَكَذَا - لَا يُنْفَرُ صَيْدُهَا
 وَلَا يُعْصَدُ^(١) عِضَاهُهَا ، وَلَا تَحِلُّ لِقَطْعَتِهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ ، وَلَا يُعْتَلَى خَلَاهَا^(٢) .
 فَقَالَ الْعَبَّاسُ ، وَكَانَ شَيْخًا مُجَرَّبًا : إِلَّا الْإِذْخِرَ^(٣) يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا بَدْ
 مِنْهُ ، إِنَّهُ لِلْقَبْرِ وَطُهورِ الْبُيُوتِ . قَالَ : فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : إِلَّا الْإِذْخِرَ فَإِنَّهُ حَلَالٌ . وَلَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ ، وَإِنَّ الْوَلَدَ لِلْفِرَاشِ
 وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرِ^(٤) ، وَلَا يَحِلُّ لَامْرَأَةٍ تُعْطَى مِنْ مَالِهَا إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجِهَا ، وَالْمُسْلِمِ
 أَخُو الْمُسْلِمِ ، وَالْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ ، وَالْمُسْلِمُونَ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ، تَتَكَافَأُ
 دِمَاؤُهُمْ ، يَرُدُّ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ ، وَيَعْقِدُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَمُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ^(٥)
 وَمَيْسَرَتُهُمْ عَلَى قَاعَدِهِمْ ؛ وَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ .
 وَلَا يَتَوَارِثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ ، وَلَا جَلَبٌ وَلَا جَنْبٌ^(٦) ؛ وَلَا تُؤْخَذُ صَدَقَاتُ

(١) يعصد : أى يقطع . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٣١٤) .

(٢) الخلا : النبات الرطب الرقيق ما دام رطباً ، وإختلاؤه : قطعه . (النهاية ، ج ١ ، ص ٣١٩) .

(٣) الإذخر : حشيش طيب الريح . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٣٤) .

(٤) أى الحية ، يعنى أن الولد لصاحب الفراش من الزوج أو السيد وللزاني الحية والحرمان ، كقولك مالك

عندى غير التراب وما بيدك غير الحجر . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٠٣) .

(٥) المشد الذى دوابه شديدة قوية ، والمضف الذى دوابه ضعيفة ، يريد أن القوى من الغزاة يساهم

الضعيف فما يكسبه من الغنيمة . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٠٨) .

(٦) لا جلب ولا جنب : الجلب يكون فى شيئين أحدهما فى الزكاة ؛ وهو أن يقدم المصدق على أهل الزكاة

المسلمين إلّا في بيوتهم وبأفنيّتهم ، ولا تُنكح المرأة على عمتّها ونخالتها ،
والبيّنة على من ادّعى واليمين على من أنكر ، ولا تُسافر امرأةٌ مسيرة
ثلاثٍ إلّا مع ذى مَحَرَمٍ ، ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح ، وأنّها كم عن
صيام يومين ، يوم الأضحى ويوم الفِطْرِ ، وعن لبستين ! لا يَحْتَبِ (١)
أحدكم في ثوبٍ واحدٍ يُفَضّي بَعُورته إلى السَّماء ، ولا يشتمل الصَّماء (٢) ، ولا
إِخالكم إلّا وقد عرفتموها .

قال : ثم نزل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ومعه المفتاح ، فتنحّى
ناحية المسجد فجلس ، وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قد قبض السِّقاية
من العباس وقبض المفتاح من عثمان ، فلما جلس قال : ادعوا إلى عُثمان !
فدعى له عُثمان بن أبي طَلْحَة ، وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قال
لعثمان يوماً ، وهو يدعوه إلى الإسلام ، ومع عُثمان المفتاح ، فقال :
لعلّك ستري هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئت ! فقال عُثمان : لقد
هلكمت إذا قُرِئْتُ وذُلّت . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : بل عَمِرْتَ

فينزل موضعاً ثم يرسل من يجلب إليه الأموال من أماكنها ؛ ليأخذ صدقتها ، فهي عن ذلك وأمر أن
تؤخذ صدقاتهم على مياهم وأماكنهم . والثاني أن يكون في سباق ، وهو أن يتبع الرجل فرسه فيزجره
ويجلب عليه ويصيح حتّى له على الجرى ، فهي عن ذلك . والجنب في السياق أن يجنب فرساً إلى
فرسه الذي يسابق عليه فإذا فتر المركوب تحول إلى المجنوب ، وهو في الزكاة أن ينزل العامل بأقصى
مواضع أصحاب الصدقة ثم يأمر بالأموال أن تجنب إليه ؛ أي تحضر ، فهو عن ذلك ؛ وقيل : هو
أن يجنب رب المال بماله أي يبعده عن موضعه حتّى يحتاج العامل إلى الإبعاد في اتباعه وطلبه .
(النهاية ، ج ١ ، ص ١٦٩ ؛ ١٨٠) .

(١) احتبى بالثوب : اشتمل ، أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها . (القاموس المحيط ، ج ٤ ،
ص ٣١٥) .

(٢) اشتمال الصماء : هو أن يتجلجل الرجل بثوبه ولا يرفع منه جانباً ، وإنما قيل لها صماء لأنه يسد على يديه
ورجليه المنافذ كلها كالصخرة الصماء التي ليس فيها خرق ولا صدع . والفقهاء يقولون : هو أن
يتغطى بثوب واحد ليس عليه غيره ثم يرقعه من أحد جانبيه فيضمه على منكبيه فتتكشف عورته .
(النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٧٥) .

وعَزَّتْ يومئذٍ . فلَمَّا دعاني بعد أَخْذِهِ المِفْتَاحِ ذَكَرْتُ قَوْلَهُ مَا كَانَ قَالَ . فَأَقْبَلْتُ فَاسْتَقْبَلْتَهُ بِبِشْرٍ وَاسْتَقْبَلَنِي بِبِشْرٍ . ثُمَّ قَالَ : خُذُوهَا يَا بَنِي أَبِي طَلْحَةَ تَالِدَةُ خَالِدَةَ . لَا يَنْزِعُهَا إِلَّا ظَالِمٌ ؛ يَا عُثْمَانُ . إِنَّ اللَّهَ اسْتَأْمَنَكُمْ عَلَى بَيْتِهِ . فَكُلُّوا بِالْمَعْرُوفِ . قَالَ عُثْمَانُ : فَلَمَّا وَلَّيْتُ نَادَانِي فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ . فَقَالَ : أَلَمْ يَكُنْ الَّذِي قُلْتَ لَكَ ؟ قَالَ : فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لِي بِمَكَّةَ فَقُلْتُ : بَلَى . أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ! فَأَعْطَاهُ المِفْتَاحَ . وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعٌ بِثُوبِهِ . وَقَالَ : أَعِينُوهُ ! وَقَالَ : قُمْ عَلَى الْبَابِ وَكُلُّ بِالْمَعْرُوفِ . وَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّقَايَةَ إِلَى الْعَبَّاسِ . فَكَانَ الْعَبَّاسُ يَلِيهَا دُونَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَوَلَدُهُ بَعْدَهُمْ . فَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ كَلَّمَ فِيهَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مَا لَكَ وَلَهَا ؟ نَحْنُ أَوْلَى بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ كَلَّمَ فِيهَا فَأَقَامَتُ الْبَيْتَةَ ؛ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَزْهَرُ بْنُ عَبْدِ عَوْفٍ ، وَمَعْرَمَةُ بْنُ نَوْفَلٍ ، أَنَّ الْعَبَّاسَ كَانَ يَلِيهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَبُوكَ فِي نَادِيَتِهِ ^(١) بُعْرَةَ ^(٢) فِي إِبِلِهِ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَاهَا الْعَبَّاسَ يَوْمَ الْفَتْحِ . فَعَرَفَ ذَلِكَ مَنْ حَضَرَ ، فَكَانَتْ بَيْدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ بَعْدَ أَبِيهِ ، لَا يُنَازِعُهُمْ فِيهَا مُنَازِعٌ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِيهَا مُتَكَلِّمٌ . وَكَانَ لِلْعَبَّاسِ مَالٌ بِالطَّائِفِ ، كَرَّمُ كَانَ يُحْمَلُ زَبِيبُهُ إِلَيْهَا فَيُنْبَذُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، ثُمَّ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ كَانَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ .

قال : وجاء خالده بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

(١) نذت الإبل إذا رعت فيما بين النمل والعلل ، تندو ندوا ، فهي نادية . (الصحاح ، ص ٢٥٠٦) .

(٢) في الأصل : « يعرنه » . وعرنه : واد بجذاء عرفات . (معجم ، البلدان ج ٦ ، ص ١٥٩) .

لَمْ قَاتِلَتْ وَقَدْ نُهِيتَ عَنِ الْقِتَالِ ؟ فَقَالَ : هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَدَأُونَا بِالْقِتَالِ ، وَرَشَقُونَا بِالنَّبْلِ . وَوَضَعُوا فِيْنَا السُّلَاحَ . وَقَدْ كَفَفْتُ ، مَا اسْتَطَعْتُ ، وَدَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ . وَأَنْ يَدْخُلُوا فِيَمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَأَبَوْا ، حَتَّى إِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا قَاتَاتُهُمْ ، فَظَفَرْنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَهَرَبُوا فِي كُلِّ وَجْهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَضَى اللَّهُ خَيْرًا ! ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ . كُفُّوا السُّلَاحَ ، إِلَّا خُزَاعَةَ عَنْ بَنِي بَكْرِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ . فَخَبَطُوهُمْ^(١) سَاعَةً . وَهِيَ السَّمَاعَةُ الَّتِي أُحِلَّتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ ؛ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُقْتَلَ مِنْ خُزَاعَةِ أَحَدٍ . قَالَ أَبُو الْيَسَرِ : فَدَخَلْنَا مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ مِنَ اللَّيْطِ . فَكَانُوا هُمْ الَّذِينَ بَدَأُونَا بِالْقِتَالِ وَأَبَوْا أَنْ يَدْعُونَا نَدْخُلَ^(٢) ، وَكَلَّمَهُمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَأَعَذَرَ إِلَيْهِمْ . فَأَبَوْا . قَالَ خَالِدُ : احْمَلُوا عَلَيْهِمْ ! فَحَمَلْنَا فَمَا قَاهُوا لَنَا فُوقَ^(٣) نَاقَةٍ حَتَّى هَرَبُوا ، وَنَهَانَا عَنِ الطَّلَبِ . قَالَ أَبُو الْيَسَرِ : فَجَعَلْتُ أَحْذِمُ^(٤) بِسِنِّي . وَهَوَيْتُ إِلَى رَجُلٍ فَضَرَبْتَهُ فَاعْتَزَلَ إِلَى خُزَاعَةَ ، فَسَمَقْتُ . فِي يَدِي فَجَعَلْتُ أَسْأَلُ عَنْهُ ، فَتَقِيلُ لِي : إِنَّهُ مِنَ الْحَيَا - أَخُو خُزَاعَةَ . فَحَمَدْتُ اللَّهَ أَلَّا أَقْتُلَ أَحَدًا مِنْ خُزَاعَةَ .

قَالُوا : وَأَقَامَ أَبُو أَحْمَدَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ عَلَى

(١) خَبَطُوهُمْ : أَيْ ضَرَبُوهُمْ . (لِسَانُ الْعَرَبِ ، ج ٩ ، ص ١٥٠) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « أَنْ نَدْخُلَ » .

(٣) أَيْ مَا بَيْنَ الْحَلَبِيِّينَ مِنَ الْوَقْتِ . (الْقَامُوسُ الْمَحِيط ، ج ٣ ، ص ٢٧٨) .

(٤) حَذَمَ : فَطَعَ . (الصَّحَاحُ ، ص ١٨٩٥) .

جملٍ له حين فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من خطبته ، وهو يصيح : أنشد بالله يا بنى عبد مناف حنفي ، وأنشد بالله يا بنى عبد مناف داري^(١) ! قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ابن عفان ، فسار عثمان بشي ، فذهب عثمان إلى أبي أحمد فسار ، فنزل أبو أحمد عن بعيه وجلس مع القوم ، فما سمع أبو أحمد ذكرها حتى لقي الله ، فقبل لعثمان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أن تقوله لأبي أحمد ؟ فقال : لم أذكره في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أأذكره بعد وفاته ؟ وكان أبو أحمد قد حالف إلى حرب ابن أمية ، وكان المطلب بن الأسود قد دعاه إلى أن يُحالفه وقال : دى دون دمك ومالى دون مالك ! وحالف حرب بن أمية فقال أبو أحمد في ذلك :

أَبْنَى أُمِّيَّةَ كَيْفَ أَخَذَلُ فَيْكُمْ وَأَنَا ابْنُكُمْ وَحَلِيفُكُمْ فِي الْعَشْرِ
وَلَقَدْ دَعَانِي غَيْرُكُمْ فَأَبَيْتُهُ وَخَبَأْتُكُمْ لِنَوَائِبِ الدَّهْرِ
وَكَانُوا يَتَحَالَفُونَ فِي الْعَشْرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ قِيَامًا ، يَتَمَسَّحُونَ كَمَا
يَتَمَسَّحُ^(٢) الْبَيْعَانِ^(٣) ، وَكَانُوا يَتَوَاعَدُونَ قَبْلَ الْعَشْرِ ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ
قَدْ بَاعَ دَارَهُ مِنْ ابْنِ عُلَقَمَةَ الْعَامِرِيِّ بِأَرْبَعِ مِائَةِ دِينَارٍ ، فَجَعَلَ لَهُ
مِائَةَ دِينَارٍ . وَنَجَّمَ^(٤) عَلَيْهِ مَا فَضَلَ .

(١) ذكر ابن إسحاق قصة عدوان أبي سفيان على دار بني جحش . انظر (السيرة النبوية ، ج ٢ ، ص ١٤٥) .

(٢) تماسحاً : تصافحاً . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢٤٩) .

(٣) البيعان : أى البائع والمشتري . (أساس البلاغة ، ص ٧٣) .

(٤) تنجيم الدين : هو أن يقرر عطاؤه في أوقات معلومة متتابة ، مشاهرة أو مساناة . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٢٩) .

قال : فحدثني أهل أبي أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
لك بها دارٌ في الجنة . وقال أبو أحمد في بيع داره لأبي سفيان ،
أنشدنيها عمرو بن عثمان الجعفي :

أَقَطَعْتُ عَقْدُكَ بَيْنَنَا وَالْحَادِثَاتُ إِلَى نَدَامَةٍ
أَلَا ذَكَرْتَ لِيَالِي أَلْ عَشْرِ الَّتِي فِيهَا الْقِيَامَةُ
عَقْدِي وَعَقْدُكَ قَائِمٌ لَا عَوَقٌ^(١) فِيهِ وَلَا أَثَامَةُ
دَارِ ابْنِ عَمِّكَ بِعَمَّتِهَا تَشِيرِي بِهَا عَنْكَ الْغَرَامَةُ
أَذْهَبَ بِهَا إِذْهَبَ بِهَا طُوقَتِهَا طَوْقَ الْحَمَامَةِ
وَلَقَدْ جَرَيْتُ^(٢) إِلَى الْعُقُورِ فِي وَأَسْوَأَ الْخُلُقِ الرِّغَامَةُ
قَدْ كُنْتُ آوَى فِي ذُرَى فِيهِ الْعَقَامَةُ وَالسَّلَامَةُ
مَا كَانَ عَقْدُكَ مِثْلَ عَقْدِ ابْنِ عَمْرِو لَابْنِ مَامَةٍ^(٣)

قالوا : وكان إساف ونائلة رجلاً وامرأة ، الرجل إساف بن عمرو^(٤)
والمرأة نائلة بنت سُهيل^(٥) من جُرهم ، فزنيا في جوف الكعبة
فمُسِخا حجريين ، فاتخذتهما قُرَيْشٌ يعبدونهما ، وكانوا يذبحون
عندهما ويحلقون رؤوسهم إذا نَسَكُوا ، فخرج من أحدهما امرأة
شمطاء سوداء تخمش وجهها ، عريانة ، ناشرة الشعر ، تدعوب الويل . فقيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال : تلك نائلة يئسست أن
تُعبد في بلادكم أبداً . ويقال إن إبليس رنَّ ثلاث رنات ، رنة حين

(١) الموق : الحس والصرف والتشيط . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٧٠) .

(٢) في الأصل : « وأجريت » ، ولا يستقيم الوزن بها ؛ ولعل ما ألبته أقرب الاحتمالات .

(٣) في الأصل : « أمامه » ، ولا يستقيم الوزن بها .

(٤) هكذا في الأصل : وفي ابن الكلبي : « إساف بن يعلى » . (كتاب الأصنام ، ص ٩) .

(٥) هكذا في الأصل : وفي ابن الكلبي : « نائلة بنت زيد » . (كتاب الأصنام ، ص ٩) .

لُعِنَ فَتَغَيَّرَتْ صُورَتُهُ عَنْ صُورَةِ الْمَلَائِكَةِ ، وَرَنَّةٌ حِينَ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي قَائِمًا بِمَكَّةَ ، وَرَنَّةٌ حِينَ افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ . فَاجْتَمَعَتْ ذُرِّيَّتُهُ ، فَقَالَ إِبْلِيسُ : أَيُّسُوا أَنْ تَرُدُّوْا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ عَلَى الشِّرْكِ بَعْدَ يَوْمِهِمْ هَذَا ، وَلَكِنْ أَفْشُوا فِيهِمُ النَّوْحَ وَالشُّعْرَ .

وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ نَصَبَ أَنْصَابَ الْحَرَمِ إِبْرَاهِيمَ ، وَجِبْرِيلَ يُرِيهِ ، ثُمَّ لَمْ تُحْرَكْ حَتَّى كَانَ إِسْمَاعِيلُ فَجَدَّدَهَا ، ثُمَّ لَمْ تُحْرَكْ حَتَّى كَانَ قُصَيٌّ فَجَدَّدَهَا ، ثُمَّ لَمْ تُحْرَكْ حَتَّى كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ ، فَبِعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمِيمَ بْنَ أَسَدٍ الْخُزَاعِيَّ فَجَدَّدَ أَنْصَابَ الْحَرَمِ ، ثُمَّ لَمْ تُحْرَكْ حَتَّى كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَبِعَثَ أَرْبَعَةً مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا يَبْدُونَ فِي بَوَادِيهَا ؛ مَخْرَمَةَ بْنِ نَوْفَلٍ ، وَأَزْهَرَ بْنَ عَبْدِ عَافٍ ، وَحُوَيْطِيبَ بْنَ عَبْدِ الْعُزَّى ، وَأَبُو هُوْدٍ سَعِيدُ بْنُ يَرْبُوعِ الْمَخْزُومِيَّ . ثُمَّ كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَبِعَثَ هَؤُلَاءِ النَّفَرَ ، ثُمَّ كَانَ مُعَاوِيَةُ عَامَ حِجٍّ فَبِعَثَ هَؤُلَاءِ النَّفَرَ .

قَالَ : فَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ رِفَاعَةَ ، قَالَ : لَمَّا حَجَّ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَرْسَلَ إِلَى أَكْبَرَ شَيْخٍ يَعْلَمُهُ يَوْمئِذٍ مِنْ خُزَاعَةَ ، وَشَيْخٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَشَيْخٍ مِنْ بَنِي بَكْرِ . ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِتَجْدِيدِهِ ، وَكُلَّ وَادٍ فِي الْحَرَمِ فَهُوَ يَسِيرُ فِي الْحِلِّ وَلَا يَسِيرُ وَادٍ مِنَ الْحِلِّ فِي الْحَرَمِ إِلَّا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ عِنْدَ التَّشْعِيمِ . وَكَانَ يَقَالُ : وَلَا يُنْفَرُ صَبِيحُهَا . قَالَ : لَا يَخْرُجُ مِنَ الظِّلِّ إِلَى الشَّمْسِ ، وَيَقَالُ : لَا يُذْعَرُ .

قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نَافِعٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ ابْنُ

عمر يغشاه الحَمَام على رحله ، وثيابه ، وطعامه ، ما يُطَرَد ؛ وكان ابن عباس يُرَخِّصُ أَنْ يُكَشِّكَشْ^(١) . وقوله : لا تحلَّ لُقْطَةً ضالَّتْها إِلَّا لِمُنْشِدٍ ؛ يقول : لا يأكلها كما يأكل اللُّقْطَةُ في غيرها من البلدان .

قالوا : خرج غَزَى^(٢) من هُذَيْل في الجاهليَّة وفيهم جُنَيْدِ بن الأَدْلَع يُريدون حَيَّ أَحمر بأُسا ، وكان أَحمر بأُسا رجلاً من أسلم شجاعاً لا يُرام ، وكان لا ينام في حَيِّه ؛ إنما ينام خارجاً من حضره ، وكان إذا نام غَطَّ غُطِيْطاً مُنْكَرًا لا يخفى مكانه ، وكان الحاضر إذا أتاهاهم فَزَعُ صرخوا بأَحمر بأُسا فيثوب مثل الأسد . فلما جاءهم ذلك الغَزَى من هذيل قال لهم جُنَيْدِ بن الأَدْلَع : إن كان أَحمر بأُسا في الحاضر فليس إليهم سبيل ، وإن كان له غُطِيْطٌ لا يخفى ، فدعوني أَتَسَمِّع . فتَسَمَّعَ الحَيَّ فسمعهم ، فأَمَّه حتى وجده نائماً فقتله ، ووضع السيف في صدره ثم اتكأ عليه فقتله ، ثم حملوا على الحَيَّ ، فصاح الحَيَّ : يا أَحمر بأُسا ! فلا شيء ، لا أَحمر بأُسا قد قُتِل . فنالوا من الحاضر حاجتهم ثم انصرفوا ، فتشأغل الناس بالإسلام ، فلما كان بعد الفتح بيوم دخل جُنَيْدِ بن الأَدْلَع معه يرتاد وينظر - والناس آمِنون - فرآه جُنْدُب بن الأعجم الأسلمي ، فقال : جُنَيْدِ بن الأَدْلَع ، قاتل أَحمر بأُسا ! فقال : نعم . فخرج جُنْدُب يستجيش عليه ، وكان أول من لقي خِرَاش بن أُمَيَّة الكعبي ، فأخبره ، فاشتمل خِرَاش على السيف ثم أقبل إليه ، والناس حوله وهو يُحدِّثهم عن قتل أَحمر بأُسا ، فبينما هم مجتمعون عليه

(١) أي يطرد ؛ والكش : الطرد والزجر . (تاج العروس ، ج ٤ ، ص ٣٤٥) .

(٢) الغزى : جمع الغازي ، وهم جماعة القوم الذين يغزون . (شرح أبي ذر ، ص ٣٧٢) .

إذ أقبل خِرَاش بن أُمَيَّة مشتملاً على السيف ، فقال : هكذا عن^(١) الرجل ! فوالله ما ظنَّ الناس إلا أنه يُفَرِّج عنه الناس لينصرفوا عنه ، فانفرجوا^(٢) عنه ، فلما انفرج الناس عنه حمل عليه خِرَاش بن أُمَيَّة بالسيف فطعنه به في بطنه ، وابن الأدلج مُستندٌ إلى جدار من جُدُر مَكَّة ، فجعلت حِشْوَتُهُ تَسَايِل من بطنه ، وإنَّ عَيْنِيهِ لتَبْرَقَان في رأسه وهو يقول : قد فعلتموها يا معشر خُزاعة ! فوقع الرجل فمات ، فسمع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم بقتله ، فقام خطيباً - وهذه الخطبة الغد من يوم الفتح بعد الظهر - فقال : أيُّها الناس ، إنَّ الله قد حرَّم مَكَّة يوم خَلَقَ السموات والأرض ، ويوم خَلَقَ الشمس والقمر ، ووضع هذين الجبلين ، فهي حرامٌ إلى يوم القيامة . لا يَحِلُّ لمُؤْمِنٍ بالله واليوم الآخر أن يَسْفِكَ فيها دماً ، ولا يَعْضِدَ فيها شَجْراً ؛ لم تَحِلَّ لأحدٍ كان قبلي ، ولا تَحِلُّ لأحدٍ بعدي ، ولم تَحِلَّ لي إلا ساعة من نهار ، ثم رجعت كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْس ، فليُبَلِّغْ شِامِدُكُمْ غَائِبَكُمْ . فإن قال قائل : قد قاتل فيها رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم فقولوا : إنَّ الله قد أحلَّها لرسوله ولم يُحِلَّها لكم ! يا معشر خُزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد والله كَثُرَ [القتل]^(٣) إن نَفَعَ ؛ وقد قتلتم هذا القتييل ، والله لَأَدِيئُهُ ! فمن قُتِلَ بعد مَقَامِي هذا فَأَهْلُهُ بالخِيَار ، إن شَاءُوا قَدَّمُ قَتِيلَهُمْ ، وإن شَاءُوا فَعَقَلُوهُ .

(١) هكذا : اسم سمي به الفعل ومعناه تنحوا عن الرجل ، وعن متعلقة بما في « هكذا » من معنى الفعل .

(شرح أبي ذر ، ص ٣٧٢) .

(٢) في الأصل : « فانفرج عنه » .

(٣) الزيادة من ابن إسحاق للتوضيح . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٥٨) .

فدخل أبو سُريح [على] عمرو بن سَعِيد بن العاص ، وهو يُريد قتال ابن الزُبَيْر ، فحدثه هذا الحديث وقال : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنَا أَنْ يُبْلَغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبُ ، وَكُنْتُ شَاهِدًا وَكُنْتُ غَائِبًا ، وَقَدْ آدَيْتُ لِيكَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِهِ ، فَقَالَ عمرو بن سَعِيد : انصرف أَيُّهَا الشَّيْخُ ، فَنَحْنُ أَعْلَمُ بِحُرْمَتِهَا مِنْكَ ، إِنَّهُ لَا يَمْنَعُ مِنْ ظَالِمٍ وَلَا خَالِعٍ طَاعَةٌ ، وَلَا سَافِكٍ دَمٌ . فَقَالَ أَبُو سُريح : قَدْ آدَيْتُ لِيكَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِهِ ، فَأَنْتَ وَشَأْنُكَ !

قال : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ أَخْبَرَ ابْنَ عَمْرِو مَا قَالَ أَبُو سُريح لعمرو بن سعيد ، فقال ابن عمر : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا سُريح ! قَدْ قَضَى الَّذِي عَلَيْهِ ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَكَلَّمَ يَوْمَئِذٍ فِي خُرَاعَةٍ حِينَ قَتَلُوا الْهَذَلِيَّ بِأَمْرِ لَا أَحْفَظُهُ ، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فَأَدِيهِ» ^(١) . قال : حَدَّثَنِي عمرو بن عُمَيْرٍ بن عبد الملك بن عُبَيْدٍ ، عَنْ جُوَيْرِيَةَ ^(٢) بِنْتِ الْحُصَيْنِ ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ ، قَالَ : قَتَلَهُ خِرَاشٌ بَعْدَ مَا نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْقَتْلِ ، فَقَالَ : لَوْ كُنْتُ قَاتِلًا مُؤْمِنًا بِكَافِرٍ لَقَتَلْتُ خِرَاشًا بِالْهَذَلِيِّ . ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُرَاعَةً يُخْرِجُونَ دِيئَهُ ، فَكَانَتْ خُرَاعَةً أَخْرَجَتْ دِيئَهُ . قَالَ عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ : فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى غَنَمٍ عُفْرِ ^(٣) جَاءَتْ بِهَا بَنُو مُدْلِجٍ فِي الْعَقْلِ ، وَكَانُوا يُعَاقِلُونَهَا فِي

(١) فِي الْأَصْلِ : «قَادِيهِ» .

(٢) كَلِمَةٌ غَامِضَةٌ فِي الْأَصْلِ شَكَلُهَا : «حَرْصٌ» ؛ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتَاهُ .

(٣) عُفْرٌ : أَيُّ يَبِضُ . (الْهَيْتَةُ ، ج ٣ ، ص ١٠٩) .

الجاهلية ثم شدّه الإسلام ، وكان أوّل قتيل وداه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام .

قال : وحدثنى ابن أبي الزناد ، عن عبد الرحمن بن حرملة ، عن ابن المسيّب ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى كعب ، فأعطوا القتييل مائة من الإبل . قالوا : وجاءت الظُّهر ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً أن يؤدّن بالظُّهر فوق ظُهر الكعبة يومئذٍ ، وقرّيش فوق رؤوس الحبال ، وقد فرّ وجوههم^(١) وتغيّبوا خوفاً أن يُقتلوا ، فمنهم من يطلب الأمان ، ومنهم من قد أومن . فلما أذن بلالُ ورفع صوته كاشداً ما يكون ، فلما بلغ « أشهد أن محمداً رسول الله » ، تقول جويرية بنت أبي جهل : قد لعمري رفع لك ذكرك ! أما الصلاة فسنُصلي ، والله لا نُحبُّ من قتل الأُحبة أبداً ؛ ولقد كان جاء أبي الذي جاء محمداً من النبوة فردّها ولم يُردّ خلاف قومه . وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يسمع هذا اليوم ! وقال الحارث بن هشام : وأثكلاه ! ليتني مت قبل هذا اليوم ، أسمع بلالاً ينهق فوق الكعبة ! وقال الحكم بن أبي العاص : هذا والله الحدّ العظيم أن يصيح عبد بنى جُمح على بنية أبي طلحة . قال سهيل بن عمرو : إن كان هذا سخط الله فسيُغيره ، وإن كان رضا الله فسيُقرّه . وقال أبو سفيان : أمّا أنا فلا أقول شيئاً ، لو قلت شيئاً لآخبرته هذه الحصباء ! فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرهم .

قال : فحدّثنى موسى بن محمد ، عن أبيه ، قال : قال سهيل بن عمرو : ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وظُهر ، انقحمت^(٢) بيتي

(١) في الأصل : « وجوههم » .

(٢) أي رميت بنفسي فيه . (لسان العرب ، ج ١٥ ، ص ٣٦٠) .

وَأَغْلَقْتُ عَلَى بَابِي ، وَأَرْسَلْتُ إِلَى ابْنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُهَيْلٍ أَنْ أَطْلُبَ لِي جَوَارًا مِنْ مُحَمَّدٍ ، وَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ أُقْتَلَ . وَجَعَلْتُ أَتَذَكَّرُ أَثَرِي عِنْدَ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ أَسْوَأَ أَثَرًا مِنِّي ، وَإِنِّي لَقَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ بِمَا لَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ ، وَكُنْتُ الَّذِي كَاتَبْتُهُ ، مَعَ حُضُورِي بِدْرًا وَأُحَدًّا ، وَكَلَّمَا تَحَرَّكَتْ قُرَيْشٌ كُنْتُ فِيهَا . فَذَهَبَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ سُهَيْلٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَوَمَّنْهُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، هُوَ آئِنُ بِأَمَانِ اللَّهِ ، فَلْيُظْهِرْ ! ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ حَوْلَهُ : مَنْ لَقِيَ سُهَيْلَ بْنِ عَمْرٍو فَلَا يُشَدُّ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، فَلْيُخْرِجْ ؛ فَلَعَمْرِي إِنَّ سُهَيْلًا لَهُ عَقْلٌ وَشَرَفٌ ، وَمَا مِثْلُ سُهَيْلٍ جَهْلُ الْإِسْلَامِ ، وَلَقَدْ رَأَى مَا كَانَ يُوضَعُ فِيهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِنَافِعٍ ! فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى أَبِيهِ فَأَخْبَرَهُ بِمَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ سُهَيْلٌ : كَانَ وَاللَّهِ بَرًّا ؛ صَغِيرًا وَكَبِيرًا ! فَكَانَ سُهَيْلٌ يُقْبَلُ وَيُدْبَرُ ، وَخَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى شِرْكِهِ حَتَّى أَسْلَمَ بِالْجَعْرَانَةِ .

وَهَرَبَ هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ زَوْجُ أُمِّ هَانِئِ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ - هُوَ وَابْنُ الزَّبْعَرِيِّ جَمِيعًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى نَجْرَانَ ، فَلَمْ يَأْمَنَّا مِنَ الْخَوْفِ حَتَّى دَخَلَا حَصْنَ نَجْرَانَ ، فَقِيلَ لَهُمَا : مَا وَرَاءَ كَمَا ؟ قَالَا : أَمَّا قُرَيْشٌ فَقَدْ قُتِلَتْ ، وَدَخَلَ مُحَمَّدٌ مَكَّةَ ، وَنَحْنُ وَاللَّهِ نَرَى أَنَّ مُحَمَّدًا سَائِرٌ إِلَى حَصْنِكُمْ هَذَا ! فَجَعَلَتْ بِلْدَحَارِثُ وَكَعْبٌ يُصَلِّحُونَ مَا رَثَ مِنْ حَصْنِهِمْ ، وَجَمَعُوا مَا شَبِثَهُمْ ، فَأَرْسَلَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَبْيَاتًا يُرِيدُ بِهَا ابْنَ الزَّبْعَرِيِّ ، أَنْشَدَ نَيْهَا ابْنَ أَبِي الزُّنَادِ : لَا تَعْدَمَنَّ (١) رَجُلًا أَحَلَّكَ بُغْضُهُ نَجْرَانَ فِي عَيْشٍ أَحَدًا (٢) لثِيْمٍ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « لَا يَدَمَنَّ » ؛ وَمَا أَثْبَتَاهُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٦٠) .

(٢) الْأَحَدُ : هُوَ الْقَلِيلُ الْمُنْقَطِعُ . وَمِنْ رَوَاهُ أَجْدُ فَعْنَاهُ مُنْقَطِعٌ أَيْضًا ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : فِي عَيْشٍ لثِيْمٍ جَدًّا . (شرح أبي ذر ، ص ٣٧٣) .

بَلَيْتَ قَنَاتِكَ فِي الْحُرُوبِ فَأَلْقَيْتَ خِمَانَةً خَوْفَاءً^(١) ذَاتَ وُصُومٍ^(٢)
غَضِبَ إِلَهُهُ عَلَى الزُّبَيْرِ وَابْنِهِ وَعَذَابُ سُوءٍ فِي الْحَيَاةِ مُقِيمٍ

فَلَمَّا جَاءَ ابْنَ الزُّبَيْرِ شَعَرَ حَسَنًا تَهَيَّأَ لِلْخُرُوجِ ، فَقَالَ هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي
وَهَبٍ : أَيْنَ تُرِيدُ يَا ابْنَ عَمِّ ؟ قَالَ : أَرَدْتُ وَاللَّهِ مُحَمَّدًا . قَالَ : أَتُرِيدُ أَنْ تَتَّبِعَهُ ؟
قَالَ : إِي وَاللَّهِ ! قَالَ : يَقُولُ هُبَيْرَةُ : يَا لَيْتَ أَنِّي رَافَقْتُ غَيْرَكَ ! وَاللَّهِ ، مَا ظَنَنْتُ
أَنَّكَ تَتَّبِعُ مُحَمَّدًا أَبَدًا ! قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : هُوَ ذَاكَ ، فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ نُقِيمُ
مَعَ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ وَأَتْرَكَ ابْنَ عَمِّي وَخَيْرَ النَّاسِ وَأَبْرَهُمْ^(٣) ، وَمَعَ قَوْمِي
وَدَارِي . فَانْحَدَرَ ابْنُ الزُّبَيْرِ حَتَّى جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ
جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ قَالَ : هَذَا
ابْنُ الزُّبَيْرِ ، وَمَعَهُ وَجْهُ فِيهِ نُورُ الْإِسْلَامِ . فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ ! شَهِدْتُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ ، لَقَدْ عَادَيْتُكَ وَأَجْلَبَيْتُ
عَلَيْكَ ، وَرَكِبْتُ الْفَرَسَ وَالْبَعِيرَ ، وَمَشَيْتُ عَلَى قَدَمَيْ فِي عِدَاوَتِكَ ، ثُمَّ
هَرَبْتُ مِنْكَ إِلَى نَجْرَانَ ، وَأَنَا أُرِيدُ إِلَّا أَقْرَبَ الْإِسْلَامِ أَبَدًا ، ثُمَّ أَرَادَنِي اللَّهُ
عِزًّا وَجَلًّا مِنْهُ بِخَيْرٍ ، فَأَلْقَاهُ فِي قَلْبِي وَحَبَّبَهُ إِلَيَّ ، وَذَكَرْتُ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ
الضَّلَالَةِ ، وَاتَّبَاعَ مَا لَا يَنْفَعُ ذَا عَقْلٍ ، مِنْ حَجَرٍ يُعْبَدُ وَيُذْبَحُ لَهُ ، لَا يَدْرِي مَنْ
عَبْدُهُ وَمَنْ لَا يَعْبُدُهُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
هَدَاكَ لِلْإِسْلَامِ ، إِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُوبُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ! وَأَقَامَ هُبَيْرَةُ بَنَجْرَانَ ،
وَأَسْلَمَتْ أُمَّ هَانِي ، فَقَالَ هُبَيْرَةُ حِينَ بَلَغَهُ إِسْلَامُهَا يَوْمَ الْفَتْحِ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « جِمَانَةٌ خَوْفَاءٌ » ؛ وَقَنَاءٌ خِمَانَةٌ : ضَعِيفَةٌ . (لِسَانُ الْعَرَبِ ، ج ١٦ ، ص ٣٠٠) .

(٢) الْوُصُومُ : جَمْعُ وَصْمٍ ، وَهُوَ الْعَيْبُ فِي الْحَسَبِ . (لِسَانُ الْعَرَبِ ، ج ١٦ ، ص ١٢٦) .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَأَبْرَهُ » .

أشأقتك هِنْدُ أَم نَأَكُ^(١) سُؤَالُهَا
 وقد أَرَقَّتْ^(٢) في رَأْسِ حِصْنٍ مُمْنَعٍ
 وَإِنِّي مِنْ قَوْمٍ إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ
 وَإِنِّي لَعَامٍ مِنْ وَرَاءِ عَشِيرَتِي
 وَإِنَّ كَلَامَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ
 وَإِنْ كُنْتَ قَدْ تَابَعْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ
 فَكُونِي عَلَى أَعْلَى سَحِيقٍ بِهَضْبَةٍ^(٣)
 كَذَلِكَ النَّوَى أَسْبَابُهَا وَإِنْفِتَالُهَا^(٤)
 بَنَجْرَانٍ يَسْرِي بَعْدَ لَيْلٍ^(٥) خَيَالُهَا
 عَلَى أَىِّ حَالٍ أَصْبَحَ الْيَوْمَ حَالُهَا
 إِذَا كَرِهَتْ نَحْوَ الْعَوَالِ فِيحَالُهَا^(٦)
 لِكَائِبِلٍ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا
 وَقَطَّعْتَ الْأَرْحَامَ مِنْكِ حَبَالُهَا
 مُلْمَلَمَةٌ^(٧) حَمْرَاءُ يَبْسُ تِلَالُهَا
 أَقَامَ بَنَجْرَانٍ حَتَّى مَاتَ مُشْرَكًا .

قال : حدثني ابن أبي سبرة ، عن موسى بن عقبة ، عن المنذر بن جهم
 قال : لما كان يوم فتح مكة هرب حُوَيْطِبُ بن عبد العزى حتى انتهى
 إلى حائط عوف فدخل هناك ، وخرج أبو ذرٍّ لحاجته وكان داخله ، فلما رآه
 هرب حُوَيْطِبُ فناداه أبو ذرٍّ : تعال ، أنت آمن ! فرجع إليه فسلم عليه ،
 ثم قال : أنت آمن ، فإن شئت أدخلتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 وإن شئت فاذهب إلى منزلك . قال : وهل لي سبيلٌ إلى منزلي ؟ أُلْقِيَ فَأُقْتَلَ
 قبل أن أصل إلى منزلي ، أو يُدْخَلَ عَلَى مَنْزِلِي فَأُقْتَلَ . قال : فأننا أبلغ معك

- (١) نَأَكُ : أى بعد عنك . (شرح أبي ذر ، ص ٣٧٤) .
 (٢) انفثالها : أى تقلبها من حالة إلى حالة . (شرح أبي ذر ، ص ٣٧٤) .
 (٣) أَرَقَّتْ : أزالت النوم . (شرح أبي ذر ، ص ٣٧٤) .
 (٤) فى ... صل : « بعدهن » ؛ وما أثبتناه عن ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٦٢) .
 (٥) الفحال : جمع الفحل .
 (٦) فى الأصل : « سجون نهضة » ؛ وما أثبتناه عن ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٦٣) .
 والسحيق : البعيد . (المصاحح ، ص ١٤٩٥) . والهضبة : الكدية العالية . (شرح أبي ذر ، ص ٣٧٥) .
 (٧) الململة : المستديرة . (شرح أبي ذر ، ص ٢٧٥) .

منزلك . فبلغ معه منزله ، ثم جعل يُنادى على بابهِ : إِنَّ حَوِيطَبًا آمَنَ ، فلا يُهْجَمَ عليه ! ثم انصرف أبو ذرٍّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : أو ليس قد آمَنَّا كلَّ الناس إلا مَنْ أَمَرْتُ بقتله ؟

قال : فحدثني ابن أبي سبرة ، عن موسى بن عقيب ، عن أبي حبيبة مولى الزبير ، عن عید الله بن الزبير ، قال : لما كان يوم الفتح ، أسلمت هند بنت عتبة ، وأسلمت أم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل ، وأسلمت امرأة صفوان بن أمية ، البغوم بنت المعدل ، من كنانة ، وأسلمت فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وأسلمت هند بنت منبه بن الحجاج ، وهى أم عبد الله بن عمرو بن العاص ، فى عشر نسوة من قريش ، فأتين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح ، فبايعنه فدخلن عليه ، وعنده زوجته وابنته فاطمة ، ونساء من نساء بنى عبد المطلب ، فتكلمت هند بنت عتبة فقالت : يا رسول الله ، الحمد لله الذى أظهر الدين [الذى] اختاره لنفسه ، لئتمسنى رحمتك ^(١) يا محمد ، إني امرأة مؤمنة بالله مصدقة . ثم كشفت عن نقابها فقالت : هند بنت عتبة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مرحباً بك . فقالت : والله يا رسول الله ، ما على الأرض من أهل خباء أحبَّ إلىَّ أن يَدُلُّوا من [أهل] خيائك ، ولقد أصبحت وما على الأرض من أهل خباء أحبَّ إلىَّ أن يعزُّوا من [أهل] خيائك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وزيادة أيضاً ! ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن القرآن وبايعهن ، فقالت هند من بينهن : يا رسول الله ، نُماسحك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لا أصافح

(١) فى الأصل : « لئتمس رحمتك » ؛ وما أثبتناه عن الزرقانى . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ،

النساء ، إِنَّ قَوْلِي لِمَائَةِ امْرَأَةٍ مِثْلُ قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ . ويقال : وضع على يده ثوباً ثم مسح على يده يومئذ . ويقال : كان يُؤْتَى بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ ، فيُدْخَلُ يده فيه ثم يدفعه إليهنَّ فيُدْخِلْنَ أَيْدِيَهُنَّ فِيهِ . والقول الأول أثبتتها عندنا : «إِنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ» . ثم قالت أُمُّ حَكِيمٍ امْرَأَةٌ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ هَرَبَ عِكْرِمَةَ مِنْكَ إِلَى الْيَمَنِ ، وَخَافَ أَنْ تَقْتُلَهُ فَأَمَّا نَهْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هُوَ آمِنٌ . فخرجت أُمُّ حَكِيمٍ فِي طَلْبِهِ وَمَعَهَا غُلَامٌ لَهَا رُوْمِيٌّ ، فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَجَعَلَتْ تُثْنِيهِ حَتَّى قَدِمَتْ عَلَى حَتَّى مِنْ عَكٍّ^(١) ، فَاسْتَغَاثَتْهُمْ عَلَيْهِ فَأَوْثَقُوهُ رِبَاطًا ، وَأَدْرَكَتْ عِكْرِمَةَ وَقَدْ انْتَهَى إِلَى سَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ تِهَامَةِ فَرَكَبَ الْبَحْرَ ، فَجَعَلَ نُؤْتِي السَّفِينَةَ يَقُولُ لَهُ : أَخْلَصْ ! فَقَالَ : أَيْ شَيْءٍ أَقُولُ؟ قَالَ : قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . قَالَ عِكْرِمَةُ : مَا هَرَبْتُ إِلَّا مِنْ هَذَا . فَجَاءَتْ أُمُّ حَكِيمٍ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ ، فَجَعَلَتْ تُلَحِّحُ إِلَيْهِ وَتَقُولُ : يَا ابْنَ عَمِّ ، جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَوْصِلِ النَّاسِ وَأَبْرَ النَّاسِ وَخَيْرِ النَّاسِ ، لَا تُهْلِكَ نَفْسَكَ . فَوَقَفَ لَهَا حَتَّى أَدْرَكَتْهُ فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ اسْتَأْمَنْتُ لَكَ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : أَنْتِ فَعَلْتِ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، أَنَا كَلَّمْتُهُ فَأَمَّا مِنْكَ . فَرَجَعَ مَعَهَا وَقَالَ : مَا لَقِيتِ مِنْ غُلَامِكَ الرَّوْمِيِّ؟ فَخَبَّرْتَهُ خَبْرَهُ فَقَتَلَهُ عِكْرِمَةَ ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ لَمْ يُسْلَمْ . فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَكَّةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : بِأَتْبِكُمْ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ مُؤْمِنًا مُهَاجِرًا ، فَلَا تَسُبُّوا آبَاءَهُ^(٢) ، فَإِنَّ سَبَّ الْمَيِّتِ يُؤْذِي الْحَيَّ وَلَا يَبْلُغُ الْمَيِّتَ . قَالَ : وَجَعَلَ عِكْرِمَةَ يَطْلُبُ امْرَأَتَهُ يُجَامِعُهَا ، فَتَأْتِي عَلَيْهِ وَتَقُولُ : إِنَّكَ كَافِرٌ وَأَنَا مُسْلِمَةٌ . فَيَقُولُ : إِنَّ أَمْرًا مَنَعَكَ مِنِّي لَأَمْرٌ كَبِيرٌ . فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) عك : بخلاف من يخالف مكة التهامية . (معجم ما استعجم ، ص ٢٢٣) .

(٢) في الزرقاني ، عن الواقدي : «فلا تسبوا أبا الناس» . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٧٦) .

عِكْرَمَةَ وَثَبَ إِلَيْهِ - وما على النبي صَلَّى الله عليه وسلم رداء - فَرَحًا بِعِكْرَمَةِ ،
ثم جلس رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم فوقف بين يديه ، وزوجته مُنْتَقِبَةً ،
فقال : يا مُحَمَّدُ إِنَّ هَذِهِ أَخْبَرَتْنِي أَنَّكَ أَمَنْتَنِي . فقال رسول الله صَلَّى الله
عليه وسلم : صَدَقْتُ ، فَأَنْتَ آمَنَ ! فقال عِكْرَمَةُ : فإِلى ما تدعوا يا مُحَمَّدُ ؟
قال : أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنْ تُقِيمَ
الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ - وَتُفْعَلَ ، وَتُفْعَلَ ، حَتَّى عَدَّ خِصَالِ الْإِسْلَامِ . فقال
عِكْرَمَةُ : وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُ إِلَّا إِلَى الْحَقِّ وَأَمْرٍ حَسَنِ جَمِيلٍ ؛ قَدْ كُنْتُ وَاللَّهِ فِينَا
قَبْلَ أَنْ تَدْعُو إِلَى مَا دَعَوْتُ إِلَيْهِ وَأَنْتَ أَصْدَقُنَا حَدِيثًا وَأَبْرَأُنَا بَرًّا . ثم قال
عِكْرَمَةُ : فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . فُسِّرَ
بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلم ؛ ثم قال : يا رَسُولُ اللَّهِ ، عَلَّمَنِي خَيْرَ شَيْءٍ
أَقُولُهُ . قال : تَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . قال
عِكْرَمَةُ : ثم ماذا ؟ قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : تَقُولُ : أَشْهَدُ اللَّهَ
وَأَشْهَدُ مَنْ حَضَرَ أَنِّي مُسْلِمٌ مُهَاجِرٌ مُجَاهِدٌ . فقال عِكْرَمَةُ ذَلِكَ . فقال رسول
الله صَلَّى الله عليه وسلم : لَا تَسْأَلَنِي الْيَوْمَ شَيْئًا أُعْطِيهِ أَحَدًا إِلَّا أُعْطِيَتْكَه .
فقال عِكْرَمَةُ : فَإِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِي كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا ، أَوْ مَسِيرٍ
وَضَعْتُ فِيهِ ، أَوْ مَقَامٍ لَقِيتُكَ فِيهِ ، أَوْ كَلَامٍ قُلْتُهُ فِي وَجْهِكَ أَوْ وَأَنْتَ غَائِبٌ
عَنْهُ . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ كُلَّ عَدَاوَةٍ
عَادَانِيهَا ، وَكُلَّ مَسِيرٍ سَارَ فِيهِ إِلَى مَوْضِعٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ الْمَسِيرِ إِطْفَاءَ نَوْرِكَ ،
فَاغْفِرْ لَهُ مَا نَالَ مِنْهُ مِنْ عَرَضٍ ، فِي وَجْهِهِ أَوْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهُ ! فقال
عِكْرَمَةُ : رَضِيتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . ثم قال عِكْرَمَةُ : أَمَّا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا أَدْعُ
نَفَقَةً كُنْتُ أَنْفَقْتُهَا فِي صَدٍّ [عَنْ] سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا أَنْفَقْتُ ضِعْفَهَا فِي سَبِيلِ

الله ، ولا قتالاً ^(١) كنت أقاتل في صدٍّ عن سبيل الله إِلَّا أَبليت ضِعْفَه في سبيل الله . ثم اجتهد في القتال حتى قُتل شهيداً ، فردَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم امرأته بذلك النِّكاح الأوَّل .

وَأَمَّا صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، فهِرَبَ حَتَّى أَتَى الشُّعَيْبَةَ ^(٢) . وجعل يقول لغلّامه يسار وليس معه غيره : وَيَحْكُ ، انظر مَنْ ترى ! قال : هذا عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ . قال صَفْوَانُ : مَا أَصْنَعُ بِعُمَيْرٍ ؟ وَاللَّهِ مَا جَاءَ إِلَّا يُرِيدُ قَتْلِي ، قَدْ ظَاهَرَ مُحَمَّدًا عَلِيًّا . فَلَجِقَهُ فَقَالَ : يَا عُمَيْرُ ، مَا كِفَاكَ مَا صَنَعْتَ بِي ؟ حَمَلْتَنِي دَيْنَكَ وَعِيَالِكَ ، ثُمَّ جِئْتَ تُرِيدُ قَتْلِي ! قَالَ : أَبَا وَهَبٍ ، جُعِلَتْ فِدَاكَ ! جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَكْبَرِ النَّاسِ وَأَوْصَلَ النَّاسِ . وَقَدْ كَانَ عُمَيْرُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سَيِّدُ قَوْمِي خَرَجَ هَارِبًا لِيَقْدِفَ نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ . وَخَافَ إِلَّا تُؤْمِنَهُ ، فَأَمَّنَهُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَدْ أَمَنْتَهُ . فَخَرَجَ فِي أَثَرِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَّنَكَ . فَقَالَ صَفْوَانُ : لَا وَاللَّهِ ، لَا أَرْجِعُ مَعَكَ حَتَّى تَأْتِنِي بِعَلَامَةٍ أَعْرِفُهَا . فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جِئْتُ صَفْوَانُ هَارِبًا يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا أَمَنْتَهُ : فَقَالَ : لَا أَرْجِعُ حَتَّى تَأْتِيَ بِعَلَامَةٍ أَعْرِفُهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خُذْ عِمَامَتِي . قَالَ : فَرَجَعَ عُمَيْرُ إِلَيْهِ بِهَا ، وَهُوَ الْبُرْدُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ مُعْتَجِرًا ^(٣) بِهِ ، بُرْدُ حَبْرَةَ ^(٤) . فَخَرَجَ عُمَيْرُ فِي طَلَبِهَا الثَّانِيَةِ .

(١) في الأصل : « ولا قتال » .

(٢) الشَّعْبِيَّةُ : مَرْفَأُ النَّفْسِ مِنْ سَاحِلِ بَحْرِ الْحِجَازِ ، وَهُوَ كَانَ مَرْفَأً مَكَّةَ وَمَرَسَى سَفِينَا قَبْلَ جِدَّةَ . (معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٧٦) .

(٣) الاعتجار بالعمامة : هو أن يلفها على رأسه وبرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٦٩) .

(٤) الحَبْرَةُ : ضَرْبٌ مِنْ ثِيَابِ الْبَحْرِ . (شرح أبي ذر ، ص ٣٦٩) .

حتى جاء بالبُرْد فقال : أبا وَهَب ، جئتكَ من عند خير الناس ، وأوصل
الناس ، وأبرّ الناس ، وأحلم الناس . مجده مجدك ، وعزّه عزك ، ومُلكه
مُلكك . ابن أُمك وأبيك . أذكرك الله في نفسك . قال له : أخاف أن
أقتل . قال : قد دعاك إلى أن تدخل في الإسلام ؛ فإن رضيت وإلا سيرك
شهرين ؛ فهو أوفى الناس وأبرُّهم^(١) . وقد بعث إليك ببرده الذي دخل به
معتجراً ، تعرفه ؟ قال : نعم . فأخرجه ، فقال : نعم ، هو هو ! فرجع صفوان
حتى انتهى إلى رسول الله ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلي بالمسلمين
العصر في المسجد ، فوقفا ، فقال صفوان : كم تُصلُّون في اليوم والليلة ؟ قال :
خمس صلوات . قال : يُصلي بهم محمد ؟ قال : نعم . فلما سلّم صاح
صفوان : يا محمد ، إنَّ عُمير بن وَهَب جاءني ببردك ، وزعم أنك دعوتني إلى
القدوم عليك . فإن رضيت أمراً وإلا سيرتني شهرين . قال : انزل أبا وَهَب .
قال : لا والله ، حتى تُبين لي . قال : بل تسير أربعة أشهر . فنزل صفوان ،
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هوازن ، وخرج معه صفوان وهو كافر ،
وأرسل إليه يستعيّره سلاحه . فأعاره سلاحه بمائة دِرْع بادأتها ، فقال :
طَوْعاً أو كَرْهاً ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عارية مُودّة . فأعاره ،
فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملها إلى حُنَيْن ، فشهد حُنَيْناً^(٢) والطائف
ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجِعْرانة . فبينما رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسير في الغنائم ينظر إليها ، ومعه صفوان بن أُميّة ، جعل
صفوان ينظر إلى شعبٍ مُلئ نَعْماً وشاء ورِعاءً ، فأدام إليه النظر ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرمقه فقال : أبا وَهَب ، يُعجبك هذا الشعب ؟

(١) في الأصل : « وأبره » .

(٢) في الأصل : « حنين » .

قال : نعم . قال : هـولـكـ وـما فـيـه . فقـال صـفـوان عـند ذـلـك : ما طـابـت نـفـس
أحـدٍ بـمـثـل هـذا إـلّا نـفـس نـبـيٍّ ، أشـهـد أن لا إـله إـلّا الله ، وأنّ محمّداً عبده
ورسوله ! وأسلم مكانه .

قال : فـحـدّثـني عبد الحميد بن جعفر ، عن يزيد بن أبي حبيب ،
عن عطاء بن أبي رباح ، قال : أسلم أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن
حزام ، ومخرمة بن نوفل قبل نسائهم ، ثم قدموا على نسائهم في العدة ،
فردّهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بذلك النكاح . وأسلمت امرأة صفوان
وامرأة عكرمة قبل أزواجهما ، ثم أسلما فردّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم
نسائهم عليهم ، وذلك أنّ إسلامهم كان في عدّتهم .

قالوا : وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله صلى الله
عليه وسلّم الوحي ، فربّما أملى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم
(سَمِيعٌ عَلِيمٌ) فيكتب عليهم حكيمٌ ؛ فيقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلّم
فيقول : كذلك الله ، ويقرّه . واقتتن وقال : ما يدرى محمّد ما يقول ! إني
لأكتب له ما شئت ، هذا الذي كتبت يوحى إليّ كما يوحى إلى محمّد .
وخرج هارباً من المدينة إلى مكة مُرتداً ، فأهـدر رسول الله صلى الله عليه وسلّم
دمه يوم الفتح ، فلما كان يومئذ جاء ابن أبي سرح إلى عثمان بن عفّان
رضي الله عنه ، وكان أخاه من الرضاعة ، فقال : يا أخي ، إني والله اخترتك
فاحتبسني ها هنا ، واذهب إلى محمّد فكلّمه فيّ ، فإنّ محمّداً إن رآني
ضرب الذي فيه عيناي ؛ إن جرّمي أعظم الجُرم ، وقد جئت تائباً . فقال :
بل اذهب معي . قال عبد الله : والله لئن رآني ليضربنّ عنق ولا يُناظرني ،
قد أهدر دمى ، وأصحابه يطلبونني في كلّ موضع . فقال عثمان : انطلق معي ،

فلا يقتلك إن شاء الله ، فلم يُرْع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلا بعثمان ، أخذ بيد عبد الله بن سعد بن أبي سرح واقفين بين يديه ، فأقبل عثمان على النبي صَلَّى الله عليه وسلّم فقال : يا رسول الله ، إن أمه كانت تحملي وتُمشّيه ، وتُرضعني وتَقطّعه ، وكانت تُلطّفي وتتركه ، فهَبْه لي . فأعرض عنه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، وجعل عثمان كلّما أعرض عنه النبي صَلَّى الله عليه وسلّم بوجهه استقبله فيُعِيد عليه هذا الكلام ، فإنما أعرض النبي صَلَّى الله عليه وسلّم عنه إرادة أن يقوم رجلٌ فيضربَ عنقه ، لأنّه لم يُؤْمَنه ، فلمّا رأى ألا يُقدّم أحدٌ ، وعثمان قد أكبَّ على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يُقبّل رأسه وهو يقول : يا رسول الله ، تُبايعه فذاك أبي وأُمّي ! فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : نعم . ثم التفت إلى أصحابه فقال : ما منعكم أن يقوم رجلٌ منكم إلى هذا الكلب فيقتله ؟ أو قال : « الفاسق » . فقال عباد بن بشر : ألا أومأتُ إليّ يا رسول الله ؟ فوالذي بعثك بالحقّ إني لأتبع طَرَفَكَ من كلّ ناحية رجاء أن تُشير إليّ فأضربَ عنقه . ويقال : قال هذا أبو اليسر : ويقال : عمر بن الخطّاب . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : إني لا أقتل بالإشارة . وقائل يقول : إنّ النبي صَلَّى الله عليه وسلّم قال يومئذ : إن النبي لا تكون له خائنة الأعين^(١) . فبايعه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فجعل يفرّ من رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم كلّما رآه ، فقال عثمان لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : بآبي [أنت] وأُمّي ، لو ترى ابن أمّ عبد الله يفرّ منك كلّما رآك ! فتبسّم النبي صَلَّى الله عليه وسلّم فقال : أو لم أبايعه وأؤمّنه ؟ قال : بلى أي رسول الله ! ولكنه يتذكّر عظيم جُرمه

(١) أي يضمر في نفسه غير ما يظهره ، فإذا كف لسانه وأومأ بعينه فقد خان ، وإذا كان ظهوره تالك الحالة من قبل العين سميت خائنة الأعين . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٦) .

في الإسلام . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الإسلام يَجُوبُ ما كان قبله » .
فرجع عثمان إلى ابن أبي سرح فأخبره ، فكان يأتي فيُسَلِّم على النبي مع
الناس .

وَأَمَّا الْحُوَيْرِثُ بْنُ نُقَيْدٍ^(١) من ولد قُصَيٍّ ، فإنه كان يؤذى النبي صلى الله
عليه وسلم فأهדר دمه ، فبينما هو في منزله يوم الفتح قد أغلق بابا عليه ،
وأقبل على عليه السلام يسأل عنه ، فقيل هو في البادية . فأخبر الحُوَيْرِثُ أنه
يُطَلَّب ، وتنجح على عليه السلام عن بابا ، فخرج الحُوَيْرِثُ يريد أن يهرب
من بيت إلى بيت آخر ، فتلقاه على فضرب عنقه .

وَأَمَّا هَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كلما بعث
سرية أمرها بهبار إن أخذ أن يُحَرِّق بالنار . ثم قال : إنما يُعَذَّب بالنار
رب النار ؛ اقطعوا يديه ورجليه إن قدرتم عليه ، ثم اقتلوه . فلم يُقدَّر عليه
يوم الفتح ، وكان جُزْمه أنه عس بابنة النبي صلى الله عليه وسلم زينب
وضرب ظهرها بالرمح - وكانت حبلى - حتى سقطت ، فأهדר النبي صلى الله
عليه وسلم دمه . فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بالمدينة في
أصحابه إذ طلع هبار بن الأسود ، وكان لَسِينًا ، فقال : يا محمد ! سُبَّ
من سَبَّكَ ؛ إني قد جئت مُقرًّا بالإسلام ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له ، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله . فقبل منه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فخرجت سلمى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : لا أنعم الله
بك علينا ! أنت الذي فعلت وفعلت . فقال : إن الإسلام محا ذلك . ونهى

(١) في الأصل : « نفيل » ؛ وما أثبتناه عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٩٨) . وعن
البلاذري أيضاً . (أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ٣٥٧) .

رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم عن سَبِّه والتعريض له .

قال : حدثني هشام بن عمار ، عن سعيد بن محمد بن جبيرة بن مطعم ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كنت جالساً مع النبي صَلَّى الله عليه وسلم في أصحابه في مسجده ، مُنْصَرَفَهُ من الجِعْرَانَةِ ، فطلع هَبَّار بن الأسود من باب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، فلما نظر القوم إليه قالوا : يا رسول الله ، هَبَّار ابن الأسود ! قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : قد رأيته . فأراد بعض القوم القيام إليه ، فأشار النبي صَلَّى الله عليه وسلم أن اجلس ، ووقف عليه هَبَّار فقال : السلام عليك يا رسول الله ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، ولقد هربتُ منك في البلاد وأردت اللُّهُوقَ ^(١) بالأعاجم ، ثم ذكرت عائدتك وفضلك وبرك وصفحك عمن جهل عليك ؛ وكنا يا رسول الله أهل شرك ، فهدانا الله عز وجل بك ، وأنقذنا بك من الهلكة ، فاصفح عن جهلي وعمّا كان يبلغك عني ، فإني مُقَرَّرٌ بسوء فعلي ، مُعْتَرَفٌ بذنبي . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : قد عفوتُ عنك ، وقد أحسن الله بك حيث هداك للإسلام ، والإسلام يَجِبُ ما كان قبله .

قال : حدثني واقد بن أبي ياسر ، عن يزيد بن رومان ، قال : قال الزُّبَيْر ابن العوّام : ما رأيته رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ذكر هَبَّاراً قط . إلا تغَيَّظَ عليه ، ولا رأيته رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم بعث سرية قط . إلا قال : إن ظفرتهم بهَبَّار فاقطعوا يديه ورجليه ثم اضربوا عنقه . والله لقد كنت أطلبه وأسأل عنه ، والله أعلم لو ظفرتُ به قبل أن يأتني إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم لقتلته . ثم طلع على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم وأنا عنده جالسٌ ، فجعل يعتذر إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ويقول : سُبِّ

(١) في الزرقاني ، عن الوادي : « اللحاق » . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٧٧) .

يا محمد مَن سَبَّكَ وأوذى من آذاك، فقد كنتُ مُوضِعاً في سَبِّكَ وأذاك، وكنتُ مخدولاً ، وقد نصرني الله وهداني للإسلام . قال الزُّبَيْر : فجعلتُ أنظر إلى النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم وإنه لَيُطَاطِئُ رأسه استحياءً^(١) ممّا يعتذر هَبَّار ، وجعل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يقول : قد عفوتُ عنك ، الإسلام يَجُوبُ ما كان قبله . وكان لِسِنًا ، وكان يُسَبُّ حتى يُبلِّغ منه ، فلا ينتصف من أحد . فبلغ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم حلمه وما يُحَمَلُ عليه من الأذى ، فقال : هَبَّار ، سُبَّ من سَبَّكَ !

قالوا : وأما ابن خَطَل ، فإنه خرج حتى دخل بين أستار الكعبة .

فحدثني يعقوب بن عبد الله ، عن جَعْفَر بن أَبِي الْمُغِيرَةِ ، عن سعيد ابن عبد الرحمن بن أَبِزَى ، قال : سمعتُ أبا بَرَزَةَ الأَسْلَمِيّ يقول : في نزلت هذه الآية : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ * ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾^(٢) ؛ أَخْرَجَتْ عبد الله بن خَطَل وهو مُعلّق بأستار الكعبة ، فضربت عنقه بين الركن والمقام . ويقال : قتله سَعِيد بن حُرَيْث المَخْزُومِيّ ؛ ويقال : عَمَّار بن ياسر ، ويقال : شريك بن عَبْدِ الْعَجَلَانِيّ ، وأثبتته عندنا أبو بَرَزَةَ . وكان جُرْمُهُ أَنَّهُ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاعِيًا ، وَبَعَثَ مَعَهُ رَجُلًا مِنْ خُزَاعَةَ ، فَكَانَ يَصْنَعُ طَعَامَهُ وَيُخْدِمُهُ ، فَنَزَلَا فِي مَجْمَعٍ فَأَمَرَهُ يَصْنَعُ لَهُ طَعَامًا ، وَنَامَ نِصْفَ النَّهَارِ ، فَاسْتَيْقَظَ . وَالْخُزَاعِيُّ نَائِمٌ وَلَمْ يَصْنَعْ لَهُ شَيْئًا ، فَاغْتَاظَ . عَلَيْهِ ، فَضْرِبَهُ فَلَمْ يَقْلَعْ عَنْهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، فَلَمَّا قَتَلَهُ قَالَ : وَاللَّهِ لَيَقْتُلَنِي مُحَمَّدٌ بِهِ إِنْ جِئْتُهُ . فَارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَسَاقَ مَا أَخَذَ مِنَ الصَّدَقَةِ وَهَرَبَ إِلَى مَكَّةَ ، فَقَالَ لَهُ أَهْلُ مَكَّةَ : مَا رَدَّكَ إِلَيْنَا ؟ قَالَ : لَمْ

(١) في الأصل : « استحياء منه » .

(٢) سورة ٩٠ البلد ٢٠١ .

أَجْدَ دِينًا خَيْرًا مِنْ دِينِكُمْ . فَأَقَامَ عَلَى شِرْكِهِ ، وَكَانَتْ لَهُ قَيْنَتَانِ ، إِحْدَاهُمَا فَرْتَنَا ، وَالْأُخْرَى أَرْزَبُ ، وَكَانَتَا فَاسِقَتَيْنِ ، وَكَانَ يَقُولُ الشَّعْرُ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَأْمُرُهُمَا تُغْنِيَانِ بِهِ ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ وَعَلَى قَيْنَتَيْهِ الْمُشْرِكُونَ فَيَشْرِبُونَ الْخَمْرَ ، وَتُغْنِي الْقَيْنَتَانِ بِذَلِكَ الْهَجَاءَ . وَكَانَتْ سَارَةَ مَوْلَاةَ عَمْرُو ابْنِ هَاشِمٍ مُغْنِيَةً نَوَاحَةَ بِمَكَّةَ ، فَيُلْقِي عَلَيْهَا هَجَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتُغْنِي بِهِ ، وَكَانَتْ قَدْ قَدِمَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَطْلُبُ أَنْ يَصِلَهَا وَشَكَتِ الْحَاجَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا كَانَ لَكَ فِي غَنَائِكَ وَنِيَا حِلِّكَ مَا يُغْنِيكَ ! فَقَالَتْ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ قُرَيْشًا مَنْذُ قُتِلَ مِنْ قُتِلَ مِنْهُمْ بَبَدْرٍ تَرَكُوا سَمَاعَ الْغَنَاءِ . فَوَصَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَوْقَرَهَا بَعِيرًا طَعَامًا ، فَرَجَعَتْ إِلَى قُرَيْشٍ وَهِيَ عَلَى دِينِهَا ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْفَتْحِ أَنْ تُقْتَلَ فَقُتِلَتْ يَوْمَئِذٍ . وَأَمَّا الْقَيْنَتَانِ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِهِمَا ، فَقُتِلَتْ إِحْدَاهُمَا ؛ أَرْزَبُ أَوْ فَرْتَنَا ، وَأَمَّا فَرْتَنَا فَاسْتَوْرَمَ لَهَا حَتَّى آمَنَتْ ، وَعَاشَتْ حَتَّى كُسِرَ ضِلَعٌ مِنْ أَضْلَاعِهَا زَمَنَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَمَاتَتْ مِنْهُ ، فَقَضَى فِيهَا عُثْمَانُ ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ؛ سِتَّةَ آلَافٍ دِينَتِهَا ، وَالْفَيْنِ تَغْلِيظًا لِلْجُرْمِ .

قَالُوا : وَأَمَّا مِقْيَسُ بْنُ صُبَابَةَ فَإِنَّهُ كَانَ مَعَ أَخْوَالِهِ بَنِي سَهْمٍ - كَانَتْ أُمُّهُ سَهْمِيَّةً - فَاصْطَبَحَ الْخَمْرَ يَوْمَ الْفَتْحِ فِي نَدَاجِيٍّ لَهُ ، فَأَتَى نُصَيْلَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيَّ ، وَعَلِمَ بِمَكَانِهِ ، فَدَعَاهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَهُوَ ثَجَلٌ ، يَتَمَثَّلُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ ؛ أَنْشَدْنِيهَا ابْنُ جَعْفَرٍ وَغَيْرُهُ :

دَعْنِي أَصْطَبِحُ يَا بَكْرُ إِنِّي رَأَيْتُ الْمَوْتَ نَقَّبَ عَنْ هِشَامٍ ^(١)
وَنَقَّبَ عَنْ أَبِيكَ أَبِي يَزِيدٍ أَخِي الْقَيْنَاتِ وَالشَّرْبِ الْكِرَامِ

(١) يريد أخاه ، كما يذكر الواقدي بعد .

بهم أَرَسَتْ رَوَاسٍ مِنْ ثَبِيرٍ وَمِنْ تَوْرٍ^(١) وَلَمْ تَصْمَمْ صَمَامٍ^(٢)
تُغْنِيَنِ الْحَمَامُ كَأَنَّ رَهْطِي خُزَاعَةُ أَوْ أَنْاسُ مِنْ جُذَامٍ

فَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَرِّدَهُ . وَيُقَالُ : خَرَجَ وَهُوَ ثَمِيلٌ فِيمَا بَيْنَ الصَّنَا وَالْمَرُوءَةِ ،
فَرَأَاهُ الْمُسْلِمُونَ فَهَبَّتُوهُ^(٣) بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى قَتَلُوهُ . وَقَالَ تَمَاعِرُهُمْ^(٤) :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَخْزَى نَمِيلَةَ رَهْطُهُ وَفُجِّعَ إِخْوَانُ السَّنَاءِ^(٥) بِمِقْيَيسِ
فَلَلَهُ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ مِقْيَيسِ إِذَا التُّنْفَسَاءُ أَصْبَحَتْ لَمْ تُخَرِّسْ^(٦)

وَكَانَ جُرْمُهُ أَنَّ أَخَاهُ هَاشِمَ بْنَ صُبَابَةَ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَشَهِدَ الْمُرَيْسِيعَ مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ خَطَأً
وَلَا يَدْرِي ، فَظَنَّ أَنَّهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَقَدَّمَ مِقْيَيسَ بْنَ صُبَابَةَ ، فَقَضَى لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّيَّةِ عَلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، فَأَخَذَهَا وَأَسْلَمَ
ثُمَّ عَدَا عَلَى قَاتِلِ أَخِيهِ الْعَمَرِيِّ فَقَتَلَهُ ، وَهَرَبَ مُرْتَدًّا كَافِرًا يَقُولُ شِعْرًا . وَيُقَالُ :
قَتَلَهُ أَوْسُ بْنُ ثَابِتٍ ، مِنْ رَهْطِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ
كَانَ فِي رَهْجٍ^(٧) الْعَدُوِّ ، فَخَرَجَ يَطْلُبُهُمْ فَرَجَعَ وَلَقِيَهُ أَوْسٌ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ فَقَتَلَهُ ، فَقَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَيْتِهِ عَلَى رَهْطِ عُبَادَةَ
إِبْنِ الصَّامِتِ - وَهَذَا أَثْبَتَ الْقَوَالِينَ - فَقَالَ :

(١) ثَبِيرٌ وَتَوْرٌ : جِبَلَانِ بِمَكَّةَ . (مَعْجَمٌ مَا اسْتَعْمَجَ ، ص ٢١٢ ، ٢٢٢) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَلَمْ يَصْمَمْ صَمَامٌ » . وَالصَّمَامُ : الدَّاهِيَةُ التَّدِيدَةُ . (لِسَانُ الْعَرَبِ ، ج ١٥ ،
ص ٢٣٨) .

(٣) هَبَّتُوهُ : ضَرَبُوهُ . (الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ ، ج ١ ، ص ١٦٠) .

(٤) نَسَبُهُ ابْنُ إِسْحَاقَ إِلَى أُخْتِ الْقَتِيلِ . (السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ ، ج ٤ ، ص ٥٣) .

(٥) السَّنَاءُ : مِنَ الرَّفْعَةِ وَالشَّرَفِ . (الصَّحَاحُ ، ص ٢٣٨٣) .

(٦) أَيْ لَمْ يَصْنَعْ لَهَا طَعَامًا عِنْدَ وِلَادَتِهَا ، وَاسْمُ الطَّعَامِ الَّذِي لِلنَّفْسَاءِ يُقَالُ لَهُ خَرَسٌ وَخَرَسَةٌ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ
بِهِ زَمْنَ الشَّدَةِ . (شَرْحُ أَبِي ذَرٍّ ، ص ٣٧٠) .

(٧) الرَّهْجُ : الْغَبَارُ . (الْهَيْكَلُ ، ج ٢ ، ص ١١٤) .

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَدَبَاتٍ بِالْقَاعِ مُسْنَدًا تُضْرَجُ ثَوْبِيهِ دَمَاءُ الْأَخَادِعِ^(١)
ثَارَتْ بِهِ فِهْرًا وَحَمَلْتُ عَقْلَهُ سَرَاةَ بَنِي النَّجَّارِ أَرْبَابَ فَارِعِ
حَمَلْتُ بِهِ وَتَرَى وَأَدْرَكْتُ ثُورِي وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْتَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ
فَأَهْدِرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَمَهُ .

قال : حَدَّثَنَا الْوَاقِدِيُّ قَالَ : فَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَرَوَةَ . عَنْ أَبِي [بَن] كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَمَّا رَجَعَ
مِقْيَسُ بْنُ صُبَابَةَ إِلَى قُرَيْشٍ إِلَى مَكَّةَ قَالُوا : مَا رَدَّكَ إِلَيْنَا وَقَدْ اتَّبَعْتَ مُحَمَّدًا ؟
قَالَ : فَاَنْطَلَقْتُ إِلَى الصَّنَمَيْنِ فَحَلَقْتُ رَأْسَهُ ، وَقَالَ : لَمْ أَجِدْ دِينًا خَيْرًا مِنْ دِينِكُمْ
وَلَا أَقْدَمَ . ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ كَيْفَ صَنَعَ وَكَيْفَ قَتَلَ قَاتِلَ أَخِيهِ .

قال : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْهَذَلِيُّ ، عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ الْهَذَلِيِّ ، قَالَ :
لَمَّا قُتِلَ النَّفَرُ الَّذِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِهِمْ سُمِعَ النَّوْحُ
عَلَيْهِمْ بِمَكَّةَ ، وَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فَقَالَ : فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، الْبَقِيَّةُ^(٢)
فِي قَوْمِكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تُقَتِّلْ قُرَيْشَ صَدْرًا بَعْدَ
الْيَوْمِ ! يَعْنِي عَلَى الْكُفْرِ .

قال : وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ فِرَاسٍ ، عَنْ عِرَاكِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ
الْبَرَصَاءِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لَا تُغْزَى
قُرَيْشٌ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ! يَعْنِي عَلَى الْكُفْرِ .

قال : وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ : عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ،
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ وَحْشِيٍّ*

(١) الْأَخَادِعُ : عُرُوقُ فِي الْقَفَا ، وَإِنَّمَا هُمَا أَخْدَعَانِ فَجَمَعَهُمَا بِمَا يَلِيهِمَا . (شرح أبي ذر ،
ص ٣٣٤) .

(٢) الْبَقِيَّةُ : الْإِبْقَاءُ . (لسان العرب ، ج ١٨ ، ص ٨٦) .

مع النَّفَر ، ولم يكن المسلمون على أحد أحرص منهم على وَحْشِيٍّ . وهرب وَحْشِيٌّ إلى الطائف ، فلم يزل به مُقيماً حتى قدم في وفد الطائف على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فدخل عليه فقال : أشهد أن لا إله إلا الله . وأنَّ محمداً رسول الله . فقال : وَحْشِيٌّ ؟ قال : نعم . قال : اجلس ، حَدَّثْنِي كيف قتلتَ حَمْرَةَ . فَأخبره ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : غَيَّبَ عَنِّي وجهك ! قال : فكنت إذا رأيته تواريت عنه . ثم خرج الناس إلى مُسَيْلِمَةَ^(١) . فدفعته إلى مُسَيْلِمَةَ فزرقته^(٢) بالحَرْبَةِ ، وضربه رجلٌ من الأنصار ، فربُّك أعلم أيُّنا قتله .

قال : وحَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، عن أبيه ، قال : أرسل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عام الفتح . فاستسلف من عبد الله ابن أبي ربيعة أربعين ألف درهم فأعطاه ، فلما فتح الله عليهم هَوازِنَ وغنمهم أموالها ردّها وقال : إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْحَمْدُ والأدَاءُ . وقال : بارك الله لك في مالِكَ وولَدِكَ !

قال : وحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ الْهُدَلِيِّ ، عن أَبِي حُصَيْنِ الْهُدَلِيِّ ، قال : استقرض رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من ثلاثة نَفَرٍ من قُرَيْشٍ : من صَفْوَانَ ابن أُمَيَّةَ خمسين ألف درهم فأقرضه ، واستقرض من عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم ، واستقرض من حُوَيْطِبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى أربعين ألف درهم ، فكانت ثلاثين وائة ألف فقسّمها رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بين أصح طابه من أهل الصَّعْفِ .

قال : فَأخبرني رجلٌ من بنى كِنَانَةَ - كانوا مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في الفتح ، أنه قسم فيهم دراهم . فَيُصِيبُ الرجل خمسين درهماً

(١) أي في حروب الردة .

(٢) زرقه به : رماه . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٤٠) .

أَوْ أَقْلٍ أَوْ أَكْثَرٍ ، وَهَذَا الْمَالُ بَعُثَ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ .

قال : وَحَدَّثَنِي سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ . عَنْ الْكَلْبِيِّ ، عَنْ صَالِحٍ ، عَنْ الْمَطْلَبِ ابْنِ أَبِي وَدَاعَةَ . قَالَ : طَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَيْتِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ . وَعَبْدُ اللَّهِ فَاسْتَسْقَى . فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ . عِنْدَنَا شَرَابٌ مِنْ هَذَا الزَّبِيبِ ، أَفَلَا أَسْقِيكَ مِنْهُ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : فَبَعَثَ الرَّجُلَ إِلَى بَيْتِهِ فَأَتَى بِقَدَحٍ عَظِيمٍ ، فَأَذْنَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فِيهِ . فَوَجَدَ لَهُ رِيحًا شَدِيدَةً فَكَرِهَهُ فَرَدَّهُ . قَالَ : وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَاءٍ ، ثُمَّ دَعَا بِهِ . قَالَ : وَأَتَى بِمَاءٍ مِنْ زَمْزَمَ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَيْتَ الْمَاءَ يَفِيضُ مِنْ جَانِبِهِ ، وَشَرِبَ مِنْهُ حَاجَتَهُ ، ثُمَّ نَاولَهُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ وَقَالَ : مَنْ أَرَابَهُ مِنْ شَرَابِهِ رَيْبٌ فَلْيَكْسِرْهُ بِالْمَاءِ .

قال : حَدَّثَنِي أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ . عَنْ أَسْلَمٍ ، وَهَيْشَامُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ زَيْدِ ابْنِ أَسْلَمٍ ، عَنْ أَبِي وَعَلَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : أَهْدَى صَدِيقٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ثَقِيفٍ رَاوِيَةَ خَمْرٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَهَا ؟ فَسَارَّ الرَّجُلُ غِلَامَهُ : اذْهَبْ بِهَا إِلَى الْحَزْوَرَةِ فَبِيعْهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بِمِ أَمَرْتَهُ ؟ قَالَ : بِبَيْعِهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ بَيْعَهَا ! فَبَلَغَنِي أَنَّهَا فُرِغَتْ فِي الْبَطْحَاءِ .

قال : وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ . عَنْ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْفَتْحِ عَنْ ثَمَنِ الْخَمْرِ ، وَثَمَنِ الْخَنْزِيرِ ، وَثَمَنِ الْمَيْتَةِ ، وَثَمَنِ الْأَصْنَامِ ، وَحُلُولَانِ الْكَاهِنِ^(١) .

قال : وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ بِشِيرٍ ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةٍ ، عَنْ

(١) هُوَ مَا يُعْطَاهُ مِنَ الْأَجْرِ وَالرَّشْوَةِ عَلَى كِهَانَتِهِ . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٥٦) .

عطاء بن أبي رباح ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح : ما ترى في شحوم الميتة يدهن بها السقاء ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : قاتل الله اليهود ! حرّم عليهم الشحوم فباعوها فأكلوا ثمنها .

قال : وحدثني معمر . عن الزهري ، عن ابن المسيب ، قال : سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ عن ثمن الخمر ، فقال : قاتل الله اليهود ! حرّم عليهم الشحوم فباعوه فأكلوا ثمنه .

قال : وحدثني معمر ، وابن أبي ذئب ، عن الزهري ، عن الربيع بن سبرة ، عن أبيه ، قال : حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم متعة النساء يومئذٍ .

قال : وحدثني ابن أبي ذئب ، ومعمر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبي عمرو بن عدي بن الحمراء ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الفتح وهو بالخزوة : والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت !

قال : حدثني سعيد بن عبد الله ، عن ابن أبي مليكة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وقال : لولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت .

قال : وحدثني شيخ من خزاعة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كان لبني عبد الدار غلام يقال له جبر ، وكان يهودياً ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة يقرأ سورة يوسف ، فعرف الذي ذكر في ذلك ، فاطمأن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فلما ارتد عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن إسلامه رجع إلى مكة فأخبر أهله بإسلامه ، وكان العبد يكم

إسلامه من أهله قبل أن يدخل بيته ، فعذبوه أشدَّ العذاب حتى قال لهم الذى يُريدون ، فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جاء إلى النبی صلى الله عليه وسلم فشكا إليه ، وأخبره ما لى فى سبب عبد الله بن سعد . قال : فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمَّنه فاشتري نفسه فعتق ، واستغنى ونكح امرأة لها شرف .

قال : حدثنى إبراهيم بن يزيد ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال : إني نذرتُ أن أصلى فى بيت المقدس إن فتح الله عليك مكة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ها هنا أفضل . فردَّ ذلك عليه ثلاثاً . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ، لصلاة ها هنا أفضل من ألف فيما سواه من البلدان ! وقالت ميمونة زوج النبی صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، إني جعلت على نفسى ، إن فتح الله عليك مكة ، أن أصلى فى بيت المقدس . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقدِّرين على ذلك ، يحول بينك وبينه الروم . فقالت : آتى بخفير يُقبل ويُدبر . فقال : لا تقدِّرين على ذلك ، ولكن ابغى بزيتٍ يُستَصْبَح^(١) لك به فيه ، فكأنك أتيتيه . فكانت ميمونة تبعث إلى بيت المقدس كل سنة بمالٍ يُشترى به زيتٌ يُستَصْبَح به فى بيت المقدس ، حتى ماتت فأوصت بذلك .

قال : حدثنى ابن أبي ذئب ، عن الحارث بن عبد الرحمن بن عوف ، وإبراهيم بن عبد الله بن مُحَرِّز ، قالا : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جلس عبد الرحمن بن عوف فى مجلس فيه جماعة ، منهم سعد بن

(١) يستصبح : أى يرسج السراج . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٥٠) .

عُبادَة ، فَمَرَّ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ :
 قَدْ كَانَ يُذَكَّرُ لَنَا مِنْ نِسَاءِ قُرَيْشٍ حُسْنٌ وَجَمَالٌ^(١) ؛ مَا رَأَيْنَا هُنَّ كَذَلِكَ !
 قَالَ : فَغَضِبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَقَعَ بِسَعْدٍ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِ ، فَفَرَّ مِنْهُ
 سَعْدٌ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَاذَا لَقِيتُ
 مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَمَالَهُ ؟ فَأَخْبَرَهُ
 بِمَا كَانَ . قَالَ : فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانََّ وَجْهُهُ لِيَتَوَقَّدَ ، ثُمَّ
 قَالَ : رَأَيْتَهُنَّ وَقَدْ أُصِيبْنَ بِآبَائِهِنَّ وَأَبْنَائِهِنَّ وَإِخْوَانِهِنَّ وَأَزْوَاجِهِنَّ ؛ خَيْرُ
 نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ ! أَحْنَاهُ^(٢) عَلَى وَلَدٍ ، وَأَبْدَلُهُ لَزَوْجٍ
 بِمَا مَلَكَتْ يَدُ !

وَكَانَ أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ يَقُولُ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ ، فَمَا أَنْسَى شِدَّةَ بَيَاضِهِ وَسَوَادَ شَعْرِهِ ، وَإِنَّ مِنَ الرِّجَالِ لَمَنْ
 هُوَ أَطْوَلُ مِنْهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ [هُوَ] أَقْصَرُ مِنْهُ ، يَمْشِي وَيَمْشُونَ حَوْلَهُ . قَالَ :
 فَقُلْتُ لِأُمِّى : مِنْ هَذَا ؟ فَقَالَتْ : رَسُولُ اللَّهِ . قِيلَ لَهُ : مَا ثِيَابُهُ ؟ قَالَ :
 لَا أَدْرَى .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَّادٍ ، قَالَ : دَخَلْنَا بَعْدَ
 فَتْحِهَا بِأَيَّامٍ نَنْظُرُ وَنَرْتَادُ وَأَنَا مَعَ أَبِي ، فَنَظَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ، فَسَاعَةً رَأَيْتُهُ عَرَفْتُهُ وَذَكَرْتُ رُؤْيَايَ إِتْيَاهُ بِنَدَى الْمَجَازِ ، وَأَبُو كَهَبٍ يَتَّبِعُ
 أَثَرَهُ يَوْمَئِذٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَنْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « حَسَنًا وَجَمَالًا » .

(٢) إِنَّمَا وَحْدَ الضَّمِيرِ وَأَمْثَالُهُ ذَهَابًا إِلَى الْمَعْنَى ، تَقْدِيرُهُ : أَحْسَنُ مَنْ وَجَدَ أَوْ خَلَقَ أَوْ مِنْ هُنَاكَ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ :
 أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا ، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَمِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ . (الْهَيْبَةُ ، ج ١ ،
 ص ٢٦٧) .

يزيد حلف الجاهلية الإسلام إلا شدة . وكانت أم هانئ تُحدث تقول :
ما رأيت أحداً كان أحسن ثغراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما رأيت
بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ذكرت القرايطيس^(١) المثنية بعضها
على بعض - تعنى عكته^(٢) - وقد رأيت يوم الفتح قد صفر رأسه
بصفائر^(٣) أربع .

قال : وحدثني علي بن يزيد ، عن أبيه ، عن عمته ، عن أم سلمة زوج
النبي صلى الله عليه وسلم قالت : صفرت^(٤) رأس النبي صلى الله عليه وسلم
بذي الحليفة أربع صفائر ، فلم يحلّه حتى فتح مكة ومقامه بمكة ، حتى
حين أراد أن يخرج إلى حنين حلّه وغسلت رأسه بيسدر .

قال : حدثني عبد الله بن يزيد ، عن أبي حصين الهذلي ، قال : لما
أسلمت هند بنت عتبة أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدية
- وهو بالأبطح - مع مولاة لها ، بجديين مرضوفين^(٥) وقد^(٦) . فأنتهت الجارية
إلى خيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت واستأذنت ، فأذن لها
فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بين نسائه أم سلمة زوجته
وميمونة ، ونساء من نساء بني عبد المطلب : فقالت : إن مولاة أرسلت إليك
بهذه الهدية ، وهي معتبرة إليك وتقول : إن غنمنا اليوم قليلة الوالدة .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله لكم في غنمكم ، وأكثر

(١) القرايطيس : جمع قرطاس ، وهو الصحيفة من أى شيء كانت ، وهو أيضا برد مصرى . (القاموس
المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٤٠) .

(٢) العكن : جمع العكنة ، وهى ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً . (القاموس المحيط ، ج ٤ ،
ص ٢٤٩) .

(٣) فى الأصل : « ظفر رأسه بظفائر » . والصفائر : الذوائب المصفورة . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٢١) .
(٤) فى الأصل : « ظفرت » .

(٥) المرضوف : الذى يشوى على الرضف ، والرضف : الحجارة المحماة على النار . (النهاية ، ج ٢ ،
ص ٨٥) .

(٦) القد : جلد السخلة . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٣٢٥) .

والدتها ! فرجعت المولاة إلى هند فأخبرتها بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فسُرت بذلك ، فكانت المولاة تقول : لقد رأينا من كثرة غنمنا والدتنا ما لم نكن نرى قبْل ولا قريبا ، فتقول هند : هذا دُعَاءُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبركته ، فالحمد لله الذى هدانا للإسلام ! ثم تقول : لقد كنت أرى فى النوم أنى فى الشمس أبداً قائمة ، والظل منى قريب لا أقدر عليه ، فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منا رأيت كأنى دخلت الظل . قال أبو حُصَيْن : وقدمت على النبى صلى الله عليه وسلم إحدى نساء بنى سعد بن بكر - إمّا خالة أو عمّة - ينحني^(١) مملوء سمناً وجراب أقط^(٢) ، فدخلت عليه وهو فى الأبطح ، فلما دخلت انتسبت له ، فعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها إلى الإسلام ، فأسلمت وصدقت ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبول هديتها ، وجعل يسألها عن حليمة فأخبرته أنها توفيت فى الزمان . قال : فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سألتها : من بقى منهم ؟ فقالت : أخواك وأختاك ، وهم والله محتاجون إلى برك وصلتك ، ولقد كان لهم مؤئل^(٣) فذهب . وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين أهلك ؟ فقالت : بذنب أوطاس . فأمر لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بكسوة ، وأعطاهها جملاً ظعينة^(٤) ، وأعطاهها مائتى درهم ، وانصرفت وهى تقول : نعم والله المكفول كنت صغيراً ، ونعم المرء كنت كبيراً ، عظيم البركة .

قال : فحدثنى عبد الله بن يزيد ، عن سعيد بن عمرو الهذلى ، قال :

(١) النحى : الزق الذى يجعل فيه السمن خاصة . (لسان العرب ، ج ٢٠ ، ص ١٨٣) .

(٢) الأقط : لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به . (النهاية ، ج ١ ، ص ٣٦) .

(٣) فى الأصل : « موبل » . والمؤئل : الملبأ . (الصحاح ، ص ١٨٤٨) .

(٤) فى الأصل : « جبل ظلته » . والظعينة : الجمل الذى يظعن عليه . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٥٥) .

لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ بَثَّ السَّرَايَا ، فَبَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى الْعُزَّى ، وَبَعَثَ إِلَى ذِي الْكُفَّيْنِ - صَنَمَ عَمْرِو بْنِ حُمَمَةَ - الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ ، فَجَعَلَ يَحْرِقُهُ بِالنَّارِ وَيَقُولُ :

يَا ذَا الْكُفَّيْنِ لَسْتُ مِنْ عِبَادِكَ مِيلَاذُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيلَادِكَ
أَنَا حَشَشْتُ النَّارَ فِي فُؤَادِكَ

وَبَعَثَ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ الْأَشْهَلِيَّ إِلَى مَنَاةَ بِالْمُشَلَّلِ فَهَدَمَهُ ، وَبَعَثَ عَمْرِو بْنُ الْعَاصِ إِلَى صَنَمٍ هُذَيْلٍ - سُوَاعٍ - فَهَدَمَهُ ، فَكَانَ عَمْرِو يَقُولُ : انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَعِنْدَهُ السَّادِنُ ، فَقَالَ : مَا تُرِيدُ ؟ فَقُلْتُ : هَدَمْتُ سُوَاعٍ . فَقَالَ : مَا لَكَ وَلَهُ ؟ فَقُلْتُ : أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! قَالَ : لَا تَقْدِرُ عَلَى هَدَمِهِ . قُلْتُ : لِمَ ؟ قَالَ : يَمْتَنِعُ . قَالَ عَمْرِو : حَتَّى الْآنَ أَنْتَ فِي الْبَاطِلِ ! وَيَتَحَكُّ هَلْ يَسْمَعُ أَوْ يُبْصِرُ ؟ قَالَ عَمْرِو : فَدَنَوْتُ إِلَيْهِ فَكَسَرْتَهُ ، وَأَمَرْتُ أَصْحَابِي فَهَدَمُوا بَيْتَ خِزَانَتِهِ ، وَلَمْ يَجِدُوا فِيهَا شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ لِلْسَّادِنِ : كَيْفَ رَأَيْتَ ؟ قَالَ : أَسَلَمْتُ لِلَّهِ . ثُمَّ نَادَى مُنَادِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ فَلَا يَدْعُنَّ فِي بَيْتِهِ صَنَمًا إِلَّا كَسَرَهُ . قَالَ : فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَكْسِرُونَ تِلْكَ الْأَصْنَامَ ، وَكَانَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ حِينَ أَسْلَمَ لَا يَسْمَعُ بِصَنَمٍ فِي بَيْتٍ مِنْ بَيْوتِ قُرَيْشٍ إِلَّا مَشَى إِلَيْهِ حَتَّى يَكْسِرَهُ ، وَكَانَ أَبُو تُجْرَةَ يَعْمَلُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيَبِيعُهَا . قَالَ سَعْدُ بْنُ عَمْرِو : أَخْبَرَنِي أَنَّهُ كَانَ يَرَاهُ يَعْمَلُهَا وَيَبِيعُهَا . وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ إِلَّا وَفِي بَيْتِهِ صَنَمٌ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ سُهَيْمٍ ، عَنْ بَعْضِ آلِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ نَادَى

مُنَادَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَلَا يَتْرُكَنَّ فِي بَيْتِهِ صَنْمًا إِلَّا كَسَرَهُ أَوْ حَرَقَهُ ، وَثَمَنَهُ حَرَامٌ . قَالَ جُبَيْرٌ : وَقَدْ كُنْتُ أَرَى قَبْلَ ذَلِكَ الْأَصْنَامَ يُطَافُ بِهَا مَكَّةَ ، فَيَشْتَرِيهَا أَهْلُ الْبَدْوِ فَيُخْرِجُونَهَا إِلَى بَيْوتِهِمْ ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَفِي بَيْتِهِ صَنْمٌ ، إِذَا دَخَلَ مَسَحَهُ وَإِذَا خَرَجَ مَسَحَهُ تَبَرُّكًا بِهِ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزُّنَادِ ، عَنْ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ سُهَيْلٍ ، قَالَ : لَمَّا أَسْلَمَتِ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ جَعَلَتْ تَضْرِبُ صَنْمًا فِي بَيْتِهَا بِالْقَدُومِ ، فَلَمَّا فَلَمَزَتْهُ ، وَهِيَ تَقُولُ : كُنَّا مِنْكَ فِي غُرُورٍ !

قَالَ : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ، قَالَ : أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ ، يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ . قَالَ : حَدَّثَنِي مَخْرَمَةُ بْنُ بُكَيْرٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَرَّاءُ بْنُ مَالِكٍ ، قَالَ : أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرِينَ لَيْلَةً ، يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ .

* * *

تَمَّ بَعْنُ اللَّهِ تَعَالَى الْجُزْءَ الثَّانِي مِنْ مَغَازِي الْوَاقِدِيِّ ،
وَيَلِيهِ الْجُزْءُ الثَّالِثُ وَأَوَّلُهُ « شَأْنُ هَدْمِ الْعُزَّى » .

فهرست موضوعات

الجزء الثانى

صفحة	
٤١٥	ذكر ما كان من أمر ابن أُبَيّ
٤٢٦	ذكر عائشة رضى الله عنها وأصحاب الإفك
٤٤٠	غزوة الخندق
٤٨٠	ذكر نعيم بن مسعود
٤٩٤	ما أنزل الله من القرآن فى الخندق
٤٩٥	ذكر من قتل من المسلمين يوم الخندق
٤٩٦	ذكر من قتل من المشركين
٤٩٦	غزوة بنى قريظة
٥٢١	ذكر قسم المَخَنَمَ وبيعه
٥٢٥	ذكر سعد بن معاذ
٥٢٩	ذكر من قتل من المسلمين فى حصار بنى قريظة
٥٣١	شأن سرية عبد الله بن أنيس إلى سفيان بن خالد بن نُبَيْح
٥٣٤	غزوة القُرْطَاء
٥٣٥	غزوة بنى لَحِيَّان
٥٣٧	غزوة الغابة
٥٤٩	ذكر من قتل من المسلمين ومن المشركين

صفحة

٥٥٠	سريّة عكّاشة بن مِحْصَن إلى الغَمَر
٥٥١	سريّة محمّد بن مَسْلَمَة إلى ذى القِصّة
٥٥٢	سريّة أميرها أبو عُبَيْدَة إلى ذى القِصّة
٥٥٣	سريّة زيد بن حارثة إلى العيص
٥٥٥	سريّة زيد بن حارثة إلى الطّرف
٥٥٥	سريّة زيد بن حارثة إلى حِسْمَى
٥٦٠	سريّة أميرها عبد الرحمن بن عوف إلى دُومة الجَنْدَل
٥٦٢	سريّة علىّ بن أبى طالب عليه السلام إلى بنى سعد بِنْدَك
٥٦٤	سريّة زيد بن حارثة إلى أُمّ قِرْفَة
٥٦٥	ذكر من قتل أُمّ قِرْفَة
٥٦٦	سريّة أميرها عبد الله بن رواحة إلى أُسَير بن زارم
٥٦٨	سريّة أميرها كُرُز بن جابر
٥٧١	غزوة الحُدُيْبِيّة
٦٣٣	غزوة خيبر
٦٩٣	تسمية سُهْمَان الكَتِيبَة
٦٩٣	ذكر طُعْم النّبي صلّى الله عليه وسلّم في الكَتِيبَة أزواجه وغيرهم
٦٩٩	تسمية من استشهد بِخَيْبَر مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
٧٠١	ذكر ما قيل من الشعر في خيبر
٧٠٦	شأن فِدَك
٧٠٧	انصراف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من خيبر إلى المدينة
٧٢٢	سريّة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه إلى تُرَبّة
٧٢٢	سريّة أبى بكر رضى الله عنه إلى نَجْد

صفحة

٧٢٣	سريّة بشير بن سعد إلى فدّك
٧٢٦	سريّة بنى عبد بن ثعلبة عليها غالب بن عبد الله إلى الميشفحة
٧٢٧	سريّة بشير بن سعد إلى الجنب
٧٣١	غزوة القضيّة
٧٤١	إسلام عمرو بن العاص
٧٥٠	سريّة أميرها غالب بن عبد الله بالكديد
٧٥٢	سريّة كعب بن عمير إلى ذات أطلاق
٧٥٣	سريّة شعجاع بن وهب إلى السّيّ من أرض بنى عامر من ناحية ركبّة
٧٥٣	سريّة إلى خنعم بتيّالنه
٧٥٥	غزوة مؤتة
٧٦٩	ذكر من استشهد بمؤتة من بنى هاشم وغيرهم
٧٦٩	غزوة ذات السلاسل
٧٧٤	سريّة الحبيط أميرها أبو عبيدة
٧٧٧	سريّة خضير أميرها أبو قتادة
٧٨٠	شأن غزوة الفتح

Oxford University Press, Ely House, London, W. 1

GLASGOW NEW YORK TORONTO MELBOURNE WELLINGTON
CAPE TOWN SALISBURY IBADAN NAIROBI LUSAKA ADDIS ABABA
BOMBAY CALCUTTA MADRAS KARACHI LAHORE DACCA
KUALA LUMPUR HONG KONG

© MARSDEN JONES 1966

THE KITAB AL-MAGHAZI
OF
AL-WAQIDI

VOLUME TWO

EDITED BY
MARSDEN JONES

LONDON
OXFORD UNIVERSITY PRESS

1966

